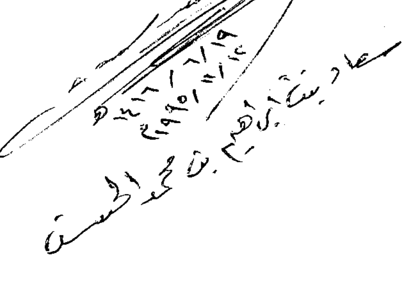
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

٤٠٠٧١٤





النجم ابن فهد مؤرخا

(٨١٢ - ٨٨٥ هجرية / ١٤٠٩ / ١٤٨٠ ميلادية)

رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي

اعداد
سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن

اشراف
الأستاذ الدكتور / محمد الحبيب الهيله

مكة المكرمة (١٤١٥هجرية / ١٩٩٤ ميلادية)



ملخص الاطروحة

في أثناء استقرائي للتاريخ المكي ، وقفت على حقيقة المدرسة التاريخية المكية ، ووجدت أنها خلفت تراثاً ضخماً ، تميز بالمنهجية الدقيقة ، والنقد الرصين ، والمساهمة الفاعلة الأصيلة في تطوير منهج الكتابة التاريخية ، ولهذا آليت أن ينحصر هدفي الأساسي في الدراسة على إبراز هذا الجانب ، من خلال علم رائد من أقطاب تلك المدرسة ، أغوص في أعماقه ، وأتعرف على خلفيات فكره ومنهجه ، وأكتسب من خلال الرحلة معه الرؤية الواضحة لكثير من الحقائق والأحداث التاريخية ؛ بعد اخضاعها للتحليل والنقد والاستنتاج .

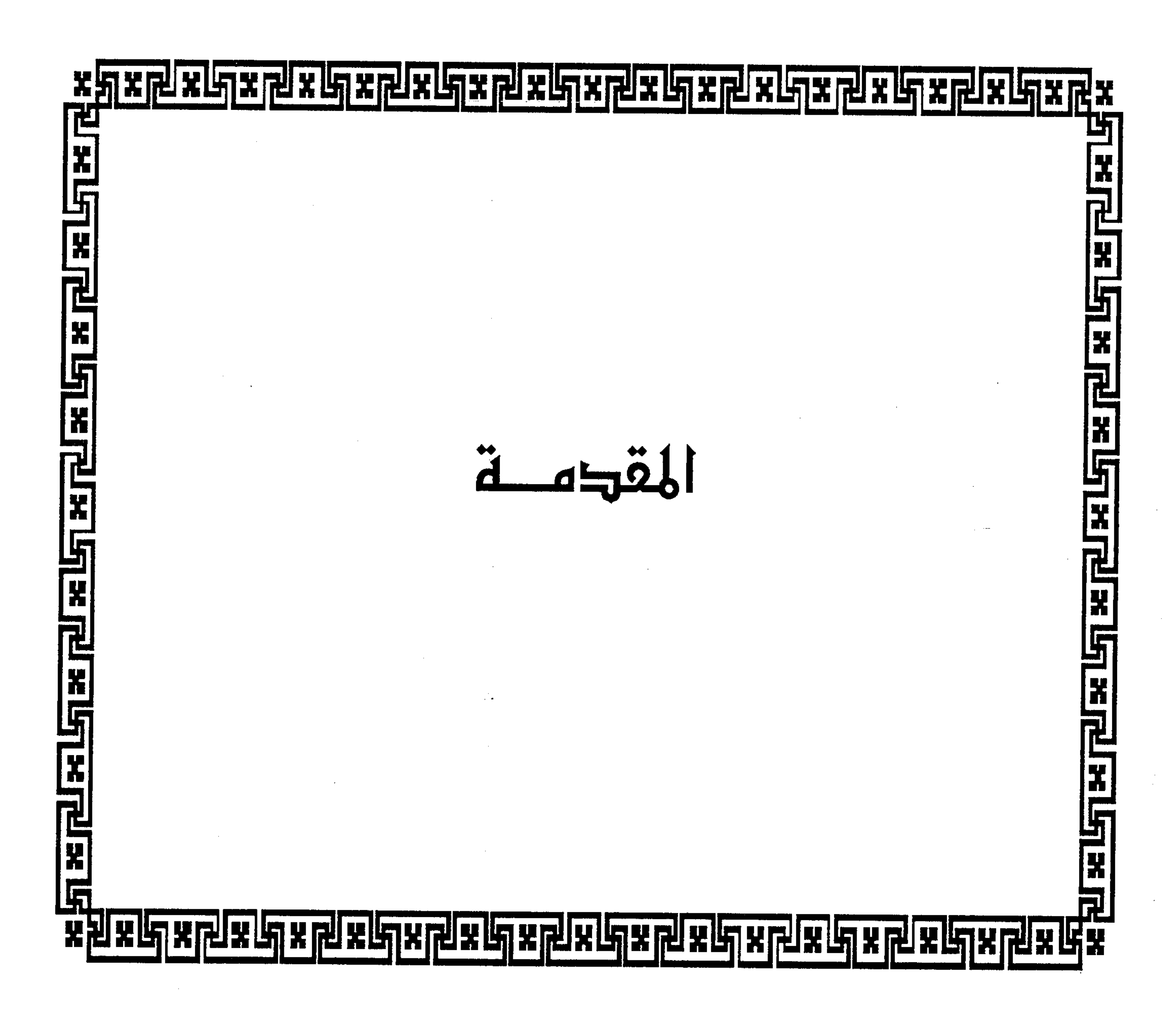
والرائد الذي اخترته ليعكس أضواء تلك المدرسة وظلالها هو : النجم ابن فهد الصنو لشيوخه في مرحلة الطلب وبعدها . والعلم الأشهر في تدوين تاريخ مكة (في القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادي) بعد عمدتها الفاسي . والعاشق الذي تعلم من والده حب العلم ؛ والتأليف للحركة العلمية ، فأورث هذا العشق لأبنائه وأحفاده من بعده .

هذا النجم لم يكن مؤرخا فحسب ، وإنما كان محدثًا حافظاً ، موسوعي الثقافة والعطاء في ميدان علم الرجال ، متقناً لفن الفهرسة ؛ ومجدداً لمؤلفات من سبقوه في مضمارها . مشبعًا للعاطفة بتذوقه للأدب ، ومساهمته في تأريخ الحركة الأدبية في عصره . وله مع ذلك رصيد وافر من المعرفة الثقافية ؛ تجلت في تعليقاته الكيسة على الأسفار العلمية لكثير من شيوخه وأقرانه .

وهذه الدراسة المتأنية له ولمؤلفاته كشفت خصائص منهجه في مختلف مجالات الكتابة التاريخية ، ومدى حياديته في تناول قضايا التاريخ الإسلامى ، ودقته في اثبات مظان أخباره ، وواقعيته في تتبع حوادث عصره ، وتأثيره الواعي في مجريات الأحداث فيه . وقد تم تسليط الأضواء عليها جميعا ، رغبة في إبراز تميز تلك المدرسة التاريخية الناضجة ، وتميز رجالها .

والله من وراء القصد .

الباحثة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
	محمد الحبيب الهيلة	١/٦/١٤١٦هـ د. محمد بن صامل السلمي



المقدمة

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحمِل عَلَيْنَا إِصراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغفِر لَنَا وَارحَمنَا ﴾.

سورة البقرة : ٢٨٦

الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد ، وجعل فيها نجوم رجم ، ونجوم اهتداء ، وبعد .

هذه الدراسة تعنىٰ بإبراز أعمال عالم مؤثر في الحركة الفكرية التاريخية والتعريف بفكره ومنهجه من خلال ماقدمه من آثار علمية ، تركت للورىٰ صورة تكاد تكون شاملة لتاريخ الفكر في عصره ، ورسمت لوحة فنية للقاريء ، تصور في تناسق أو اضطراب التدفق الطبيعى لحياة الانسان في مكة - وعبر تاريخها الطويل - وفقا للمؤثرات التي كانت تموج فيها سلباً وايجاباً .

والمؤرخ الذي نحي ذكره هنا هو النجم عمر بن محمد بن فهد ، أحد أوتاد الأقطاب من علماء آل فهد ، اصطبغت كتاباته بالنظرة الشمولية للثقافة فهو محدث حافظ برع في الحديث متنا واسنادا ، وهو مؤرخ ناقد لقضايا عصره ومجتمعه ، متقنا لفن الفهرسة ، واجتمعت عنده من الشواهد الأدبية المنظومة ؛ ماجعله يؤرخ للحركة الأدبية في عصره ، وهو علاوة على هذا وذاك له تميز في الثقافة الطبية ، ومساهمة في تسهيل الحصول عليها .

ومما دفعني للرحلة في عقل عالم وفكره : هو ماتتسم به أمثال هذه الدراسة من أصالة وجدة ، فضلا عما يتيحه العكوف على دراسة آثاره من فضاءات رحبة في مجال الاستقراء المتأنى ، والموضوعية التحليلية التي تقوم على الفحص العميق والنقد الدقيق لالتماس وجه الحق ، ووجه الباطل فيها ثم إن تسجيل الحقيقة التاريخية بعد ذلك يتطلب أسساً علمية مبنية على الدقة والأمانة في إصدار الأحكام ، لتكتب كما هى : عارية عن الأهواء ، نائية عن العواطف . ولاشك أن الوصول إلى هذه المرحلة البالغة الحساسية تسمو بفكر الباحث الذي يأمل أن يحشر في زمرة العلماء العاملين ، والمرء مع من أحب .

ومن هذا المنطلق ، علاوة على كوني احدىٰ بنات جزيرة العرب ـ ذوات الاهتمام التاريخي بتراثهن ـ فقد راودتني الرغبة في أن يكون لي شرف المساهمة في تجلية تاريخ جزيرتهن ، وبحكم جواري المؤنس لبيت الله الحرام آثرت أن تكون بداياتي مع تاريخ هذه البقعة الطاهرة ؛ ومع علم من أعلامها المبرزين ، لم يحظ على الرغم من أهميته وأهمية انتاجه وأعماله التاريخية بدراسة متكاملة ، تلم بجميع جوانب حياته وترجمته ومنهجيته في الكتابة التاريخية .

أما اختيارنا للنجم فينبع من إحيائه لتاريخ مكة ، وشهادته على حوادث عصره ، وتفاعله معها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتفرده في كتابة ذلك التاريخ بعد وفاة شيخه الفاسى عمدة مؤرخى مكة . ولهذا كان من الأهمية بمكان أن نكون فكرة واضحة عن فكره ، وأن نحيط بمصادر علمه وثقافته ، لنقف على مدىٰ استيعابه لتراث أسلافه ومعاصريه ، ولنقف على مدىٰ تجديده لهذا التراث واضافته إليه .

إن فهمنا للنجم وتقديرنا لآثاره ، يتطلب النظر من زاويتين اثنين : نظرة إلى آثاره في ذاتها ، ونظرة إليها في علاقتها به ، ولهذا جعلت نصب عينى تحقيق هدفين رئيسيين :

أولهما : التعريف بالمؤرخ ، وعصره وآثاره .

وثانيهما : دراسة منهجه في الكتابة التاريخية ، والحكم عليه من خلال ماقدمه .

ومع أن هناك عدد من الباحثين المحدثين قد تناولوا مؤرخنا ، إلا أنهم لم يغطوا أهداف الأطروحة ، وقد حاولت بقدر جهدي أن أطلع على ماتوافر لي منها ، وأن أستقريء أعمالهم ، وأخضعها للدراسة النقدية ، التي لاتقلل من شأنها ، ولاتعد قدحًا فيها ، بقدر ماتخدم الحقيقة التاريخية والمنهجية العلمية .

ويأتي في مقدمة تلك الأعمال كتابان للنجم طبعا بعد تحقيقهما تحقيقاً علمياً من قبل عدد من الباحثين في صرحين من صروح العلم والثقافة في بلادنا "المملكة العربية السعودية" .

الأول : "كتاب معجم الشيوخ" ، تحقيق محمد الزاهي ، وهو من منشورات دار اليمامة في الرياض عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، وقد قمت بعمل دراسة نقدية لمنهج التحقيق فيه ؛ أفردت لها مبحثاً خاصاً في هذه الدراسة(١).

والثاني : "كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى" ، ويقع في أربع أجزاء عدا الفهارس ، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى فهيم شلتوت بتكليف من مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في حين حقق الجزء الرابع عبد الكريم باز كموضوع لرسالة الدكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى . وجميع الأجزاء من مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مابين عامي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م الى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م . وقد تناولت منهج التحقيق في تلك الأجزاء بالدراسة النقدية أيضا وخصصت لها مبحثاً في هذه الأطروحة(٢).

وهناك كتاب طبع عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م عنوانه : "تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد" من تأليف ابراهيم المشيقح . وأصل الكتاب موضوع لرسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، وقد ألقى الباحث الضوء على البيئة التي عاش فيها النجم ، وعلى حياته ، واهتماماته ، وعلى جوانب من كتاب "الدر الكمين" . والكتاب يلتقي مع

---

(١) انظر الباب الثاني ، الفصل الثاني ، ص٣٤٦-٣٥٧ .
(٢) انظر الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص٣١٥-٣٤٣ .

أطروحتي في بعض المواضيع الخاصة بالحياة في مكة ، وترجمة النجم ؛ في حين تختلف اطروحتي عنه في طبيعة وعمق التناول لبعض تلك العناوين ؛ كما أن خطتي في البحث ونظرتي للموضوع ، واحصائي لآثار النجم وتناولي لها ، ولخصائصه الفكرية وعلاقته بمجتمعه تختلف كثيراً عن الكتاب المذكور ، وتتميز اطروحتي بالدراسة التفصيلية لنوعين من الإنتاج التاريخي للنجم ، ومنهجه في كل نوع ، وأساليبه في العرض ، والإنتقاء ، والتنظيم ، والاستنتاج ، كما تتميز بدراسة موارده ، ومنهجه النقدي ، والمآخذ عليه ، علاوة على الدراسة النقدية لمناهج التحقيق في كتبه المطبوعة .

أما الدراسات الأخرىٰ التي عرضت لمؤرخنا فيتصدرها بحث كتبه ناصر الرشيد ، وشارك به في ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية التي نظمتها جامعة الملك سعود "الرياض سابقا" في عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ونشر ضمن اصداراتها ، وأيضا نشر في مجلة العرب في نفس العام ، وهو بعنوان : "بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة ، والتعريف بمخطوط النجم بن فهد إتحاف الورىٰ بأخبار أم القرىٰ" . وقد ترجم فيه باختصار لأربعة من مؤرخي آل فهد ، وبين أثرهم فيمن أتى بعدهم وعلاقتهم بمؤرخ مصر السخاوي ، وختم البحث بإشارات مقتضبة وصف فيها مخطوطة الإتحاف ، ومنهج مؤلفها ، وأهميتها ، وضرورة العناية بنشرها . وقد ذكرت في ثنايا الاطروحة بعض الملاحظات عليه(١).

وتحدث حمد الجاسر بإيجاز عن آل فهد وآثارهم ، ومكانتهم العلمية في مجلة العرب ج١،٢ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م عند وصفه لمخطوطة "حسن القرى في ذكر أودية أم القرى" . وأورد محمد سعيد كمال إشارات قليلة لأبرز علماء آل فهد ، وعلاقة السخاوي بهم ؛ في مقدمة كتاب "تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف" لجار الله بن فهد ، وهو من مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، "ولايوجد تاريخ لنشره" . وقد ضمنت الاطروحة تعليقي وملاحظاتي عليهما(٢).

---

(١) انظر ص٧٢-٧٤،٩٧،٢٠٨ .

(٢) انظ ص.٧٥-٧٧،١٠٧-١٠٩ .

وهنـاك دراسة عن أسرة بني فهـد وأثرهم في خدمـة الحديث النبوى . ضمـن رسالة للدكتوراه بعنوان : "علم الحديث في مكـة المكرمة خلال العصر المملـوكي" اعداد صالح يوسـف معتوق ، نوقشت في جامعـة أم القـرى بمكة عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ، تطـرق فيهـا بشكـل موجز لمؤرخنـا وأشـار إلى عـدد لابأس به مـن مؤلفاته ؛ وإلى جانبهـا دراسة أخرى عـن بني فهـد ، وآثارهم التاريخية . ضمن كتاب : "التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القـرن الثالث عشر" تأليـف محمد الحبيب الهيله ، ولي مـع هـذا الكتاب وشـائج ؛ فمؤلفه مشرفي على هذه الاطروحة ، وتزامنـت فترة جمعه وطباعته له مع اعدادي وطباعتي لاطروحتي .

وبالإضـافة لـذلك هناك اشـارات عـابرة ، ومحدودة جداً عـن بني فهـد وصلتهـم بالسخـاوي ؛ بين دفتي رسـالة الـدكتوراه المقـدمة مـن عبـد الله الشقـاوى ، وعنوانها : "السخاوي مؤرخاً" نوقشت في جامعـة الإمام محمد بن سعـود الإسلامية عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) . كمـا توجد شـذرات مبعثرة عن آل فهـد ، وتأثرهـم بمؤرخ مكة تقـي الـدين الفاسي في ثنـايا رسـالة الدكتوراه المقـدمة مـن فهـد الـدامغ ؛ بعنـوان : "تقـي الـدين الفـاسي ، ومنهجـه في التـدوين التـاريخي" نوقشت في جامعـة الامام محمد بن سعـود الإسلاميـة عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) . وأيضـا هنـاك لمحة مـوجزة لأسـرة آل فهـد في رسـالة الـدكتوراه المقـدمة مـن ابراهيم المشقيـح ، وعنـوانها : "جار اللـه ابن فهـد مؤرخا" نوقشت فى جامعة الإمـام محمـد بن سعـود الإسلاميـة عـام (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، وقـد دونت ملاحظـاتي في الاطروحة على بعـض ماسجله المشيقح في رسالته(١).

ثم هنـاك إشـارة سطحية لبعـض المؤلفـات المنسوبة للنجـم ابن فهـد ، نشـرت في مجلة العرب ج٧،٨ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . وقـد أثبت في أطروحتي عدم صحة نسبتها لمؤرخنا(٢).

(١) انظر ص٧٢-٧٤،٩٨ .

(٢) انظر ص٢٢٢-٢٢٥ .

ولهذا وبعد استقصائي لما كتب عن النجم رأيت أنه جدير بدراسة علمية أكاديمية ، وأن جهوده واسهاماته في تطور المنهج التاريخي بحاجة إلى الكثير من البحث والدراسة والتحليل ؛ لإبراز معالم شخصيته ومنهجه ، فعقدت العزم - بعد أن استشرت أستاذي المشرف ، ووجدت منه تشجيعاً كبيراً - على أن أجعله موضوعاً لأطروحتي هذه ، وأن أسلط من خلاله الأضواء على جانب مهم من جوانب الحركة العلمية والثقافية في مكة المكرمة أرض النور والعلم والقداسة .

وأحسب أني في معالجتي لهذا الموضوع ، قد حققت أغراض الدراسة من خلال بابين رئيسيين ، انضوىٰ تحت كل منهما عدد من الفصول ، وصدرتها بمبحث خاص ألقيت فيه الضوء على أهم مظاهر البيئة التي اكتنفت مؤرخنا ، وتناولت فيه أربعة بنود :

الحياة السياسية : وهي حياة مضطربة سادها هدوء نسبي ، تميزت بظهور بعض الأمراء الذين نجحوا إلى حد ما في حسم النزاعات الداخلية ، واستخدموا سياسة الإبعاد مع مثيري الفوضىٰ والشغب ، كما اتسمت بالسيادة المطلقة لدولة المماليك على الحجاز ، واحكام قبضتهم عليه .

الحياة الاقتصادية : ركزت فيها على أبرز الملامح الاقتصادية المؤثرة في تاريخ تلك الفترة ، إبان ازدهار الحركة التجارية في جدة وتبوؤها قمة الهرم في التجارة العالمية . فقد صاحب هذا التطور تغيير كبير في الأوضاع العامة والسياسية وميزان القوىٰ في الحجاز .

الحياة الاجتماعية : عرضت فيها بإيجاز للهياكل الاجتماعية في مكة ، والتركيبة العرقية فيها ، وبعض المؤثرات التي تسللت إليها ، والتي لامست حياة الناس ، ومست صفاء العقيدة ، وأشرت إلى بعض الأمور الإدارية ذات التأثير السلبي على أوضاع المجتمع المكي .

الحياة الثقافية : تحدثت فيها عن عوامل التوهج العلمي لذلك العصر ، وأشرت إلى العلوم التي برز فيها علماء مكة ، وألقيت الضوء على أهم المراكز التعليمية واهتمام المكيين بالكتب والمكتبات ، وعرضت إلى أسباب النمو والإعاقة ، وكيف كانت الثقافة أسيرة الزوايا الضيقة ، والدروب المظلمة بفعل تيار التصوف المنحرف .

أما الباب الأول : فقد خصصته لترجمة النجم ابن فهد . وقسمته لثلاثة فصول :

الفصل الأول : وهو مرحلة التكوين .

وبدأت هذه المرحلة بإعطاء لمحة عن عائلته وآثارها المحسوسة ، وعرضت للأسباب التي جعلت من آل فهد طرازاً خاصاً تميز بالنظرة المثالية للعلم ، وأشرت إلى الدراسات التي تناولت مآثر المبدعين منهم ، وأجليت بعض الغموض الذي شابها ، وتحدثت عن العوامل التي ساعدت على نبوغ نجمنا ، وتوقفت كثيراً عند والده ؛ لأثره الكبير في بناء شخصيته واتجاهه العلمي ، وللآثار العلمية الضخمة التي تركها .

ثم تناولت نسبه بالدراسة والتحقيق ، مبينة المصادر التي اعتمدتها في سياقه ، والهنات التي وقعت فيها سهوا وتصحيفا أو نتيجة السرعة وعدم التثبت ، والمزاعم التي ألقت ظلالا من الشك فيه .

بعدها تحدثت عن مولده ونشأته والرعاية المتناهية التي لقيها من والديه ، والمعارف التي سارت عليها ثقافته الأولى ، وأشرت إلى ذكائه الوقاد وجديته في الطلب والعلوم التي برع في إتقانها .

ثم قدمت لمحة عن رحلاته خارج الحجاز ، وسببها وتاريخها ، والبلدان التي زارها ، وأشهر العلماء الذين لقيهم في رحلاته ، وحرصه على تدوين مؤلفات كبار شيوخه ، وبداية اهتمامه التأليفى .

وختمت هذا الفصل بذكر شيوخه ، فأشرت إلى كثرتهم ، لدرجة أنه خصهم بمؤلف ضخم فصل فيه تراجمهم والعلوم التي تلقاها عنهم ، وأوضحت السبب الذي يكمن خلف العدد الهائل لهم . ثم بينت نوع ثقافته .

أما الفصل الثاني : فهو مرحلة الإشعاع .

وتناولت في هذه المرحلة العالية الأهمية في حياته خصائصه الفكرية والأخلاقية ، وبينت أن الحقبة التي عاشها مؤرخنا شهدت وعياً تاريخياً ، وعناية فائقة من المؤرخين الذين انكبوا على حفظ التاريخ وتدوينه ، وأشرت للمدرسة التاريخية التي ينتمي إليها ، واهتماماته التاريخية والعلمية ، وفكره التنظيمي ، وتفاعله مع تاريخه المعاصر ، والمزايا التي تمتع بها ، وأهلته ليكون مدرسة لمن جاء بعده .

ثم انتقلت إلى صلاته وعلاقاته الشخصية ، فعرضت لألمع الرموز الذين اتصل بهم أو اتصلوا به ، وبينت طرفاً من علاقته بهم تأثيرًا وتأثرًا والحميمة الغالبة على أكثرها ، وأشرت عرضا لبعض المصادمات النقدية لمؤرخي عصره ، وأثرها على موضوعيتهم ، ثم تناولت حياته الخاصة رغبة في الإحاطة بجوانب شخصيته ، فأشرت إلى النجم الزوج والأب واستوقفني حرصه على تعليم أبنائه واستشراف المستقبل الزاهر لهم .

وفي قسم خاص من هذا الفصل تناولت علاقته بمجتمعه ، وبدأته بنبذة عن مكانة أسرته في المجتمع المكي ، ومواقع سكنها ، وأبرزت تفاعله معه من خلال قلمه النابض ، وتحدثت عن جهوده العلمية ، وأشدت بالمأثرة العظمىٰ التي سار فيها على سنة والده في تسهيل الإعارة من مكتبة آل فهد ، ودوره الفاعل في العديد من قضايا مجتمعه ، وزهده في المناصب .

ثم أشرت إلى حرصه على إفادة الطلبة وإكرامهم ، وعدم التحرج من الإستفادة منهم ، بل وإثبات تراجمهم ضمن تراجم شيوخه . وذكرت أبرز تلاميذه من أهل مكة أو من غيرها ، وجعلت خاتمة المطاف الحديث عن وفاته .

والفصل الثالث والأخير في هذا الباب : حصرت فيه آثاره العلمية .

وقد بينت من خلال التتبع الدقيق لبعض مؤلفاته المخطوطة ، والمصادر القديمة أن حياته مليئة بالإنتاج الفكري الذي لم ينقطع حتى الأيام الأخيرة من عمره المديد .

ثم عرضت لقائمة مؤلفاته والموضوعات المتشعبة التي ألف فيها،حيث تناول الحديث وعلومه ، والمعاجم والمشيخات ، والتاريخ والأدب ، إضافة إلى إسهاماته في الفهرسة .

وكانت خطتي في عرض تلك المؤلفات بعد تصنيفها التمهيد للأقسام المصنفة بمباحث قد تطول أو تقصر بحسب وفرتها والعناية بها . مع التعريف بما غمض منها .

أما المؤلفات فقد اكتفيت بتتبع معظمها في المصادر التاريخية دون المراجع ، وعرفت ماأمكن بما يوجد منها ؛ سواء تلك التي اطلعت عليها ، أو نقلت معلومات عنها من المصادر الأصلية . علما بأن أغلب كتبه مفقودة حتى الآن ، والقليل من مخطوطاته معروف مصدرها كما أشرنا في ثنايا هذا الفصل .

وأفردت القسم الأخير للتنبيه على بعض المؤلفات المنسوبة لمؤرخنا ، وأثبتنا بالقطع خلاف ذلك .

أما الباب الثاني : فقد خصصته لدراسة منهجه في الكتابة التاريخية . وقسمته إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : تناولت فيه بالتفصيل (كتاب إتحاف الورىٰ بأخبار أم القرىٰ) فتحدثت عن أوصاف الكتاب وطباعته ، ونسيجه التاريخي ، وسبب تأليفه ، ولفت الإنتباه إلى اغفال محقق الجزء الأخير لمعلومة جوهرية سها عنها ، ولم ينبه إليها .

بعدها انتقلت لدراسة منهجه ، فعرضت بالشرح والتفصيل لعدد كبير من جزئيات المنهج الخاصة بالتنظيم وأساليب العرض ، وحجم المادة ، ونوعيتها ، وأسس انتقائها بدءًا بالسيرة النبوية ، ومرورًا بأخبار الحج والأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأخبار الجريمة ، فضلاً عن الأخبار الثقافية والدينية وأخبار الأوقاف .

وأنهيت الفصل بدراسة لمنهج التحقيق وأوضحت ملاحظاتي عليه ، وبعض الهنات منه .

وقد حرصت في كل جزئية على أن تكون مدعمة بالشواهد التي أثبتها من مظانها .

والفصل الثاني : تناولت فيه كتاب معجم الشيوخ المخطوط .

وقدمت له بمدخل عرضت فيه لمعجم الشيوخ المطبوع والعناية بنشره ، ثم أشرت إلى بعض الملاحظات والأوهام التي سجلتها على منهج التحقيق ، وذكرت الأسباب التي جعلتني أحجم عن تناول معالجته للمادة التاريخية في المعجم المطبوع .

ل

بعد ذلك توسعت في الحديث عن المعجم المخطوط ، وتناولت بالدراسة أوصافه ، ثم عرضت للأطر الخاصة بعنوانه ، وزمن تأليفه ونسخه ، وتنظيمه وأساليب عرضه للمادة .

ثم تحدثت بالتفصيل عن الأركان الأساسية في الترجمة ، وبينت أن مؤرخنا أولاها اهتماماً كبيراً ، وأيدت ذلك باقتباسات توضح كل ركن ، وتفسر كل بند من بنوده .

أما الفصل الثالث : فقد تطرقت فيه إلى بيان موارده التي استقى منها معلوماته ، ووجدت أنه استند على دعائم أساسية حددتها ، ولمست بصورة واضحة عنايته الشديدة في الإشارة إلى موارده منقولة كانت أو محسوسة .

وقد قمت بتقسيم موارده إلى مجموعات متجانسة حسب وحدة الموضوع فعرضت لاستعانته بالنقوش والمخلفات الأثرية ، وتحدثت عن أبرز الوثائق التى أفاد منها ، ثم انتقلت إلى المشاهدة فالمشافهة واللتين شكلتا رافدا مهما تميز بالدقة والملاحظة الفاحصة ، ثم تناولت مدىٰ استيعابه للمؤلفات السابقة واستفادته منها .

وضمنت تلك المجموعات دراسة لمنهجه في تناول موارده ، وسلطت الأضواء على مواضع النقول فيها .

والفصل الرابع : وهو آخر فصول هذا الباب تحدثت فيه عن بندين : الأول عن منهجه في النقد ، أكدت فيه على بروز روح النقد في كتاباته المعاصرة ، وأشرت إلى العوامل التي صقلت موهبة النقد عنده ، وعرضت لأنواع من القضايا التي تحدث فيها بصوت عال ، كما عرضت لتقييمه للعديد من الروايات والأخبار التي دونها ، وعنايته بإصدار أحكامه المقومة جرحاً وتعديلاً لرجال عصره الذين التقاهم .

أما البند الثاني : فقد خصصته لبيان بعض أخطاء النجم والمآخذ عليه وبينت أنه لم يتعامل مع التاريخ الذى ينقله بنفس الروح والنظرة الثاقبة التي تناول فيها تاريخه المعاصر ، وأشرت إلى أن اعتماده على النقل والجمع قد أثر على موضوعيته رغم اتصافه بالدقة والتواضع .

وجعلت مسك الختام استعراض أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

وبعد ... فقد كتبت هذه الأطروحة اسهاماً مني في تجلية تاريخ البلد الأمين كما أسلفت ، وحرصت كل الحرص على أن تتسم كتابتي بالموضوعية العلمية ، وأن تقوم على التحليل العميق ، والنقد الدقيق ، والتأني في اصدار الأحكام ، وصولاً للحقيقة التاريخية .

ولاأزعم أني بلغت الكمال أو قاربته ، ولكن طلبه كان باعثي ، وحسبي أني اجتهدت .

وفي الختام .. أرى أن واجب الوفاء يحتم على أن أزجي خالص التقدير والعرفان لأستاذي سعادة الأستاذ الدكتور/محمد الحبيب الهيله ، الذى تعهدني برعايته وتشجيعه مذ كانت هذه الاطروحة فكرة حتى صارت حقيقة . أمد الله في عمره ، وجزاه خير الجزاء .

والشكر واجب أيضا لجامعة أم القرى ، ولكلية الشريعة ، وقسمي التاريخ الإسلامي ، والدراسات العليا التاريخية والحضارية .

كما أتقدم بعظيم الشكر والإمتنان لسائر الهيئات العلمية والمكتبية التي سهلت مهمتي في البحث والمراجعة والتصوير والنقل ، وأخص بالشكر مركز البحث العلمي ، وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، ومكتبة جامعة الملك سعود وأخص قسم التوزيع والمعارض فيها .

ولـزاماً على أن أشكر كلا مـن سعادة الأستاذ الـدكتور/أحمد بن عمر الـزيلعي ، وسعـادة الأستـاذ الـدكتور/محمـد أحمد حسـب اللـه ؛ لقبـولهما مناقشتي ، ولافادتي العظيمة من توجيهاتهما السديدة .

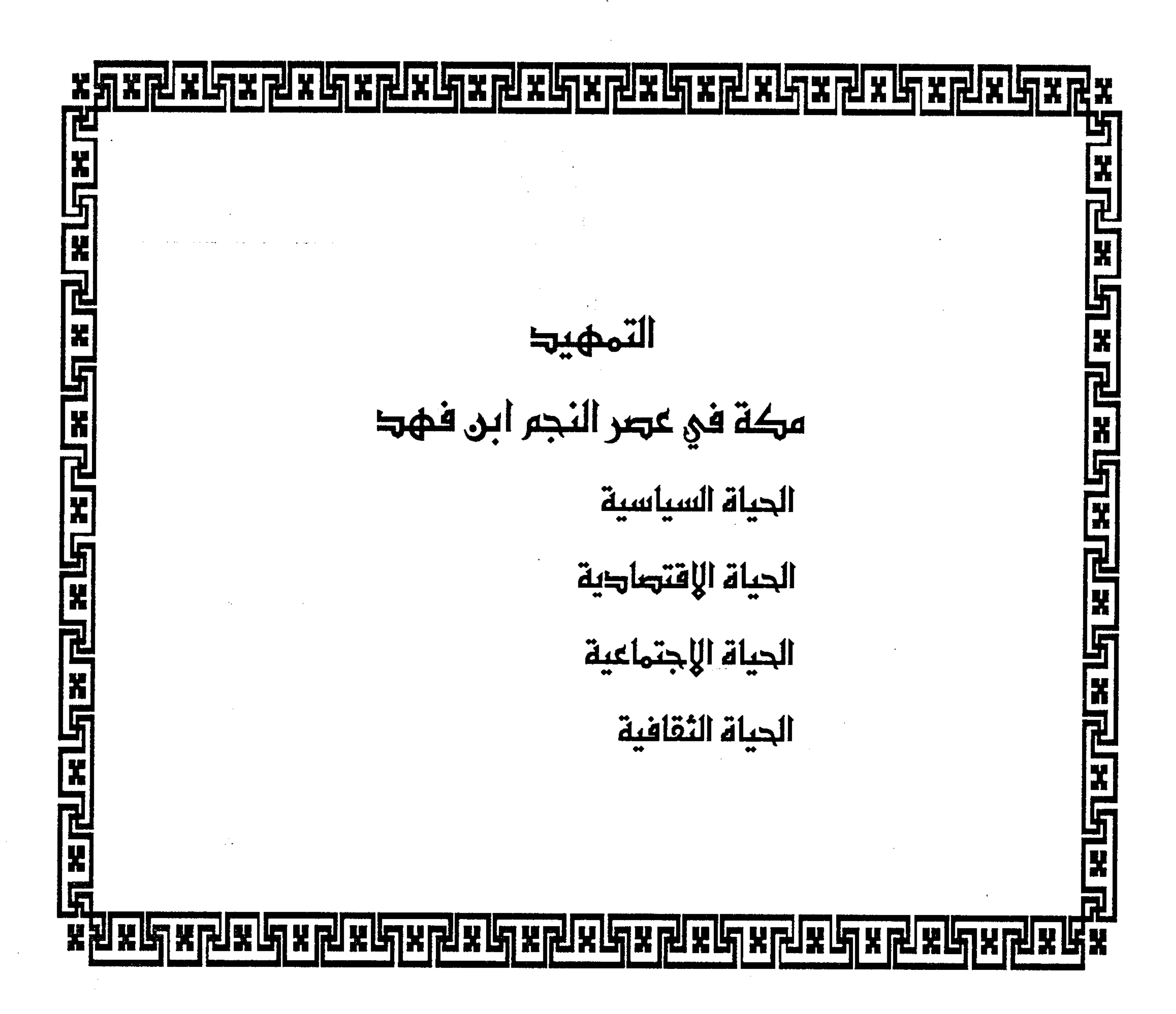
ولايفـوتني هنا ... أن أدعـو بالرحمة والغفران لـوالدي الـذي رعانا ، وحبب الينا طلب العلم ، ووجهنا لنسقى ظمأ عقولنا مـن خير منهل ، أسكنه اللّٰه فسيح جناته ، وجعله في أعلىٰ عليين .

كمـا أشكر والدتي ، التي هذبت وجداني ، وحثتني دومـًا على التسامي بأفكـاري وأعمالي ، أطال اللّٰـه عمرها ، وجعل ذلك في صحيفـة حسنـاتها .

وأثمن عاليا جهود اخوتى الذين ذللوا لي الصعاب ، وكـانوا خير عون لي في توفير مصـادر ومـراجع الاطـروحة ، وفي الإشـراف على طبـاعتها ومراجعتها معي . فلهم مني الثناء ، ومن اللّٰه الأجر والثواب .

أسـأل اللّٰـه أن يكـون عملي خالصـا لـوجهه ، وأن يوفقنـا لما يحب ويرضىٰ إنه سميع مجيب .

والحمد للّٰه رب العالمين ، وصلى اللّٰه وسلم على من بعث رحمة للعالمين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .



التمهيد

مكة في عصر النجم ابن فهد

الحياة السياسية

الحياة الإقتصادية

الحياة الإجتماعية

الحياة الثقافية

(٢)

الحياة السياسية :

عاش النجم بن فهد (٨١٢-٨٨٥هـ/١٤٠٩-١٤٨١م) في أحب بلاد الله إلى الله ، في أقدس بقعة على وجه الأرض في مكة المكرمة ، مولد الهدى ، ومأوى الأفئدة ، وبؤرة التشوق ، وقطب الرحى في كيان الأمة الاسلامية .

وعند النظرة الشمولية العميقة في تاريخ هذا البلد الطاهر سياسيا نجد أنها لم تنعم بالاستقرار والأمن بعد عصر الخلفاء الراشدين ، وحتى عصر مؤرخنا ، فقد جارت عليها عوادي المحن والضعف ردحًا طويلاً من الزمان ، بعد اتخاذها مركزًا للخارجين على الحكومة المركزية ، عند انتقال مراكز الخلافة إلى بلاد الشام ثم إلى العراق ، وقد عانى الحجاز كثيرًا من جراء ذلك خاصة بعد تمزق جسد الدولة العباسية وظهور الدويلات المستقلة ، حين أصبحت السيادة على مكة المكرمة مظهرًا من مظاهر المهابة السياسية والدينية لهذه الدويلات ، فتنافست فيما بينها على ضم الحجاز ومد نفوذها إلى الحرمين لتثبيت أركان ملكها في الداخل والخارج .

وقد ارتبطت مكة في تلك الفترة ، ومن ثم بعد سقوط بغداد بالعديد من الممالك الإسلامية واتسم الوضع فيها بعدم الاستقرار في العلاقات الخارجية ، نتيجة فرض التبعية والانتماء السياسى عسكريًا . أما في الداخل فقد أنهكتها الفتن والحروب الطاحنة بين أفراد البيت الواحد المتنازعين على السلطة . وفي كل الأحوال تجرع أهل مكة ، وحجاج بيت الله الحرام صنوفًا من المآسي ، والاضطهاد ، والحصار ، ونهب الأموال ، وقتل الأنفس والمصادر التاريخية التي نستخلص منها أحكامنا مدعمة بالنصوص التي لاداعي لذكرها الآن(١).

(١) انظر على سبيل المثال دراستنا لاتحاف الورى ص٢٦٤-٢٧٤ من هذه الدراسة .

واتسمت الفترة التي عاشها مؤرخنا بالسيادة المطلقة لدولة المماليك البرجية "الجراكسة"[(١)] على الحجاز ، وهيمنتهم على مقدرات الإمارة والأمراء فيه ، فقد أقاموا حامية عسكرية دائمة في مكة ، قوامها قوات مملوكية ، يبدل أمراؤها المماليك بين الحين والآخر ، مهمتها حفظ الأمن ، وتأكيد سيادة المماليك[(٢)] ، وأصبح أمر عزل وتولية أمراء مكة بيد سلاطين المماليك الذين لم يحترموا في كثير من الأوقات سلطة الأسرة الحاكمة ، ولم يراعوا نظام الوراثة إذ عمدوا إلى فرض من يرونه أكثر خضوعا لهم ، أو من يدفع هدايا وهبات أكثر لهم . وقد مكنهم من ذلك عدة أمور :

أولا : عدم الاستقرار السياسى في الحجاز ، فالأشراف[(٣)] قد عجزوا

---

(١) المماليك البرجية سموا بذلك : نسبة إلى السكن الذى أنزلوا به في مصر وهو أبراج القلعة ، وأصلهم من الجراكسة ، وموطنهم الأرض المشرفة على البحر الأسود من جهة الشمال الشرق ، وقد جلبهم أحد سلاطين دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) وهو السلطان سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٨٨-١٢٩٠م) ليتخلص من صراع الأمراء ، وقادة الجيش على الحكم ، ويُكَوِنَ بهم فرقة جديدة يكون ولاؤها واخلاصها له ، وبذلك يضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده ، غير أن هؤلاء الأجلاب لم يلبثوا بعد أن كبر نفوذهم من الإستيلاء على الحكم . ولاريب في ذلك فالقوة هي القانون الأعلى ، وهي الأساس في الوصول إلى السلطنة في عصر المماليك ، وقد حكم الجراكسة مصر والشام والحجاز مدة مائة وتسعة وثلاثين عاما ، تعاقب فيها على عرش السلطنة اثنان وعشرون سلطانا، انتهى حكم أغلبهم بالخلع أو القتل ، وكانت نهاية هذه الدولة بقتل آخر سلاطينها طومان باى على يد السلطان العثمانى سليم الأول عندما استولى على القاهرة عام ٩٢٣هـ .

(٢) انظر النجم بن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٠،٧١،٢٣٢،٢٣٣،٢٧٩،٣١٩، ٣٤٠،٤٢٩،٤٨٥،٤٩٥،٥٠٩،٥٣٧ .

(٣) ينتمى الأشراف الذين حكموا مكة في عصري دولة المماليك الأولى والثانية إلى قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسني الينبعي - نسبة إلى ينبع حيث كان يسكن - وقد تمكن قتادة من حكم ينبع وماحولها ثم سار إلى مكة واستولى عليها بعد اسقاطه لدولة "بنو فليتة الهواشم" عام ٥٩٧هـ ، وأسس دولة الأشراف "بنو قتادة" الذين حكموا مكة حقبة طويلة من الزمن إلى أن أخرجهم الملك عبد العزيز =

عن توحيد صفوفهم من الداخل ، وكان النزاع على أشده بين أفراد الأسرة الواحدة ، وبين أبناء الأب الواحد ، وقد دفعهم حب السلطة إلى الارتماء في أحضان المماليك ، والتزلف لهم طمعا في ضمان الاحتفاظ بالإمارة مما أضعف هيبتهم .

ثانيا : استمرار الاضطراب والقلق الداخلي ، وتعرض مصالح التجار للخطر الدائم ، واشتداد الغلاء في الأسعار ، وكثرة الفتن في مواسم الحج ، ومايصاحبها من اضطهاد للحجاج ، ونهب لأموالهم ، وجميعها مؤشرات مكنت المماليك من التدخل لإقرار الأمن والنظام في الأراضي المقدسة باعتبارهم حماة الخلافة المتمتعين ببيعتها . بعد احيائهم للخلافة العباسية

= آل سعود من الجزيرة كلها في عشرينات القرن العشرين الميلادي . والمتتبع لولاية أمراء "بنو قتادة" يرى أن حكمهم يتسم بعدم الإستقرار السياسي ، بسبب النزاع بينهم وبين أمراء المدينة للسيطرة على الحجاز من جهة ، وبسبب النزاع بين أمراء مكة بعضهم البعض من جهة ثانية ، وبسبب الأطماع الخارجية المتمثلة في سلاطين مصر واليمن والعراق الذين استغلوا النزاع للوصول إلى أهدافهم من جهة ثالثة . وقد تحول النزاع على السلطة في عهد بني قتادة إلى صراع دام حيث كان الابن يقتل أباه ، والأخ يقتل أخاه ، وابن الأخ عمه ، وهلم جرا . وكانت القوة والبطش هي محور الوصول إلى الإمارة مع استعانة القوى المتنازعة بالقوى الخارجية المذكورة لتدعيم وتثبيت سلطتهم في الداخل ، فكثر الأمراء الذين تولوا إمارة مكة وقلت مدة حكمهم في الغالب فمنهم من لم يحكم سوى عدة أيام ، ومنهم من لم يحكم إلا شهرا أو سنة ومنهم من تفرد بحكم الإمارة . ومنهم من شورك في الحكم . ومما لاشك فيه أن مكة فى عهد بنى قتادة قد أصبحت مسرحا للطامعين في الداخل والخارج على حد سواء ، وقاسى أهلها والحجيج كثيرا من جراء المنازعات الداخلية المستمرة ، فكثرت الفوضى ، وساد الرعب والفزع ، وعز الاستقرار حتى أصبحت سنة الأمن استثنائية وغير مألوفة ، واستمرت الأوضاع الداخلية بهذا التوتر والقلق السياسى إلى عصر مؤرخنا حيث ساد أجواء مكة شيء من الهدوء ، وليس هدوءا كليا .

انظر بعضا من تفاصيل هذه الأوضاع خلال هذا المبحث .

في القاهرة[١].

ثالثا : أدى انشغال الرسوليين[٢]بالصراعات الداخلية في اليمن إلى ضعف شأنهم ، وبالتالى إلى احكام قبضة المماليك على الحجاز ، ونفوذ أوامرهم فيه ، وانفرادهم بالسيطرة عليه . وقد كان الرسوليون في السابق مصدر قلق للمماليك بحكم قربهم من الحجاز جغرافيا ومذهبيا . وطموحاتهم في تحقيق الزعامة على الحرمين والتفرد بالخطبة على منابرها . لاعتقادهم أن هذا الأمر يضفى على سلطانهم في الداخل والخارج نوعا من الشرعية مما يعزز مكانتهم أمام منافسيهم[٣].

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص١٩٧ ؛ ج٤ ، ص٩٩-١٠١،١٠٢،١٠٧،١٢٢،١٣٩ ؛ المقريزي : السلوك ، ج٤ ، ص٧٨١ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ، ج٣ ، ص٥٦،٢٥٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ق٢ ، ص٢٠٦ ؛ يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ق٢،٦٢٨،٦٣٢ ؛ السنجاري : منائح الكرم ، ج١ ، ق٣٣٢أ،٣٤٤ب ، ٣٤٦أ ؛ الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ، ق٥٢أ،٥٣ب،٦٩أ .

(٢) نسبة إلى نور الدين عمر بن على بن رسول ، حكموا بلاد اليمن بعد خلعهم طاعة الأيوبيين عام ٦٢٨هـ ، واستمروا حتى عام ٨٥٨هـ ، وكانت فرصهم في السيطرة على الحجاز أكثر من المماليك بحكم قربهم منه واتحادهم في المذهب الزيدي مع أمراء الحرمين ، في حين ان المماليك سنيين .

عن بني رسول وعلاقتهم بالحجاز انظر محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ، ص٤٣٤ ومابعدها .

(٣) تنافس بنو رسول حكام اليمن والمماليك في السيطرة على مكة طوال العصر المملوكى الأول ، وقد أدى هذا التنافس إلى نشوب الصراع ، وتأزم العلاقات بين الطرفين في أوقات كثيرة ، وكان المماليك ينكرون على الرسوليين تدخلهم في شئون الحجاز ، ويعتبرون أنفسهم أصحاب الحق في السيادة عليه ، خاصة بعد صدهم للتتار ، وطردهم للصليبيين ، وغزوهم لهم في جزر البحر المتوسط ، ولهذا نجد السلطان بيبرس يرسل لصاحب اليمن خطابا يتسم بالقوة والتجريح في هذا الشأن ، كما هدد السلطان الناصر محمد بغزو اليمن ، وجهز حملة لذلك ، بل وصل الأمر إلى اعتقال المماليك عام ٧٥١هـ للمجاهد صاحب اليمن أثناء وجوده في مكة للحج عندما أشيع أنه ينوى الاستيلاء عليها وحمل إلى القاهرة .

ويحسن بنا قبل الخوض في مجريات عصر النجم أن نذكر من تعاقب على دست السلطنة فى مصر ، ومن تقلد زمام الإمارة في مكة ، باعتبارها مدخلاً" مهماً في بيان سنوات الاضطراب السياسي أو الاستقرار في البلد الأمين ، وفي الدولة الراعية له . وأعتقد أنه بنظرة عابرة لفترة الحكم والنهاية للسلاطين والأمراء ، التي يوضحها الجدول التالي يمكن استنباط العبرة والعظة التي تشكل المحور الأساسي للدراسات التاريخية .

لقد عاش مؤرخنا ثلاثاً وسبعين عاماً (٨١٢-٨٨٥هـ/١٤٠٩-١٤٨١م) وفي هذه الحقبة عاصر ستة عشر سلطاناً مملوكياً ، وتسعة من أمراء مكة ، وكانت فترات حكمهم على النحو التالي :

سلاطين المماليك الجراكسة :

السلطان	فترة حكمه	مدة حكمه	نهايته
الناصر فرج	(٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م)	حكم سبع سنوات للمرة الثانية	قتل
المؤيد شيخ	(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)	حكم تسع سنوات	توفى
المظفر أحمد	(٨٢٤هـ/١٤٢١م)	حكم عدة أشهر	خلع
الظاهر ططر	(٨٢٤هـ/١٤٢١م)	حكم عدة أشهر	توفى
الصالح محمد	(٨٢٤-٨٢٥هـ/١٤٢١-١٤٢٢م)	حكم عدة أشهر	خلع
الأشرف برسباى	(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م)	حكم ست عشرة سنة	توفى
العزيز يوسف	(٨٤١-٨٤٢هـ/١٤٣٧-١٤٣٨م)	حكم عدة أشهر	خلع
الظاهر جقمق	(٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)	حكم خمس عشرة سنة	توفى
المنصور عثمان	(٨٥٧هـ/١٤٥٣م)	حكم أقل من شهر ونصف	خلع

= انظر الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص٤٣٤،٤٣٥،٤٤٤ ؛ العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٠،٨٣،٨٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٢ ، ج٦ ، ص٤٤٢،٤٢٦ ؛ العيني : عقد الجمان ، مج٤ ، ص٥٥٤ ؛ مج٣ ، ج٦٣ ، ص٢١،٩٠ .
De, Gaury : Rulers of Makka, p.101 .

السلطان	فترة حكمه	مدة حكمه	نهايته
الأشرف اينال	(٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م)	حكم سبع سنوات	توفى
المؤيد أحمد	(٨٦٥هـ/١٤٦١م)	حكم أقل من سنة	خلع
الظاهر خشقدم	(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م)	حكم سبع سنوات	توفى
الظاهر بلباي	(٨٧٢هـ/١٤٦٧م)	حكم مدة شهرين	خلع
الظاهر تمربغا	(٨٧٢هـ/١٤٦٧م)	حكم مدة شهرين	خلع
خيربك	(٨٧٢هـ/١٤٦٧م)	حكم ليلة واحدة	خلع
الأشرف قايتباي	(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م)	حكم تسعا وعشرين عاما	توفى

أما أمراء مكة الذين عاصرهم مؤرخنا فهم :

السلطان	فترة حكمه	مدة حكمه وأبرز معالمها	نهايته
حسن بن عجلان	(٧٩٧-٨١٨هـ/١٣٩٥-١٤١٥م)	خلال هذه الفترة ، وبالتحديد عام (٨٠٩هـ/١٤٠٧م) أشرك السيد حسن ابنه بركات في الإمارة ، وجاءه تفويض من السلطان بذلك في السنة المذكورة ، واستمر بركات شريكاً لوالده حتى عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) حيث تنازل الأب عن النصف الثاني من الإمارةلابنه أحمد وتولى هو نيابة السلطنة فى الأقطار الحجازية بتفويض من السلطان الناصر فرج في نفس العام ، وظل بركات وأخيه في امرة مكةحتى عزلا مع والدهما عام (٨١٨هـ/١٤١٥م) .	عزل

السلطان	فترة حكمه	مدة حكمه وأبرز معالمه	نهايته
رميثة بن محمد ابن عجلان	(٨١٨-٨١٩هـ/١٤١٥-١٤١٧م)	مدة امارته سنة وبضعة أشهر	عزل
حسن بن عجلان	(٨١٩-٨٢٧هـ/١٤١٧-١٤٢٤م)	للمرة الثانية في هذه المدة أيضا أخذ السيد حسن ينوه لابنه بركات بامارة مكة،وفوض له إمرتها عام (٨٢٠هـ/١٤١٧م) ، غير أن هذا التفويض داخلياً ، ولم يأت عهد عن السلطان بتأييد ذلك ،وفي عام (٨٢٤هـ ١٤٢١م)أشرك ابنه ابراهيم مع بركات في حكم مكة،غير أنه لم يلبث أن عزله لأنه أوىٰ إليه فرعًا من الأشراف ، وكان أبوه قد أمره بابعادهم . وفي نفس العام جاء تفويض من السلطان المملوكي بإمرةمكة لحسن بن عجلان وابنه بركات ، واستمرا حتى عزلا عام (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) .	عزل
على بن عنان ابن مغامس	(٨٢٧-٨٢٨هـ/١٤٢٤-١٤٢٥م)	مدة إمارته سنة وبضعة أشهر	عزل
حسن بن عجلان	(٨٢٨-٨٢٩هـ/١٤٢٥-١٤٢٦م)	للمرة الثالثة	توفى
بركات بن حسن ابن عجلان	(٨٢٩-٨٤٥هـ/١٤٢٦-١٤٤١م)	مدة إمارته قريبا من ستة عشر سنة	عزل
على بن حسن ابن عجلان	(٨٤٥-٨٤٦هـ/١٤٤١-١٤٤٣م)	قبض عليه وأرسل الى القاهرة مزنجراً بالحديد ، بعد أن تأمر مدة سنة وبضعة أشهر	عزل

السلطان	فترة حكمه	مدة حكمه وأبرز معالمها	نهايته
أبو القاسم بن حسن بن عجلان	(٨٤٦-٨٥٠هـ/١٤٤٣-١٤٤٦م)	مدة امارته أربع سنوات	عزل
بركات بن حسن ابن عجلان	(٨٥٠-٨٥٩هـ/١٤٤٦-١٤٥٥م)	للمرة الثانية	توفى
محمد بن بركات ابن حسن بن عجلان	(٨٥٩-٩٠٣هـ/١٤٥٥-١٤٩٨م)		توفى

ويمكن القول أن مكة المكرمة في عصر مؤرخنا قد شهدت فترة جيدة من الهدوء النسبي ، وإن لم تكن مطردة إذ تخللتها بعض الفتن والمنازعات بيد أنها مستقرة إلى حد كبير إذا ماقورنت بعصر سلاطين المماليك البحرية وماقبلها . وقد مهد لذلك خاصية المناخ الاقتصادي التجاري البحت الذي ساد عصر المماليك الجراكسة ، فقد كانت التجارة أكثر الميادين حيوية ، ولقيت الاهتمام الأوفر والرعاية الأكبر على الصعيدين الرسمي والشعبي ، بل ان سلاطين دولة الجراكسة لم يلبثوا أن اتجهوا نحو الاشتغال بها واتبعوا سياسة الاحتكار التجاري لبعض السلع والغلات المهمة مثل التوابل والبخور(١)، والمرجان والنحاس وغير ذلك(٢).

لقد كان لغلبة الطابع الاقتصادي على دولة المماليك الجراكسة أثره في تغيير نظرتهم نحو الحجاز فقد خف المظهر الديني للعلاقة ، وقوي الجانب التجاري ، فالدعاء لصاحب اليمن على منابر مكة لم يعد يهمهم ، ويسبب حساسية لديهم ، بقدر ماأصبح همهم حماية سياستهم التجارية الجديدة

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥١٦ .
Wiet : L'Egypte Arabe, p. 573 .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٨١-٨٢،٦٠٤ .

وتأمين طرقها ، وإيجاد أسواق لها[١].

ويبـدو واضحـا مـن الأوضـاع السيـاسية في الحجـاز خلال العصـر المملوكي أن السلطة المركزية بالقاهرة كانت تدرك تماما أهميته باعتباره ممرا حيويا للتجارة الدولية بين الشرق والغرب ، وموردا قـويا من موارد الدولة في سياستها الاحتكارية الجديدة .

ولهـذا وضـع الجراكسـة نصـب أعينهـم تأمين الاستقـرار والأمـن في شواطىء ينبع وجده وطرق القـوافل التي تخترق الحجـاز ، وتجعـل مـن مكـة سوقا تجاريا مهما ، وقد نجحـوا نجاحا ملحـوظا في تحقيـق هـدفهم في السيطرة على الحجاز ، وتأمين استقراره ، وضمان تسريع النهضـة الاقتصادية التجارية عن طريقه .

وكـان من الطبيعى إحداث تعديل في الأوضاع السيـاسية والادارية في منطقـة الحجـاز تتنـاسب مع التـوجهات الجديدة للـدولـة ، وتستهـدف زيادة ارتبـاط هذا الاقليم بها ، وتوحيـده إداريا بحيث يسهـل على السلاطين إصدار أوامـرهم إلى جهة واحدة ، واحكـام سيطرتهم على الأوضـاع الأمنيـة فيه .

ولتعـزيز هـذا التوجه أصـدر السلطـان الناصر فـرج مـرسوما يتضمن استحـداث منصب نائب السلطنـة بالأقطار الحجازية ، وأسنـده إلى أمير مكـة حسن بن عجلان ، رجل الحجاز القوي الذي استطاع ضـرب الفتن ، وقطاع الطـرق ، ونظـم التجارة ، وفـرض رقابة شديدة لحماية الـوارد والصـادر من المتاجر[٢]، وسيطر على الحجاز بحنكته ودهائه ، ولم يكن يقض مضجعه سوى

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٩٧ ؛ حكيم أمين : دولة المماليك الثانية ص١٥٥ على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص٤٢ .

(٢) الفاسى : نفس المصدر والجزء ، ص١٠٧ ؛ النجم ابن فهد : المصـدر السابق ، ج٣ ص٤٧٠ .



أقرباؤه من أشراف بنى حسن الطامعين في الإمارة ، الذين لايتورعون في سبيل الوصول إليها من إثارة الرعب ، وزعزعة الاستقرار ونهب الديار ، ورشوة سلاطين مصر واليمن(١).

والواقع أن مكة المكرمة كانت أقوى مدن الحجاز من الناحية الاقتصادية والجغرافية والعددية ، وذلك لمكانتها الدينية ، ولقربها من العالم الخارجى فهي تسيطر على طرق القوافل والموانىء المهمة مثل ينبع وجدة ، وعليه فإن هذا التفويض لأمير مكة يعد نقلة كبيرة في تاريخها السياسي والإداري ، فنفوذ أميرها بناء على هذا التفويض امتد الى المدينة المنورة ، فصار إليه النظر في امرتها(٢). يقول السخاوي : "كان وصل لعجلان أثر قدومه للمدينة توقيع من صاحب مصر بإمرتها بعد وفاة أخيه ثابت بشرط رضى الشريف حسن بن عجلان"(٣).

وقد بلغ نفوذ حسن بن عجلان شأنا بعيدا حيث حاول غزو اليمن عام (٨١٢هـ/١٤٠٩م) بعد توتر العلاقات بينه وبين سلطانها ، وكان قد سبق له عام (٨٠٤هـ/١٤٠١م) استعادت الأرض التهامية المتاخمة للحدود الجنوبية للحجاز المعروفة بحلى ابن يعقوب . على أن محاولته غزو اليمن قد أكدت للسلطات المملوكية قوته فخشيت من اتساع سلطاته ، ونزعته الإستقلالية ، فرسم بعزله وعزل ولديه ـ وكان قد طلب إشراكهما في الحكم معه ـ غير أن قرار العزل لم ينفذ لأن الشريف حسن قرر المواجهة العسكرية . "وتوقع الناس بمكة ـ لأجل ذلك ـ فتنة عظيمة ، فضاقت منهم لذلك الخواطر ، حتى كادت النفوس تبلغ الحناجر"(٤).

---

(١) Iver G. : Art Makka in Ency of Islam.

(٢) السمهودي : خلاصة الوفاء ، حوادث عام ٨١١هـ .

(٣) التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٤٠٨ .

(٤) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٩٦-٩٧ ؛ ج٦ ، ص٧١ ؛ ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ص١٣٧ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ، ص٣٩٤ .

وأقلق سلاطين المماليك تعاظم شخصية حسن بن عجلان لكن تعذر عليهم ايجاد البديل له ، فقد بلغ حدًا عظيماً من الثراء والجاه والنفوذ ، بل كان من الذكاء بحيث شخص الداء الذي استشرىٰ وغلب على دولة المماليكة الجراكسة من جمع للأموال بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة فداواهم بالتي كانت هي الداء ، واستخدم الأموال والهدايا لرشوة السلاطين وحاشيتهم(١). ومن المسلم به أنه منذ اعتلاء حسن بن عجلان نيابة السلطنة في الحجاز زادت أطماع المماليك في مقدرات الإمارة ، وصارت الرشوة والالتزام بإرسال الأموال عادة يتبعها أمراء مكة ، وشرطًا من شروط التولية وسبباً مهماً من أسباب العزل(٢). بل إن ذلك امتد فيما بعد فشمل زوجة السلطان وأولاده وأرباب دولته ، وكان لكل هؤلاء نصيب وافر مع السلطان من كل مايقدم إليه(٣).

ومن الجلي أن ولاية حسن بن عجلان قد اتسمت بشيء من الاستقرار وتوقف الصراعات الداخلية على السلطة ، وإن لم يخل الأمر من حدوث اضطرابات في بعض السنين كالذي حدث عام (٨١٦هـ/١٤١٣م) عندما هجم بعض الأشراف على مكة ، ولكنهم لم يلبثوا أن خرجوا منها خوفاً من السيد حسن وأقاموا باليمن(٤)مدة ثم عادوا إلى جدة ، واستولوا عليها ونهبوها ، ولم يسلم منزل من النهب أثناء الغارة حتى منزل نائب جدة(٥).

---

(١) يذكر الفاسي ، أن السيد حسن قد أرسل عام ٨١١هـ هدية طائلة لمصر ، وطلب من السلطان الموافقة على اشراك ابنيه أحمد وبركات في الإمارة ، وفي عام ٨١٢هـ أرسل للسلطان المملوكي ألف زكيبة بيعت في مصر بخمسين ألف مثقال . انظر العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٠٥،١٠٨ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج٩ ، ق١ ، ص١٣٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ج٤ ، ص٢٥١،٥١٠ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ، ص١١٥ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٦ ، ص٩٢-٩٣ .

(٤) لفظ اليمن المذكور اصطلاح تعارف عليه المؤرخون ، ويقصد به المناطق الجنوبية التابعة لإمارة مكة منذ القدم .

(انظر الزيلعي : نقوش اسلامية ، ص١٣-٤١) .

(٥) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١١٥ .

وفي عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) حدثت فتنة عظيمة في مكة انتهكت فيها "حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل واراقة الدم فيه ، وروث الخيل ، وطول مقامها فيه"(١). وضعف الأمن ، وانتهبت الأسواق كما تعرض الحجاج للنهب والسلب ، يقول الطبري : "ولايعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة"(٢).

بعد هذه الحادثة ولمسائل مالية ومطالب لم يحققها حسن بن عجلان للسلطان المملوكى أصدر المؤيد شيخ مرسوماً يقضي بعزله وعزل ابنيه عام (٨١٨هـ/١٤١٥م) وتولية ابن أخيه رميثه بن محمد بن عجلان(٣)، ولم يستسلم ابن عجلان لقرار العزل ، وأخذ يثير القلاقل في البلاد ، وتعرض لمراكب التجار ونهبها(٤)، وأرغمها على المضي إلى ينبع حتى لاتجوز على جدة ، وتدخل بضائعهم مكة (٥)، وظل يهدد الأمن ، فاستولى في عام (٨١٩هـ/١٤١٦م) على غلال وأموال أصحاب رميثه ، وأخذ من تجار الكارم ثلاثة عشر ألف مثقال ومئتي مثقال نظير عدم التعرض لتجارتهم وتمكينهم من السقيا من جدة(٦).

ومن نافلة القول أن حسن بن عجلان عاد إلى الإمارة في مكة في رمضان /أكتوبر عام (٨١٩هـ/١٤١٧م) بعد أن استرضى المؤيد شيخ بمبلغ ثلاثين ألف مثقال ، وعدد من الخيول وغيرها ، واستطاع دخول مكة بالقوة بعد إخراجه لرميثه وأعوانه(٧).

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٥١٦ .
(٢) اتحاف فضلاء الزمن ، ق٥٢ب-٥٣أ .
(٣) محي الدين الطبري : الأرج المسكي ، ق٤٩أ .
(٤) ابن حجر : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٦ .
(٥) الطبري : نفس المصدر ، ق٥٣أ ؛ السنجاري : منائح الكرم ، ج١ ، ص٣٤٤أ .
(٦) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٢ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٥٣١ .
(٧) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ محي الدين : نفس المصدر والورقة ؛ العصامي : سمط النجوم ، ج٤ ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

ومن الملفت أن قرار عودة ابن عجلان للإمارة لم يتضمن الإشارة إلى توليته منصب نائب السلطنة بالأقطار الحجازية ، مما يؤكد الغاء هذا المنصب[١]. وليس أدل على ذلك من أن المصادر توقفت عن ذكره منذ هذا التاريخ ، إذ يلاحظ أن مراسيم التوليه صارت تنص على أن أمير مكة قد شملته الصدقات السلطانية باستقراره في الامارة[٢]، كما أن عودة السيد حسن كانت مصحوبة بقوة مملوكية من الحرس الخاص للسلطان[٣]، ولعل هدفها الحد من نفوذه، وإضعاف مركزه .

ومما يزيد الأمر وضوحا إحياء الصراع على السلطة من جديد ، فأشراف بني ثقبة لم يلبثوا أن نازعوا الشريف حسن وخلعوا إمارته ، وأعلنوا الإمارة لثقبة بن أحمد ، وميلب بن على واستولوا على جده ، وجعلوا لهما نواباً فيها ، وأخذوا الضرائب من المراكب الواصلة إليها ، وكثير من الطعام . فأسرع إليهم الشريف حسن واستعاد جدة ، فعرج الأشراف على مكة ، وحاربوا نائبه فيها مفتاح الزفتاوى ، وقتلوه مع جماعة من عسكر أمير مكة[٤]، عندها لم يجد الشريف حسن بدا من مهادنة أقاربه مقابل مبلغ من المال يدفعه لهم[٥].

ولم يكن هناك وازع من الشعور بالحاجة إلى الأمن ، فالحقيقة التي تدور حولها ممارسات الأشراف في الحجاز ويرتكز عليها جوهر حياتهم هي

---

(١) مرسوم السلطان كان ينص على الإنعام على السيد حسن بإمرة مكة .
انظر النجم بن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٦٣٨،٥٣١ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٣٨،٢٥٤،١٨٩ .

(٣) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ الطبرى : نفس المصدر ، ق٢٧ب .

(٤) الفاسي :نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٤٢-٥٤٥ ؛ السنجاري : نفس المصدر والجزء ، ق٣٤٦ب .

(٥) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

السلطة والمال ، ولهذا سرعان ماأعلن الأشراف والقواد[١]تمردهم على حسن ابن عجلان وخروجهم عن طاعته عام (٨٢٤هـ/١٤٢١م) عندما أبطل الرسوم التي كان يدفعها لهم كل عام ، وانضم الخارجون إلى ابن أخيه رميثه بن محمد بن عجلان ، واستولوا على جدة ، ونشروا الفزع في الطرقات ، وسادت الأوضاع القلقة ، واستمر النزاع على فترات متقطعة حتى عام (٨٢٦هـ/١٤٢٣م) ، تخللها نزاع بين ابراهيم وبركات ابني الشريف حسن وجماعتهما[٢].

ولكبح جماح الأشراف اختلت سياسة السيد حسن الاقتصادية ، فأصبح السعي إلى جمع المال غايته ، وكانت التجارة أهم العناصر المؤدية إلى هدفه ، فصادر بضائع التجار الواصلين إلى جدة من الهند ، وأساء معاملتهم مما أدى إلى توتر العلاقات بينه وبين السلطان المملوكي برسباى ، وارتاب السيد من قدوم عدد من أمراء الألوف والطبلخانات مع المحمل المصري عام (٨٢٦هـ/١٤٢٣م) ، فترك مكة ، ورفض مقابلة أمير الركب المصري ، ولم يباشر خدمة المحمل على العادة لتخوفه من أن يحدثوا أمرا يكون في غير صالحه بعد أن شاع في مكة أن السلطان يريد القبض عليه[٣].

وإزاء هذا الوضع المتأزم قرر السلطان المملوكي الأشرف برسباى إرسال قوة عسكرية مملوكية لقتال أشراف مكة ، وانتزاع الإمارة من حسن ابن عجلان ، وتقليدها لعلى بن عنان بن مغامس ، ودخل على بصحبة هذه

---

(١) القواد : هم أتباع الأشراف ، وكان لهم أثر خطير في الحياة السياسية في مكة ابان العصر المملوكي ، ففي ظل الفوضى الضاربة التي عمت العلاقات بين الأشراف على السلطة ، كون كل أمير من أمراء الحجاز لنفسه عصبة يعتمد عليها في الاحتفاظ بالإمارة أو في تحقيق مطامعه على حساب شريف آخر ، ولكل عصبة قادة وزعماء يقدمون خدماتهم لمن يدفع أكثر .

انظر فهد الدامغ : تقي الدين الفاسي ومنهجه ، ص٧ ، هامش ٥ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١٤١-١٤٢ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، ص٢٦٠ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٥٨٨،٥٩٥ .

القـوة مكـة في جمادي الأولى عـام (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) بدون قتـال بعـد أن فر منها حسن بن عجلان وأعوانه إلى جهة اليمن[١].

وتفـاقمت الاضطرابات في مكـة رغم بقاء الحامية العسكـرية المملـوكية فيهـا ، ولم يتمكن على بن عنـان من ضبط البلاد ، والتغلـب على الأوضـاع المتردية بهـا ، فعـزل في مـوسم (٨٢٨هـ/١٤٢٥م) ، وأعيـد حسـن بن عجلان للإمـارة بعـد أن تعهـد بدفـع مبلـغ مقـداره ثلاثين ألـف دينـار للسلطـان المملوكي[٢]، واضطـر ابن عجلان للاقتراض مـن التجار لـدفع مـاالتزم به ، غير أن المنيـة عاجلته فتوفى في جمادي الآخرة عام (٨٢٨هـ/١٤٢٥م) بعـد أن دفع خمسة آلاف فقط[٣].

وليـس من قبيل المغالاة القـول بأن حسن بن عجلان كـان أكفأ أمراء الحجـاز في العصـر المملوكـي فقـد حفظ للإمارة هيبتهـا رغـم استفحـال المد الخارجي مـن اليمـن ومصـر على وجه الخصـوص ، كمـا أنه لم يكـن بالأمير المتسـاهل في حقوقه مع الأطمـاع الداخلية المتمثلة في أقـربائه ، وكـان رجل سيـاسة ومهارة على جانب كبير مـن الدهاء والحزم وحسـن التدبير ، وتمتدح مصـادرنا التاريخية سياسته وحسن إدارته للبلاد على الـرغم من تعسفه أحيانا في الجباية ، وفي معاملة التجار[٤]، وعلى كل فقد كان حسن بن عجلان ابن بيئتـه ، وكانت سياسته الخارجيـة والداخلية محاولة جريئـة لاتخلو من أخطاء لانقاذ إمارته من أزماتها . وبموته أصبح أمراء الحجاز في يد سلاطين المماليك يوجهونهم أينما اتجهوا .

---

(١) الفـاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١٤٧-١٤٨ ؛ ابن تغـري بردي : نفـس المصدر والجزء والصفحة ؛ العصامي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٦٠ .

(٢) ابن حجر : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٣٦٤ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ص٦٠٦،٦٠٨،٦٠٩،٦١٩،٦٢٢ ؛ السنجاري : نفس المصدر ، ج٢ ، ص١ .

(٣) ابن حجر : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الفـاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١٥٤-١٥٥ ؛ النجـم ابن فهـد : نفـس المصـدر والجزء ، ص٥٤٢،٥٤٤،٥٥٦ ؛ العـز بن فهـد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٣٥٣-٣٥٤ ، العصامي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٦١-٢٦٢ ؛ الطبري : نفس المصدر ، ق٢٨ب

بعد وفاة حسن بن عجلان استدعى السلطان المملوكى برسباى ، بركات وابراهيم ابني حسن بن عجلان إلى القاهرة ، وهناك قلد بركات إمارة مكة ، وألزمه بأن يقوم بما تأخر عنه والده ، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألفا بالاضافة إلى عشرة آلاف يحملها له بركات كل سنة . وألا يتعرض لشيء من عشور التجارة في جدة[١]. وأخذ عهداً على ابراهيم أن يكون في طاعة أخيه ولا ينازعه[٢].

على أن سفر بركات وابراهيم إلى مصر قد أطمع الأشراف من آل أبى نمي المتربصين بالإمارة ، فتوجهوا إلى مكة للتشويش على أهلها ، ونشر القلاقل فيها ، ونهبوا بعض أعمالها ، فخرج إليهم أبو القاسم بن حسن بن عجلان ومعه القواد من آل عمر ، وآل حميضة ، والأشراف آل عجلان ، وآل حسن ونازلهم خارج مكة ، وانتصر عليهم ، وتمكن من حفظ البلاد حتى عودة أخويه[٣].

ولم يلبث ابراهيم وأبو القاسم أن تمردا على أخيهما بركات ، وأعلنا العصيان ، فأرسل المماليك عام (٨٣١هـ/١٤٢٨م) تجريدة عسكرية إلى مكة لنصرة أميرها بركات ، وكان هدفها حفظ المال بجدة[٤].

وتكررت ثورة أبى القاسم عام (٨٣٢هـ/١٤٢٩م) وتوجه إلى جدة ، واستولى على غلال بعض التجار ، ثم اتجه إلى ينبع ، وتبعه أخوه ابراهيم ، واشتد عداؤهما لأخيهما بركات ، فاستعان الأخير بالمعسكر المملوكي لمنعهما

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٤ ، ص٣٢٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤ ص٢٩٨ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٣٢ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٥٠-٣٥١ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٦٣٠-٦٣١ .

(٤) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص٧٨٠-٧٨١ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٥ .

من دخول مكة ، وتهديد الأمن بها . وتفاقم شرهما فاتجها إلى إرباك الحركة التجارية بالتعرض للمراكب القادمة إلى موانىء مكة ، مما دفع بركات إلى الرضوخ لمطالب أبي القاسم المتمثلة في دفع رسوم سنوية له مقابل عدم التعرض للتجارة الصادرة والواردة من وإلى مكة(١).

وتتالت الظروف الصعبة على بركات ، وكان أقساها مقتل عدد من وجهاء بني حسن والمماليك وأهل مكة عام (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) على يد بعض الأعراب الذين كثر قطعهم للطريق ، ونهبهم للميرة ، ثم الفتنة الكبرى بجدة بين القواد ذوي عمر والمماليك عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) ، غير أنه تمكن من اخمادها بحزم(٢).

وإذا ماتقدمنا أكثر في عهد بركات نلاحظ أن مطامع المماليك ذات المغازي المالية قد زادت ، ففي عام (٨٤٤هـ/١٤٤١م) دُعي إلى القاهرة فاعتذر بأن مصلحة التجار والمجاورين تقتضى اقامته بمكة ، وأرسل للخزانة السلطانية من صلب ماله عشرة آلاف دينار عن نفسه ، وخمسة آلاف عن آل شكر وشميله ، فأعفاه السلطان من الحضور ، وأذن لآل شكر بدخول مكة وجدة وكان قد طلب إخراجهم منها(٣).

وعلى الرغم من خضوع بركات فقد عزل في جماد الثانى/أكتوبر عام (٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، وأسندت إمارة مكة لعلى بن حسن بن عجلان ، ولم يهن ذلك ببركات فحذا حذو أبيه في الانتفاضة ، وجمع جموعه عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) ودخل جدة ، وهدد التجار والنواخيذ الهنود وكانت مصيبة كبيرة عليهم ، وباغت أمير مكة الجديد أخيه بركات بعسكره ودار بينهما قتال

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣٣-٤٢ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٠٢-٤٠٩ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٩٠-١٠٢،٩٢-١٠٣ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٤١٠-٤١٣ .

(٣) المقريزي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٢١١ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ص١٦١ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤١٧-٤١٨ .

شديد انتهىٰ بنصر صاحب مكة[١].

لكن الأمر لم يطل بعلى بن حسن فبعد أشهر قليلة تخلص منه المماليك فجأة بعد أن تعاظم نفوذهم وتكتلاتهم العسكرية ، ولعبت الوشايات والدسائس من أعدائه دورها في قرارات السلطان فأمر بالقبض عليه وعلى أخيه ابراهيم ووضعت الأغلال في أعناقهما وأرسلا إلى مصر . وكانت الحيلة في القبض عليهما أمرًا عظيماً استهاله كل فرد في مكة ، ومع ذلك لم تستقر الأوضاع في هذا الاقليم ، ووصل الأمر إلى أنه لم توجد راوية ماء تباع في مكة المكرمة[٢].

قلد المماليك أمر مكة لأبى القاسم بن حسن بن عجلان بعد خلع أخيه وكانت الأزمة التي واجهته في البدء حدوث الوحشة بينه وبين ابنه زاهر عام (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) ، إذ استولى الأخير على بعض أملاك أبيه ، وألحق أضراراً بالغة ببعض التجار والسكان في جدة ومكة ، واستمر في اعلان العصيان وإثارة الفوضىٰ إلى أن قبض عليه والده عام (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) وسلمه للمماليك[٣].

ولم يستطع أبو القاسم مجابهة أخيه المعزول بركات الذي عاث في الأرض فساداً ، وأصبح مسيطراً على الموقف بتهديده الأمن والأملاك في مكة ومخاليفها ، واستفحل أمره فصار يغير على القبائل حول مكة ويسلبها ماتملكه للتخلص من الأعباء المالية التي يقدمها لأعوانه من الأشراف والقواد والعبيد وعندما عجز أمير مكة عن قمعه وكسر شوكته اضطر إلى الاتفاق معه على

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص١٧٠-١٧١ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ص٤٦ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٢١-٤٢٤ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص١٨٥-١٨٨ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٩٥-٤٩٦ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٠٧-٢١٤ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ، ص٧٣-٧٤ .

هدنة مقابل مبلغ كبير مقداره ألف افلوري[(١)] مقدماً ، وألفاً أخرى على قسطين ، وثمانية آلاف من ثلث المتحصل من مكوس جدة ، مع استمرار صرف الرسوم التي كانت مقررة لعبيده[(٢)].

ثم كانت نهاية أبي القاسم وعزله عام (٨٤٩هـ/١٤٤٦م) بسبب بعض المكوس التي أحدثها ، والمظالم التي أوقعها على التجار ، وأسندت الإمارة للأمير المعزول سابقا بركات[(٣)].

ولم تخل فترة بركات الثانية وفترة ابنه محمد من الإضطرابات الداخلية في أرجاء مختلفة من الجزيرة العربية . على أن أسباب هذه الاضطرابات تعود أحيانا إلى مساعدة بعض الجهات لحركات المعارضة ، وقد تعود إلى اضطرابات قبلية أو حركات تمردية لالون لها سوى عدم الالتزام بدفع الجباية أو تأخيرها ، أما البعض الآخر فيعود إلى تسلط بعض المماليك وتعديهم .

ففي موسم عام (٨٥١هـ/١٤٤٨م) تعدى المماليك على غنم بني سعد ونهبوها ، واشتبك الطرفان في قتال احتدم بينهما ، وحضر أمير مكة وعسكره ، وكانت النتيجة طرد العرب المبغي عليهم ، ونهب الغوغاء لإبلهم وأثاثهم[(٤)].

وفي عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) استعان أمير مكة بالسلطان المملوكي ، وطلب منه زيادة القوات المملوكية في مكة لاخضاع الأشراف والقواد المناوئين له الذين تعاقدوا وتعاهدوا أن يكونوا يداً واحدة على أمير مكة ، وكثر عبثهم وفسادهم وتعرضهم للحجاج والتجار[(٥)].

---

(١) عملة نقدية من ضرب فلورنسا .
(انظر القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٣ ،ص٤٤١) .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٢١٦-٢١٩،٢٢٧-٢٣٢ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٥٠٠-٥٠١ .

(٣) العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٥٠١ .

(٤) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٤-٢٧٥ .

(٥) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٦،٣٣١ .

وفي عام (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) نفىٰ أمير مكة محتسبها ، وطـرد نائب مكة ، وأخرجه منها هو وعياله ، لمواطئتهم أخيه على ضده[(١)]، وفي العام الذي يليه قتل قائده محمد بن بديد وخاله لنفس السبب واستولى على أموال ابن بديد ، ونفىٰ جماعته وآل عمر إلى خارج مكة[(٢)]. ثم تلاها في عام (٨٧٦هـ ١٤٧١م) باخراج آل عجلان من مكة لمخالفتهم له وتعرضهم للتجار[(٣)].

وشهدت المناطق المتاخمة لحدود الحجاز غارات أمير مكة ، والمناهضين له من أقربائه ، وتعرضت لهجمات متكررة ، وأخطار شتىٰ من قتل وتخريب ونهب ، واستغلال للموارد ، على أن أعنفها غزو صاحب مكة محمد بن بركات لجازان عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) حيث قام هو ورجاله بنهب المدينة ، واشعال النيران فيها ، وهدم سورها ، وتخريب دور صاحبها ، واعمال السيف في أهلها رجالاً ونساءً وولداناً ، وسلب من بقي حيا منهم . وانتقد النجم فظاعة هذه الغزوة بقوله : "وكانت نازلة شنيعة ، عاد وبالها على أهل مكة فانها أقحطت سنين عديدة" وذكر أن سبب الغزو مساعدة صاحب جازان لأخيه ابراهيم ، وتمكينه من السفر إلى مصر[(٤)].

ويضيق بنا المقام عن تتبع كافة جوانب الحياة السياسية في عصر مؤرخنا ، ولكن يكفي أن نختم هذا العرض السريع بالقول أن أمراء مكة في هذه الفترة ـ أقصد التي عاشها مؤرخنا ـ نجحوا إلى حد ما في حسم النزاعات التي هددت الأمن إذا ماقورنت بالفترة التي حكمها بنو قتادة من قبل ، فقد

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٨١ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٤٩١ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٥٤٠ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٦١٣-٦١٤ ؛ باخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ق١٤١أ ؛ يحيى بن الحسين : نفس المصدر ، ص٦٠٩ .
"ولم يسلم بعض المؤرخين بالسبب المذكور أعلاه ، وأشار إلى أن سبب الغزوة غير معروف" .
انظر : De Gaury : Rulers of Makka, p.109 .

أمسك الأمراء المتأخرون بزمام الأمور بعد أن ألزموا الأشراف والقواد تسليم خيولهم ودروعهم مقابل البقاء في مكة ، ومن رفض أرغم على الجلاء عنها ، في فترة محددة يحل بعدها لأمير مكة دمه وماله(١). واستخدمت سياسة الإبعاد فيما بعد مع كل مثيري الفوضىٰ والشغب والمتواطئين ضد السلطة من الأشراف والقواد . ومن الطبيعى أن يحاول المبعدون العودة إلى مكة ، فيعمدون إلى زرع القلاقل والعبث في أطرافها في محاولة لإجبار أمير مكة على الاستجابة لمطالبهم ، غير أنه من الملفت أن استراتيجية الأمراء الجديدة قد تميزت بالحسم والمواجهة الساخنة ، والإصرار على عدم عودة من أبعد ، وفي محاولة لاتقاء شرورهم يعمد الأمراء إلى عقد المحالفات والهدن الجانبية معهم ، وتقديم الأموال لهم(٢).

وعلى كل .. نلاحظ أن مؤرخنا كان دقيقا في تسجيل جميع الحوادث السياسية التي حدثت في مكة ، خاصة تلك التي كان شاهد عيان عليها ، وقد مكنه من نقلها بأمانة . بعده عن الوظائف والمناصب ،

الحياة الاقتصادية :

لعبت العوامل الجغرافية المتعلقة بالمناخ والتضاريس دورا مهما في تاريخ مكة المكرمة ، إذ اتسمت مساحة واسعة من أراضيها بالطبيعة الصحراوية الجبلية ، وليس من شك في أن لتلك الطبيعة أثرًا كبيرًا في تقليص الأدوار الاقتصادية منها ، واعتمادها على مورد واحد هو التجارة .

والتطرق لبحث العوامل التي نشطت التجارة يستدعي حيزًا واسعًا غير أنني سأعمد هنا إلى مجرد انتقاء بعض الملامح التي تقدم الإطار دون التفاصيل.

لقد انطبعت الحقب المتعاقبة من تاريخ مكة بازدهار التجارة ، وارتبطت بموانئها مع أطراف الجزيرة العربية والعالم الخارجي بشبكة من الطرق

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٤٢-٥٤٣ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٩٩،٢٠٩-٢١٠،٢١٥-٢١٦،٣٢٦،٣٣٠،٣٣١، ٤٨١،٤٩١،٥٤٠ .

التجارية البرية والبحرية ، وكانت تجارة العالم تنقل من الشرق والغرب عبر أراضيها ، فقد سيطر العرب منذ أزمنة قديمة على حركة التجارة العالمية ، وامتلكوا زمام طرقها حتى القرن الخامس عشر الميلادى (١).

وكانت الطرق التجارية في أطراف الجزيرة العربية يقل أو يزداد استعمالها ، أو تتحول فيؤثر ذلك في حياة الأقطار التي تمر بها تلك الطرق سوى تجارة مكة برقعتها الجغرافية المتميزة وبما تتمتع به من مكانة دينية ، ظلت ذات امتداد متصل مقاوم لكل التحديات ، فهي العراقة ، والتاريخ ، والحضارة . لقد كان لوجود المسجد الحرام ، والأماكن المقدسة في مكة أثر كبير في تعميق الصلة بين المسلمين والأرض التي تشعرهم بوحدتهم وقوتهم وتماسكهم . وبالتالى شكل موسم الحج والعمرة علاوة على المجاورة ذروة الرواج الاقتصادي (٢)، وقد كان التجار يتحينون هذا الموسم لينقلوا متاجرهم إليها (٣). فصارت هذه البقعة الطاهرة محط الرحال والمتاجر والمال وأنشئت بها المراكز التجارية ذات النشاط التجاري الواسع ، حيث تعقد الصفقات التجارية الكبيرة ، وتتبادل المنافع بين أفواج الحجاج والتجار القادمين من بلدان الإسلام المختلفة .

ولايشك أحد في تفوق تجارة مكة في مواسم الحج في العصور الوسطى فقد بلغت القمة في دنيا المال والاقتصاد ، وهذه حقيقة تاريخية لانزاع فيها . وفي الوقت الذي كانت فيه مركز جذب لكبار التجار ، ومصدر ثراء لهم ، كانت أيضا شريان خير وبر لأهل مكة والمجاورين بها ، وقد حرص التجار

---

(١) بانكيار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص٣٢-٣٣ ؛ جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة في المحيط الهندى ، ص١٠٥ ؛ سونيا هاو : فى طلب التوابل ، ص٣٢-٣٣ ؛ على بن حسين السليمان : النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ، ص٢٩-٣٢ .

Heyd : Histoire du commerce, T.I. p.31 .

(٢) سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة ، ص٣١-٤٠ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص٢١٠ .

دائمًا على حضور الموسم ، ومن لم يستطع الحضور استعان بمندوبين عنه في شراء المتاجر التي يرغبها[(١)].

وحسبنا أن نذكر أن التأثير الإيجابي لنشاط التجارة في موسم الحج لايقتصر على مكة فحسب بل تمتد دائرة التفاعل معه وبه إلى أجزاء واسعة من الجزيرة العربية وخارجها لدرجة أن عدم خروج المحمل من بعض البلدان الإسلامية يؤدي إلى توقف صناعات كثيرة لانقطاع البضائع والأسفار[(٢)].

والوثائق التجارية في العصور الوسطى تلقي أضواءًا على جوانب متعددة من أهمية هذا الموسم ، وأخبار القوافل التجارية القادمة من مكة وماتحمله من متاجر الشرق ، فضلا عن البضائع التي يرسلها بعض التجار لشركائهم بالتريث في شراء المتاجر إلى أن يرجع الموسم من مكة[(٣)].

ومن ثمار هذا الموسم تلك المراكز التجارية المتنقلة التي تقام من خلال قوافل الحجيج وعبر دروبها ، ففي كل مرحلة يقيم التجار الأسواق الحافلة ، فتنعش الحياة في المدن والقرى ، وتتدفق في شرايينها المنافع المادية[(٤)].

ويمكن أن نلاحظ مدىٰ أهمية تجارة مكة إذا عرفنا أن تجار أوربا وقتوا مواسم ورودهم إلى شرق البحر المتوسط بمواعيد الأسواق السنوية الموسمية فكانوا يصلون إلى مصر وبلاد الشام في الوقت الذي كانت تأتي فيه سفن التجارة الشرقية إلى جدة[(٥)].

---

(١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص١٣٤ .
(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق١ ، ص٣٤١ .
(٣) حسنين ربيع : نفس المرجع ، ص١٣٥ .
(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٦٩ ؛ ابن طولون : نفس المصدر ، ق١ ، ص٢٨ ؛ محمود زائد : قافلة الحج ، ص٢٢-٢٥ .
(٥) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة ، ص٢٨٤ .

وانطلاقاً من معطيات العامل الديني يمكن القول أن فترة ازدهار الأسواق السنوية المقترنة بموسم الحج قد تطورت لتصبح نصف سنوية ، بعد تواتر الركب الرجبي من مصر والشام في العصر المملوكي ، وكانت قوافل هذا الركب تصل إلى مكة بأعداد كبيرة قد تزيد على ألفي جمل وراحلة[١] ووصلت في بعض السنين إلى أربعة آلاف جمل[٢]، والشواهد التاريخية تشير إلى حرص كثير من المسلمين على مصاحبة هذا الركب لتعدد المنافع التي يحصلون عليها من صيام وعمرة ومجاورة ومكاسب[٣]. ولاريب أن وصولهم يسبغ الحياة على المنطقة ، ويزيد من حركة البيع والشراء ، ومن مرونة أهلها ، ومحترفي التجارة فيها بمعاملتهم لوفود الرحمن على اختلاف عاداتهم وأجناسهم .

وعلى الرغم من أهمية هذه المواسم ، ومكانتها العالية ، والإعتماد عليها اقتصادياً في مكة والحجاز عامة ، إلا أن مقياس الأمن لم يكن عالياً فيها ولانبالغ إذا قلنا أنه كان منعدما في أزمان كثيرة ، ومن يقرأ تاريخ مكة في العصر المملوكي وماقبله يشعر بألم عميق ، ويصدم من الهجمات المستمرة على الحجاج والتجار من قبل الأشراف وقوادهم وعبيدهم ، واستباحتهم للأموال والأنفس في منى وعرفة ، إلى درجة أن الحجاج من الأسرىٰ يباعون بأبخس الأثمان ، بل إن المسجد الحرام لم يسلم من هتكهم لحرمته ، واستباحتهم للقتال فيه ، ولم يوفق أمراء مكة في معالجة عدم الاستقرار الدائم بسبب الصراع على السلطة ومساهمتهم في ازدياد حجم المعاناة[٤].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٢٧٢-٢٣٢ ؛ ابن اياس : بدايع الدهور ، ج٢ ، ص١٣٧،٢٥١ .

(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٣٢ .

(٣) ابن حجر : انباء الغمر ، ج٣ ، ص٥٣٩ .

(٤) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص١١-١٣،٢٣،٢٨،٣٧،٧٧،١٢٠،١٢٦،١٣١، ١٤٣،١٤٥،١٥٨،٢٥٧،٢٨٢-٢٨٥،٣٨٠،٤٧٢،٥١٦،٥١٩-٥٢٠،٦٢٤ .

ولعل مما يجدر التنويه به أن ارتباط الحجاز بمصر قبل عصر المماليك الجراكسة كان عبئا أكثر منه منفعة - إذا ماستثنينا المكانة العالية التي يتمتع بها من يحمي الحرمين - فالسيادة على الحجاز كانت تعني إهدار الكثير من الطاقات المصرية ، والقوات العسكرية التي ترسل لاخماد الصراعات ، وايقاف التداعي كانت تسفر في الغالب عن نتائج مخيبة ، إذ يفر العصاة والمتمردون قبل وصول العسكر ، ثم يعودون بعد خروجهم(١). هذا علاوة على اعتماد الحجاز على مصر اقتصاديا ، وإمدادها بكميات هائلة من الغلال سنوياً ، واغراء أمرائها بالأموال والمساعدات العينية ، في حين أن الجراكسة قد أحكموا قبضتهم على الحجاز ، واستغلوه اقتصاديًا ، سيما وأن فترتهم قد تزامنت وفعاليات التطور الكبير الذي طرأ على النشاط التجاري في هذه المنطقة .

وكان طبيعيًا أن يرصد الجراكسة الحركة التجارية المتنامية في الحجاز بحذر ، وقد أدركوا - وهم يرون استئثار أمير مكة بالمنفعة العائدة عليه من الضرائب التجارية - أن المال صار مصدر قوة له ، وقد يحطم سيطرتهم على الحجاز ، خاصة بعد محاولة أمير مكة حسن بن عجلان غزو اليمن عام (٨١٢هـ/١٤١٠م)(٢). لقد خشي الجراكسة من النزعة الاستقلالية فجاءت ردود فعلهم سريعة وحاسمة بالزام من يتولى الإمارة تقديم مبالغ ضخمة للسلاطين وعائلاتهم وحاشيتهم وأرباب دولتهم بالإضافة إلى القيام بخدمة ركوب الحاج وتقديم الأموال لأمراء الركوب ، كل ذلك للحد من سلطتهم ، وإضعاف مركزهم المالى ، وهذا بطبيعة الحال لابد أن يؤثر تأثيرًا سيئـًا على الأحوال الاقتصادية بمكة ، إذ يلجأ أمراؤها إلى مصادرة أموال التجار والمبالغة في جباية الضرائب(٣)، والاقتراض من التجار للقيام بالخدمة السلطانية ،

---

(١) Jomier : Le mahmal et la caravane egyptienne des pelerins de la Mecque, pp.28,29 .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ،ص١٠٦-١٠٧ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٣٩ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ، ج٣ ، ص٢٥٣

ولايطمع أحد من التجار منهم بالوفاء!![١]

أما العامل البارز الذي كان بداية النهاية لتقلص نفوذ أمراء مكة على الحركة التجارية فيعود إلى تحول التجارة العالمية في البحر الأحمر من عدن إلى جدة ، ولم يكن هذا التحول وليد خطة مدبرة بل نتيجة الظروف الحسنة ففي عام (٨٢٧هـ/١٤٢٢م) تجاوزت المراكب الهندية عدن إلى جدة هربًا من السياسة التعسفية الظالمة التي انتهجها حكام اليمن مع التجار ، ومبالغتهم في جباية الرسوم . وكان لتكرار محاولة التاجر ويدعىٰ الخواجا ابراهيم تجاوز عدن إلى جدة ، حلول الأخيرة محل الأولى ، وتربعها على قمة الهرم في تجارة الشرق[٢].

لقد أدىٰ الوضع الجديد إلى تغيير توازن القوىٰ بشكل كامل عما كان قائمًا عليه وتحولت سياسة المماليك من سيادة رسمية صورية إلى سيادة فعلية[٣]، "وصار نظر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها ، ويتوجه كل سنة إلى مكة في أوان ورود مراكب الهند إلى جدة"[٤].

وقد عاصر مؤرخنا هذه الفترة العالية الأهمية في تاريخ الحجاز الاقتصادي ، واستقصىٰ بدقة بالغة أخبارها ، وآثارها وتأثيرها على الحياة العامة ، وعلى النشاط التجاري والتجار بوجه خاص ، ونظر بعين القلق وعدم الرضا نحو سياسة الأطماع اللامتناهية من قبل الساسة في الانفراد بمنافع هذا المورد ، وحرمان بلد الله مكة من أن يعمها خيره . وانتقد بشدة أخذ السلطان المملوكي عشور التجارة في جدة ، وإرغام جميع التجار

---

(١) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٠ ؛ ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص٥٦ .

(٢) الجزيري : درر الفوائد ، ص٣٢٢-٣٢٣ ؛ أحمد دراج : ايضاحات جديدة ، ص١٩٣-١٩٤ ؛ محمد عبد العال أحمد : بنو رسول ، ص٤٥٦ ؛ سعاد الحسن : نفس المرجع ، ص٥٨-٧٠،١٢٦-١٣٦ .

(٣) أحمد دراج : نفس المرجع ، ص١٨٥ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج٤ ، ص٧٠٨ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٢١ .

القـادمين في موسم الحج بالـذهاب إلى القاهرة لأخذ المكـس منهـم ، فصارت المكـوس تؤخذ من التاجر في أكثر مـن موقع في القاهـرة ، ومـن بلاد الشام وغيرها عدىٰ مايأخذه منهم أمير مكة(١)، وبين مقدار المكوس التي تؤخذ على بضائع التجار(٢).

إن النصـوص الواردة بهذا الصدد تؤكد بدء انسلاخ جدة مـن الإدارة الحجـازية وارتباطها من الناحيتين الإدارية والاقتصـادية بالممـاليك ، بل لقـد أصبـح رخاء مصر ، ورفاهية سلاطينها مرتبطان أشد الإرتبـاط بتجارة جدة ، وأرباحهـا الضخمـة التي سـاعدت الـدولة على مـواجهة مسـؤوليـاتها الماليـة والحربيــة . وبدأ تنظيم الجهـاز الإدارى لتحصيـل الضــرائب ، وتهيئـة جدة لاستيعــاب النقلـة الكبيرة في تاريخهــا ، وتقـرر أن تكــون رسـوم ورواتب الموظفين في جدة من عشور التجار فيها(٣).

أمـا عـن نصيـب أمراء مكة مـن فـوائد التجارة في جدة فـالملاحظ أن السلطة المركزية في مصر قد استأثرت بعشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره . ويبــدو أن سلاطين الممـاليك قـد أحسـوا أن استمــرارهم في هــذه السيـاسة مـن شأنه أن يعرض امبراطـوريتهم التجارية للانهيـار في أى وقـت لسخـط الناس وانتقـاد المؤرخين لهـذه السيـاسة(٤). ولعـل هذا هو السبـب المبـاشر لإشـراك أمير مكة في مكـوس التجارة في جدة، حيـث تذكـر المراسيم السلطـانية أن أمير مكـة قد شملتـه الصـدقات الشريفة!! بثلـث المتحصـل من

---

(١) النجـــم ابن فهــد : اتحاف الــورى ، ج٣ ، ص٦٢٠-٦٢١،٦٤٧ ؛ ج٤ ، ص٤٣ .
(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٢١-٦٢٢،٦٣٣،٦٣٧ ؛ المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص٧٥٤-٧٥٥،٧٦٨ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٤٠٠ ؛ ابن تغـري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، ص٣١٠-٣١١،٣١٣-٣١٤ ؛ الجزيري : درر الفوائد ص٣٢٥ .
(٣) النجـم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٣٢ ؛ السخـاوى : الضـوء اللامـع ، ج٣ ، ص١٣ .
(٤) المقـريزي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٧٠٨،٧٣٥ ؛ النجم ابن فهـد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٢١-٦٢٢ ؛ ج٤ ، ص١٤٦-١٤٨ .

المراكب التجارية في جدة[١]. ثم تطور الأمر وأنعم عليه بنصف عشور مراكب الهند[٢]، ثم لم تلبث أن قلصت إلى الربع فقط[٣]. أما عشور تجار اليمن فقد تركت لأمير مكة ، غير أن السلطان المملوكي عاد فشاركه بالنصف في مراكب الهنود القادمة من اليمن[٤].

لقد تحقق للجراكسة السيادة على البحر الأحمر دهليز الشرق ، ووتر التجارة العالمية الحساس ، فجندوا كل طاقات الدولة لحماية سياستها التجارية ، على أن أخطر الأعمال التي أضرت بالتجارة والتجار التوسع في سياسة الإحتكار . فقد اشتغل السلاطين ورجال دولتهم في التجارة لحسابهم الخاص ، ودخلوا منافسين للتجار بشكل فعال ، فأنشأوا ماعرف بالمتاجر السلطانية أو المتجر السلطانى[٥]، واستعملوا وسائل غير عادلة لحمايتها[٦]. ثم أدخلوا نظام الإحتكار ، فاحتكروا بعض السلع والبضائع العالية الأهمية في تلك الفترة ، خاصة القادمة من الشرق أو الذاهبة إليه[٧].

إن عهد برسباى يمكن أن نختاره كنموذج حقيقي ودقيق لترجمة سياسة الإحتكار التي درج سلاطين الجراكسة فيما بعد على ممارستها . فقد بدأ باحتكار السكر ، وحظر تعاطي بيعة إلا من حواصله[٨]، ثم عرج على تجارة الخشب والمعادن فاحتكرها[٩]. وأغرته المكاسب العالية التي حققتها الدولة

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣١ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١٠١ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص١٤٣ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٦٠٤،٦١٧ .
(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٢٦٨-٢٦٩ .
(٦) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٧١ .
(٧) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٨١-٨٢،٥١٦ .
Wiet : L'Egypte Arabe, p.573 .
(٨) ابن حجر : انباء الغمر ، ج٣ ، ص٣٠٩-٣٢٣ .
(٩) ابن اياس : بدائع الدهور ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

في جدة على احتكار تجارة التوابل الواردة من الهند فأمر عام (٨٢٨هـ/ ١٤١٩م) بأن ينادىٰ في مكة ألا يباع البهار على تجار مصر ، وألا يكون البهار إلا بهاراً واحداً ، فلايتجزأ توزيعه على التجار ، وبذلك يحتفظ وحده بحق شرائه ثم بيعه لحسابه على التجار بالسعر الذي يحدده(١).

ثم احتكر تجارة الفلفل خاصة لما له من قوة شرائية تقوم مقام المال في عالم العصور الوسطىٰ ، ففي عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) أمر بتجهيز مال إلى جدة ليشترى له ، وحجر أن يشتريه غيره ، وألزم جميع التجار بالتوجه من مكة إلى القاهرة رأساً ، وألا يبيعوا بضائعهم إلا بالاسكندرية بعد أن يكتفي السلطان وألزم الفرنج بشراء الفلفل بزيادة خمسين ديناراً ، "وحصل على التجار من البلاء مالايوصف ، وتمادىٰ الأمر على ذلك ؛ بحيث لايزداد الوضع في كل سنة الا شدة"(٢).

وأقام في عام (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) طائفة تتولى شراء وبيع البضائع له ، وكان من مهامها بعد أخذ المكوس من جدة أن تحمل الفلفل إلى الإسكندرية وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين ديناراً ، بينما سعره في القاهرة خمسون ديناراً ، وتسبب في معاناة تجار الداخل عندما بلغه أن بعضهم سأل الفرنج أن يبتاعوا منه الحمل بأربعة وستين ديناراً فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين ، فأحب السلطان زيادة فوائده ، وأخذ ماعند التجار بسعر مادفع لهم فيه الفرنج ، ومنعهم من البيع على الفرنج ليبور ماعندهم فيأخذه حينئذ منهم بما يريد ويبيعه هو بالسعر الذي قرره(٣). وفرض رقابة شديدة على الوارد والصادر من المتاجر ، وبالغ في التشديد على الكارمية(٤)، وألزمهم ببيع توابلهم له وإلا منعوا من ممارسة التجارة ،

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج٣ ، ص٣٥٠ .
(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص٤٢٣ .
(٣) المقريزي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٨١٣-٨٢٤ .
(٤) هم التجار الأكثر شهرة في عالم المال ودنيا الاقتصاد في العصور الوسطى ، وقد سيطروا ولفترة طويلة على التجارة العالمية في البحر الأحمر والمحيط الهندى =

واحتكر في هذا العام القصب ، وأمر ألا يزرع إلا في بلاد السلطان(١).

وامعاناً في سياسته الاحتكارية ألزم التجار عام (٨٣٥هـ/١٤٣١م) بعدم بيع بضائعهم إلا بإذنه ، ثم جمعهم في رمضان ، وسألهم أن يبيعوا عليه جميع ماعندهم من الفلفل بسعر الحمل خمسين ديناراً ، ورغم سخط التجار وتذمرهم إلا أنهم لم يجدوا بداً من الإذعان ، وكانوا قد باعوه له قبل ذلك بثمانين ديناراً ، "وذكر له بعضهم ذلك فلم يلتفت إليه ، ثم كتب مراسيم أرسلت إلى الحجاز والإسكندرية بألا يبيع أحد البهار ولايشتريه إلا السلطان"(٢).

وتراكم من محصلة هذه السياسة الاحتكارية المكثفة ، وتطبيقاتها الصارمة كم هائل من الأرباح المتدفقة على الخزينة السلطانية ، وقد حفزه ذلك إلى وضع الخطط التي من شأنها توطيد ، وتدعيم تجارته الواسعة ، ففي عام (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) قصر الاتجار في التوابل وغيرها من سلع الشرق على جدة ، ومنع التجار من حملها إلى مكة ، حتى لاتتسرب البضائع إليها دون أخذ المكس عليها ، وحمل إلى جدة مرجاناً ونحاساً وغير ذلك مما يحمل من السلع إلى بلاد الهند ، فألزم التجار بشرائها بالسعر الذي حدده(٣).

= وقوى نشاطهم ، وامتد نفوذهم إلى الصين ، وتغلغل في أعماق افريقية ، وتوطدت علاقاتهم التجارية بتجار الغرب الأوربي ، وقدموا للتجارة الإسلامية خدمات جليلة .

انظر الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ، ق١ ، ص٥٢١ ؛ ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص٦١٧،٦١٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ص٥٢٣-٥٢٤ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٤١،١٠٨ ؛ صبحي لبيب : التجارة الكارمية ، ص٦-٣٢ .

Moreland, M: Indian shipping. p.79 .

(١) ابن حجر : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٤٣٩ .
المعروف أن الأراضي الزراعية في مصر في العصر المملوكي وزعت اقطاعات على السلطان والأمراء والأجناد . انظر سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٢٨٣

(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص٤٧٣ .

(٣) المقريزي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٩٢٩ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٨٠-٨٢ .

ويرىٰ بعـض المؤرخين المحـدثين أن الاستمـرار في سيـاسة الإحتكـار المخـالفة لتعـاليم الشـريعة والبعيـدة عـن المنهج الاقتصـادي السليم قـد حدت بالغـرب الأوربي إلى البحـث عن طريق آخر للوصول إلى الشـرق الأقصى ، والهيمنة على نقاطه التجارية الأمر الذي أدىٰ إلى تقليـص الإقتصاد المملوكي وتدهوره ، وبالتالي كان سبباً من أسباب نهاية دولة المماليك(١).

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن أشراف مكة قـد حذوا حذو السلطة المركزية في ممارسة التجارة ، واحتكار بعض الأقوات ، والتحكم في أسعارها لدرجة أن السلطان المملوكـى المؤيد بعـث إلى أمير مكـة حسـن بن عجلان خطاباً شديد اللهجة يتهدده فيه لأخذه المكس على متجر السلطان ، واحتكاره للحب والتمر ، وتأخيره في دفع العشرة آلاف المتبقية عليه للخزانة السلطانية مما التزمه نظير عودته لإمارة مكة عام (٨١٧هـ/١٤١٤م)(٢).

وفي اعتقـادي أن الأمور التي ينكـرها السلطان المملـوكي على صـاحب مكة تناقض بعضها بعضا ، فهو يطالبه بأن يعامل متجره معاملة خاصة بإعفائه من المكوس التي تؤخذ على المراكـب التجـارية . ويمنعـه مـن التجـارة بينمـا المتربع على أريكـة السلطنة هـو التاجر الأول ، ثم إن البنـد الثالث في قائمة ممنـوعات السلطـان يعين أمير مكـة على فعل مالايرضـاه العقلاء مـن المكس والجباية الشديدة وغيرها لقلة موارد الإمارة ، وكون التجارة العمود الفقري في اقتصادياتها . لكنها سيادة الغالب على كل حال!!!

وكمـا فعـل الساسة كذلك فعـل التجار المصريون ، ثم رجال الحاميـة المملـوكية المسئولة عن حفظ الأمـن ، وتأمين التجارة في مكـة المكـرمة ، إذ

---

(١) سعيـد عـاشور : العصـر المـماليكـى ، ص٣٠٧-٣٠٨ ؛ صبحـى لبيـب : التجـارة الكـارمية ، ص٤٢-٤٣ ؛ نعيم زكـى فهمى : طرق التجارة ، ص٣٣٦-٣٣٧ ؛ على ابن حسين السليمان : النشاط التجاري ، ص٢٧٩-٢٨١ .

(٢) الفـاسي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ النجـم ابن فهـد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٧١-٥٧٢ .

تشير المصادر إلى احتكار الباعة المصريين للمعاش في مكة ، وجلوسهم بالحوانيت في المسعى ، وتلقيهم الجالب ، ومزاحمتهم أهلها . فكثر ضررهم ، وعجز أمراء مكة عن منعهم وفشلوا في حماية التجار المحليين ، لأن الباعة المصريين يحتمون بالقوة العسكرية المملوكية نظير رشوتهم لها . وقد أدىٰ احتكارهم للبضائع الأساسية إلى ارتفاع أثمانها بصورة لم تعهد بمكة ، وتفاقم ضررهم إلى أن أصدر السلطان جقمق قراراً بمنعهم من البيع ، وإخراجهم من مكة عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)(١).

ولعل أبلغ دليل على تكالب الجميع على الأطماع الدنيوية ، دخول قائد القوة العسكرية المملوكية وعسكره الراكز في مكة ميدان التجارة ، واحتكارهم لبعض السلع ، مدفوعين بحب المصلحة ، وتحقيق الأرباح التجارية ، وتقليد أسيادهم ، ومن تتبع المراسيم السلطانية الواردة بهذا الخصوص يمكن ملاحظة حجم المعاناة الناتجة عن مزاولة هؤلاء للتجارة ، واحتكارهم لأسباب المعاش في بلد الله الحرام(٢).

تلك نظرة موجزة عن المظهر العام للحياة الاقتصادية في عصر مؤرخنا وهي تؤكد بما لايدع مجالاً للشك البعد عن منهج الله ، والاستغلال السيء للموارد والطاقات ، وماترتب عليه من ضعف وتأخر ، فما أصابكم فمن أنفسكم . تلكم القاعدة القرآنية!!

ومهما يكن من شيء ... فقد عاصر مؤرخنا الفترة التي تبوأت فيها جدة مكان الصدارة في تجارة البحر الأحمر ، وتابعها بدقة ، وأدرك أهمية وصول السفن إلى هذا الميناء ، وانتقد بشدة أخذ السلطان المملوكي عشور التجارة فيه ، وسياسة الاحتكار التجاري .

---

(١) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص١١٩٣ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ص١٤٥ ؛ الجزيرى : نفس المصدر ، ص٣٢٨ .
(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٢٩،٤٧٠،٦٢٢،٦٣٨ .

الحياة الاجتماعية :

إن نظرة شمولية للحياة الاجتماعية في عصر مؤرخنا تجعل المرء يلاحظ الهياكل الاجتماعية التالية :

الطبقة الحاكمة :

وهم الحسنيون أحفاد قتادة بن ادريس ، وقد سادت بينهم روح العداء والخصومات الأسرية بسبب الإمارة ، ولاجدال في أن احتدام النزاعات بينهم كان في صالح الدولة المملوكية ، إذ جعلهم أداة طيعة لينة في أيدي السلاطين الجراكسة ، يولون ويعزلون من شاءوا ، وكانت نهاية المعزول في الغالب السجن في مصر لفترة تطول أو تقصر حسبما تقتضيه سياسة المماليك وكان أظهر ماييزها ضرب الخصوم ببعضهم ، فالأمير المسجون يمكن استخدامه في المستقبل لتهديد الأمير الجديد إذا حاول العصيان أو التمرد(١). ولعل هذه السياسة كانت أيضا وراء إبعاد أقارب الأمير ، ومنعهم من السكنىٰ في مكة حتى لايتقوىٰ بهم ضد السلطة المركزية في مصر .

التكتلات العسكرية ، وهذه يمكن أن نقسمها إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : القوة العسكرية المملوكية القادمة من مصر ، ويرأسها أمير مملوكى ومهمتها حفظ الأمن ، وتأكيد سيادة المماليك ، وتواجدها دائم طوال أيام السنة ، ويبدل أمراؤها بين الحين والآخر(٢).

الفئة الثانية : القواد وهم مجموعة فرق عسكرية تختص كل فرقة بفرع من فروع الأشراف الحسنيون،وتقدم خدماتهامقابل رسوم وامتيازات تمنح لهم وكانوا يشكلون قوة ضاربة ، لها وزنها في تغذية الفتن والصراعات ، وفي ترجيح كفة أحد الأطراف المتنازعة على الإمارة .

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج٩ ، ص١٩،٧ .
Iver G : Art Makka in Ency of Islam .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٩٣-٥٩٥ ؛ ج ٤ ، ص٥٠،٧١،٢٣٢،٢٣٣، ٢٧٦،٣١٩،٣٤٠،٤٢٩،٤٨٥،٤٩٥،٥٠٩،٥٣٧ .

الفئة الثالثة : العبيد ، وهم مماليك آل عجلان ، وفي الغالب هم عنصر مشاغب شديد الولاء لسادتهم يأتمرون بأمرهم[١].

مجموعة الموظفين بالوظائف الديوانية :

يلاحظ المتتبع لتاريخ مكة في عصر مؤرخنا مروره على عدد كبير من الوظائف المتعلقة بجوانب حضارية شتى شملت النواحى الدينية والإدارية ونحوها .

ويمكن أن نصنف الوظائف حسبما يلى :

وظائف تتبع مباشرة السلطة المركزية في مصر : وتتصدرها وظيفة القضاء ، فنظر المسجد الحرام[٢]، ثم الخطباء ، ونظار الأوقاف والصدقات ، وشيخ السدنة ، وشاد العمائر[٣]، وشيخ الخدام بالحرم[٤]، والستري[٥]، بالإضافة إلى الجهاز الإداري والمالي في مكة وجدة الخاص باستيفاء الضرائب الجمركية من التجار[٦]، وأمر تعيين هؤلاء بيد السلطان المملوكى .

وظائف تابعة لأمير مكة : كان لأمير مكة وزيران يقومان بأعباء

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ، ص٢٠٣ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٣٥٨ ، ج٤ ، ص٢٣١،٥٠ .

(٢) وظيفة على درجة كبيرة من الأهمية ، وتعنى بالاشراف على شئون المسجد الحرام ومصالحه .

انظر عبد الكريم باز : ناظر الحرم في العصر المملوكي ، ص١٤٤ ومابعدها .

(٣) هو المسئول عن عمارة وصيانة المسجد الحرام ، والمشاعر المقدسة .

انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٤ب .

(٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص٤٩ ؛ مؤلف مجهول : حوليات دمشقية ، ص١٥٣ .

(٥) نسبة لمن يحمل أستار الكعبة اليها .

انظر الدر الكمين ، ق١٦٣أ .

(٦) انظر سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة ، ص٢٩٠-٢٩٨ .

الإمارة أحدهما في مكة[١]، والآخر في جدة[٢]. يليهما في الأهمية نائب البلد ، ويقوم مقام الأمير والوزير في حالة غيابهما[٣]. ثم الوالى : ويكون من مماليك أمير مكة[٤]، ومتولي قبض المواريث[٥]، ومباشر جدة من قبل أمير مكة[٦].

وظائف تابعة لشئون المسجد الحرام والقضاة : مثل رئيس المؤذنين ونائبه[٧]، والمؤذنين على مآذن باب السلام[٨]، وباب العمرة[٩]، وباب دار الندوة[١٠]، وباب الحزوره[١١]، وباب سويقة[١٢]، وباب بني شيبة[١٣] والمكبرين في المقامات الأربعة[١٤]، وسقاية العباس وأمر بئر زمزم[١٥]، وخدام درجة الكعبة الشريفة[١٦]، والقناديلي أو الوقاد المسئول عن إضاءة

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٩١،٤٠٢ ؛ الدر الكمين ، ق٩٧ب ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٣٠٦ .
(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٠٣ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٢٢٣ .
(٣) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٦٦،٤٨١،٥٤٨-٥٥٩ ؛ الدر الكمين ، ق١١٠أ .
(٤) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٨٠ .
(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١٠أ .
(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٢٢٣،٣٠٧ .
(٧) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١٠ب ، ١٣٥أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٧٢ ؛ محي الدين : الارج المسكي ، ق٤٠أ .
(٨) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٧ب ، ٨٥أ ، ١٨٩أ .
(٩) نفس المصدر ، ق٨٨ب ، ١١٠ب .
(١٠) نفس المصدر ، ق٨٢ب .
(١١) نفس المصدر ، ق١٧٢أ ، ١٨٤أ .
(١٢) نفس المصدر ، ق١٧٢أ ، ١٨٤أ .
(١٣) نفس المصدر ، ق١٨١أ .
(١٤) نفس المصدر ، ق١٨٠أ ، ١٨٤ ، ١٨٦أ ، ١٩٠أ .
(١٥) نفس المصدر ، ق٩٢ب ، ٩٣أ ، ١٧٢أ ، ١٨٤أ .
(١٦) نفس المصدر ، ق٧٥أ .

السرج بالمسجد الحرام[١]، والبوابين على أبواب الحرم[٢]، والفراشين بالمسجد الحرام[٣]، وعددهم يزيد على المائة ، وأكثرهم متطوعون[٤]، والمسئول عن أمانة الزيت والشمع بالحرم[٥]، والمسئول عن أمانة الحاصل ، وأمانة الحكم بمكة[٦]. وتعيين هؤلاء بيد ناظر الحرم والقضاه[٧]. أما رواتبهم فيقررها السلطان المملوكي ، وتحمل إلى مكة من أوقاف الحرمين في مصر والشام ، وقد يطرأ على رواتب الموظفين زيادة أو نقصان بحسب مايقرره السلطان المملوكي ، فالمؤذنون مثلا : كان يصرف لهم مائة دينار ، ثم نقصت إلى النصف فأصبح يصرف لهم خمسون ديناراً[٨]. في حين قرر لكل بواب عشرة دنانير أشرفية[٩].

وظائف تعليمية في المدارس الموقوفة ، والدروس في المسجد الحرام ، وكان لتلك المدارس هيئة تعليمية من نظار ، ومدرسين ، وحبارين ، وفراشين ، وبوابين ، ووقاد[١٠].

إلى جانب هؤلاء كان هناك وظائف أخرى : كشيوخ الأربطة ،

---

(١) نفس المصدر ، ق١٥٦ ؛ اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٢٦ .
(٢) نفس المصدر ، ق١٨٢أ ؛ اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٤٥-٦٤٦ .
(٣) نفس المصدر ، ق٦٩ب ،٨٢أ ، ٩٩ب ، ١١٠ب ، ١٢٣أ ، ١٤٠أ ، ١٥٤أ .
(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٤٥٩ .
(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٤٧أ .
(٦) نفس المصدر ، ق٩٦أ .
(٧) نفس المصدر ، ق٩٦أ ، ١٨١ب ؛ اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٦٧ .
(٨) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٧ب ، ٨٥أ .
(٩) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٤٥-٦٤٦ .
"الدنانير الأشرفية نسبة إلى السلطان الأشرف برسباى" .
(١٠) نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٤،٢٦٥،٣٦٣-٣٦٤،٤٤٨،٤٥٦،٦٤٧-٦٤٨ ؛ ج٤ ، ص٢٤-٢٦ .

المسئولين عن إدارتها ، وتفقدها ، والنظر في مصالحها [(١)]. وشيخ البيمارستان [(٢)].

العلماء من أهل مكة والمجاورين :

لقد كان لهذه البقعة الطاهرة على طول العصور ثقل ديني كبير ، وقد قطنها وجاور فيها عدد كبير من العلماء المسلمين فألهمهم جوارها وحبها الإحساس المشترك بوحدتهم ، وصلابتهم ، ومبادئهم السامية ومثلهم العليا ، وكانوا علامات بارزة انتفع بهم طلاب العلم والمعرفة وأهل مكة على العموم وقد عومل العلماء بالاحترام والكرم والحزم في آن واحد ، ولم يكن هنا ود مفقود على أية حال بينهم وبين السلطات الحاكمة في الدولة أو الإمارة على حد سواء .

التجار :

يشكل التجار فئة متميزة في مكة المكرمة ، وسواء كانوا محليين أو مجاورين ، أو موسميين فإنهم مصدر خير ونماء ، ولهم المآثر الحميدة على جميع مناحى الحياة في هذه البقعة المقدسة وغيرها [(٣)]. كما أنهم يؤلفون طبقة مقربة لدى سلاطين المماليك وأمراء مكة في آن واحد ، ولهم دور

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٧ ، ص٢٩٦ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٥٦،١٥٩،٤٢٥،٦٣٣ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٠٥ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٤٨ ؛ الفاسى : نفس المصدر ، ج١ ، ص٣٨٨ ؛ ج٣ ، ص١٠٣ ؛ ج٦ ، ص١٠٦-١٠٧ ، ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ، ص١٨٦،١٨٧،١٨٨ ج٢ ، ص١٢٣،١٢٧ ؛ ج٣ ، ص٤٧،١٢٠،٢٠٥،٤٧١ ؛ الدر الكامنة ، ج١ ، ص٢٤٤-٢٤٥ ؛ ابن اياس : بدائع الدهور ، ج٢ ، ص١١٧،٢٥٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ق٢ ، ص١٩٢،١٩٣،١٩٤ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٧١-٧٢ ، ج٢ ، ص١٠٨ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص١٧٠-١٧١ ؛ ج٧ ، ص١٢٥،١٢٦،١٥١،١٥٢،١٥٤ .

فعال في حل الأزمات والقضايا السياسية والاقتصادية التي تتعرض لها الدولة والإمارة ، ومما يؤسف له أن ثروات التجار كانت مطمعاً للأمراء الذين كانوا يقترضون من التجار دون ضمان ، فالتاجر لم يكن يستطيع استرداد ماأخذ منه على سبيل القرض ، فضلا عن تعرض متاجرهم للنهب والمصادرة أثناء حروب الأشراف ونزاعاتهم التي لاتنتهى في ذلك العصر ، هذا عدى الرسوم والجبايات المتعددة والباهظة التي أرهقت كاهلهم ، لدرجة أن بعضهم اعتصم بالكعبة الشريفة إحتجاجاً على الظلم الواقع عليهم من المشد بجدة ، ولم يجد التجار المذكورون لهم ناصرا من الخلق!! فقد استحكمت حلقة الظلم بتكالب جميع الجهات الرسمية ضدهم ، فلم ينصفهم الأمير ولاالقضاه ، الأمر الذي أدى إلى سخط العامة وثورتهم!![١]

أما السواد الأعظم من السكان فكانوا من أرباب المهن والحرف اليدوية التقليدية فكان هناك البناء[٢]، والنجار ، والنقاش[٣]، والدهان الذى يدهن السقوف[٤]، والخراز[٥]، والعمري الذي يصنع أغطية الرأس[٦]، والدلال الذي يتكسب بسمسرة الرقيق[٧] ،

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٦٦،٢٧١ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١٥٧،٢٢٥،٤٢٥،٦٢٩ .
(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٣٥ب ، ١٥٨أ .
(٤) نفس المصدر ، ق١٣٦أ .
(٥) نفس المصدر ، ق١٤٦أ .
(٦) نفس المصدر ، ق١٥٥أ .
(٧) نفس المصدر ، ق١٢٨ب .

كانت تجارة الرقيق رائجة في ذلك العصر ، وكان أمير مكة يأخذ الضرائب على هذه التجارة ، باعتبار أن الرقيق قيمة مالية ، وضرباً من ضروب الأملاك ، والشريعة الإسلامية ، وضعت حدودا للرق ، ومنعت استرقاق الحر إلا في الصورة التي تفرضها الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره".=

والسقائين[١]، والمكاريين والحطابين[٢]، والخبازين[٣]، بالاضافة الى التجار الصغار من أصحاب الدكاكين ، والباعة كالسمان[٤]، والتمار[٥]. والى جانب هؤلاء نجد من تعانى الشهادة وتكسب بها[٦]، أو بكتابة الوثائق والسجلات[٧]، ومن تكسب بنسخ الكتب[٨]وتجليدها[٩]، ومن تاجر بشراء الكتب وبيعها[١٠]، الخ .

وكانت مكة تضم عنصرا آخرا من الفقراء والغرباء المنقطعين ، ومن يمتهنون الخدمة من الأيتام الصغار وغيرهم[١١]. وكانت الأربطة المقر الرسمى لسكن المحتاجين والمنقطعين وهم يشكلون فئة كبيرة من

= أما استرقاق الحر المسلم فهو حرام أصلا قال صلى الله عليه وسلم : "كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله" . والشريعة الإسلامية حددت مصادر الرق بمصدرين : أسرى الحرب من الكفار ، ومن استرق بالوراثة "أى ولد في الرق" ولاتعتبر عبودية الرقيق مؤبده في الاسلام ، وإنما وفرت الأسباب للقضاء عليها تدريجياً .

انظر توفيق عامر : أحكام الرق في التشريع الإسلامي ، ص١٨-٦٠ .

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٥٤ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص١٧٥ .
(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٠٥ ؛ السكسكي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٦٤ .
(٣) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص١٤٣ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٥١ .
(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٢٩ب .
(٥) نفس المصدر ، ق١٣٤أ .
(٦) نفس المصدر ، ق١٠٢ب ، ١٢٢أ ، ١٧٢ب .
(٧) نفس المصدر ، ق٧٣أ .
(٨) نفس المصدر ، ق١٠٤ب ، ١٢٢ب .
(٩) نفس المصدر ، ق٤١أ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٢٥٥ .
(١٠) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤١أ ، ٨٥أ ، ٨٧أ .
(١١) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص١٤٣ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٣٦٩،٤٦٢ ؛ الدر الكمين ، ق١٣٥أ .

المجتمع المكى(١).

وضمت مكة الأشخاص غير المرغوب فيهم من الأمراء المماليك ، وكبار الموظفين ممن غضب عليهم السلاطين ، وصادروا أموالهم ، حيث كان يُرسم لهم بالتوجه إلى مكة ، والبقاء فيها إلى ماشاء اللّٰه ، وقد يؤذن لهم بالعودة(٢). ويبدو أن اختيار مكة لهذا الغرض مبني على سياسة بارعة ، فهم من جهة بمأمن منهم في هذا الموقع البعيد عن قلب الدولة ، ومن جهة ثانية يستطيعون ضربهم ، وكسر شوكتهم إذا تمردوا ، وذلك بواسطة الحامية العسكرية المملوكية أو بعيون أمراء مكة الذين كانوا طوع أيديهم . ومن المؤسف حقاً أن نشير إلى أن سلاطين المماليك اتخذوا من هذه البقعة الطاهرة ومن موسم الحج بالذات مكاناً مناسباً لتنفيذ مؤامراتهم لقتل هؤلاء وغيرهم من المنافسين(٣).

هذه خريطة الهرم الاجتماعى في مكة . أما عن التركيبة العرقية فهي مزيج فريد وكأن العالم كله انصهر في بوتقة واحدة ، أجناس عدة لاتجمعهم رابطة سوىٰ رابطة الإسلام - وأنعم بها من رابطة - فكان التمازج ، والاندماج ، والتواصل لإبراز الرسالة الخالدة {إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(٤).

لقد طعم المجتمع المكي عن طريق المصاهرة والمعاشرة مع هذا الخليط النادر بمؤثرات خلقية وخلقية "فتراهم قد جمعوا إلى طبائعهم بين رقة

(١) انظر شروط وقف الأربطة بمكة . الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٠-٣٣٦ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٥٢ .
(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥١ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٩٧ب ، ٩٨أ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص٩٧ .
(٣) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص١٨٩-١٩١ ، ٢٠١-٢٠٢ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ٩٢.

الحضارة ، وقشف البداوة"(١) وأنفتها ، وتأثرت لغة معظمهم فكثر فيها اللحن وركاكة الأسلوب ، ودخول كثير من الألفاظ الأعجمية عليها(٢).

وعموماً فان انصهار هذه العناصر البشرية وتمازجها ، يتضح أيضا من تيار العادات والتقاليد المتنوعة التي تغلغلت في الحياة المكية ، وتركت فيها آثار عميقة لأعراف متشعبة ، هي في الأصل مرتبطة بمؤثرات البيئة الأم لتلك العقليات المختلفة ، والعناصر المتباينة(٣).

وتسللت إلى المجتمع المكي بفعل الزمن ، وبفعل بعض السياسات المنحرفة ضلالات وبدع ماأنزل اللـه بها من سلطان ، هي في الحقيقة صدىً لحياة وممارسات بعيدة عن المنهج الربانى ، ولعل تعدد صلاة الفريضة فى المسجد الحرام بحسب الأئمة وترتيبهم من أبلغ المنكرات ، فمن عادتهم أن يصلي إمام الشافعية أولا خلف مقام ابراهيم في الحطيم ، ثم يصلي الامام الحنفى قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له ، ثم المالكي في محراب قبالة الركن اليماني ، ثم يصلي الإمام الحنبلي مابين الحجر الأسود والركن اليماني وخلف كل واحد منهم أهل مذهبه ، هكذا كأنما الدين متناقض والوجهة مختلفة !!(٤)

بل إن الأمر أعظم من ذلك في صلاة المغرب فالأئمة الأربعة يصلون في وقت واحد كل باتباع مذهبه ، وبسبب اجتماعهم في هذه الصلوات يحصل

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص٥٣ ؛ على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص٢١٠ .

(٢) البتنوني : نفس المرجع ، ص٥٤ ؛ ابراهيم رفعت : نفس المرجع ، ج١ ، ص٢٠١-٢٠٢ .

(٣) عن العادات الاجتماعية في مكة انظر ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص١٥٥-١٦٣ ؛ على بن حسين السليمان : نفس المرجع ، ص٢١٤،٢١١ ؛ صالح يوسف معتوق : علم الحديث في مكة ، ص٣٢-٣٦ ؛ وانظر ص٢٨٤-٢٩٠ من هذه الدراسة .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص٧٨-٧٩ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٥٥ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٣٧٩ ؛ الجزيري : درر الفوائد ، ص٣١٤ .

للمصلين لبس كثير ، وسهو وتخليط ، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي ، وسجد الحنفي بسجود الحنبلي(١). وهذا الفعل فيه تفريق بين المسلمين ، وتشعيب لأركان دينهم ، وضلال في الدين لما فيه من المكروه الذي لايخفىٰ إلا على من غلب عليه الجهل والهوىٰ(٢). فقد أنكره العلماء في ذلك العصر وقبله ، وصدرت فتاوىٰ الفقهاء بمنع الصلاة على هذه الصورة ، وعدم جوازها على مذاهب الأئمة الأربعة . ورغم ذلك استمرت البدعة لأن الهوىٰ يُعمي ويصم(٣).

وهناك العديد من البدع الشركية التي أحدثها الضالون ليحجبوا نور التوحيد من مكة ، ويشغلوا العامة عن الدين الصحيح ، وعن دنياهم ، وقد شغلتهم دهرًا ، الا أن الله قيض لها من كبار المجاورين من اجتهد في إنكارها ومن ثم إزالتها(٤).

وإلى جانب البدع المستحدثة ، كانت هناك عادات منكرة تدخل في نطاق البدع نذكر منها على سبيل القصر لاالحصر :

- تقبيل العتبة "الأرض" عند الدخول على السلاطين أو الأمراء أو الأعيان(٥).

وفي هذا الفعل خضوع وتعظيم لغير الله . قال تعالى : {وَمِن آيَاتِهِ اللَيلُ وَالنَّهَارُ ، وَالشَمسُ وَالقَمَرُ ، لاتَسجُدُوا لِلشَمسِ وَلالِلقَمَرِ ، وَاسجُدُوا لِلّٰهِ الذَي خَلَقَهُنَّ}(٦).

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٦٦ .
(٢) الفاسي : تحفة الكرام ، ق٢٩أ .
(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٥١٦-٥١٧ ؛ وانظر بخصوص هذا المنكر ص٢٩٥-٢٩٦ من هذه الدراسة .
(٤) انظر ص٢٩٧-٢٩٩ من هذه الدراسة .
(٥) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص١٤،١٦ ؛ ج٤ ، ص٤٢ ؛ العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٥٤٠ .
(٦) سورة فصلت : آية ٣٧

ـ تقبيل أمير مكة لخف المحمل القادم من مصر في موسم الحج(١).

وفي هذا الفعل امتهان لكرامة الانسان . قال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنَا تَفضِيلاً}(٢).

ـ الدعاء جهرا بأعلى قبة زمزم لأمير مكة أثناء طوافه بالكعبة إلى أن ينتهي من الطواف(٣).

ولايخفى أن الدعاء بهذه الصورة فيه تشويش للعابدين ، وللركع السجود . وفيه احتفالية لاتتناسب مع قدسية المكان . قال تعالى : {وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَاتَدعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}(٤).

ـ الطواف بجنازة أمير مكة سبعاً قبل دفنها(٥).

وهذا الفعل لم يرد فيه نص من الكتاب أو السنة ، ولم يؤثر عن الصحابة فعله أو اقراره ، ولانعلم علة لهذا الفعل ، لأن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما جاء في الحديث الشريف(٦).

ـ الجهر بالتهليل عقب الصلوات الخمس(٧).

وهذا أيضا ليس له سند شرعى بل إن الحق تبارك وتعالى يقول : {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفةً ، وَدُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ}(٨).

ـ فرض الرسوم على من أراد دخول الكعبة(٩).

وهذا الفعل من المنكرات والبدع التي لم يسمع بها قبل ذلك العهد .

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٣٥٥ ، ج٤ ، ص١٤٥ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٧٠

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٨٠ ، ج٤ ، ص٢٥٨ .

(٤) سورة الجن : آية ١٨

(٥) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣٤٧ .

(٦) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، ج٥ ، ص٧٣ .

(٧) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٩٨أ .

(٨) سورة الأعراف : آية ٢٠٥

(٩) الفاسى : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٢١١ .

ـ الأغنياء يدفنون في فساقي[١]، وقبور مبتكرة[٢]، وقباب[٣]، ولهم ترب خاصة ، في حين يدفن الضعفاء والمنقطعون والغرباء "بمقبرة الفقراء"[٤].

وفي هذا الفعل من الكبر والخيلاء مانهىٰ الشارع عنه ، كما أن البناء على القبور من شعارات الجاهلية . وقد "نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنىٰ عليها ، وأن توطأ"[٥].

ـ وقد شاع في ذلك العصر الاعتقاد بكرامات من يسمونهم بأصحاب الكرامات والأولياء ، وكان أمراء مكة والعامة ، بل وبعض العلماء ، يقصدونهم لجلب الخير ومنح البركة ، ومن يموت منهم يصبح قبره مزاراً[٦].

ولاشك أن اعتقاد هؤلاء الأشخاص يدل دلالة واضحة على انتشار الجهل بعلوم الدين الصحيح ، وذيوع الضلالات ، وتمكنها من عقول الناس. قال جل وعلا : {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ}؟[٧]

على أن أبرز مايمكن ملاحظته في التاريخ المكي أن الحج قد وظف لترسيخ معنىٰ الفرقة والإختلاف بين المسلمين ، ويُصدم المسلم ، وتقطرُ نفسه ألماً وهو يقرأ أخبار الوقوف بعرفة مرتين ، إذ يقف أهل مكة في يوم ، ويقف فريق من الحجيج في يوم آخر ، لما يزعمونه من إختلاف الرؤية ، ولاشك أن ذلك من إغواء الشيطان الذي زين لأعوانه المنكر[٨].

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٣٤٧،٤٦٧ .
(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٨ب ، ١٦٩أ ، ١٧٥أ .
(٣) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٣٥ ؛ الدر الكمين ، ق٩٤ب .
(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٢أ،ب .
(٥) حديث حسن صحيح . انظر الترمذي : الجامع ، ج٢ ، ص٢٥٨ برقم ١٠٥٨،٥٧ .
(٦) نفس المصدر ، ق٧٠أ ، ١٢١ب ، ١٢٦أ ، ١٢٨أ ، ١٣٣ب ، ١٥١ب ، ١٥٧ب ، ١٦٩ب ، ١٧٢أ ، ٢٣١ب .
(٧) سورة النمل : آية ٦٢
(٨) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢٨٩ ؛ ج٣ ، ص١١٣،١٢٠،١٢٤،١٨١، ٢٧٠،٤٧٢،٥١٩ ؛ ج٤ ، ص٢٦١،٣٥٠،٤٩٥،٦٢٣ .

وقبل أن نختم حديثنا عن البنية الاجتماعية في مكة . لابد من الإشارة إلى بعض الأمور التي يمكن من خلالها أن نفهم حكم النجم على بعض الأوضاع التي عايشها :

ويأتي في مقدمتها قضاء مكة الذي حظي باهتمام خاص من لدن سلاطين المماليك ، فوظيفة القضاء هي الثانية بعد إمارة مكة(١). وكان القضاة يمثلون المذاهب السنية الأربعة، يتقدمهم القاضي الشافعي الذي كان مقرباً عند السلطان المملوكي يليه المالكي ، فالحنفي ، فالحنبلي ، وأمر تعيينهم وعزلهم بيد السلطان المملوكي .

والذي يبدو أن أولئك القضاه لعبوا دورًا مهما في دولة الجراكسة ، خاصة في تقرير الصفة الشرعية للسلاطين والأمراء الجدد وأعمالهم ، ولعل ذلك يبرر عدم استقرار القضاه في مناصبهم وكثرة مراسيم التولية والعزل للشخوص أنفسها(٢). وكثرت اختصاصات القضاة ، وتنوع مسئولياتهم ، فبالإضافة إلى النظر في قضايا الأحوال الشخصية كان القاضي رئيساً للمدرسة الفقهية للمذهب الذي ينتمي إليه ، ويدرس فيها(٣)، ويؤم أهل مذهبه في الصلاة في المسجد الحرام ، ويجمع له بين القضاء ، والخطابة ، ونظر المسجد الحرام والحسبة(٤)، أو بين القضاء والتحدث على الأيتام والأربطة والتدريس في المدارس المتعددة(٥)، أو قد يتولى قضاء جدة وحسبتها ونظر جامعها

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٢ ، ص٢٤٠ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٣٧١-٣٧٧ ؛ ج٢ ، ص٣١٢-٣١٣ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١أ،ب ، ٤٨ب - ٤٩أ ، ٥٢أ - ٥٣أ ، ٥٤أ - ٥٥أ ، ٥٧أ ٧٨أ،ب ، ٩٣أ - ٩٤ب ، ١٢٤أ،ب - ١٢٥أ ، ١٥٢أ،ب .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٢٩ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٦٣ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٤أ،ب .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٤ب .

وأوقافها ، وجميع متعلقات قاضي مكة[١]، وأحياناً يجمع له قضاء الحرمين الشريفين مكة والمدينة[٢].

ومما يلاحظ أن المماليك بدأوا يشاركون قضاة مكة في أمر هذه الوظائف ، وبنفس الصفة أي القيام بأكثر من وظيفة في وقت واحد ، ففي عام (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) أسندت وظيفة ناظر المسجد الحرام لشاد العمائر مع وظيفته المذكورة[٣]، ثم أضيفت له قيادة الحامية المملوكية مع الوظيفتين السابقتين عام (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)[٤]، ثم تعاقب على هذه الوظيفة القضاة ، وأمراء المماليك والتجار[٥]، بعدها تولى المماليك أمر الحسبة بمكة[٦]، ورويداً رويداً بدأت تنسخ وظائف النظر من القضاة إلى الأمير المملوكي بمكة . ففي عام (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) أضيف إليه نظر المسجد الحرام ، والحسبة ، والأربطة ، والأوقاف ، والصدقات ، ونظر المياضيء ، ومحاسبة من كان قبله من النظار[٧]، وفي عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م) أضيف إليه أمر النظر على المطاهر بمكة[٨]، وفي عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) امتدت صلاحياته فولى أمر النظر في شد جدة مع مابيده من الوظائف[٩]، وفي عام (٨٨١هـ/١٤٧٦م) لم يعد من اختصاص القضاة في الحجاز النظر في أمر المواريث الحشرية لمن يموت بمكة من غير أهلها ، وأصبحت هذه الوظيفة من مسئوليات نائب جدة[١٠].

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٤٧ .
(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٣٥أ ، ١٣٦أ .
(٣) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٧٣-٧٤ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨-١٢٩ .
(٥) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٣٨٢،٣٩٥ ؛ الدر الكمين ، ق٥٣أ ، ١٠٧أ .
(٦) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٨ب .
(٧) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٩٧ .
(٨) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٣٠٤ .
(٩) نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٥ .
(١٠) نفس المصدر والجزء ، ص١٤٣ .

ولو دققنا النظر في حال الوظائف لوجدنا أن ظاهرة تعدد الوظائف التي يتولاها الفرد الواحد تقابلها ظاهرة اشتراك أكثر من واحد في وظيفة أو عدة وظائف(١)، لم يقتصر على الوظائف الدينية الكبرىٰ أو التي تغلب عليها الصفة المالية ، بل تعداه إلى سائر الوظائف الأخرىٰ حتى صغار الموظفين(٢)، ومايقال عن التعدد والمشاركة يقال أيضا عن احتكار بعض البيوتات للوظائف بدءًا بالقضاء(٣)، ومرورًا بالأئمة والمؤذنين(٤)، وانتهاءً بالسقائين في قبة السقاية "الزمازمة"(٥).

ومن الواضح أن هذه السياسة كانت مجحفة بحق المجتمع المكي الذي يعج بالعلماء والمفكرين وغيرهم(٦)، ولعل المغزىٰ البارز لها ماذكرناه سابقا ومايمكن أن نتلمسه من أجواء النزاع والخلاف بين المتنافسين والمتشاركين وانشغالهم ببعضهم عن الالتفات إلى بيان عيوب السلاطين الذين عمدوا إلى توسيع شقة الخلاف بالإكثار من مراسيم التولية والعزل خاصة في مجال القضاء والخطابة .

ومن الملاحظ أيضا تفشي ظاهرة الرشوة ، وقد سجلها مؤرخنا بمرارة ويأس في كثير من المواضع ، فالأمير يقدم الرشوة ليبقىٰ في إمارته(٧)،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٣٧٧ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٢ب ، ١٧٨ب - ١٧٩أ،ب ، ١٨٠ب .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١٠ب ، ١٨٤أ .

(٣) كان أكثر القضاه من الطبريين والظهيريين والنويريين والفاسيين .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٣١أ ، ١٣٥أ .

(٥) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٨٢-٥٨٣ .

(٦) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٥أ .

(٧) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٠٥،١٠٨،١١١ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ، ص١١٥ .

والقاضي يرشو ليرث القضاء[(١)]، وكبار التجار يتولون المناصب العليـا بمكة بعد دفعهم للرشاوى[(٢)]، والباعة الوافدون يرشون لاحتكار السوق ، وسلب معاش المكيين[(٣)]، حتى وفـود الحجيج لاتمكن من الوقوف بعـرفة بمحملها إلا بعد تقديم الرشوة[(٤)].

ومن السهل بعد هذا العرض الموجز أن نفهم النصوص التاريخية لذلك العصـر ، فإذا كان هذا حال مكـة ومن عاش في أفيائهـا ، فما الذي سيكون عليه حال من أتىٰ إليها ووفد عليها وانعكست آثارها عليه!!!

الحياة الثقافية :

العلم والتعليم في مكـة مـاهمـا إلا امتـداد لرسالتهـا الخالـدة ، وفي فترة الاستقـرار النسبي ، والـرفـاه الاقتصـادى في عصر الجراكسـة ، أصبـح الحجاز مركزًا تجاريًا كبيرًا ، وقد أدىٰ التطـور المادي فيه إلى بروز طبقـة جديدة من أصحاب الأملاك والموظفين والكتاب ، كما أوجد الرفاه الاقتصادي طبقة من المثقفين الذين يمتلكون الوقت والرغبة في حب التتبع ، وحب الرحلة للافادة أو الاستزادة من مناهل العلم ، فكانت الحركة المشعة في ذلك العصر .

وعلاوة على مـاسبق فـإن عـوامل عديدة أدت إلى إزدهـار مكـة علمياً منها:

* المكـانة القدسية لهذا البلـد المبارك جعلته قبلـة العلمـاء وكعبتهم ، فهم يقصدونه من كل حدب وصوب في مواسم الحج وغيره ليس بأشخاصهم وعباداتهم فقط بل بثقافاتهم وعلومهم ، يؤثرون ويتـأثرون ، وكان لمجاورة

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٣٧١-٣٧٢ ؛ الـدر الكمين ، ق٥٧أ،ب معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٥٨ .

(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٨٣ .

(٣) المقـريزي : السلوك ، ج٤ ، ص١١٩٣ ؛ النجـم ابن فهد : نفـس المصـدر والجزء ، ص١٤٥ .

(٤) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٦٠٥ .

كثير منهم ، أثر كبير في دفع عجلة النشاط العلمي وتسريعها .

* تشجيع سلاطين العالم الاسلامي ، وكبار رجال دولتهم للعلم والعلماء في مكة وعنايتهم الفائقة بانشاء المدارس فيها ، وتعيين هيئتها العلمية وموظفيها ، ووقف الأوقاف الغنية عليها ، لضمان استمرار دورها كمركز اشعاع ، وصدقة جارية(١).

* الصدقات العينية والمادية التي كان يرسلها السلاطين ، وأعيان الحجيج ، وتوزع على الزوايا والأربطة التي يسكنها فقراء المجاورين المستوطنين ـ وكثير منهم علماء ـ أمنت قدراً من الحياة الهادئة لهؤلاء ، فكانوا سبباً من أسباب ازدهار الحركة العلمية .

* حاجة أمراء مكة بعد النقلة الكبيرة في اقتصادياتها وأحوالها إلى أساطين البيان والشعر للدعاية لهم ، وقد وجدوا فيهم سبيلاً إلى إبلاغ الرغائب ، ولساناً به يتحدثون (٢). ووجد بين هؤلاء الأمراء من اعتنى بدراسة الحديث النبوي وتصدى لاقراء الطلبة ، والإجازة في الاستدعاءات مثل الأمير العالم الناظم بركات بن حسن بن عجلان (٣)، ومنهم من نبغ في العربية وآدابها كالأمير الأديب على بن حسن بن عجلان الذي قيل عنه :

---

(١) انظر الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٢٨-٣٣٠ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٤٩ ؛ ج٣ ، ص٥٤،٦٠،٢١٧،٣٠٦،٣٦٨،٤٨٥-٤٨٦،٦٣٩،٦٤٣-٦٤٤ ؛ ج٤ ، ص٢٤-٢٦،٥٩،٦٣-٦٤،٦١٩-٦٢٠،٦٤٧-٦٤٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) انظر طبيعة المصنفات التي ألفت لحسن بن عجلان وأبنائه ص٨٧،٨٩،٩١ من هذه الدراسة ، وانظر الأشعار التي وردت في غاية المرام للعز ابن فهد ، ج٢ ، ص٢١٥-٢٢٢،٢٣٩-٢٤٢،٢٦٩-٢٧٣،٣٢٥-٣٣١،٣٤٨،٣٥٧-٣٩١،٤١٨-٤٢٠،٤٥٧-٤٦٧،٤٩١-٤٩٤،٥٠٣-٥٠٦،٥٢٥-٥٢٩،٦٠٦-٦٣٣ .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٩٩ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٦٩ب ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٩٢-٣٩٣ .

"أنه أحذق بني حسن"[١].

ولاشك أن الصفة العالمية لمكة قد أثرت في انتاجها العلمى ، فحظيت العلوم الدينية والدراسات الإسلامية بالاهتمام الأوفر ، والعناية العظمىٰ ، ويتضح هذا من الأدبيات الغزيرة التي ألفت في تفسير القرآن وعلومه ، وفي الحديث متناً واسناداً وفي الفقه وأصوله ، وفي العربية وفنونها ، وفي التاريخ ولوحاته الواعظة ، وإن لم يخل انتاج العلماء من اسهامات فى العلوم العقلية والبحتة كالمنطق والفلك والرياضيات[٢]، وقد يصل بعضهم إلى درجة التفرد في أحد هذه الفروع[٣].

وعلى كل يمكن القول أن علماء ذلك العصر قد برعوا في كل علم تقريباً ، في الدين والنحو والأدب والتاريخ والمنطق والهيئة والحساب والجبر والهندسة ، اجتمعت لهم ثقافات متعددة ، فكان كل فرد منهم في الغالب موسوعة من الموسوعات ، أو دائرة معارف عصره ، مشاركاً في أنواع من العلوم والفنون .

وكانت الرحلة في طلب العلم أو الاكتساب به سمة من سمات ذلك العصر ، فكان العلماء وطلبة العلم يتنقلون بين الحجاز ومصر والشام والعراق وشيراز ومراغه وبلاد الروم والأندلس والمغرب واليمن لأخذ العلم ولقاء العلماء ، وحيثما حلوا أفادوا واستفادوا ، وأقبلوا على التدريس والإفتاء والتأليف . وإمعان النظر والفكر في كتب الرجال والتراجم التي صنفت في تلك الفترة يؤكد لنا بما لايدع مجالاً للشك أن البيئة الإسلامية

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٥١أ ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٩٧ .

(٢) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٨أ ، ٨٥أ ، ٨٩أ ، ٩٢ب ، ١٢٦أ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٢٤٦ ؛ بغية الوعاه ، ج١ ، ص٥-٦ .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٢٦أ ، ٩٢ب .

ولادة دائمًا ، وأنها خرجت في ذلك العصر أفذاذاً من العلماء اشتهروا على مر التاريخ بما لهم من ذيوع ذكر ، وتداول مصنف ، كابن خلدون ، وابن الفرات ، والفيروزابادي ، والقلقشندي ، وتقى الدين الفاسي ، وشمس الدين ابن الجزري ، والمقريزى ، وابن حجر ، والعيني ، وابن عياش ، والقاياتي ، وابن الشماع ، وابن شاهين ، وابن تغري بردي ، والبيضاوي ، والسخاوي ، والسيوطي ، وأبناء فهد الجد والأب والابن والحفيد ، والمجال في هذه العجالة القصيرة لايتسع لذلك الفيض من النجوم التي تلألأت في عصر مؤرخنا .

وربما كان من المناسب الإشارة إلى طبيعة العلاقة بين العلماء ، والحكام في ذلك العصر ، ولايحتاج الأمر في تصورى لتقرير أهمية دور العلماء ، فمن الجلي أنهم السياج الذي يمنع الحكام من الظلم ، ويردهم إلى الحلم ، ويعطفهم على الرعية ، ويكشف أوجه استبداد بعضهم ، واستنزافهم لطاقات الشعوب ومقدراتها ، وهم علاوة على ذلك الجسر الذي يحرض على الجهاد ، ويرفع الروح المعنوية إذا هم خطب أو اعترىٰ وهن ، وفي أجواء العلماء الخلاقة تزدهر الحضارات ، وتستنير العقول .

وبعد ... فلاغرو أن تكون لهم وجاهة وجلالة ، ورسائل مقبولة ، ولهذا حرص السلاطين والأمراء على خطب ودهم ، والإلتفات إليهم ، وانزالهم المنزلة اللائقة من المهابة والتقدير ، وأسندوا إليهم المناصب العليا ثقة بأمانتهم ، وتقرباً إلى الشعب من خلالهم .

وفوق هذا ، فقد تولع العديد من السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء ، فالظاهر بيبرس رفع المتصلين بالمعرفة ، وخص المؤرخين بفائق الود ، وكان يقول : "سماع التاريخ أعظم من التجارب"(١). وأبو الفتح ططر كان سلطاناً عالماً(٢).

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص١٨٢ .
(٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٧ ، ص١٦٤ .

ويكفينا في معرفة منزلة العلماء ومكانتهم أن ننتقي إشارات من تراجم بعض العلماء الذين وصلوا إلى أعلىٰ قمة من الشهرة في تلك الحقبة ، وتتلمذ على أيديهم مؤرخنا وذكرهم في معجمه أو أجازوا له ، فمن الأمثلة والشواهد : بحر اللغة الفيروزابادي المتوفى عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) الذي "لقي في جولاته في الآفاق شرقاً وشمالاً الملوك والأكابر ، ونال رفعة عظيمة عند ابن عثمان صاحب أدرنه ، وشاه شجاع صاحب شيراز ، وابن عمه شاه منصور ، والأمير قطب الدين تيمورلنك ، وغياث الدين أحمد بن أويس متملك بغداد ، والسلطان المملوكي الأشرف شعبان ، وقد أجزل جميعهم له العطاء ورتب له الأخير راتبا سخياً لما قدم القاهرة في عهده"(١).

أما شيخ القراءات قاضي شيراز شمس الدين بن الجزري المتوفى عام (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) ، فقد كان حجة في علمه ، جاب البلاد عرضاً وطولاً ، واتصل بالملوك والأمراء ، فعرفوا حقه ، وأكرموه ، ولقي حفاوة لانظير لها عند أبي يزيد بن عثمان ، والأمير تيمور صاحب سمرقند ، وأمير مكة حسن بن عجلان ، والسلطان الأشرف برسباى ، وصاحب اليمن السلطان المنصور بن الناصر ، وقد تصدىٰ في جميع رحلاته للإقراء واسماع الحديث على المستويين الرسمي والشعبي(٢).

وممن مهر في الأدب وتوغل فيه العلامة المكي محمد الشيبى المتوفى عام (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) ، وقد تميز بقوة حافظته ، حيث يقال أنه "كان يحفظ أربعة وعشرين ألف بيت مفرد من الشواهد ، وقد تنقل بين العديد من العواصم الإسلامية ، ولقي الحظ الوافر عند ملوك اليمن وشيراز وبغداد ، ومراغه ، ومصر ، وقربه الأشرف برسباى ، وأنعم عليه بقضاء مكة ، ثم

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٢٨ب-٢٧٠ب .

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٢٥٦ب ؛ السيوطي : نظم العقيان ، ص١٦٧ ؛ ابن طولون : قضاة دمشق ، ص١٢١ .

أضاف إليه نظر المسجد الحرام"[١].

وقد أتحف السلطان المملوكي الظاهر جقمق عهده ببطانة من العلماء ، ممن توسم فيهم الثقافة الواسعة ، والعقيدة الإيمانية الراسخة ، واتخذهم ندماء له ، واطمأن إلى نصائحهم وتعليماتهم في كل ميدان[٢]. ومن هؤلاء القاضي محمد القاياتي المتوفى عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) الذي ملأ الدنيا تلاميذه ، وسار ذكره في الأقطار[٣]. والقاضي محمد السفطي المتوفى عام (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) وكان أكثر أهل زمانه ورعاً وتقوىٰ ، وقد ولاه وكالة بيت المال ، ونظر الكسوة والبيمارستان ، واجتهد في عمارته ، وعمارة أوقافه ، وأوقاف الحرمين ، مع ضبط المودع الحكمي[٤]، والتحري في صرف أوقاف الصدقات[٥].

ولاعجب أن يدرك السلطان الغوري أهمية الدور الكبير للعلماء والفقهاء وكونهم أداة فعالة في بناء المجتمع ، ومبعث الإصلاح فيه ، فحرص أسبوعياً ولأكثر من مرة على عقد المجالس العلمية والدينية لمناقشة مشكلات وقضايا الساعة معهم ، ومحاولة إيجاد الحلول لها[٦].

واستمر تواصل السلاطين مع العلماء حتى مع البعد ، وتذكر المصادر أن ملك الروم ابن عثمان كان يجل العلامة قاضي حلب محمد الحاضري المتوفى عام (٨٧٩هـ/١٤٩١م) ويكاتبه ويهاديه ، ولانستبعد أن يكون لهذه الصلة أبعاداً سياسية ، فالأخير كان رحلة وقته ، وقد كثرت تصانيفه وتلاميذه، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وسأله أهل مكة الإجازة[٧].

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٢٢١ب .
(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٠١أ .
(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢٢٤أ .
(٤) مودع الحكم : صندوق لحفظ أموال اليتامىٰ القصر ، وأموال الغائبين ، ويكون في حوزة كبير القضاة . (زيادة : السلوك ، ج١ ، ص٨٦٤ ، هـ٣) .
(٥) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨١أ،ب .
(٦) السخاوي : التبر المسبوك ، ص٢٢١،٤١٥ .

ونخلص مما تقدم إلى القول بأن عناية السلاطين والأمراء بالعلماء قد وفرت جواً علمياً مبدعًا ساهم في اثراء الحركة العلمية ، وخير دليل على ذلك آلاف المصنفات التي تزخر بها مكتبات العالم مطبوعة كانت أم مخطوطة عدىٰ الكثير من التآليف التي فقدت أو لم يكشف النقاب عنها حتى الآن .

أما فيما يتعلق بالمراكز التعليمية في مكة فسنحاول القاء الضوء على أبرزها :

أولا : المساجد :

رسالة المسجد غنية عن البيان ، فهى كضوء الشمس ، وتلألأ القمر ، ومن الحقائق التاريخية التي لايختلف فيها اثنان أن مساجد مكة وعلى رأسها المسجد الحرام ، قامت بدور قيادي أصيل في صناعة القاعدة الثقافية التفاعلية العالمية ، وارساء دعائمها ، لقد كان المسجد جامعة علمية عالية المستوى ، حققت الأطر التعليمية التثقيفية عبر قنوات عديدة باشراف فقهاء العصر ، ورجالات العلم من أهل مكة والمجاورين ممن تصدروا للاقراء وتدريس المواد العلمية المختلفة .

ويمكن تلخيص الأنماط الدراسية في المسجد الحرام على النحو التالى :

* الحلقات الدراسية النظامية التي كان يقررها السلاطين والأمراء والتجار ، ويُصرف فيها مرتبات مادية للمدرسين ، ويُوقف عليها الأوقاف لتدر دخلاً ثابتاً يؤمن بقاءها ، واستمرار عطائها بعد وفاة مقررها ، ويخصص في هذه الحلقات نوع الدراسة أو المقرر الذي يُلقى على طلبة العلم (١).

---

(١) من أمثلة هذه الدروس : درساً السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ) أحدهما فى فقه المذاهب الأربعة ، والآخر فى الحديث (الفاسى : العقد الثمين ، ج٥ ، ص١٠) ودرس السلطان شاه شجاع صاحب فارس وكرمان (٧٥٩-٧٨٦هـ) فى الحديث وعلومه . (الفاسى : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠) ، ودرس السلطان =

* التدريس في المقامات الأربعة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي ، وتأخذ الدراسة هنا الطابع النظامي المتخصص ، ففي كل مقام يجتمع الطلبة حول الشيخ ، وينهلون منه صنوف المعرفة خاصة في فقه المذهب الذي يعرف به المقام ، ويصرف للشيوخ مرتبات معلومة[(١)].

* دروس للعلماء الموسرين : وهي منتظمة ، والتدريس فيها بجهود العلماء أنفسهم ، وهي حافلة بطلبة العلم ، وقد رتب للطلبة فيها مرتبات شهرية ، على حساب العلماء أنفسهم ، ولهذا كثر الأخذ عنهم[(٢)].

* الدراسة غير المقيدة : ويتطوع فيها كبار العلماء بالتدريس دون مقابل ، فيدرسون أنواعاً شتىٰ من العلوم والمعارف ، وقد انتفع بهم طلبة العلم والوافدين[(٣)]. وكان لبعض الشيوخ خلوات تنسب إليهم في المسجد يقصدهم فيها الطلبة[(٤)].

* المجالس التي يعقدها كبار العلماء والمجاورين : وهي ذات أثر فعال

= محمود الخلجي صاحب مندوه في الحديث (النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٧أ) ودرس السلطان جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) في كتاب البخاري (النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٠١أ) ، ودرس الأمير المملوكي ايتمش الجركسي المتوفي عام ٨٠٢هـ في الفقه الحنفي (النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤٩ب ، ٨٥أ) ، ودرس الأمير يلبغا الناصري المتوفى عام ٧٦٨هـ فى الفقه الحنفي (النجم ابن فهد : نفس المصدر ق٤٩ب ، ٦٦ب ، ٨٥أ) ، ودرس الأمير خير بك الأشرفي المتوفى عام ٨٨٧هـ في الفقه والعربية والمعاني والبيان (النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٣٢ب) الخ .

ويلاحظ أن بعض الدروس تنقطع لتعطل الأوقاف التي كانت تصرف عليها ، كما هو الحال في درس الحديث الذي قرره الخواجا الشمس محمد بن جمعه الهمذاني . انظر (النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٥٧أ) .

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٥٧أ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٧٩ب .

(٣) ابن حجر : انباء الغمر ، ج٣ ، ص٢٠٣ ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٧٢أ ، ٩٤ب ، ١٠٥أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٢٥أ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٠٠أ .

في اثراء الحركة العلمية ، وكان يحرص على التواجد فيها علماء الحجاز ، وطلبة العلم ، ويتبادلون فيها الآراء والمناقشات حول مختلف الأمور التي تهم الأمة(١).

* مجالس الوعظ والإرشاد والفتوىٰ : ويخصص لها مكان في المسجد الحرام حيث يجلس العالم على كرسي(٢)، يبصر الناس بأمور دينهم ، ويجيب على أسئلتهم ، ويفتي في القضايا التي تعرض لهم(٣).

* تأديب الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة : وقد كان في المسجد الحرام العديد من المكاتب المخصصة لهذا الغرض ، وهي في العادة تقع في أطراف المسجد قريباً من خارجه ، ويقوم المؤدب بتعليم الصغار القرآن وحفظه ، ومبادىء الدين والحساب وقواعد اللغة(٤).

ثانيا : المدارس :

إن أي دارس للحركة الفكرية الإسلامية يلاحظ باكبار عظيم عناية سلاطين العالم الإسلامى بإنشاء المدارس في مكة ، فقد كان جل اهتمامهم متجها إلى تبني سياسة تعليم العلوم الشرعية ، ونشرها نظرًا لمكانتها الدينية السامقة .

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٥٦ب ؛ القلصاوي : الرحلة ، ص١٣٥ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٩٠،٢٦٩ ؛ ج٣ ، ص٢٠٨ ؛ ج٨ ، ص١٤ ؛ ج١٠ ، ص٤٨ ؛ التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٦٧٣ ؛ السيوطي : بغية الوعاه ، ج١ ص١٦٦ ؛ ابن طولون : القلائد الجوهرية ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ الشوكاني : البدر الطالع ، ج٢ ، ص١٨٤ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٤٣أ ، ١١٦ب .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٥٦ ؛ النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ق٢٠٧أ-٢٠٨ب ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٩٤ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٧٤ب ، ١٤٠أ ، ١٥٣ب ، ١٥٨أ ، ١٧٦ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٢٧أ .

وفي عصر مؤرخنا برزت بشكل واضح وظيفة التدريس ، وزودت كل مدرسة بما تحتاج إليه من الهيئة التعليمية من المدرسين والفقهاء والمعيدين والموظفين ، ورتب لهم رواتب مجزية ، وصرف للطلبة مكافآت ثابتة مادية وعينية ، يستعينون بها في أمور حياتهم ، حتى ينصرفوا للعلم آمنين مطمئنين وحرص عدد ممن أنشأ هذه المدارس على إيقاف الأوقاف السنية عليها ، لضمان استمرار دورها الرائد في نشر العلوم والمعارف(١).

وكان الطراز المعماري للمدارس على عدة ضروب :

يعتمد الأول منها على : استعمال الأواوين التي تطل على فناء سماوي وعلى صهريج داخلي ، وعلى غرف علوية للسكنى يطلق عليها "خلوة" وفي الغالب تخصص هذه الخلوات أو الخلاوي لسكن الفقراء ، عدى واحدة تكون تابعة للمدرسة . والبناء هنا يجمع بين وظيفتين فهي دار للعلم ، ومكان للسكن في آن واحد(٢).

أما الطراز الثاني : فيقوم تصميمها على قاعة عظيمة ، تتبعها مرافق كثيرة ورواق كبير ، وتحت جزء من القاعة مخزن أرضي كبير "قبو" به عدد من الفتحات الخارجية المساوية لسطح الأرض ، وتسمي "بالشفقات" والهدف منها تخفيف ثقل القبو ، ولغرض التهوية وادخال الضوء ، وفي القاعة الرئيسية وما يليها نوافذ كبيرة ، مطلة على الخارج(٣).

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٢٩ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٤٨١-٤٨٢،٤٨٥-٤٨٦ ؛ ج٤ ، ص٦٤،٦٤٧-٦٤٨ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

الايوان : عبارة عن قاعة كبيرة عالية ذات ثلاث جدران فقط تطل على فناء مكشوف ، ومسقوف في الغالب بقبو نصف اسطواني . وهذا الفن المعماري يناسب الطبيعة العربية الميالة للإنفتاح على البيئة مع المحافظة على الخصوصية في نفس الوقت .

(انظر صلاح العبيدى : أثر العمارة ، ص٢٤٠) .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣٧٢ .

وتميز الطراز الثالث : باختفاء الصحن المكشوف ، وبروز التصميم الذي يقوم على الطوابق المتعددة الأدوار ، فكانت المدرسة تتألف من أربعة أدوار أو أكثر ، خصص الدوران الأولان للدراسة ، والطابق الثالث سكن للفقراء ومايعلوه من أدوار أتخذ سكناً لشيخ المدرسة ، وآخر لناظرها ، وصهريج خارجي(١).

وعني الفاسي ومن بعده النجم ابن فهد عناية كبيرة بذكر المدارس الموقوفة في مكة وبيان مواقعها ، وتاريخ انشائها ، ومؤسسيها ، وعناصر بنائها المعماري إذا كانت من المدارس الفخمة ، كما أبديا اهتماماً بارزاً بذكر نظامها التعليمي ، ونظام الانفاق المخصص لها(٢).

وقد أدرك المؤرخان بحسهما التاريخي أهمية الأوقاف من الناحية التشريعية ، وراعهم ماطرأ على بعضها من استيلاء ومصادرة ، ولذلك حرصاً على إيراد الاشارات المنبهة إلى ذلك ، وقد أضفىٰ ربطهما لماضىٰ الأوقاف بالحاضر الذي يعيشانه قيمة حقيقية لمصنفاتهم ولدراسة التاريخ بصفة عامة(٣).

إلى جانب المدارس وهي تمثل التعليم العالى ، كان هناك المكاتب وهي دور خاصة لتعليم أيتام المسلمين ، وتأمين مؤنتهم وسكناهم ، ويصرف الصغار من هذه المكاتب بعد بلوغهم الحلم(٤).

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٣٣ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٨-٣٣٠ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٤٨١،٤٨٥-٤٨٦،٦٤٣ ؛ ج٤ ، ص٢٤-٢٦،٤٥،٥٩،٦٣-٦٤،٦٦،٣٧٢،٤٣٢-٤٣٣،٦١٩-٦٢٠،٦٣٨-٦٣٩،٦٤٧-٦٤٩ ؛ الدر الكمين ، ق٩٨أ .

(٣) انظر ملاحظاتنا فى هذا الموضوع ص٣٠٥-٣١٣ من هذه الدراسة .

(٤) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٦٢٠،٦٤٨ .

وعلى أي حال فإن مدارس مكة في القرنين الثامن والتاسع ، كانت تقف بشموخ وهي تنافس وتضاهي مدارس القاهرة في تلك الفترة ، ويعتبر النشاط الفكري فيها استمرارًا وتتويجًا للجهود المتكاتفة التي يبذلها القادة المسلمون في أطهر بقعة على وجه الأرض .

ثالثا : الربط :

من العلامات المميزة لأثرياء المسلمين رجالاً ونساءً في كافة بقاع المعمورة تسابقهم في إنشاء ووقف الأربطة بمكة إلى حد يثير الإعجاب ، فهم لايستكثرون إقامة مثل هذه المؤسسات بجوار حرم الله وبيته ويعتبرونها من أقرب القرب . ولهذا نلاحظ انتشار الكثير منها فى أحياء مكة المختلفة(١).

وقد ساهمت هذه المؤسسات الخيرية في تنشيط الحياة العلمية في مكة ، فمن الملاحظ أن دورها لم يكن مقتصرًا على سكن الفقراء والزهاد والمجاورين ، بل تعداه لتصبح منارًا للعلم والاقراء والتثقيف والإجازة(٢).

ومن المؤكد أن الأربطة كان لها دور عظيم في دفع عجلة الحركة التعليمية وتوجهاتها في تلك الفترة(٣). وقد جرت العادة أن واقف الرباط كان يحرص على وقف خزانة من الكتب فيه للمطالعة والدرس والاستنتاج والمراجعة والاستشهاد(٤)، وفي الوقت نفسه فإن نظام التكافل الاجتماعي في

---

(١) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣٠-٣٣٦ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٥١-١٥٢،٦١٩-٦٢٠ ؛ الدر الكمين ، ق١٩١ب ، ١٩٧ب ، ٢٠٢ب ، ٢٠٦أ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٧٧ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٥٦،١٨٢ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٧١ب .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٣٣ب .

(٤) الفاسي : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٣،٤٤ ؛ ج٥ ، ص١١٦ ؛ ج٦ ، ص٢٧٦ ؛ ج٧ ص١٣٧ ؛ شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣١ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٦٤ .

الإسلام قد ضمن لساكني هذه الأربطة موارد عينية ومالية شبه ثابتة(١). ولاشك أن توفير السكن والغذاء والجو العلمي ، قد أسهم في إرساء قاعدة ثقافية مبدعة ، حيث انصرف قاطنوا هذه الأربطة للدراسة والتعليم باذلين أنفسهم في نفع الطلبة بأمورهم المعيشية الضرورية .

وكان من الطبيعى والحال كما ذكرنا أن تزدهر حركة التأليف ، والتصنيف في الربط ، وينكب العلماء على تدوين ملاحظاتهم ومدارساتهم ومعارفهم ، وأخبار الحقبة التي عاصروها(٢).

رابعا : المكتبات :

من الأمور الملفتة للنظر في تراجم التاريخ المكي الاهتمام البارز بجمع الكتب واقامة المكتبات التي تعتبر عماد الحياة التعليمية ، ولسلاطين المماليك والمجاورين في مكة مآثر في ذلك ، فضلاً عن حرص العلماء والأدباء المكيين على اقتناء الكتب النفيسة .

والحقيقة التي لامراء فيها أن عصر مؤرخنااتصف بعشق لامتناه للكتاب وبنشاط دؤوب من قبل العلماء على التأليف والتصنيف الموسوعي ، وعناية بالغة بنسخ التراث الإسلامي الضخم ، واستنساخه ومقابلته ، وتتابع الوراقون ممن عرفوا بالدقة وجودة الخط على نسخ الكتب ، وتغذية المكتبات بكل نفيس وجديد من روائع المخطوطات والوثائق ، وشاع النسخ بالأجرة وصار مهنة لعدد ممن سكن مكة(٣).

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص٥٣،١٥٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص١٦٩ ؛ الرشيدي : حسن الصفا ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ ابراهيم عبد اللطيف : وثائق الوقف ، ص٢،٢٥٢ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١٩أ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٧٤ب ، ١٠٤أ ، ١٢٢أ ، ١٤٦ب ، ١٧٢ب ، ١٧٤أ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٥٧ .

ولانغفل ونحن بصدد الحديث عن الكتب والمكتبات أن نشير إلى أن المكتبات العامة في مكة قامت بجهود السلاطين والخيرين من المسلمين ، فقد واكب إنشاء هؤلاء للمدارس والربط اهتمام كبير بتزويدها بخزانة كتب توقف على طلبة العلم(١). فضلاً عن الخزائن الملحقة بحلقات الدراسة في المسجد الحرام(٢)، وعين عليها خازن بمرتب ثابت مهمته الإشراف على الناحيتين العلمية والادارية في المكتبة ، وملاحظة دقة الفهارس ، وحسن تصنيفها ، وتيسير القراءة للقراء ، والمحافظة على الكتب من الضياع ، وحبكها وترميمها بين حين وآخر ، وتنظيم الإعارة منها(٣).

وقد اختلفت العناية بالمكتبات باختلاف أمانة الخازن ، وحرصه وسعة اطلاعه فمنهم من حفظها ، ونمىٰ عدد كتبها بامدادها بما يستجد من مخطوطات ومنهم من أهمل الإشراف عليها ، فامتدت إليها الأيدى بالسرقة ونحوها ، وتبددت محتوياتها مع الأيام(٤).

وتبلورت العناية بالكتاب بشيوع ظهور المكتبات الخاصة ، وحرص العلماء والفقهاء على جمع الكتب وتخصيص أماكن لها في منازلهم(٥). واحتوت بعض هذه المكتبات على مجموعة ضخمة من الكتب الجليلة ، وزودت بفهارس منظمة ، وبتجليد فاخر لكتبها(٦).

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣١ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٦٤ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٢ ، ص٤٦٤ ؛ النهروالي : الاعلام ، ص٢٢٥ .

(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٤٨٧-٤٨٨ .

(٣) السبكي : مفيد النعم ، ص١٥٩ ؛ النهروالى : نفس المصدر ، ص٢٢٥-٢٢٦ .

(٤) النهروالي : نفس المصدر ، ص٢٢٦ .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢٩أ ، ٥٥أ ، ٦٣أ ، ٨٥أ ، ٩٧أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ .

(٦) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب ، ١٧٤ب .

ويبدو أن الإعارة من المكتبات الخاصة ممنوعة منعاً باتًا[١]، وإن بزت مكتبة آل فهد حين سهلت الإعارة للمكيين وغيرهم من الغرباء ، وهذا شيء لايعرف لأهل مكة غيرهم[٢]. على أن أعظم مأثرة للطبقة المثقفة في مكة هي ظاهرة وقف كتبهم على طلبة العلم بمراكز مكة التعليمية ومؤسساتها[٣].

والحق أن المكتبات الوقفية كانت مثالاً حيًا لبلورة مفهوم الثقافة والمعرفة لدى المسلمين ، إذ وفرت لطلبة العلم ممن يصعب عليهم تحصيل الكتب سبل المعرفة ، وسهلت لهم الإرتواء من المنابع العلمية دون تكلفة وعناء . على أن وقف الكتب لم يقتصر على العلماء بل ساهم الأمراء والأغنياء بنصيب وافر في هذا المجال بشرائهم لكثير من الكتب الثمينة ، ومن ثم وقفها على مؤسسات مكة التعليمية والاجتماعية[٤].

ولاشك أن إنتشار الكتب والمكتبات في مكة قد أدى إلى ازدهار تجارة الورق[٥]، وصناعة التجليد[٦]، وشراء الكتب وبيعها[٧]في أسواق تشبه

---

(١) تشير المصادر التاريخية أن التقي الفاسي كان قد أوقف كتبه ، واشترط ألا تعار لمكي ، وأن الناظر تعدى بالمنع لغيرهم خوفا منهم . (انظر التقى ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٢٩٥ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٣ب ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٧ ، ص١٩) .

ومن منع الاستفادة من كتبه ، بل وحتى النظر إليها نجم الدين ابن ظهيره . (انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ) .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩أ،ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٤٤ ؛ ج٥ ، ص٥٠١،١١٦ ؛ ج٧ ، ص١٣٧ ؛ تقي الدين ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٢٩٥ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٤٠ب ، ٩١ب ، ١١٢أ .

(٤) الفاسى : نفس المصدر ، ج٥ ، ص٤ ؛ ج٦ ، ص٢٧٦ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ج٥ ، ص٣٠٧ .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٢أ .

(٦) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤١أ .

(٧) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤١أ ، ٨٥أ ، ٨٧أ .

أسواق المزادات في وقتنا الحاضر . ويبدو أن تجارة الكتب في مكة قد بلغت أوجها في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، وكان لشهرتها صدى بعيداً ، لدرجة أن بعض السلاطين المهتمين بالثقافة والعلم كانوا يرسلون الرسل إلى مكة لشراء المؤلفات الضخمة لكبار العلماء في ذلك العصر(١).

خامسا : الزوايا :

مفردها زاوية وهي في الأصل "ركن البناء" ثم أصبحت تطلق على المسجد الصغير أو المصلى أو الركن من أركان المسجد الجامع ، تعقد فيه الحلقات الدراسية لتحفيظ القرآن ، وتعليم مبادىء الدين . ومنذ القرن السابع الهجرى طرأ تطور على الزوايا ، فصارت تخدم أغراض التصوف في أبنية خاصة منفصلة عن المسجد(٢).

وعلى الرغم من أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي السائدة في مكة في العصر المملوكي ، إلا أن تيار التصوف قد انتشر وشكل على المدىٰ الطويل ظاهرة سيئة على المجتمع ، وعلى الحياة الفكرية ، فقد خلط الناس بين الزهد الذي هو أصيل في دين الاسلام ، والتصوف الذي هو غريب عنه طاريء عليه .

وانقسم الصوفية إلى فرق عديدة ، لكل فرقة شيخها وشعارها وفقراؤها ومريدوها ، وتعاليمها وطريقتها الصوفية وزاويتها ، ويعرف الشيخ بإسم الولي ، ويلتزم المريدون بطاعة شيخهم طاعة عمياء بعد أن يلبسهم خرقة

---

(١) ابن الديبع : قرة العيون ، ص١٩٢،٢٨٥-١٩٣ ؛ يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ق٢ ، ص٦٢٢-٦٢٣ .

(٢) بكري شيخ : مطالعات في الشعر المملوكي ، ص٦٠ ؛ نجاح القابسى : المعاهد والمؤسسات ، ص١٨٤-١٨٥ .

التصوف[١]. وتقام في كل زاوية حلقات لترديد الأناشيد المشتركة ، وقراءة الأدعية الجماعية في مواعيد محددة فزاوية تقيم جلساتها كل ليلة ثلاثاء[٢]، وأخرىٰ في ليلة كل عشر من الشهر[٣]، وثالثة في كل يوم من بعد صلاة العصر إلى المغرب ، وهلم جرا[٤].

وقد قام في مكة بين بعض الصوفية وأهل السنة نزاع حول قضايا فقهية ، وألف كل جانب مصنفا لتأييد موقفه ، وطال الخلاف بينهم ، واضطر العالم الصوفي في النهاية إلى الانتقال إلى القاهرة والسكنىٰ بها لأنه لم يستطع الصمود أمام علماء أهل السنة[٥].

ولايُخفي بعض علماء مكة بغضهم لغلاة الصوفية ، وإن لم يخل الأمر من وجود تلاميذ وأعوان يدافعون عنهم[٦]. وقد حكي عن بعضهم مقالات تدل على الكفر ، فابن سبعين الصوفي أقام بجبل حراء بمكة مدة ينتظر الوحي[٧]، ونسب إليه قوله : لقد تحجر ابن آمنة بقوله : لانبي بعدى!![٨]

---

(١) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٣٥٢ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٧٢أ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر والورقة .

(٤) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١١٣أ .

(٥) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤٨أ .

(٦) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٧١ب ، ١١٤أ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٤ ص٢٣ ؛ البغدادي : هداية العارفين ، ج١ ، ص٥٠٣ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٦١ .
ابن سبعين : هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد المرسى ، كان داعية الإتحاد بعد ابن عربى ، توفى عام ٦٦٩هـ .
(انظر ترجمته فى : فوات الوفيات لابن شاكر ، ج٢ ، ص٢٥٣ ؛ لسان الميزان لابن حجر ، ج٣ ، ص٣٩٢ ؛ نفح الطيب للمقري ، ج٢ ، ص١٩٦).

(٨) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٣٢٩-٣٣٤ .

ويبدو واضحا من تتبع الحقبة التاريخية لذلك العصر أن الوهن بدأ يدب في كيان الأمة ، بفعل عوامل داخلية في مقدمتها سيادة التفكير الخرافي والإيمان بكرامة من يسمونهم بالأولياء واعتقادهم ، وزيارة قبورهم وطلب النذور عندها ، فكثر الدس والتضليل بل والتحريف(١)، ونقل المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة الكثير من الأخبار غير المقبولة أو غير المعقولة دون تثبت من صحتها أو الرد عليها ، كأقوال بعض المتصوفة أنه رأى الرسول صلوات الله وسلامه عليه في اليقظة(٢)، أو أنه سلم عليه(٣)، أو رآه في المنام عدة مرات ، ولبس منه خرقة التصوف(٤)، أو أن الحمى طوع يديه يسلطها على من يريد(٥).

وإن الانسان ليُدهش من تمكن تلك الأفكار من عقول عامة الناس وخاصتهم حتى العلماء!! رغم أن انكارها بديهي ولايحتاج في الغالب إلا للفطرة السليمة ، والفهم الصحيح للإسلام . وبعد فلايجد المرء صعوبة في القول بأن للانغماس في الأفكار الصوفية المنحرفة أثر عميق في اعاقة الفكر ، وميله إلى الركود في تلك الفترة الأمر الذي أدي إلى انتشار كثير من البدع والضلالات .

هذه أهم مظاهر البيئة التي أحاطت النجم وروحه ، وهي وإن كانت مضطربةً سياسيًا ، إلا أنها مزدهرةً اقتصاديًا ، خصبة ثقافيًا ، لمع فيها عدد من الأفذاذ كان نجمنا واحداً منهم .

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٧٠أ ، ١٢١ب ، ١٢٦أ ، ١٣٣ب ، ١٥١ب ، ١٥٧ب ، ١٦٩ب ، ١٧٢أ ، ٢٣١ب .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٨٢أ .

(٣) ابن الوردي : تاريخ ابن الوري ، ج٢ ، ص٤٤٧ .

(٤) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ ، ص١٩٩ .

(٥) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٤ ، ص٤٥٥-٤٥٨ .

الباب الأول

ترجمة النجم ابن فهد

الفصل الأول :

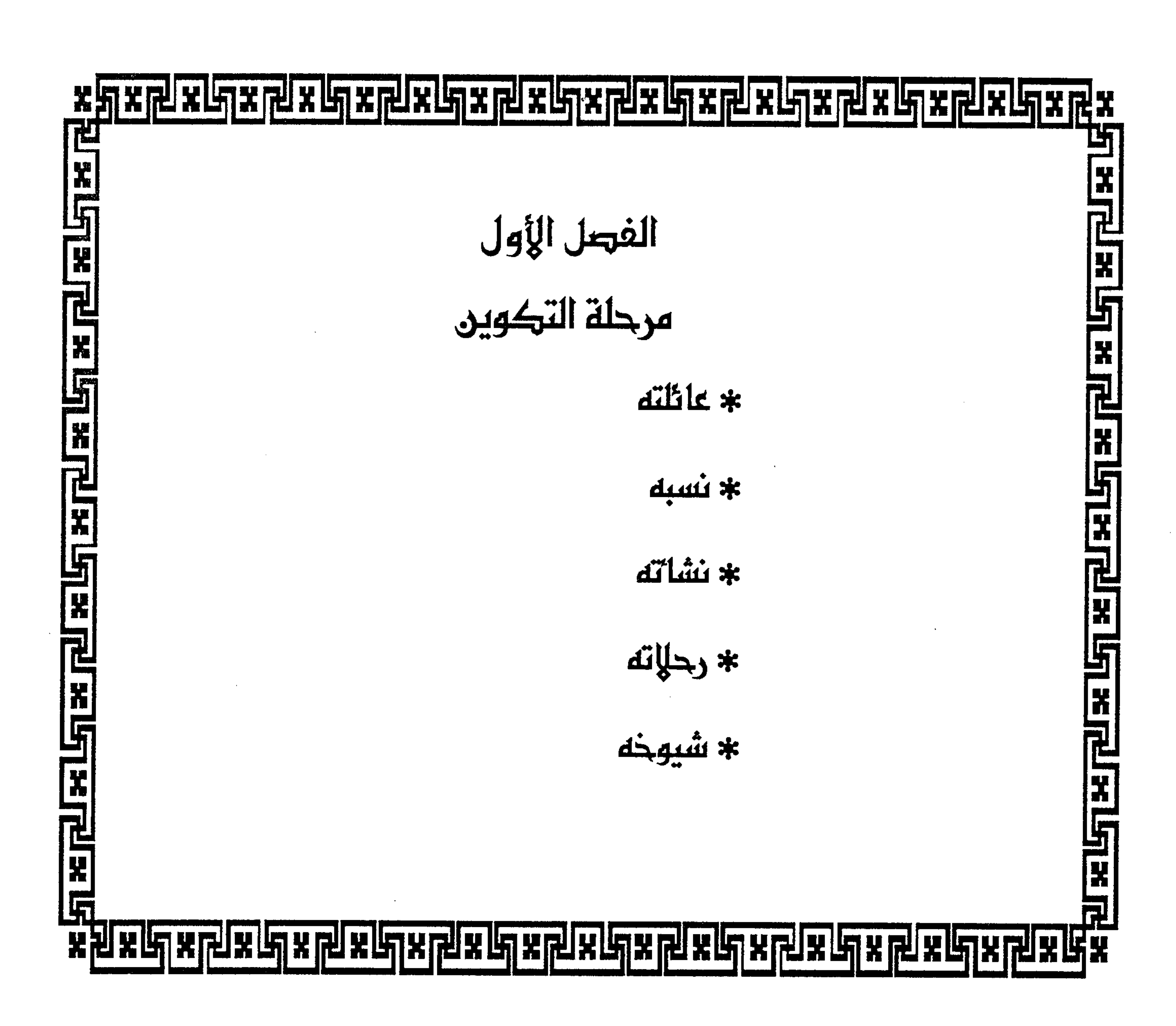
مرحلة التكوين

الفصل الثاني :

مرحلة الإشعاع

الفصل الثالث :

اثاره العلمية



الفصل الأول

مرحلة التكوين

* عائلته
* نسبه
* نشأته
* رحلاته
* شيوخه

عائلته :

بعد تلك الالمامة القصيرة بالحياة التي كانت سائدة في مكة ، ننصرف إلى دراسة حياته ، ونبدأ باعطاء لمحة عن بيئته الخاصة "أسرته" التي هي أعمق أثرا ، وأنجع تشكيلاً ، في تكوين وتشكيل شخصيته ، وتحديد لون دراسته .

وآل فهد الذين ينتسب لهم مؤرخنا عائلة مكية عريقة ، شغوفة بالعلم متضلعة بالثقافة الأصيلة خاصة علمي الحديث النبوي ، والتاريخ المكي والحضاري لأعمال أم القرىٰ وأوديتها ، وقد تركت في ميدان العلوم والمعارف آثاراً محسة ، تدل على غزارة فضلهم ، وتحقيق نبلهم .

وإذا كانت علوم الحديث هي القاعدة الثقافية الأساسية لأكثر رجال هذه الأسرة ، ومن ثم كان التميز والاختصاص بالتاريخ قاسماً مشتركاً للأكثرية هذه ، فقد وجد من بين رجالها عدد من ذوي الثقافات الفقهية والأدبية والنحوية ووجد منهم المهتمون بنقل التراث العلمي وفهرسته ، وتنظيم مادته ، والعناية بحفظ وتجليد المصنفات العلمية المحفوظة لديهم .

على أن استقراء أخبار آل فهد تؤكد أن شيوع علمهم ، وذيوع صيتهم نابع من حياتهم العلمية الحافلة المتألقة ، وأنهم طراز خاص بين علماء عصرهم لم يطلبوا العلم وجاهة ولارياسة ، ولم يتكالبوا على شغل الوظائف الدنيوية ، أو يطمعوا فيها على الرغم من أن الأصل الذي تفرعت منه أسرة مؤرخنا ، كان قاضيا في مكة(١)، وكان توارث المناصب شائعاً فيها في تلك الحقبة .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٧٩-٨١ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٧ ، ص٢٧٦ب ؛ الدليل الشافي ، ج٢ ، ص٦٤٦ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٢٠٧ .

لقد تفاعلت عدة عوامل في حياة آل فهد لتجعل منهم ذلك الطراز الخاص ، وإذا كانت المؤهلات الخاصة هي اللبنات الأولى التي كونت شخصياتهم فإن اعتزازهم بالإنتماء إلى آل البيت كان في مقدمة تلك العوامل إذ يرجع نسبهم إلى محمد الشهير بابن الحنفية بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه . ولانريد هنا أن ندخل في تفاصيل نسبهم إلى هذا العرين السامي ، فلذلك مكان آخر من هذه الدراسة .

أما العامل الثاني فهو الثقافة الدينية التي نشأ عليها آل فهد ، والتي كان منبعها النظرة المثالية للتعليم والعمل به التي حملها علماء المسلمين الأوائل الذين يتعلمون ويعلمون ، ويعملون ابتغاء مرضاة اللّه دون أن يحركهم لذلك دافع مادي ، لقد تركت هذه النظرة بصماتها على سلوكيات آل فهد ، فقصدوا العلم لشرفه والكمال به ، واشتغلوا فيه بهمم علية ، وأنفس زكية ، وفتحوا قلوبهم وبيوتهم لطلاب العلم والمعرفة(١)، واشتهروا بقول الحق لاتأخذهم في اللّه لومة لائم(٢).

أما العامل الثالث : وهو عامل قوي ، ويعتبر حلقة متممة لما سبق فهو المكانة الاجتماعية لآل فهد ، وماتمتعت به أسرة مؤرخنا من ثراء ، وثروات طائلة ، بعضها موروث ، وبعضها الآخر نما عن طريق الإشتغال بالتجارة(٣)وكان لهم في مصر ومكة أملاك وأوقاف ومآثر وإحسان يذكر

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩أ،ب ، معجم الشيوخ المطبوع ، ص٥٨٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨ ؛ ج٩ ، ص٢٨٢ ؛ الشماع : سفينة نوح ، ق١٠٨ب ، ١٦٣ب ، ١٩١ب ؛ الغزي : الكواكب السائرة ، ج١ ، ص٢٢٢ .

(٢) الفاسى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٩أ ؛ اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٤٧،٦٢٢،٦٢١ ؛ ج٤ ، ص٢٧١،٢٦٦،١٤٧ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٥٩أ .

(٣) الفاسى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٤٤،٨٠ ؛ ج٤ ، ص٨٢ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٢أ ، ٩٢أ ، ١٧٤أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٨أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨١ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٣١ .

ويشكر[١]. ولهم رحلات سياحية خاصة للتنزه والإستجمام في بلاد الهند ومصر والشام ، وهي غير رحلاتهم العلمية والتجارية[٢]، ولهم خدم[٣]، وجوار وعتقاء[٤]، كل هذا مع التواضع الجم ، ومحاسن الشيم والكرم ، وسلامة الصدر ، وعلو الهمة ، واظهار الزهد وعدم المباهاة .

لقد حاز آل فهد المجد من أطرافه الدين المتين ، والنسب العريق ، والجاه العريض . ومن الواضح أن بريق هذه الأسرة قد لقى عناية متزايدة من قبل المؤرخين والمهتمين بدراسة ونشر التراث العلمي لجزيرة العرب سواء في المؤسسات العلمية العليا أو في غيرها . وقد تضافرت الجهود لإبراز مآثر المبدعين من هذه الأسرة في مجالات الفكر والعلم[٥].

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ،ب ، ١٣١أ ، ١٩٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨٠أ ، ٢٥٣أ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٤ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٤٨ب .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٥٩أ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٩١أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٦٩ب ، ٢٧٩أ ، ٢٨٢أ .

(٥) نشر معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسلامى في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في المملكة العربية السعودية مصنفين أحدهما : للنجم ابن فهد وهو "اتحاف الورى بأخبار أم القرى" في أربعة أجزاء ، وجزء خامس للفهارس طبعت على التوالى عام ١٤٠٣هـ ، و١٤٠٤هـ ، و١٤٠٨هـ ، و١٤١٠هـ . والثاني : للعز ابن فهد وهو "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام" في ثلاثة أجزاء ١٤٠٦هـ إلى ١٤٠٩هـ . وصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض في المملكة العربية السعودية "كتاب معجم الشيوخ" للنجم ابن فهد ، عام ١٤٠٢هـ ، وطبع نادي الطائف الأدبي في المملكة العربية السعودية "كتاب تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف" لجار الله بن فهد . أما "كتاب لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ" للتقي ابن فهد فهو مطبوع ضمن ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي فى دمشق عام ١٣٤٧هـ . ونشرت مجلة العرب في المملكة العربية السعودية ضمن عدد من إصداراتها كتاب "حسن القرى في ذكر أودية أم القرى" لجار الله بن فهد ، ومقتطفات من مخطوطة "الدر الكمين" للنجم ابن فهد . ونشرت مجلة معهد المخطوطات دراسة للدكتور عبد المحسن المدعج عن رسالة لجار الله بن فهد في فضل جدة وأخبارها . =

وعلى الرغم من المجهود المشكور الذي بذله المؤرخون والمحققون والمعلقون الكرام في الترجمة لآل فهد ، وإبراز المكانة العلمية لهم ، إلا أنه يلاحظ أن هناك قصورًا اعترىٰ جوانب من الترجمة ناتج عن وهم في الربط بين الأخبار الواردة عن هذه الأسرة في المصادر التاريخية ، أو عن تصحيف من النساخ .

فقد ألقىٰ كل من ناصر الرشيد وابراهيم المشيقح ظلالاً باهتة حول مكية آل فهد ، يقول الرشيد فى توطئته : "ومع أن آل فهد عرفوا

= وذلك فى المجلد الحادى والثلاثين ، الجزء الأول ، الكويت ، جمادى الأولى/ شوال ، عام ١٤٠٧هـ/يناير ، يونيو ١٩٨٧م .

وبجانب هذه الكتب والفرش الذي تصدرها من قبل المحققين والمعلقين عن بعض مشاهير آل فهد . هناك عدد من الدراسات العلمية عن آل فهد : أولها بحث للدكتور ناصر الرشيد في (الندوة العالمية لدراسة تاريخ الجزيرة) جامعة الرياض "الملك سعود حالياً" المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٧هـ ، ونشر هذا البحث في مجلة العرب في نفس العام . والثانية : دراسة عن أسرة بني فهد وأثرهم في خدمة الحديث النبوي ، ضمن رسالة للدكتوراه بعنوان "علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي" للباحث صالح يوسف معتوق ، نوقشت في جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٧هـ . والثالثة : كتابة عن تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين لابن فهد" للدكتور ابراهيم المشيقح ، القصيم ، المملكة العربية السعودية ، مطابع المنار عام ١٤٠٨هـ . والرابعة : دراسة عن جار الله بن فهد المكي مؤرخا ، رسالة دكتوراه للباحث ابراهيم المشيقح ، نوقشت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٢هـ . والخامسة : دراسة عن بني فهد وآثارهم التاريخية ضمن كتاب "التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجرى إلى القرن الثالث عشر" للدكتور محمد الحبيب الهيله ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامى ، عام ١٩٩٤م .

بالاضافة إلى ذلك هناك اشارات متناثرة عن آل فهد وتأثرهم بمؤرخ مكة تقي الدين الفاسى ، قدمها الباحث فهد الدامغ في ثنايا رسالته للدكتوراه بعنوان "تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوين التاريخى" ، نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٢هـ . واشارات أخرى عن آل فهد وعلاقتهم بمؤرخ مصر السخاوي ، بين دفتي رسالة دكتوراه للباحث عبد الله الشقاوي وعنوانها "السخاوى مؤرخاً" وقد نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٦هـ .

بالمكيين فإن قصة مكيتهم بدأت حينما جاور جدهم محمد بن محمد بن عبد الله والد التقي ابن فهد في مكة المكرمة ، وذلك أن والد التقي كان يقطن باصفون الجبلين من صعيد مصر بالقرب من اسنا ، وقفا لمآثر آل استحقاقها إليه ، وكان يتردد منها في بعض المواسم صحبة الحاج لمكة ، بحيث كان مولد ابنه التقي فيها ، إلى أن تحول منها في سنة خمس وتسعين وسبعمائة بمكة ، فدام فيها إلى أن مات"(١).

ويقول المشيقح : "وعلاقة آل فهد بمكة المكرمة بدأت عندما هاجر جدهم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد من أصفون الجبلين في صعيد مصر إلى الحجاز سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م فجاور بمكة المكرمة ، وطاب له المقام فيها ، وباستقرار محمد بن فهد بمكة أضيف لقب المكي إلى اسمه ، ثم إلى أولاده من بعده"(٢).

والحق أن آل فهد مكيين أصلا ، وأن أبناء وأحفاد جدهم فهد كانت اقامتهم الدائمة بمكة ، ولم يستوطنوا غيرها من البلاد من مدة طويلة(٣)، وفي

---

(١) ناصر الرشيد : بنو فهد ، ص٦٩ .

(٢) ابراهيم المشيقح : جار الله بن فهد ، ص٥٢ .

(٣) جميع من نسب إلى فهد في أسرة مؤرخنا ولدوا في مكة ، وتوفوا فيها ، عدى أحمد بن محمد بن فهد الذي توفى بمصر عام ٧٦٩هـ كما ذكر الفاسي في العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٤٥ ، وأبو بكر بن فهد المتوفى باليمن عام ٧٩٣هـ . انظر الفاسي : نفس المصدر ، ج٨ ، ص٢٦ ، والتقي ابن فهد الذي ولد باصفون عام ٧٨٧هـ أثناء مقام والده هناك بينما وفاته كانت في مكة عام ٨٧١هـ ، وعبد الرحمن بن فهد الذي ولد بقالقوط في الهند عام ٨٤١هـ أثناء رحلة سياحية لعائلة آل فهد ، وقدرت وفاته في القاهرة أثناء قيامه برحلة علمية في بلاد الشام ومصر ومات وهو حاضر الذهن في طاعون كان بها عام ٨٧٣هـ ، ويحي بن فهد الذي اشتغل بالتجارة وسافر إلى الشام واليمن والروم والهند لهذا الغرض ثم استوطن الأخيرة لمدة عشر سنوات وتوفى عام ٨٤٣هـ . انظر الدر الكمين ، ق٦٢أ ، ٦٣أ ، ١١٥ب ، ١١٦أ ، ١٧٤أ .

هذا يقول جار الله بن فهد : "وسلفي مقيمون بمكة من نحو ثلثمائة سنة"(١) ثم إن والد التقى بن فهد هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله "يعني بزيادة محمد" وإن انتقاله من مكة إلى مصر ، ومن ثم عودته إلى مكة هو الذى له قصة ، وليس العكس ، فوالد التقي بن فهد هذا ولد في مكة عام (٧٦٠هـ/١٣٥٨م) ، وسمع بها وبالمدينة المنورة على عدد من العلماء(٢)، ودخل القاهرة غير مرة ، وسمع من شيوخها(٣). وأجاز له عدة مشائخ من الشام ومصر والإسكندرية(٤).

أما قصة سكنه باصفون فقد سافر إليها عام بضع وسبعين وسبعمائة(٥) للاشراف على مآثر آل استحقاقها من دور وضياع(٦)موقوفة على والدته خديجة ابنة العلامة نجم الدين الأصفوني ، وقطن هناك مدة تزوج فيها ابنة عم جده فاطمة بنت أحمد بن محمد القرشي فولدت له ابنه التقي هناك(٧)، وكان يتردد منها فى بعض المواسم صحبة الحاج لمكة(٨). وأثناء مقامه في أصفون بلغه خبر وفاة أخيه عبد الرحمن فى مكة ، وأن حالهم مضيع فيها بعد وفاته عام (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) ، فعاد بأسرته إلى بلاده مكة عام (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) ، واستوطنها وبنوه كعادة أسلافهم(٩).

---

(١) انظر تحفة اللطائف ، ص١٣٥ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٣٤ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٣١ .

(٣) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٢أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٨أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨١ .

(٦) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ النجم ابن فهد : نفس المصادر والأوراق ، والصفحة ؛ السخاوى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٧) النجم ابن فهد : نفس المصادر والأوراق والصفحة .

(٨) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٩) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، نفس الورقة ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، نفس الورقة .

وممن علق على سكن آل فهد بمصر محمد سعيد كمال إلا أنه ذهب بعيدًا ، وخلط بين إقامة جد مؤرخنا بمصر ، وبين نزوح ذرية جدهم الأعلى إليها قديماً ، فقد جانبه الصواب عندما اعتقد أن الذي سكن باصفون مصر انتقل إليها هرباً من ضيق العيش في الحجاز زمن الفاطميين ، أو فراراً من ضغط العباسيين[1]، ويبدو واضحاً أن الأستاذ الكريم لم تكن لديه نصوص واضحة تسعفه فيرجع إليها ، ويستند عليها ، ذلك أن الاقامة في هذا الموقع بالذات كان لفرد واحد من عائلة آل فهد بأسرته الصغيرة ، ولمدة محددة ، ولأسباب جوهرية ، كما أشرنا إليها في تعليقنا السابق .

هذا وإن كان استنتاجه لفكرة نزوح عائلة مؤرخنا إلى مصر في فترة متقدمة فكرة جيدة ، ومعالجة ربما تكون موفقة ، فهناك حقيقة تاريخية ، يحسن الإلتفات إليها : وهي أن جماعة من ذرية محمد بن الحنفية قد استقرت بمصر[2]، وعليه يمكن أن نقول : لعل بعضاً من ذرية جد آل فهد الأعلى محمد بن الحنفية ، كانوا بمصر ، أما جدهم الأدنىٰ المسمىٰ فهد فإن جميع عقبه استوطن مكة ، وعاش فيها .

ولاأوافق محمد سعيد كمال فيما ذهب إليه من أن الحجاز في القرن التاسع الهجري قد شهد حالة شديدة من العسر والضيق في موارده[3]؛ فالمتتبع لتاريخ الحجاز يلاحظ بما يقطع الشك أن أوضاعه في هذا القرن ، قد حظيت بفترة من الهدوء والاستقرار ، وبنقلة كبيرة في اقتصادياته ، خاصة بعد تبوأ فرضته جدة مكان الصدارة فى الحركة التجارية بين الشرق والغرب الأمر الذى أدى إلى تربع مكة وجدة لعرش التجارة حتى أن عائداتهما التجارية أصبحت مورداً هاماً من موارد الدولة المملوكية ، ولم يكن يعكر صفو الحجاز في ذلك القرن سوى التصرفات اللامسئولة من الأشراف

---

(١) انظر مقدمة كتاب جار الله بن فهد : تحفة اللطائف ، ص٧ .

(٢) انظر كتاب ابن عنبه : عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب ، ص٤٢٩-٤٣٢ .

(٣) انظر مقدمة كتاب جار الله بن فهد : نفس المصدر ، ص٩ .

المتنـازعين على السلطة ، ودخول دولة المماليك كشريك منـافس للتجار طمعاً في الأرباح التجارية ، وتعسف موظفيهم مع بعض فئـات التجار . عدىٰ ذلك فإن الأمور في الحجاز كانت متميزة ، ولو أُحسن استخـدام هذه المرحلة لربما نال الحجـاز مركزاً مرموقاً على جميـع الأصعدة ، ولأصبـح لـه شأن كبير في ذلك الوقت . وعلى كل لعل محمد سعيد كمال يقصد القرن العاشر إذ تنطبق عليه الأوصاف التي أشار إليها .

أمـا حمـد الجاسر فقد استعجـل في نسبة نجم الدين الأصفـوني مختصـر كتاب "الروضة" لآل فهد ، حيث أسماه محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد ، وقال عنه أنه أقدم من عرف من علماء هذه الأسرة(١).

والصحيـح أن نجم الـدين الأصفـوني مختصر كتاب الـروضة في الفقـه لايدعـىٰ محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد ، وأنه لاينتمـى لآل فهد نسباً ، وانما بالمصاهرة ، فهو قرشي مخزومي ، في حين أن آل فهـد قرشيين علويين ، واسمـه عبـد الـرحمن بن يوسـف بن ابراهيم بن محمـد بن ابراهيم القـرشي المخـزومي ، يكنىٰ أبا محمـد ، وأبا القـاسم ، ويلقـب نجم الـدين ، ويعرف بالأصفـوني لـولادته بهـا عام (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) ، وكـان عـالماً بارعـاً في الفقـه والـرياضيات ، ولـه مؤلفات عـن المسـائل الدورية في الفقــه ، وعلمهـا من طريق الجبر والمقابلة وأخرىٰ بالفقه وحده ، منها كتاب المختصر المشار إليه . وكـان عليـه مدار الفتوىٰ في مكـة ، "فرداً في ميدانه حتى قيـل أنه قطـب" ، توفي بمكة عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)(٢).

ونجم الـدين الأصفـونى هـذا هو جد نجم الدين بن فهـد والـد التقي لأمه(٣)، وتدعىٰ خديجة ابنة نجم الدين عبد الرحمن يوسـف بن ابراهيم بن محمـد بن ابراهيم القـرشي المخـزومي الأصفوني وكانت الثروة التي خلفهـا في

(١) انظـر التصـدير الـذي قدم به كتـاب جار اللـه بن فهـد : حسـن القـرى ، ص١ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٤١٥-٤١٨ .
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٣١ .

أصفون ، وأوقفها على ابنته خديجة المذكورة هي السبب في ارتحال نجم الدين بن فهد إليها ، وسكناه بها مدة من الزمن(١).

أما أقدم من عرف من آل فهد فهو جمال الدين محمد بن عبد الله ابن محمد بن فهد قاضي مكة ومفتيها(٢)، وهو جد مؤرخنا(٣)، وبالتحديد هو الجد الثالث في سلسلة نسبه . وكان عالماً في الفقه ، ماهرًا في التجارة ، مشهوراً بالتواضع ، والثراء الواسع ، والنزاهة في الأحكام ، وقول الحق ، وقد ذكر الفاسي نقلا عن بعض معاصريه قولهم : "ولم يخلف بعده ببلده مثله"(٤)، توفى بمكة عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م)(٥).

ولجمال الدين أخ اسمه الحسن بن عبد الله ، له سماع وأجازه جماعة من شيوخ الشام وغيرها ، غير أنه لم يشتغل بالعلم ، وإنما كان يتجر لأخيه الجمال ، ويسافر إلى اليمن لهذا الغرض ، توفى بعد عام (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)(٦).

وللقاضي جمال الدين ثلاثة أبناء وابنة واحدة هي أم كلثوم تزوجها قاضي مكة شهاب الدين بن ظهيره ، أنجبت منه ولدًا وثلاث بنات ، وكانت خيرة ذات عفة وصيانة توفيت بمكة عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)(٧). أما أبناؤه فهم : أحمد المتوفى في مصر عام (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، والفقيه العماد يحي

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٢أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ص٢٥٨أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨١ .

(٢) الفاسي : ذيل التقييد ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ العقد الثمين ، ج٢ ، ص٧٩-٨٠ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٧ ، ص٢٧٦ب ؛ الدليل الشافي ، ج٢ ، ص٢٤٦

(٣) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٢٠٧ .

(٤) الفاسي : ذيل التقييد ، ج١ ، ص٢٤٤-٢٤٥ ؛ العقد الثمين ، ج٢ ، ص٨٠ .

(٥) الفاسي : ذيل التقييد ، ج١ ، ص٢٤٥ ؛ العقد الثمين ، نفس الجزء والصفحة ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافى ، نفس الجزء والصفحة ؛ الدليل الشافى ، نفس الجزء والصفحة ؛ النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٨٢ .

(٧) الفاسي : نفس المصدر ، ج٨ ، ص٣٥١-٣٥٢ .

المتوفى في مكة عام (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) ، ولم يعقبا ، أما ابنه الثالث فهو أبو الخير محمد ، والد نجم الدين محمد وجد التقي والد مؤرخنا ، ومن أبرز مؤهلاته الدين فقد كان مشهوراً بالصلاح والخير(١)، والإنصراف إلى العبادة وقد ذكره الفاسي في كتابه ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، مما يدل على ممارسته لهذا الفن أو معرفته به توفي في مكة عام (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م)(٢).

ومما سبق يتضح أن نجم الدين محمد بن أبي الخير محمد هو حفيد قاضي مكة ومفتيها جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد . ونجم الدين هذا هو الذي سكن باصفون مدة لظروف تتعلق بميراث والدته ، ثم عاد إلى وطنه مكة ، وبقي فيها إلى أن توفي عام (٨١١هـ/١٤٠٨م)(٣).

ولعل من الملفت الإشارة في هذه المناسبة إلى تطابق لقب مؤرخنا مع لقب جده هذا ، فكلاهما لقب بنجم الدين ، وهما نجمان لاثالث لهما في سلسلة نسب آل فهد المعروفة ، والنجم الذي أشار إليه الجاسر من بني مخزوم ، وليس من بني فهد كما أسلفنا .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى مملكة مؤرخنا ، أسرته التي بلورت شخصيته ومفاهيمه ، وإذا أردنا أن نبحث عن العوامل التي ساعدت على نبوغ مؤرخنا ، وبروزه ، نجد أمامنا جملة عوامل أساسية :

نبدؤها بوالدته : معلمه الأول ، وغارسة المناقب الحسان فيه ، فقد ورث من صفاتها الطيبة الشيء الكثير ، واسمها خديجة وتدعى سعادة ابنة عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد . تكنى

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٢٩٦ .

(٢) انظر ص٣٨٣ .

(٣) الفاسي : ذيل التقييد ، ج١ ، ص٤٢٥-٤٢٦ ؛ العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٣٣-٣٣٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٣١ .

بأم الفضل ، ولدت بمكة عام (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) ، وتوفيت فيها عام (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) وكان لها حظ جيد من التعليم ، أخذته عن عدد من شيوخ عصرها في مقدمتهم عمها نجم الدين جد نجمنا ، وأجازها جماعة من المشائخ ذكرهم ابنها النجم والسخاوي(١). وهي من سروات النساء ، أشاد مؤرخو زمانها بطبيعتها الخيرة ودينها وعفافها ، ودماثة أخلاقها ونشرها للسعادة بين أبنائها ، ورعايتها للأيتام والأرامل والفقراء ، فقد كانت تشملهم بكثير صدقاتها ، ودوام إحسانها(٢).

أما دورها في الحياة العلمية فقد كانت سيدة نشطة أفادت بعلمها ، وسمع منها الفضلاء ، وقد تتلمذ عليها مؤرخنا ، فسمع منها جزءاً فيه خمسة عشر حديثاً من السيرة لابن اسحاق انتقاء عبد الرحمن بن محمد المسلي ، وثلاثيات البخاري ، والشاطبية ، والبلدانيات للسلفي ، وجزء أبي نجيد ، وخمسة أحاديث من أول الجزء السادس من الثقفيات ، وقرأ عليها أول مسند الدارمي إلى باب من الرخص في كتاب العلم(٣). وممن سمع منها أيضا السخاوي ، فقد قرأ عليها بلدانيات السلفي(٤).

تلك هي الدوحة العامرة النفيسة التي أرضعته معاني الفضيلة ، والنزعة الإنسانية ، وأولى لبنات العلم .

أما والده فقد ارتقى به سلالم العلم ومجده ، وهو عالم أصيل في فنه ، فرد في ميدانه ، أدىٰ بعمق وتفتح بصيرة دور الأبوة بأسمىٰ معانيها :

---

(١) انظر الدر الكمين ، ق١٩٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٠ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٣١٢ ؛ الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٢٨ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٩٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٠ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٣١٢ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٠ب ، ٨١أ .

(٤) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد[١]. أبو الفضل . ولد باصفون عام (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) أثناء اقامة والده نجم الدين هناك . ثم عاد به والده عام (٧٩٥هـ/١٣٩٢م) إلى مكة فتلقى العلم على جمع كبير من شيوخها وعلى أئمة العلماء القادمين إليها ، وأقبل بكليته على الطلب ، وسافر إلى المدينة المنورة واليمن ، وأخذ بهما عن جماعة من علمائها والوافدين إليهما وأجاز له كبار علماء القاهرة ومصر والإسكندرية وبيت المقدس والخليل ودمشق وحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها .

وكان على الدوام معنيًا بعلوم التاريخ والفقه والحديث ، وانتهت إليه الصدارة في الحديث ، والمعرفة الواسعة بعلومه وأصوله ، فقد برع فيه متنًا واسنادًا ، فعرف العالي والنازل ، وشارك في فنون الأثر ، وكتب بخطه الكثير ، وجمع المجاميع ، واختصر ، وانتقىٰ وخرج لنفسه ، ولشيوخه فمن بعدهم .

ويبدو أن للتقي بن فهد تولعًا بالأدب حيث تنسب إليه أبيات من النظم ، تنم عن وعي كبير لمفهوم الوصاية يقول فيها[٢]:

---

(١) مصادر ترجمته : النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٢أ ، ٦٣ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٨أ ، ٢٦٣ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨٠-٢٨٤ ؛ اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٧٥ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨١-٢٨٣ ؛ السيوطي : نظم العقيان ، ص١٧٠-١٧١ ؛ الشوكاني : البدر الطالع ، ج٢ ، ص٢٥٩ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج٢ ، ص٢٠٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٧ ، ص٤٨ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج١١ ، ص٢٩١ ؛ الكتاني : فهرس الفهارس ، ص٢٧٠ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ج٢ ، ص١٧٨ ؛ والملحق ج٢ ، ص٢٣٥ ؛ ج٣ ، ص٢٦٧ ؛ ناصر الرشيد : بنو فهد ، ص٦٩-٧١ ؛ صالح معتوق : علوم الحديث ، ص٢٩٨-٣٠٤ ؛ الحبيب الهيله : التاريخ والمؤرخون ، ص١٣٧-١٤٦ ؛ حمد الجاسر : مقدمة حسن القرى ، ص١-٣ ؛ محمد زاهد الكوثري : مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٢-٥ ؛ محمد الزاهي : مقدمة معجم الشيوخ المطبوع ، ص١١-١٣ .

(٢) الكتاني : فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص١١٢٥ .

العلمُ ميراثُ النبي كذا أتـىٰ　　في النص والعلماءُ هم وُرّاثهُ
فإذا أردتَ حقيقةً تدري بهـا　　ورّاثـهُ وعرفـتَ ماميراثـهُ
فما أورثَ المختارُ غيرَ حديثهِ　　فينا وذاكَ متاعـهُ وأثاثـهُ
فلنا الحديثُ وراثـةٌ نبويـةٌ　　ولكلِ محدثُ بدعةٍ احداثهُ

وله أيضا فى شاعرية رقيقة قوله(١):

قالت: حبيبةُ قلبي عندما نظرتْ　　دموعَ عيني علـىٰ الخديـنِ تستبـقُ
فيمَ البكاءُ وقد نلت المنىٰ زمنا؟　　فقلتُ : خوفُ الفراقِ الدمعُ يندفقُ

وقد أجاز هذين البيتين شاعر مكة وأديبها قطب الدين ابن عبد القوى ببيت من الشعر قال فيه :

قالت:أَنختكَ وصلي دائماً أبداً　　وعنكَ سلوانُ قلبي ليسَ يتفقُ(٢)

ومن حق التقي علينا أن نشيد بأهمية دوره في إثراء الحيـاة العلمية في بلـده مكـة ، فقد عاش منقطعـاً للعلم تحصيلاً وتدريسـاً وتصنيفـاً ، وانتفـع به خلق كثير من أهل مكة والمجاورين فيها ، ورروىٰ عنه كثيرون مثل ابن عبد الصمد اليمني(٣)، وابن حميد المحلي(٤)، وابن الفالاتي القوصي(٥)، وإمام الكاملية(٦)، وابنه أحمـد(٧)، والأمير ناصـر الـدين الحمـوي المعروف

---

(١) النجـم ابن فهـد : الدر الكمين ، ق٦٣ب ؛ السخـاوي : الضـوء اللامـع ، ج٩ ، ص٢٨٢-٢٨٣ .
(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر والورقة .
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٥٧-٥٨ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص١٦٠ .
(٥) نفس المصدر والجزء ، ص١٩٧-١٩٩ .
(٦) نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٢٤-٢٢٥ .
(٧) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص٤٢ .

بابن السابق [١]، ومحمد بن أبى شريف [٢]، وابن الشويخ المقدسى [٣]، والسخاوي [٤]، وجلال الدين السيوطي [٥]، وابن المحلي السمنودي [٦]، وابراهيم ابن أبى شريف [٧]، ومدرس الأزهر وخطيبها ابن المحرقي [٨]، وعبد العزيز السينسي [٩]، وعبد الله الحسيني المدنى [١٠]، ومحمد البروماي المعروف بابن الشيخه [١١]، وياسين البلبيسي [١٢]، وغيرهم كثير من سائر الآفاق .

وليس أدل على مكانة التقي العلمية من أن عالماً كابن حجر كان يعتمد على تقييداته [١٣]. أما المقريزي فقد قرأ عليه ، ووصفه بمحدث الحجاز [١٤]، وأثنىٰ السخاوي على تميزه في علوم الحديث بقوله : "وصار المعول في هذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبة عليه وعلى ولده بدون منازع" [١٥]، وترجم له ابن طولون ضمن مشائخه الأربعين [١٦].

ولم تقف جهود التقي على العطاء الذاتي ، وأداء ماتحمله من علم ، بل أسدىٰ أجل الخدمات للطلبة من عشاق العلم والمعرفة حين فتح أبواب مكتبته

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٣٠٥-٣٠٦ .
(٢) الشوكاني : البدر الطالع ، ج٢ ، ص٢٤٣ .
(٣) ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٨ .
(٤) السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٣ .
(٥) النخلي : بغية الطالبين ، ق٩ب .
(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ج٧ ، ص١٦-١٧ .
(٧) ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر والجزء ، ص١١٨ .
(٨) السخاوي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص١٧٢ .
(٩) الغزي : الكواكب السائرة ، ج١ ، ص٢٣٧-٢٣٨ .
(١٠) السخاوي : نفس المصدر ، ج٥ ، ص١٩ .
(١١) نفس المصدر ، ج٨ ، ص١٧٢ .
(١٢) نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢١١-٢١٢ .
(١٣) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٢٩ .
(١٤) نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٣ .
(١٥) نفس المصدر والجزء ، ص٢٨٢ .
(١٦) انظر مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٥ .

الخاصة لهم ، وسهل طرق الإعارة منها سواء "لأهل بلده أو غيرهم من الغرباء من عرف ، ومن لم يعرف ، وهذا شيء لايعرف لأهل بلده ، وأوقف كتبه على أولاده الذكور وأولادهم لتستمر سنة العارية على عادتها"(١). لقد تساهل التقي في اعارة كتبه طمعًا في الثواب ، رغم علمه بأن بعض الكتب التي يعيرها قد لاتعود اليه ، يقول في ترجمة محمد بن موسى المراكشي المتوفى عام (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) "احتمل جملة كتبه إلى زبيد ، فلما عزم على الحج تركها عند زوجته فمات بمكة بعد قضاء نسكه ، واستولت الزوجة على الكتب ، وكان استعار مني عدة كتب ، فلولا حسن نيتي ماجمعها الله تعالى على ، وذهبت سائر كتبه شذر مذر ، وذهب جميع ماألفه"(٢).

والجدير بالذكر أن المكتبة التي أوقفها التقي هي أضخم المكتبات الخاصة في مكة ، وتضم الآلاف من نفائس الكتب والمخطوطات(٣). وكان يقوم بتجليد كتبها حفيده يحي ابن مؤرخنا الذي تعلم صناعة التجليد ، وكان ماهرًا فيها فأصلح كثيرًا من كتب أسرته(٤). ومكتبة التقي هذه على جانب كبير من التنظيم والدقة ، وقد حوت فهارس بأسماء الكتب التي فيها(٥).

وقد خص الأديب نور الدين على بن محمد الفاكهي المتوفى عام (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) مكتبة شيخه التقى لما رأى فهارس كتبها بأبيات من الشعر طافحة بالثناء ، مشيرًا إلى عدد مجلداتها يقول فيها(٦):

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨٤ .
(٢) انظر لحظ الألحاظ ، ص٢٧٥ .
(٣) السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٢ .
(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٧٤ب .
(٥) نفس المصدر ، ق٦٣ب .
(٦) نفس المصدر والورقة .

وقفتُ على فهرستِ كتبٍ لشَيخنا
بها ذكرٌ بينَ البريةِ قد فشَا
فألفيتهُا ألفاً وألفاً وثالثاً
وذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ منَ يشَا

وقد نمت مكتبة التقي واتسعت بسبب ماكان يضاف إليها من كتب ثمينة ألفها أبناؤه وأحفاده ، وبسبب ماأداه هؤلاء من خدمة كبيرة لمكتبتهم عن طريق إمدادها الدائم بأمهات الكتب والمصادر القديمة التي ينسخونها بخطوطهم التي امتازت بالسرعة والصحة في كثير من الأحيان(١).

وظلت مكتبة آل فهد الموقوفة معلماً بارزاً في مكة قرابة قرنين من الزمان ، يقصدها العلماء والأدباء وطلاب المعرفة ، ينهلون من معينها المبذول صنوف العلم ، ويستعينون بمصادرها في تصنف مؤلفاتهم(٢).

وعلى كل فقد تبينت محصلة تلك الثقافة لدىٰ التقي في بلورة مفهومه التربوي واعتنائه بأبنائه بشكل ملفت للنظر ، وقد برز دوره في حياة كل منهم ، وكان شغفه بالعلم وتولعه فيه قد جعله يتخذ جملة من التدابير التربوية لغرس حب العلم في نفوسهم ، وإيقاد جذوة أمله في مستقبل علمي مشرق لهم . والمتابع لتراجم أبنائه يرىٰ اهتمامه الشديد بتعليمهم ذكوراً واناثاً منذ صغرهم ، فقد حرص على اصطحابهم معه في حلقات العلم ومجالسه واستجاز لهم شيوخ العلم في مكة والواردين إليها ، وراسل كبار علماء عصره يسألهم الإجازة له ولأبنائه بأسمائهم ، وإلى جانب ذلك كان هو المعلم

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٤٣ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٤ب ٨٥ب ، ٩٧أ ، ١٦٢أ ، ١٧٤ب ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٥٢ ؛ ج٤ ص٢٢٤ ؛ ج٦ ، ص١٢٨-١٢٩ ؛ ج١٠ ، ص٢٣٩ ؛ ج١١ ، ص٩٢ .

(٢) الشماع : سفينة نوح ، ق١٦٣ب ، ١٩١ب .

الدائم الصحبة لهم ، يأخذ بأيديهم ، ويشجعهم على القراءة والحفظ ، ويؤلف لهم "خاصة" الكتب المبسطة التي تساعدهم على الفهم ، ولذلك ظهرت نجابتهم وهم في مقتبل العمر ، وقرت عينه بهم صغارًا وكبارًا ، وكانوا مبعث فخر له في مجالسه(١).

ويلاحظ المتتبع لمؤلفات التقي الصلة الوثيقة بينه وبين عدد من أمراء مكة ، فقد اختص بحسن بن عجلان وأبنائه بركات وعلى وأبى القاسم ، وخرّج لكل منهم مصنفًا خاصًا به من مروياته يحتوى على أحاديث وقصص وأشعار(٢).

على أن حياة التقي كانت مثالاً حياً للنهج المتوازن ، فهو مع اهتمامه بالعلم وتصديه لنشره والتأليف فيه ، لم يغفل حتى آخر عمره عن القيام بما يهمه من أمر عياله ، ولم يشغله ذلك عن كثرة الطواف والصيام ، والبر بأقاربه ، وذوي رحمه ، وبذل همته مع من يقصده ، وكثرة تواضعه(٣).

ومن مناقب التقي مكتبته الموقوفة التي زادته سؤددًا وذكرًا جميلاً طبق الأرض خبره ، وسبيلاً أنشأه بالسويقة عام (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) ، وأوقف عليه دارًا ومتجرًا بالسويقة لضمان استمرار منافعه ، وله صدقات وأعمال بر أخرى على الفقراء والمنقطعين . ولشاعر مكة الأديب قطب الدين بن عبد القوى أبيات من الشعر في السبيل الذي أنشأه التقي يقول فيها(٤):

---

(١) الفاسي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٤٣-٣٤٤ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ، ص٧ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٤٧ب-٤٨ب ، ق١٥٩أ ، ١٦٢أ ، ١٩٩ب-٢٠٠أ ، ٢٢١ب-٢٢٢ب .

(٢) انظر أسماء هذه المصنفات ص٨٧،٨٩،٩١ من هذه الدراسة .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٣ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب .

سَلْ سَبِيلاً إلىٰ سَبِيلِ ابنِ فَهدٍ   واشربْ منهُ سَائغاً سَلسَبِيلا
وَسَلِ اللّهَ لِلمُسبّلِ عفْواً   وَجزاهُ الإلهُ أَعظَمَ سُؤْلا
وَاحمَدِ اللّهَ ثُمّ صَلِ علىٰ مَنْ   جاءَ لِلناسِ مُنذِراً وَرَسُولا

وأثنى نزيل مكة محمد بن قاسم السيوطي المتوفى عام (٨٦٦هـ/١٤٦١م) على أفضال التقي فقال(١):

سَلامُ اللّهَ مِنْ عَبَدٍ فَقِيرٍ   عَلىٰ التَقَوي ذُخَري وَاعتَقَادي
جَزَاهُ اللّهَ عنّا كلَّ خَيرٍ   بحضرَتهِ إلى يَومِ التنَادي
فَكم مِنْ مِنةٍ مِنْ بَعدِ أُخرَىٰ   لهُ وَصَلتْ إلينا مَعْ أيَادي
سَألتُ اللّهَ يُبقِيهِ زَمَاناً   كَذَا وَلدَاه ذُخَري وَاعتِقَادي
وَيحرُسَهمْ وَيشمَلَهمْ بحِفظٍ   عَلىٰ رَغمِ الحَوَاسِدِ وَالأعَادي

وإلى جانب تلك المآثر العامة ، أوقف التقى داراً على شقيقه عطية وأولاد أخيه(٢)، وداراً على مستولدته يهب الله الحبشية(٣).

وأسدل الستار على حياة التقي ، وهو مواظب على الإشتغال والإشغال وافادة الطلبة ، حتى في مرض موته ، كان أمامه عمل جليل لابد له أن يتمه وهو مطالعة كتب تلميذه السخاوي التي عرضها عليه أثناء مجاورته بمكة عام (٨٧١هـ/١٤٦٦م) ، وقدرت وفاته في يوم السبت سابع ربيع الأول من العام نفسه ، وكان السخاوي ممن شهد الصلاة عليه ودفنه(٥).

---

(١) نفس المصدر ، ق٤٣أ "لفظ اعتقادي فيه مبالغه ، وخروج عن الألفاظ التي ينبغى أن يخاطب بها العبد" .
(٢) نفس المصدر ، ق٦٣أ ، وانظر ترجمة عطية في معجم الشيوخ المخطوط ق١٢٧ب-١٢٨ب .
(٣) نفس المصدر والورقة ، وانظر ترجمة مستولدة والده في نفس المصدر ، ق٢١٣أ .
(٤) انظر الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٨٣ .

وقد خلَّف التقي ثروة ضخمة من المؤلفات التي صنفها نورد منها مايلى:

- الإبانة بما ورد في الجعرانة(١).
- خرج الأربعين الموافقات لبعض معاصريه(٢). يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي(٣).
- الإشراف على الجمع بين النكت الظراف ، وتحفة الأشراف ، يوجد نسخة مصورة على ميكروفيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية(٤).
- الأنساب المجموعة في حمولة بني فهد ، ومن يلتحق بهم من القرابة(٥).
- إرشاد المهتدين لمشائخ ابن فهد تقي الدين ، جمع فيه مشائخه بالسماع والإجازة ، ومعجم هذا الكتاب من جمع ابنه النجم(٦).
- اقتطاف النور مما ورد في ثور ، جمع فيه الأحاديث والأجناس الواردة في جبل ثور(٧).
- البدور الزواهر مما للمختار وعترته من المفاخر ، خرج فيه جزء من مروياته لأمير مكة أبي القاسم بن حسن بن عجلان(٨). توجد منه نسخة بمكتبة الحرم المكي(٩).

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦٠أ،ب ؛ جار الله بن فهد : نيل المنى ، ق١٢٧ب .

(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٧ب ، ق٢٢٢أ .

(٣) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم ، رقم ٤٤١ حديث .

(٤) فهرس المخطوطات المصورة ، رقم ٥٠ حديث ومصطلح .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب .

(٦) نفس المصدر ، ق٦٣أ .

(٧) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦٠أ،ب ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٨) العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٤٩٨ .

(٩) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي رقم ٤٤١ حديث .

ـ بشرىٰ الورىٰ بما ورد في حراء(١).

ـ بغيـة الطالب الفالح في مشيخة قاضي طابه أبي الفتـح بن صالح(٢). يوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٨٠٥د .

ـ بغية الطلبة والمستفيدين من حديث شيخ الإسلام ابن الجزري شمس الدين : وفيه تخريج لمروياته في فضل يوم عرفة(٣).

ـ بهجة الدماثة بما ورد في فضل المساجد الثلاثة(٤).

ـ تحفة الراغب وبغية الطالب : فيه مرويات التقـي ووالده نجم الدين ابن فهد(٥).

ـ تحفة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء(٦).

ـ تحفة المهتدي لشيخه المرجاني والمرشدي(٧)، ولعلها مشيخة المرجاني ومشيخة الجمال المرشدي التي ذكرهما السخاوي في ترجمتهما(٨).

ـ تحفـة الوارد وبغية الـرائد : خرج فيه مرويات جمـال الـدين محمد الزمزمي ومرويات غيره(٩). يوجد منه نسخة بمكتبة الحرم المكي(١٠).

ـ تقريب البعيد مما ورد في يوم العيد(١١).

ـ الجزء المبين بما ورد عن الصادق الأمين(١٢).

---

(١) النجـم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطـوط ، ق٢٦٠أ،ب .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٦٣٢ .

(٣) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٧ب .

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٥) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب ، ٢٦٠أ .

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٧) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨٨أ،ب .

(٨) انظر الضوء اللامع ، ج٧ ، ص١٨٢،١٨٤ .

(٩) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٢٢أ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ، ص٨٨ .

(١٠) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكى رقم ٤٤١ حديث .

(١١) النجـم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجـم الشيـوخ المخطـوط ، ق٢٦١ب .

(١٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦٠أ .

ـ الجنة بأذكار الكتاب والسنة ومختصراته[١].

ـ الجواهر الفاخرة المتجمعة فيما قرأه التقي بن فهد وسمعه . وقد فهرس لهذا الكتاب ابنه النجم[٢].

ـ الدرر السنية والجواهر البهية من الأحاديث النبوية ، والأخبار المروية[٣].

ـ الدرر العوالي والجواهر الغوالي : خرج فيه أربعين حديثاً ، يتلوها أربعون حكاية ، وأربعون قصيدة شعرية من مروياته لأمير مكة على بن حسن بن عجلان[٤].

ـ الدرر الفائقة والأخبار الرائقة : خرجه من مروياته في بعض شرف المصطفى ، وفضائل آل البيت ، مع حكايات وأناشيد ، لأمير مكة بركات ابن حسن بن عجلان[٥].

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦٠أ ؛ الدر الكمين ، ق٦٣ب ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ .

(٣) الحبيب الهيله : التاريخ والمؤرخون ، ص١٤٠ .

نسب بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي هذا الكتاب لابن فهد الهاشمي هكذا بدون تحديد ، وأشار أنه ألفه لأبي المحاسن يوسف مفتش جيش الخليفة الفاطمي العاضد ، وذكر أنه محفوظ بباريس رقم ٨٢١ (انظر ج٦ ، ص١٨١) . ويبدو أن كلام بروكلمان فيه خلط وتوهم لأن العرض الذي قدمه الهيله لهذا الكتاب المخطوط يفيد بما لايدع مجالاً للشك ، نسبتها للتقي ابن فهد ، وأن أبا المحاسن يوسف هو ناظر الخواص والجيوش في الدولة المملوكية . وكان هدف التقي من تأليفها الاشادة بالأعمال الجليلة التي قام بها أبو المحاسن المذكور في مكة وينبع ، وترغيبه في عمارة مسجد الخيف بمنى .

انظر الحبيب الهيله : نفس المرجع ، ص١٤٠-١٤٢ ؛ وانظر ترجمة أبي المحاسن يوسف فى الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص٢٩٤-٢٩٧ وفيها تأييد لكثير من المعلومات التي عرضها الهيله عن المخطوط .

(٤) العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٤٨٨ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص٣٩٣-٣٩٤ .

ـ رسالة تشتمل على تراجم المكيين والمدنيين الذين أخذ عنهم أحمد ابن خليل اللبودي . يوجد منها نسخة بدار الكتب المصرية(١).

ـ رسالة تشتمل على عدة اجازات لبعض أفاضل القرن التاسع(٢).

ـ الزوائد على حياة الحيوان للدميرى(٣).

ـ سيرة الخلفاء والملوك(٤).

ـ طرق الإصابة بما جاء فى الصحابة(٥).

ـ طرق السلامة من مشيخة الفقيه على بن سلامة(٦).

ـ عمدة المنتحل وبلغة المرتحل : وهو في الحديث المسلسل بالأولية بجميع طرقه ، والكلام عليه ، والأشعار المتصلة اليه(٧).

ـ غاية القصد والمراد من الأربعين العالية الإسناد(٨).

ـ غنية المريد وبغية المستفيد(٩).

ـ فهرسة الجمال أبى حامد بن ظهيره(١٠).

ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ : كتاب مطبوع مع تذكرة الحفاظ للذهبى وذيوله .

ـ مختصر أسماء الصحابة(١١).

---

(١) فهرس المخطوطات رقم ١٧٥ مجاميع م .
يرى صالح معتوق أن هذه الرسالة ليست للتقي ، وإنما هي من تأليف اللبودي . انظر علم الحديث فى مكة ، ص٣٠٣-٣٠٤ .

(٢) فهرس المخطوطات رقم ١٧٥ مجاميع م .

(٣) السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٤) الشوكاني : البدر الطالع ، ج١ ، ص١٣٥ .

(٥) البغدادي : ايضاح المكنون ، ج٢ ، ص٨٤ .

(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ج٥ ، ص١٨٣ .

(٧) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦١أ ، ٢٦٢ب-٢٦٣أ .

(٨) نفس المصدر ، ق٢٦٠ب ، ٢٦١أ .

(٩) نفس المصدر ، ق٢٥٩ب ، ٢٦٠أ .

(١٠) نفس المصدر ، ق٢٠٧أ ؛ السخاوى : نفس المصدر ، ج٨ ، ص٩٣ .

(١١) الكتاني : فهرس الفهارس ، ص١٥٥ ؛ الحبيب الهيله : نفس المرجع ، ص١٤٤ .

ـ تخريج جزء من مرويات أحمد العجلي الشهير بابن جميله(١).
ـ تخريج مرويات أحمد بن الضياء الصاغاني(٢).
ـ مشيخة أحمد بن الضياء الصاغاني(٣).
ـ مشيخة أبي السعادات بن ظهيره(٤).
ـ مشيخة موسى بن عيسى الزهراني(٥).
ـ المصابيح المشرقة الزاهرة من معجزات المصطفى ومناقب عترته الطاهرة : خرج فيه أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً لأمير مكة حسن بن عجلان(٦).
ـ المنتخب الموصل إلى كفاية المحصل(٧).
ـ المنتقىٰ من الثقفيات(٨).
ـ المطالب السنية العوالي مما لقريش من المفاخر والمعالي(٩).
ـ المنهج الجلي إلى شيوخ قاضي الحرمين السراج الحنبلي : وهو مشيخة عبد اللطيف الفاسي . يوجد نسخة مصورة منه في معهد البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .
ـ النبذ العلية(١٠).
ـ نهاية التقريب ، وتكميل التهذيب بالتذهيب ، ويسمىٰ تأميل نهاية التقريب . في عشرة مجلدات جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبي

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٠أ .
(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٤٧أ .
(٣) نفس المصدر والورقة .
(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٥٥أ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢١٥
(٥) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٧٧أ .
(٦) العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٣٥٢ .
(٧) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب .
(٨) السخاوي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٢٢٦ .
(٩) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٦١أ .
(١٠) نفس المصدر ، ق٢٦٢أ .

وابن حجر[١].

- النور الباهر الساطع في سيرة ذي البرهان القاطع صلى الله عليه وسلم[٢].

- وسيلة الناسك وأذكاره في المناسك[٣].

وللتقي ثمانية أبناء ثلاثة من الذكور هم محمد وأحمد وعمر ، وخمس من الإناث هن ست قريش فاطمة وعرفت بلقبها ، وأم هاني ست بني هاشم واشتهرت بكنيتها ، وأم ريم ست الأهل ، اشتهرت بكنيتها ، وأم الهدى زينب ، وأم الكرم شعثاء .

وأكبر أبنائه هو محمد ويلقب ببدر الدين ، ويكنى بأبي زرعة ، ولد عام (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، وقد تميز ونبغ في أول عمره ، وكان له فهم وذكاء ، كتب بخطه جملة فوائد حديثية وغيرها ، وجرد رباعيات مسلم ، وجمع مختصراً لمناقب الشافعي ، وكتب معجماً لشيوخه وقد عاجلته المنية حيث توفى في ريعان شبابه وعمره ثمانية عشر عاماً[٤].

أما أحمد فيلقب بمحب الدين ويكنى بأبي بكر ولد عام (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) ، اشتغل قليلا بالحديث ، أخذ عنه السخاوي[٥]، ولازم النساخة ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار كشرح صحيح البخاري لابن حجر مرتين ، وتفسير القرآن لابن كثير ، وتاريخ ابن الأثير ، وشرح

---

(١) التقي بن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٣٣٣ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب .

(٣) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦٠ب .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٤٣-٣٤٤ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج١٢ ص١١١ .

(٥) انظر الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٩٢ .

المنهاج للدميري مرتين(١)، وتاريخ اليافعي ، وتاريخ الفاسي العقد(٢). سافر إلى العديد من البلدان للسياحة والتنزه من ذلك بلاد الهند مرتين ، ومصر والقدس والخليل وغزة والرملة وحمص وحماه وحلب ، توفى بمكة عام (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)(٣).

أما عمر - صاحبنا - فهو أصغر الاخوة الثلاثة ، وسنفرد له مبحثا خاصا .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى أن بنات التقي كن على مستوى عال من الثقافة ، والتدين ، وقد صاهر بهن التقي أكابر الأسر في مكة ذات الصيت والغنىٰ ، والمكانة الاجتماعية العالية . فست قريش تزوجها الفقيه أبو الخير بن أبى البركات بن أبى السعود ابن ظهيره(٤). وأم هاني تزوجها الخطيب أبو القاسم بن أبى الفضل النويري ، ثم طلقت منه وتزوجها كبير القضاه بمكة أبو حامد بن الضياء القرشي ، ولها من كليهما أبناء(٥). أما أم ريم فتزوجها الشجاع عمر بن الرضى بن أبى بكر بن محمد بن عبد اللطيف ابن سالم ثم مات عنها ولها منه أولاد ، ثم تزوجها الفقيه على بن محمد بن أحمد القسطلاني ، وكان من أغنىٰ أغنياء مكة ، ومن المقربين جدًا لأمير مكة ثم مات عنها ، وتزوجها بعد مدة طويلة من امتناعها شمس الدين السكندري الشهير بالقافلي(٦). أما أم الهدىٰ فتزوجت ابن عمها حسن بن

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٤ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٤٨ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٩٤ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٤ب .
(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٨٤ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٤٨ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٩٤ .
(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٩٩ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٩أ،ب .
(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢٢٢ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٩ب .
(٦) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢١٧ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٨ب .

عطية بن فهد[١]. في حين تزوجت أم الكرم الإمام أبا السعادات بن المحب الطبري[٢].

تلك لمحة سريعة عن البيئة الخاصة بمؤرخنا ، وهي بلاشك بيئة صالحة ففي أجوائها العلمية الحافلة ، نشأ عدد من المبدعين يقرنون إلى أعاظم العلماء في كل عصر وآن .

ترجمة النجم بن فهد :

نسبه :

ليس من العسير على المؤرخ أن يكتب وصفا تفصيلياً لحياة مؤرخنا ، فقد تكفل هو نفسه بالترجمة لسيرته[٣]. وقدم لنا مصنفاً ضخماً عن ثقافته ومعلميه[٤]، فضلاً عن أن صاحبه السخاوي قد قدم لنا سيرة مطولة له[٥]، وحسبنا هنا أن نقتصر على ذكر الخطوط العريضة لترجمته فنقول :

هو عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم ، بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد (الشهير بابن الحنفية) بن على بن أبى طالب .

يكنىٰ بأبى القاسم ، ويلقب بنجم الدين ، وبالضياء والسراج والنجم اختصاراً ، وهو بالنجم أشهر ، وقد عرف باسم محمد ، ولعل الذي أسبغ

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٢ ، ص٤٩ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٦٧-٦٨ .
(٣) انظر الدر الكمين ، ق١٥٩أ ، ١٦٢أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩١-١٩٤ .
(٤) انظر معجم الشيوخ المخطوط النسخة المحفوظة بمكتبة خدا بخش بالهند رقم ٢٤٢٩ تاريخ .
(٥) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٢٦-١٣١ .

عليـه هـذا الاسـم هو حبه لعلم الحديث النبـوي ، وتسخير حيـاته لخدمتـه ، واسهاماته البارزة في ميدانه تأليفًا وتحديثاً ، وتيمناً باسم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وتسلسـل نسـب مؤرخنا إلى على بن أبى طـالب ، سقنـاه مـن عدد من المصادر الأصلية ، التي تتبعت نسب آل فهد كاملا ، بصـورة متطابقة ، دونها رجال هـذه الأسرة في أجيال متعـاقبة الجد ثم الابن وابن الابن ثم الحفيـد ، وسجل هذا النسب كاملا في عدد من تراجم شخصيات هـذه الأسرة ، ويأتى في مقدمة تلك المصادر ماكتبه النجم في ترجمة أخيه أحمد في معجم شيوخه المخطـوط الورقة رقم ٤٨أ ، وهـي نسخة قديمة بخط ابن مـؤرخنا عبد العزيز ابن فهـد ، ويرجع تاريخ نسخهـا إلى عام ٩٠٦هـ ؛ ومـاسجله أيضا في ترجمة ابن أخيه محمد بن أحمد بن فهد في مخطوطة الدر الكمين ، ورقـة رقم ١٢ب ويرجع تاريخ نسخهـا إلى عام ٩٣٤هـ ثم قال : "هكذا نقلـت هذا النسب من خط والدي ، وذكر أنه نقله من خط عمر والد العماد يحيى بن فهد"(١). ثم ماأورده السخاوي في ترجمـة جد مـؤرخنا نقلاً مـن خط التقـي بن فهـد في الجزء التاسع من الضوء اللامع ، صفحة ٢٣١ . وأخيراً مـاكتبه حفيد مؤرخنا جار الله في ترجمته الذاتية عن نسبه في كتابه "تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ، ووج ، والطائف" صفحة ٣٣ ، ومقابلته على مـاجاء في الصفحة ١٣٦ من نسب ذرية محمد بن الحنفية في نفس الكتاب .

وقـد يلاحظ القـاريء أن النجـم لم يسجـل نسبـه كـاملا في ترجمتـه الـذاتية عن نفسه سواء في الـدر الكمين أو معجم الشيـوخ المطبـوع ، ومن المؤكد أن طبيعة المنهج الذي سار عليه النجم في تدوين تراجم كتـابيه كان من أهم الأسباب ، فلعله عمـد إلى ذلك بدافع من الاختصـار وعـدم حصول التكرار ؛ فكتاب الدر الكمين بدأ بالمحمدين ، وكانت ترجمة ابن أخيه محمد

---

(١) انظر الدر الكمين ، ق١٢ب .

ابن أحمد أول ترجمة لعائلة آل فهد ، ولهذا سجل نسبه كاملاً هنا ، في حين اختصر النسب في التراجم اللاحقة(١)لبقية أسرته ، حيث اقتصر على ذكر عدد من الآباء والأجداد لايتجاوز الخمسة أسماء في أكثرها . أما كتاب معجم الشيوخ(٢)فقد كان مرتباً على حروف المعجم حسب تسلسلها الهجائي بدءاً بالألف وانتهاءً بالياء ، ولهذا ورد نسب آل فهد كاملاً عند الترجمة لشقيقه أحمد لأنه أول من ترجم له من آل فهد في هذا المصنف ، وتلاه بقية تراجمهم مختصرة النسب اعتماداً على الترجمة الأولى الكاملة .

ويكاد يكون من تحصيل الحاصل أن نشير إلى أن السخاوي قد نهج نهجاً مختلفاً عن النجم فقد سجل النسب كاملا عند ذكره لعميد أسرة آل فهد في القرن التاسع الهجري ، بينما ذكره مختصراً في بقية تراجم الأسرة .

ولعل من المستحب أن نلفت النظر إلى أن سلسلة نسب آل فهد في بعض المصادر التاريخية قد شابها بعض التحريف ، وأن هناك زيادة أو سقطا لبعض رجالها . ويتقدم هذه المصادر مخطوطة الدر الكمين في ترجمة أخرى غير السابقة وهي ترجمة التقي ابن فهد والد مؤرخنا ورد السياق على هذا النحو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي القاسم ابن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي ابن أبي طالب(٣).

والملاحظ أن السياق الآنف الذكر به زيادة وتصحيف ونقص :

---

(١) عدى ترجمة والده التقي حيث ذكر سلسلة النسب ، ولكن بها الكثير من الهنات سنوضحها فيما بعد .

(٢) يلاحظ أن تسلسل النسب الوارد في معجم الشيوخ المطبوع به بعض الهنات ، سنشير إليها فيما بعد ، في حين سلامة السلسلة الواردة فى المعجم المخطوط من الأخطاء .

(٣) انظر النجم ابن فهد : ق٦٢أ .

أما الزيادة : ففى اضافة اسم عبد الله قبل فهد ، وهـذا الاسم في هذا الموضـع لم يرد في المصادر التي اعتمـدناها سابقاً ، وبينـا سبـب اعتمادنا عليها فهي بخطوط أجيال متعاقبة من رجالات آل فهد .

ويبـدو لي أن هـذه الزيادة أضـافها النسـاخ نقلاً عـن الفـاسي [(١)]، ، فالسخاوي عندما ترجم لجد مـؤرخنا ذكر نسبه كاملا بدون هـذه الـزيادة ثم علق بقوله : "كذا بخط التقي ، وزاد الفاسي قبل فهد عبد الله"[(٢)].

ونظراً لأن الفاسي من أوائل من أرخ لتراجم المكيين فقد اعتمده كثير من المعنيين بالتاريخ ، ونقلـوا عنه قديماً وحديثاً ، ولهـذا نجد هذه الزيادة في العديد من المصادر[(٣)]والمراجع[(٤)]التي تناولت تاريخ آل فهد .

ويكفى أن نقول أن جار الله بن فهد حفيد مؤرخنا كان شديد العناية ببيـان نسبـه ، وقـد ساقه كاملا فى كتـابه تحفـة اللطـائف مـرتين ، مـرة عند افتتـاحية الكتاب ، وأخرى فى ثنايا موضوعاته . وقبل أن يسـوقه فى الثانية

---

(١) انظـــر العقـــد الثمين ، ج٢ ، ص٧٩،٢٩٦،٣٣٣،٣٤٣ ؛ ج٣ ، ص١٤٥ ؛ ج٤ ، ص٨٢ .

(٢) الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٣١ .

(٣) وكـــذا زاد عبـد الله قبـل فهـد : ابن تغـري بردي في المنهـل الصـافى ، ج٧ ، ص٢٧٦ب ؛ والـدليل الشـافي ، ج٢ ، ص٢٤٦ ؛ والسيـوطـي في نظم العقيـان ، ص١٧٠ ؛ وأيضـا النجـم ابن فهـد في وفيـات الجزء الثالـث مـن اتحاف الـورى ، ص٢٠٧،٣٠٨،٣١٧ ، ويلاحظ أن جزء النجـم هذا يدخل ضمـن المادة التي سجلها الفاسي ، وكان دور النجم فيها هو تنسيقها على النظام الحولي فقط ، فنقل أسماء الوفيات تماما كما وردت في تراجم العقد الثمين دون تصويب أو تعليق .

(٤) انظـر مقـدمة ذيول تذكـرة الحفـاظ ، ص٢ ؛ ورضـا كحـالـة : معجـم المؤرخين ، ص٢٩١ ؛ وناصر الرشيد : بنو فهد ، ص٦٩ .

قال : "وقد رأيت سلسلة نسبي في عدة مؤلفات الشرف بالتفسير[١] مؤلفات لأجدادي رحمهم اللّٰه تعالى"[٢]. ولم يذكر في كلا الترجمتين هذه الزيادة ، بل هي مطابقة تماماً لما أورده السخاوي وقال إنه بخط التقي ، وهي مطابقة لما جاء في الدر الكمين ترجمة ابن أخيه ، وفي معجم الشيوخ المخطوط اللذين كتبهما النجم .

أما التصحيف الذي ورد في نسخة الدر الكمين فهو في أبى القاسم ، والصحيح القاسم بدون لفظ "أبى" كما ورد في المصادر التي اعتمدناها . وتأكدت لنا صحة ذلك بعد مقابلته بما ورد فى كتب الأنساب[٣]. والقاسم هذا محدث فاضل ، وهو جد العلامة المحدث أحمد بن عبد الله المعاصر لابن حزم صاحب كتاب جمهرة أنساب العرب[٤].

أما النقص : فقد سقط من سلسلة النسب الجدان الأعليان جعفر نجل محمد بن الحنفية ، وعبد الله حفيد محمد بن الحنفية[٥]، والصواب أن يتكرر الاسمان هكذا : "عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر ، كما ذكرت المصادر التاريخية التي عنيت بأنساب العلويين ، وقد ألحقت بعض هذه الكتب بأسمائهم النعوت التالية : "عبد اللّٰه رأس المدري بن جعفر الثاني ، بن عبد اللّٰه بن جعفر قتيل الحرة"[٦].

---

(١) أعتقد أن هنا تصحيف في اللفظ إذ لامعنىٰ لجملة مؤلفات الشرف بالتفسير ، وربما الصحيح هو مؤلفات الشرف بالتفصيل .

(٢) انظر ص١٣٦-١٣٧ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٦٦ ؛ ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص٤٢٩-٤٣٢ .

(٤) ابن حزم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) وممن أسقط هذين الاسمين ابراهيم المشيقح في كتاب جار الله بن فهد ، وأيضا أسقط من سلسلة النسب اسم جدهم القاسم ، كما كرر اسم جدهم الأعلىٰ عبد الله . انظر ص٥١ .

(٦) ابن حزم : نفس المصدر والصفحة ؛ ابن عنبة : نفس المصدر والصفحة .

وعلى أي حال فإنه ليس من المعقول أن تصدر مثل هذه الأخطاء الكبيرة من معلومة يفترض أن تكون من أدق وأوثق المعلومات في الكتاب لاتصالها القوي بمؤلفه ، ويخيل لي أن ماجاء فيها من هنات إنما هو ناتج عن سهو وتصحيف وسقط من قبل نساخ هذا المخطوط ، وهذا هو الأرجح ، بدليل وجود تراجم أخرىٰ سجلها النجم لنسبه في هذا الكتاب ، وفي معجم الشيوخ المخطوط ، وكانت خالية تماماً من الأخطاء ، ومطابقة لما ورد في المصادر التاريخية ، وفي كتب الأنساب .

ومن المصادر التي استبعدت ، ولم تُعتمد في توثيق نسب آل فهد معجم الشيوخ المطبوع لمؤرخنا ، فعلى الرغم من أن مؤرخنا قد سجل في هذا الكتاب نسبه كاملاً عند الترجمة لأخيه أحمد ، إلا أنه يلاحظ أنه سقط من الترجمة اسم جده محمد الواقع ترتيبه قبل فهد في سلسلة نسبهم ، كما حرف اسم أحد أجداده من حسن إلى حسين(١).

والذي يبدو أن السقط والخلط الواقع في هذه الترجمة ليس من قبل مؤرخنا ، وأيضا ليس من قبل ناسخ الكتاب العز ابن فهد ، بل الأرجح أنه ناتج عن أخطاء مطبعية أثناء النشر أو وجود شوائب أدت إلى عدم وضوح النسخة المعتمدة في التحقيق . ودليلنا على ذلك أن نفس الترجمة وردت في معجم الشيوخ المخطوط وهي بخط العز أيضا ، لايوجد فيها مثل هذا السقط أو الخلط .

هذا عن الهنات التي وقعت في سلسلة نسب مؤرخنا ربما سهواً وتصحيفاً من قبل النساخ والمطابع ، أو نتيجة السرعة وعدم التثبت . أحببت أن نجلو عن نضارتها غبار الزمن ، وشوائب الآلات .

---

(١) انظر الكتاب المذكور ، ص٩١ .

وقبل الانتقال إلى موضوع آخر أرىٰ أنه لابد من الإشارة إلى أن السيوطي في كتابه نظم العقيان في أعيان الأعيان عندما ترجم للتقي ابن فهد ساق نسبه إلى على بن أبى طالب ثم ذكر نقلا" عن البقاعي (١)أنهم ينسبون إلى أبى لهب . فقال : "رأيت البقاعي توقف فيه في معجمه من حيث بينه وبين على بن أبى طالب تسعة عشر رجلا" . قال ومن القاعدة التي سمعتها من حافظ العصر ابن حجر ، ونقلها عن قاضي القضاه ابن خلدون في امتحان الأنساب أنه يجعل لكل مائة سنة ثلاثة رجال ، وأنه امتحن بها أنساباً كثيرة من ذوي الأنساب الثابتة فلم تخرم ، وأما غيرهم فلاتكاد تصح فيهم"(٢).

والواقع أنه لاينبغى الأخذ بكلام كل من السيوطي والبقاعي ، فكلا الرجلين له من آل فهد موقف غير عادل . فالبقاعي صحب النجم ابن فهد أثناء رحلته الأولى لبلاد الشام ومصر ، وانتفع به ، إلا أن النجم لم يسلم من أذاه ومناكدته لدرجة أنه امتنع من دخول الإسكندرية رغبةً في عدم مرافقته . وعن علاقتهما يقول السخاوي : "واستمر البقاعي مع إظهار الصلح حاقداً ، وبالخفية مناكداً على جاري عوائده حتى مع كبار شيوخه"(٣).

كما أشار السخاوي إلى كثرة أغاليط البقاعي في الأنساب ، وتصحيفه لها تبعاً لأغراضه ، وفي هذا يقول : "وتعد في تراجم الناس ، وزاد على الحد ، خصوصاً في كتابه : عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ، وملخصه المسمىٰ : عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والتلاميذ والأقران وناقض نفسه في كثيرين ، فانه كان يترجمهم أولا ببعض مايليق بهم ، ثم

---

(١) هو ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفى عام ٨٨٥هـ .
انظر ترجمته في النجم ابن فهد : معجم الشيوخ ، ق٣ب-٤أ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ، ص١٠١-١١١ .

(٢) انظر ص١٧١ .

(٣) انظر الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣٠ .

صار بعد مخالفتهم له في أغـراضه ونحو ذلـك ؛ يزيد في تراجمهـم أو يغير ماكان أثبته أولا"(١).

ثم إن حافـظ بلاد الشام التي ينسب إليها البقاعـي ، الحافظ ابن ناصر الدين ، وصف آل فهد بأنهم من "تاج السلالة العلوية"(٢).

أمـا السيـوطي فقد استفاد مـن التقـي ابن فهد وابنـه النجـم ، ولكنه عندما ذيل على طبقات الحفاظ أغمض حق شيخه التقي ، وأغفل الترجمة له ضمنهـم ، رغـم أنه ترجم لبعـض الحفـاظ المكيين!! الأمـر الـذي أدىٰ إلى استغـراب حفيـده جار الله ، وقيـامه بالتـذييل على سلسلـة طبقـات الحفـاظ لاستيعاب من أهملهم السيوطي(٣).

ثم إن عـدد الـرجال الـذين بين التقـي ابن فهـد وعلى بن أبي طـالب واحد وعشرون رجلاً" وليس تسعة عشر رجلاً" فالسيوطي أسقط بعض الأسماء من سلسلة نسب آل فهد(٤).

وثمة دليـل ثالث : وهو أن ابن حجـر وهو المهتم بتمحيـص الأنساب - والذي استشهد به البقاعي ، ونقل عنه السيوطي - كـان ممن نسب آل فهد إلى البيت النبوي نسبـاً وعلماً(٥). ولـو أنه وجد في نسبهم مايتـوقف عنده لأشار إلى ذلك وبينه .

وهنـاك دليـل رابع : وهـو أن السخـاوي الذي اشتهـر بتعقـب أخبار معـاصريه والنهـش في أصولهـم - ولاسيمـا أهل صناعتـه - لم يشـر إلى هـذا القول حتى مجرد إشارة بسيطة .

---

(١) الضوء اللامع ، ج١ ، ص١٠٥ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٧ .

(٣) انظر نهاية ذيول طبقات الحفاظ ، ص٣٨٢ .

(٤) انظر نظم العقيان ، ص١٧٠-١٧١ ، وقارن بالسلسلة التى أثبتنـاها في نسب النجم .

(٥) انظر السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .

نشأته :

ولد النجم بمكة المكرمة ليلة الجمعة في آخر جمادي الآخرة/أكتوبر عام (٨١٢هـ/١٤٠٩م) وسطع وهجه في بيت كبير لأسرة هي من أكثر الأسر المكية مناقباً وحسباً ، ومن أشهرها علماً وفضلاً(١).

وفي هذا البلد الطاهر كانت نشأته ، وفيها درج ينعم برعاية متناهية من والديه ، اللذين كان لثقافتهما تأثير واضح في شخصيته ، وقد أهله ذلك على نحو تلقائي لمستقبل علمي باهر .

وبكر به أبوه فاستصحبه كثيرًا إلى الحلقات العلمية التي كان يحضرها منذ نعومة أظفاره(٢)، ثم ألحقه بمكتب الفقيه يوسف الدباغ مؤدب الأطفال في المسجد الحرام ، وفي هذا المكتب تعلم التشهد على يد الشيخ موسى المناوي الذي كان يدور على المكاتب في المسجد الحرام يعلم الصغار التشهد(٣).

---

(١) انظر ترجمته في النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٥٩أ-١٦٢أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩١-١٩٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٦-١٣١ ؛ ابن طولون : القلائد الجوهرية ، ق٢ ، ص٤٥٣-٤٥٤ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٧ ، ص٣٤٢ ؛ الشوكاني : البدر الطالع ، ج١ ، ص٥١٢-٥١٣ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٧٩٤ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج٢ ، ص١٧٥ ؛ الملحق ٢٢٥/٢ ؛ الكتاني : فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص٦٦٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٥ ، ص٦٣-٦٤ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٧ ، ص٣١٨ ناصر الرشيد : بنو فهد ، ص٧١-٧٤ ؛ الزاهي : مقدمة معجم الشيوخ ، ص١٤-١٨ ؛ حمد الجاسر : توطئة حسن القرى ، ص٣-٥ ؛ فهيم شلتوت : مقدمة اتحاف الورى ، ج١ ، ص٨-١٦ ؛ صالح معتوق : علم الحديث في مكة المكرمة ، ص٣٠٥-٣١٢ ؛ محمد الحبيب الهيله : التاريخ والمؤرخون ، ص١٤٨-١٥٩ .

(٢) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٥٩أ،ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٢ .

(٣) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٧٧أ .

وقد سارت ثقافته المبكرة على المناهج الأساسية ، فحفظ القرآن الكريم ثم كتاباً في الحديث ألفه له والده ، وكان الفقه والفرائض والنحو والتاريخ من المواضيع المتقدمة التي درسها ، وحفظ أجزاء منها(١).

وزار المدينة المنورة مع والده وهو في الثامنة من عمره ، ومكث فيها قرابة العام ، وحضر في هذه الفترة الحلقات العلمية بصحبة والده ، وسمع فيها بعضاً من كتب والده من لفظه(٢)، كما سمع على مشائخها والعلماء القادمين إليها شيئا من التفسير والحديث وغيره(٣).

ولم يكتف والده باسماعه فقط ، بل استجاز له من عدد كبير من شيوخ الحرمين ، والقدس ، والخليل ، ودمشق ، والصالحية ، وحلب ، وحمص ، وبعلبك ، ومصر ، والإسكندرية ، وزبيد ، وتعز وغير ذلك من البلاد(٤).

وامتلك النجم ذهنية مبكرة النضج ، وشغف بالقراءة والحفظ منذ طفولته ، وتميز بذكائه اللامع ، وجديته في طلب العلم ، فكان يقصد مجالس الفقهاء ، والعلماء ، يعرض عليهم محفوظاته ويسألهم الإجازة له وهو في العاشرة من عمره(٥).

ونلمس بصورة واضحة مدىٰ تأثره بعلوم الحديث التي فاق فيها والده أقرانه ، وتفنن في استنباط مقاييسها ، وانتقل بها من دور الرواية إلى دور

---

(١) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٥٩أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٢ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٢٠ب ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٦ .

(٢) انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٠أ،ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٢ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٠ب ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٣ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٧ .

(٥) انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣٥ب ، ٤٧أ ، ١٠٣أ ، ١١٧ب ١٢٥أ ، ١٣٠ب ، ١٣٢ب .

الـدراية ، وتفـرغ لها تدريسـاً وتدويناً ، وبحكم هذا الانتمـاء ارتبـط النجم بهـذا العلم ، وأقبل بكليته على الـدراسة فيه ، والحرص على الإكثـار من لقاء الشيوخ والأخذ عنهم .

ولايزال يدأب حتى برع في فنــون ، وتخرج بوالــده ، وواظــب على السمـاع منـه ، والقراءة عليـه ، ومـن يطالع المادة العلميـة التي تلقـاها عن والـده في مخطوطة معجم الشيـوخ ، يلاحظ باكبار قدرته العجيبـة على اتقان المعـارف ، وحفظهـا ، وتسجيلهـا بدقة متناهية ، وعلى نحو رائع بديع ، فهـو يذكـر تاريخ السمـاع أو القـراءة ، ويوضـح إن كان ذلـك بلفـظ والده أو بلفظـه هو ، ويذكر أسماء الكتب ، وأسماء مصنفيها ، وعـدد مجالس السماع من الأمهات أو المطولات ، ومقدار سماعاته على مدار العـام ، ثم ينتقل إلى العام الذى يليه ، ويتدرج فى مقدار المادة التي يأخذها بحسب سنه ، من سن الثامنة ، وحتى الثالثة والعشرين من عمره(١).

وعلى العمـوم يمكن القول انه مـن خلال هذه الترجمـة يستحق التقى ابن فهـد أن يلقب عن جدارة بالمؤسســة التعليمية والجامعـة المتخصصـة التي تخرج منهـا النجم ، فهو المربي الحصيـف ، وهو المعلم الـذي يشهد له الجميع بطول البـاع ، وأصالة التفكير .

رحلاته :

وشاق النجم ماكان يشوق وصفاءه من طلاب الحديث ، شـاقته الرحلة في طلبـه ، ولقاء رجاله ، والاستفـادة منهم ، والاحاطـة بشئونهم ، لما لذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الاسناد ، وقدم السماع .

واتخذ قـرار السفر في عام (٨٣٥هـ/١٤٣١م) ، وكـان سنـه آنذاك ثلاثة وعشـرين عاماً ، ويلاحظ أنه لم يترك مكـة إلا بعد أن أكتمـل له الأخذ عن

---

(١) انظر النجم ابن فهد : ق٢٥٩ب-٢٦٣أ .

والـده ، والتلقـي عن عدد مـن مشـاهير بلده . بمعنى أن قـراره بمتـابعة رحلة الطلب يمكن أن نصنفه بمرحلة الدراسات العليا .

وبعـد انتهاء موسم الحج من نفس العام رحل النجـم في صحبة الركب المصـري ، فدخل المدينة المنورة ، وأقام بها ثلاثة أيام ولم يسمـع بها شيئا ، ثم استأنف رحلته إلى القاهرة فدخلها في الرابع والعشرين من شهر محرم عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م)(١)، وهو متفتح الأمل بعيد الطموح ، فقد كانت القاهرة في ذلـك الـوقت محط رحال العلمـاء ، ومـركزاً من أكبر مراكـز العلم في العـالم الاسلامي فاتصل بعلمائها الأعلام ، وتفقه عليهم كشهـاب الدين الواسطي ، والبدر البوصيري ، والزين العقبي . ولازم أثناء مقامه فيها شيخ الإسلام ابن حجـر وتتلمذ عليه ، وتدرب به ، وأخذ عنـه الكثير ، وبقـي بالقـاهرة أكثر من سبعة أشهر(٢).

وفي رمضان من العام نفسه يمم وجهه شطر قطر آخر وهو بلاد الشام ، وكانت هي الأخري تزخر بمشاهير العلماء الذين تشد إليهـم الرحال ، وكان في أثنـاء اقامته بالشام يتنقـل بين مدنها ، ويجتمع بشيـوخها ، فانتفع بالعلامة الحافظ ابن ناصر الدين وحمل عنه ، وسافر معه إلى حلب حيث التقىٰ بكبير علمـائها في ذلك الوقت البرهـان الحلبي ، ثم قفل راجعـاً إلى القاهرة بعد أن سمـع بغـزة والخليـل والقـدس والـرملة وبعلبك وطـرابلس وحمـاه ودمشـق وغيرها(٣).

وفي أواخر العـام عاد إلى الشـام في طلب الاستزادة مـن العلم ، وقصد شيخـه البرهـان الحلبي ، لكـونه لم يبلـغ غرضه منه في المرة الأولى ، وعـرف

---

(١) السخاوى : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٧ .

(٢) النجـم ابن فهـد : الدر الكمين ، ق١٦٠ب ؛ معجـم الشيوخ المطبـوع ، ص١٩٣ ؛ السخاوى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) النجـم ابن فهـد : الـدر الكمين ، ق١٦٠-١٦١أ،ب ؛ معجـم الشيـوخ المطبـوع ، ص١٩٣-١٩٤ ؛ السخاوى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

البرهان له نبوغه وفضله ، فأكرم وفادته ، وأنزله ببيت ولده أبي ذر ، وبقي في كنفه أكثر من شهرين ، عكف فيها على الاستفادة منه ، وحصل مقدارًا جيدًا من العلم عنه(١).

ثم شرع بالتطواف مرة أخرى ، وزار عدداً من مدن الشام ، وطوف في معظم مدن مصر وضواحيها فسمع بمدينة أشموم الرمان ، ودمياط ، والمنصورة ، وسمنود(٢)، والمحلة الكبرى(٣)، والنحراوية(٤)، ودسوق ، وفوه(٥)، ودمنهور وغيرها .

واهتم النجم في تنقلاته بمطالعة الكتب اهتمامه بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم وحرص على نسخ أعداد كبيرة من المخطوطات عن حافظ عصره ابن حجر ، وغيره من العلماء في مصر ، وكذلك كتب الكثير ببلاد الشام وغيرها(٦).

واستمر النجم في تطوافه بين مدن الشام ومصر مدة طويلة امتدت حتى عام (٨٣٨هـ/١٤٣٥م) ، حتى إذا شعر بالامتلاء التام عاد إلى وطنه مكة صحبة الحاج في موسم هذا العام ، وواصل أخذه عن علماء بلده ، والعلماء الوافدين عليه شيوخاً وشيخات(٧).

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٩أ-١٠أ .
(٢) مدينة أزلية على ضفة النيل جهة دمياط . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٥٤ .
(٣) من المدن المشهورة في مصر ويقال لها محلة شرقيون . انظر ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج٥ ، ص٦٣ .
(٤) النحراوية : لعلها النحرارية "بالراء" قرية في مصر بمركز كفر الزيات ازدهرت في عهد السلطان محمد بن قلاوون ثم استولى عليها الخراب من ظلم الولاه . (المنجد في الأدب والعلوم ، ص٥٣٢) .
(٥) فوه : بليدة على شاطيء النيل قرب رشيد ، بها أسواق ونخيل كثير . انظر ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٨٠ .
(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠ .
(٧) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦١ب-١٦٢أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٤ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ .

بعد هذه الرحلة وجه النجم اهتمامه نحو التأليف[١]، ولم يلبث أن عاوده حنين الرحلة ، واجتمع له شوق اللقيا ، فرحل في جمادى الآخرة/ أغسطس عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) إلى القاهرة ، ونهل من معين الأئمة الحفاظ والمسندين مايشفي طموحه ، ورافقه في جميع سماعاته في القاهرة صاحبه الحافظ شمس الدين السخاوي ، ثم رجع إلى مكة ، وفي طريق عودته سمع بعقبة أيلة[٢]، وأيضا ببلده على كوكبه من الرموز المضيئة في سماء العالم الإسلامي آنذاك ، وأكثر في مكة من الأخذ عن الإمام أبي الحسن الإبيِّ ، والعلامة أبي الفتح المراغي ، والمقريء المجود أبي العباس الشوايطي ، والقاضي العلامة أبي الفضل المرجاني ، ولم ينقطع عن مواصلة العلم حتى صار إماماً يشار له بالبنان[٣].

شيوخه :

لقد أغنانا النجم عن تتبع أخباره الثقافية التي تتصل بفنون المعارف ، وأنواع العلوم التي ارتشفها من مظانها العذبة ، بمصنف ضخم حوى عدداً هائلاً من تراجم شيوخه وشيخاته بالسماع والإجازة[٤].

وهذا المصنف لايزال مخطوطاً ، ويضم أكثر من ألف ومائة وثلاث عشرة ترجمة للعلماء والأقران الذين تتلمذ عليهم أو أخذ عنهم ، منها تسعمائة وتسعون ترجمة لشيوخه ، ومئة وثلاث وعشرون ترجمة لشيخاته[٥].

---

(١) انظر التقي ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٣١٢ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٣٠ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٢أ .

(٤) انظر معجم الشيوخ بالسماع والإجازة النسخة المحفوظة بمكتبة خدابخش بالهند ، رقم ٢٤٢٩ ، تاريخ .

(٥) انظر ص٣٥٨-٣٧٥ من هذه الدراسة .

ومـن المؤكد أن عدد شيوخه الذين ترجم لهم في هـذا المخطوط أكثر مما أشرنا إليه بكثير ، فأوراق المخطوط غير كاملة ، وبعضها لحقه العطب التام ، وأخرىٰ بها لطخات ملونة بحيث يصعب قراءة مافيها . إلى غير ذلك من الصعوبات الفنية .

والشاهد على تأكيدنا أن مؤرخ الشام ابن طولون ذكر أثناء ترجمته للحفاظ الواردين إلى صالحية دمشق ، أن شيوخ النجم يزيدون على ألفي شيخ يجمعهم معجمه(١)، وابن طولون قريب عهد بمؤرخنا ، وتربطه علاقة وثيقة بابنه العز وحفيده جار اللّٰه بصفة خاصة فهما صديقان ، ويكن كل منهما للآخر مودة كبيرة(٢)، وكان بينهما مراسلات وتواصل علمي بحيث يكتب ابن طولون إليه وفيات الشام كل عام ، وجار الله يفعل مثله في وفيات الحجاز(٣).

ولاغرابة في أن يتلقىٰ نجمنا العلم عن هذا العدد الضخم من الشيوخ ، فقد كان هذا دأب العلماء في تلك العصور ، يطلبون العلم من المهد إلى اللحد ، وصاحبنا قد اجتمع له في صغره وصباه من السماعات والإجازات مالم يجتمع لغيره ، كما أن حبه للعلم دفعه حتى بعد أن تألق نجمه إلى الإمعان في الدرس والتحصيل ، ويكفي الإستشهاد هنا بما سطره السخاوي عنه بعد رحلتيه العلمية إذ يقول : "وعرف العالي والنازل ، وقمش في طول هذه المدة ، بل وبعدها أيضا عمن دب ودرج ، وأخذ عمن هو مثله ، وممن هو دونه ممن هو في عداد من يأخذ عنه ، ولم يتحاش من ذلك كله ، حتى أنه سمع مني بمكة جملة من تصانيفي(٤)، وحضر عندي ماأمليته بها ، وسلك في

---

(١) انظر القلائد الجوهرية ، ج٢ ، ص٢٥٤ .
(٢) ابن طولون : رسائل تاريخية ، الرسالة الثانية ، ص٢ ؛ مفاكهة الخلان ، ج٢ ، ص٩٣ .
(٣) انظر نهاية ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٣٨٤ .
(٤) يلاحظ أن النجم سمع من السخاوي ، والأخير أصغر منه بنحو عشرين عاماً .

صنيعه هذا مسلك الحفاظ الأئمة ، وصار كثير المسموع والمروي والشيوخ"(١).

وأحسب أن حمد الجاسر سيزداد عجباً لو طالع هذا المخطوط ، وتأمل في عدد شيوخه ، وكان قد تعجب من كثرة العلماء الذين استجازهم النجم في كتابه المطبوع المسمىٰ "معجم الشيوخ" وذكر أنهم يربون على أربعمائة شيخ ، وخمس وخمسين شيخة(٢). في حين ان ذلك المعجم المطبوع لايعدو كونه مختصرا لهذا المخطوط الذي يضم عدداً هائلاً من شيوخه(٣).

والحق أن شيوخ النجم كما أشرنا كثر ، وعلومهم متنوعة ، وهم يؤلفون دائرة معارف عصرهم ، فمنهم المحدث والفقيه والمؤرخ واللغوي والأديب ، والشاعر ، وعالم الرياضيات ، والفلك ، والطب ، والمنطق . ومن الصعب في هذه العجالة التعريف بهم جميعاً ولو حتى بذكر أسمائهم لأن ذلك سيتطلب صفحات كثيرة ، وكما أسلفت فقد تكفل النجم بتقديم كتاب قيم في بابه عرف فيه بشيوخه ، وبثقافته التي تلقاها عنهم ، وفي هذا غنى عن ذكرهم هنا .

وحسبنا أن نقول أن من شيوخه الذين أثروا ثقافته وفكره بعد والده نحوي مكة نجم الدين المرجاني المتوفى عام (٨٢٥هـ/١٤٢٤م) ، وتلميذ الحافظ الذهبي ابن طولوبغا المتوفى في العام نفسه ومسند الحجاز ابن سلامة المتوفى عام ٨٢٨هـ ، والمحدث ابن المحب الحنبلي المتوفى في نفس العام ، وخطيب المسجد الحرام كمال الدين ابن ظهيرة المتوفى عام ٨٢٩هـ ، والعلامة المفنن البرماوي المتوفى عام (٨٣١هـ/١٤٢٥م) ، وقاضي مكة وخطيبها محمد النويري

---

(١) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ .
(٢) انظر مقدمة حسن القرى ، ص٤ .
(٣) انظر ملاحظاتنا حول معجم الشيوخ المطبوع ص٣٤٨-٣٥٧ من هذه الدراسة .

المتـوفى عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) ، ومؤرخ مكة الفاسي المتـوفى في نفس العام ، وشيخ القراءات قاضي شيراز شمس الدين ابن الجزري المتـوفى عام (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) ، والعلامـة الـورع ابن زكنـون المتـوفى عـام (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) ، وحافـظ بلاد الشـام البرهـان الحلبي المتـوفى عـام (٨٤١هـ/١٤٣٧م) ، وناظـر الـدواوين الفاقوسي المتوفى في العام نفسه ، وحافظ دمشـق ابن ناصر الدين المتـوفى عام (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) ، والقـاضي ابن خطيب النـاصرية المتـوفى عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) ، ومـؤرخ الـديار المصـرية المقريزي المتـوفى عـام (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ، والمحدث ابن الطحان المتوفى في نفس العام ، والقـاضي ابن زريق المتـوفى عـام (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) ، والقـاضي ابن الفرات المتـوفى عـام (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) ، وشيـخ الإسلام الحافـظ ابن حجـر المتوفى عـام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، ومستمليـه الـزين العقبي المتـوفى في نفـس العام ، والإمـام أبو الحسـن الإبِّيّ المتوفى عام (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) ، والمحدث العلامة أبو الفتـح المراغي المتوفى في العـام نفسـه ، وقـاضي مكة أبو السعـادات ابن ظهيرة المتـوفى عـام (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) ، والمحدث أبو الفضائل المرشدى المتوفى في العـام نفسه ، والقاضي أبو البركات القسطلاني المتوفى عام (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، والعلامة الأديب محمد المرجاني المتـوفى عـام (٨٧٦هـ/١٤٧١م) ...الـخ مـن أهـل الفضـل والعلم ممـا لايتسع المجال إلى ذكرهم .

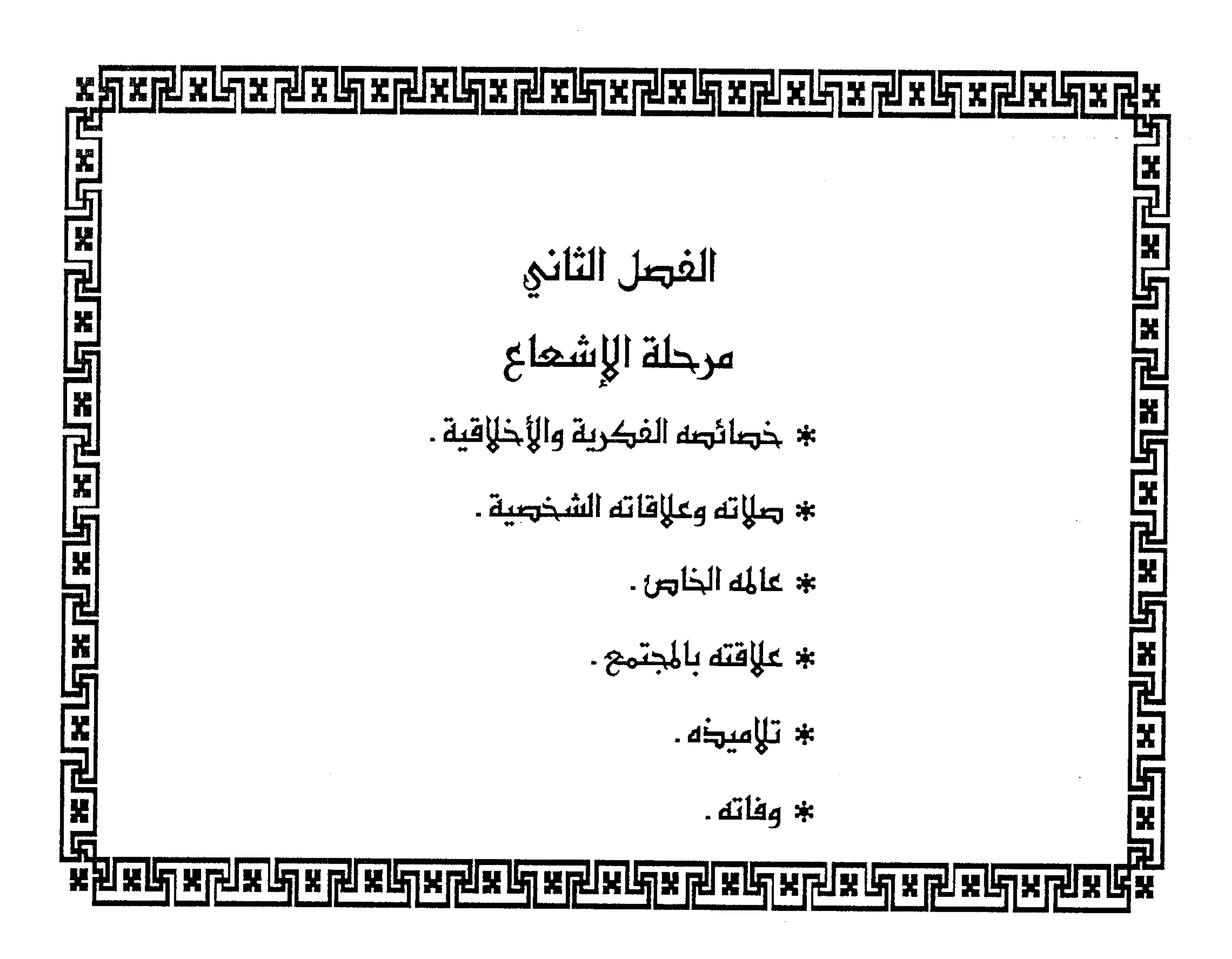
ومـن خصائص النجم في معجـم شيوخه المخطوط أنه كـان يتطرق إلى ذكـر المادة العلمية التي تلقـاها عنهم قراءةً أو سماعـاً أو اجازةً ، وهي مادة مفصلـة تفصيلاً دقيقاً . ويلاحظ أنه تحمـل عن العلماء الـذين التقـى بهم في بلده أو أثناء تجواله ورحلاته العلمية مئات الكتب والأجزاء في فنون شتىٰ ، وإن كان الغالب عليها علوم الحديث النبوي ، كما يلاحظ أنه كثيراً ماسمع أو قرأ الكتاب أو الجزء على أكثر من شيخ ، أو على شيخ واحد في أكثر من مجلـس ، وتحوي مخطوطة معجـم الشيـوخ عـدداً ضخمـاً مـن القـراءات والسمـاعات المتكررة ، وأنواع الإجازات المختلفـة ، والأسـانيد العـالية التي تحصل عليها من شيوخه .

على أنه مـن المفيد أن نشير إلى أن دراسـة النجم كـانت دينية تاريخية أدبية ، ولم يتلق عن شيوخه الذين برعوا في العلوم العقليـة والعلوم البحتة أى دروس في هذه المجالات ، ولكنها ثقافة شيوخه ، ولابد أنه قد تأثر بها ، ونلحـظ هذا التأثر في العديد مـن التعليقات الكيسة على المصنفـات العلميـة لهؤلاء الشيوخ .

والشيء الجدير بالذكر هنا هو أن هناك تحملاً وحيـداً لبعض المصنفات الطبيـة من الطبيب الدمشقي موسى البلداوي الذي ناولـه النجم مؤلفاته في الطب مناولة مقرونة بالإجازة . يقول النجم في ترجمتـه : "وصنف في الطب ناولني في يوم الأربعـاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعين وثمانمائة بزيادة دار النـدوة مـن المسجـد الحرام مـن مـؤلفاته : كتـاب مقنـع الطبيـب في معـرفة التراكيـب ، وكتـاب غـاية الأمنيـات في معـرفة الحميـات ، وكتـاب الجوهـر النفيـس في شـرح أرجوزة الشيـخ الرئيس على بن الحسين بن سينـاء منـاولة مقرونة بالإجازة لها ولجميع مؤلفاته"(١).

---

(١) انظر ترجمته في المعجم المخطوط ، ق٢٧٥ب-٢٧٦أ .



الفصل الثاني

مرحلة الإشعاع

* خصائصه الفكرية والأخلاقية .
* صلاته وعلاقاته الشخصية .
* عالمه الخاص .
* علاقته بالمجتمع .
* تلاميذه .
* وفاته .

خصائصه الفكرية والأخلاقية :

اجتمعت عوامل عديدة فجعلت سيرة النجم ومؤلفاته جديرتين بالدراسة والاهتمام .

فمصنفاته التاريخية ، قد برزت وتألقت في فترة شهد فيها الحجاز قفزة انتقالية في أوضاعه الاقتصادية ، وتاريخه المحلي المتجه نحو العالمية المؤثرة باعتباره الوسيط المباشر والمهم في العلاقات التجارية بين الشرق والغرب ، وكان النجم أول من نهض بمهمة متابعة هذا الحدث ، ورصد تطوراته بأمانة ودقة ، مع مشاركة فعالة بآرائه وتحليلاته ومناقشاته مستنداً على مايراه من علل ودلائل ، باعتباره شاهد عيان لهذا التطور وللأحداث المصاحبة له .

ولاشك أن تفرده في التأريخ لغالب تاريخ مكة في القرن التاسع الهجرى ، قد أضفىٰ قيمة وأهمية حقيقية للمعلومات التي سجلها عن طريق المعاصرة ، وإدراك الصورة والزمن ، ووجد عنده مالم يوجد عند غيره من استقصاء وشمول للجوانب التاريخية والحضارية .

واتفق نشاطه الفكري في حقبة شهدت حدوث تغيرات بعيدة المدىٰ في خارطة الدولة الإسلامية ، فالمشرق الإسلامي من حدود الهند شرقاً إلى حدود الشام غرباً ، أصبح خاضعاً لسيادة المغول بعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ولمدة تتجاوز القرنين ونصف القرن ، وفي الوقت نفسه بسط المماليك نفوذهم على بلاد الشام ومصر والحجاز بعد احيائهم للخلافة العباسية في مصر ، في حين ظل وسط الجزيرة العربية واليمن عربيان ، وعاشت المغرب عربية بربرية ، بينما الأندلس الإسلامية جريحة تحتضر .

وكان من خصائص هذه الحقبة أنها خلقت وعياً تاريخياً لدىٰ العلماء المسلمين بضرورة حفظ تاريخهم والعناية به ، بعد أن امتحنوا ببطش المغول وعسف الأسبان الذين أبادوا الوجود الثقافي ، وأحرقوا المكتبات في المدن

العامرة ، هذه المآسي التي هزت أعماق المسلمين جعلت العلماء ينكبون على تدوين ماكاد ينمحي من صفحات ناصعة ، ويتتابعون على تدوين المؤلفات التاريخية العامة ، والاقليمية ، والمحلية ، في كل من مصر والشام والحجاز واليمن ، وبلاد المغرب .

وينتمي مؤرخنا للمدرسة الحجازية والتي من أكبر أقطابها مؤرخ مكة الشهير تقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ/١٤٢٩م) صاحب المؤلفات التاريخية الشهيرة(١)، وكانت هذه المدرسة المتميزة تاريخياً وفكرياً ، مؤثرة ومتأثرة بالمد المتواصل بين الحجاز ومصر والشام . ومن المؤكد أن مصنفات الفاسي كانت من أهم الأسباب التي دفعت مؤرخنا إلى الأخذ بفكرة إعادة هيكلة التاريخ المكي في ترتيب منسجم مع الواقع التاريخي ، والتسلسل الزمني ، ومع خاصية الاستمرار في تسجيل الحوادث والأخبار من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى عصر مؤرخنا ، والوقوف بها إلى قبيل وفاته(٢)في تنسيق حي متجاوب الأجزاء ، ومن الملامح البارزة في تأثره تذييله على تراجمه بمؤلف كبير سار فيه على شرطه(٣)، وتتميز أكثر مادته بالأصالة والجدة ، ومتابعة الأحداث المعاصرة ، والنظرة التقويمية السليمة .

ونلمس بصورة واضحة مدىٰ تأثره بالمدرسة الشامية والمدرسة المصرية على وجه الخصوص ، ولعل من أبرز أركان ممثلي هاتين المدرستين : ابن العديم المتوفى عام (٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، والمؤرخ الاقليمي الذى صنف ثروة من الكتب جميعها يتصل ببلدته حلب ، وابن خلكان المتوفى عام (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) صاحب وفيات الأعيان ، والنويري المتوفى عام (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) صاحب التاريخ المشهور موسوعة نهاية الأرب ، والذهبي المتوفى عام (٧٤٨هـ ١٣٤٧م) مؤلف الكتب القيمة في تاريخ الاسلام والطبقات ، وابن شاكر

---

(١) انظر فهد الدامغ : تقى الدين الفاسي ومنهجه ، ص١٤١-٢٢٨ .
(٢) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج١ ، ص٥-٦ .
(٣) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢أ .

المتـوفى عـام (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) صـاحب كتـاب عيـون التـواريخ ، وفـوات الوفيات ، والصفدى المتوفى عام (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) صاحب الـوافى بالوفيات ، وابن دقماق المتـوفى عام (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) الـذي جمـع تاريخاً على الحوادث وآخر على التراجم ، وابن طـوغان المتوفى عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) الـذى صنف فى خطـط مصـر والقـاهرة كتـاباً كبيرا ، والقلقشنـدي المتـوفى عـام (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صاحب موسوعة صبح الأعشىٰ ، وابن خطيب النـاصرية المتوفى عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) صـاحب الذيل على تاريخ حلـب ، والمقـريزي المتـوفى عام (٨٤٥هـ/١٤٤١م) صـاحب المؤلفات التاريخية الغزيرة ، وابن حجـر المتوفى عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) العالم المتميز بفن تراجم الرجال ، وابن الفرات المتوفى عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)المولـع بالتـاريخ الذي صنف فيه مؤلفـاً ضخماً وأبى ذر سبط ابن العجمـى المتـوفى عام (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) صـاحب كنـوز الـذهب فى تاريخ حلـب ، والسخـاوي المتـوفى عـام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) المؤرخ المنهجـي النـاقد .

وكان لمعظم هؤلاء المؤرخين نشاط علمي واسع ، وتلاميذ ملؤوا الدنيا وحظ وافـر عند الخاص والعـام ، ومناصب دينية وعلميـة وإدارية أحاطتهم بهـالة من الشرف . ولعل مـن أبرز أهداف تلك المدارس : سعيهـا المتواصل إلى المزاوجة التاريخية الحضارية بين السياسة والاقتصاد والثقـافة والاجتماع ، وانصـرافها إلى تدوين المجد الإسلامـي ، وإبراز المشـاريع التـاريخية الضخمة للأمة ، وتاريخ مدنها وحضارتها .

وقـد قرأ مؤرخنا آثار المؤرخين الـذين حلق نجمهـم في سماء الصناعة التـاريخية ليقف على مناهجهـم فيها ، واحتل التاريخ المكـي وتفصيلاته حيزاً واسعـاً مـن فكره ، وتولع به ، وصـار التصنيف فيه شغلـه الشـاغل ، فسلط الأضـواء عليـه مـاضياً وحاضـراً ، في وضـوح وسعـة أفـق ، ومعـالجة حيـة للأحداث تاريخيـاً وحضـارياً ، ولم يقتصـر في ذلـك على مصنـف واحد ، بل ألف سلسلة من الكتب التاريخية ، في ثلاث مجموعات يقوم بعضها على بعض ويكمل بعضها بعضاً تناولت :

ـ التاريخ العام للبلد الأمين ، وتمثل في كتاب "إتحاف الورىٰ بأخبار أم القرى" .

ـ تاريخ الأسر ذات القيمة والمكانة العلمية الرفيعة ، يقول الشوكاني : "وله في كل بيوت مكة المشهورة بالعلم مصنف"(١).

ـ سير الأشخاص : ويمثله كتاب "الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" ، وهو يضم تراجم أهل مكة ، ومجموعة واسعة من أعيان وعلماء العالم الإسلامى ممن جاور بمكة ، ومن توفى فيها ، ومن تولى بعض المناصب الإدارية والمالية في الحجاز من غير أهلها ، إضافة إلى الترجمة لبعض السلاطين والأمراء الذين امتدت مآثرهم ، وشملت البقعة الطاهرة .

على أن أهم مايميز مؤلفاته تلك : اتباعه لطريقتين أساسيتين ومفضلتين لدى مؤرخي تلك الفترة هما : طريقة الحوليات في التاريخ الاقليمي ، وطريقة التراجم ذات التسلسل المعجمي في التاريخ الخاص بالأسر والأشخاص .

وكان من أقوىٰ الاهتمامات التي استحوذت على فكر النجم تاريخ الحركة الفكرية الإسلامية ، وعلاقات رجالاتها بعضهم ببعض ، فخص أهل العلم في عصره رجالاً ونساءً بنصيب وافر من عنايته ، وألف وجمع وخرج الكثير من المعاجم والمشيخات لشيوخه وشيخاته ولشيوخ شيوخه ، وشيوخ أقرانه ، ونسخ الكثير من الكتب والأجزاء ، وعلق فوائد حديثية وغيرها(٢).

وخلف في هذا المضمار عدداً ضخماً من المؤلفات ، وتفنن في مقاييس اخراجها بدقة متناهية في اختيار الألفاظ ، وحيوية التعبير ، وحبك الترجمة

---

(١) البدر الطالع : ج١ ، ص٥١٣ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٢أ .

والاحاطة بجميع عناصرها ، والتفاعل معها ، وابداء آرائه الشخصية فيها بصورة تشد القاريء ، وتبين له بجلاء مواضع الاتصال بين فكر النجم وروح عصره ، وبراعة استيعابه لهذا الفن بل تبحره فيه .

ولم يكن فكر النجم التنظيمي بأقل أهمية مما سبقت الاشارة إليه ، فقد تقدم معاصريه ، في اتقان فن الفهرست ، وحرص على وضع الفهارس لبعض الكتب الهامة التي ألفها العلماء السابقون ، كما وضع فهرستاً له وأخرى لوالده(١). واضطلاع النجم بهذه المهمة ، يعد تثميناً رفيعا لمعطيات أعماله وفكره ، ودليل واضح على نضج المنهجية العلمية للبحث لدى العلماء المسلمين .

وعلى الرغم من أن النجم محدث بالدرجة الأولى ، واهتماماته الحديثية تشكل الاهتمام الأساسي ، وهي السبب في سمعته الكبرى بين معاصريه ، إلا أن الأثر التاريخي الذي تركه ، يؤكد بأن نشاطه في هذا الميدان لم يكن هامشياً أو ثانوياً ، بل كان نشاطاً رئيساً ، ويكاد يكون موازياً للاهتمام الحديثي ، ويمكن القول أن النجم كان نموذجاً لكبار المؤرخين في العصر المملوكي ، فهو يمتلك حاسة تاريخية ناقدة رصينة ، صقلتها بيئته الخاصة ، وكثرة رحلاته ولقاءاته وعلاقاته بأعلام علماء عصره ، ومن خلال هذه الحاسة الناقدة ، أبدع في اصدار أحكامه واستنتاجاته المبنية على ملاحظاته الشخصية لبعض الإجراءات الاقتصادية والسياسية ، والممارسات القضائية الغير مقبولة ، وهي بلاشك على مستوى عال من الدقة والصواب لأنها تستند على مايراه من علل وأسباب ظاهره(٢).

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٩ ؛ روزنتال : مناهج العلماء المسلمين ، ص٨١٢ .

(٢) انظر منهجه النقدي ص٤٧٢-٤٩٣ من هذه الدراسة .

وتبرز روح النقد لديه أيضا في نظراته التقويمية لرجال عصره من العلماء والسياسيين والقضاة والموظفين ، فهو يقف من شخصيات تاريخه موقف القاضي العادل فالبراعة العلمية ، والنزاهة العملية ، والحنكة السياسية ، والنزعة الانسانية ، من المواهب اللامعة ، والمناقب السامقة التي تثير اعجابه ، فلايغفل الإشارة إليها والإشادة بها . كما أن قلة الفهم والضبط ، والتواء النفس ، والظلم والرذيلة والخيانة ، لاتفلت من إصدار الحكم عليها وإدانتها[1].

ويحسن الالتفات إلى أن ملكة النقد المقوم البناء ، التي توفرت لدىٰ مؤرخنا ، ماكانت لتظهر لولا تمتعه بحرية الفكر ، وبعده عن المناصب والوظائف الدنيوية ، فهو عندما يرسل صرخات صامتة من قلمه القوي ، لايخشىٰ سطوة أمير ، أو غضبة شريف ، أو عزل عن وظيفة ، وكان فيما يكتبه يجسد الواقع حياً من خلال عواطف الناس ومعاناتهم واحتياجاتهم .

وثمة ناحية جديرة بالإشارة وهي أن أحكام النجم الخاصة ، وانتقاداته وملاحظاته الدقيقة تمركزت على فعاليته مع تاريخه المعاصر ، بينما يلاحظ أن هناك شبه انعدام لهذه الناحية ، أو لنقل أنه أقل دقة وعمقاً حينما تناول تاريخ مكة السابق لعصره ، فقد كان ناقلاً لاناقداً في جل مواضعه . أما في الفترة من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية القرن الأول الهجرى فقد اعتمد على جمع الأخبار والروايات المختلفة ، وتسجيل أكثر من رواية للحادثة الواحدة ، ربما توخياً للنزاهة العلمية ، وأدلىٰ بدلوه أحياناً ببعض الترجيحات أو التصويبات[2].

---

(١) انظر منهجه النقدي ص٤٨٥-٤٩٣ من هذه الدراسة .

(٢) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج١ ، ص٩٦،٩٨،١٠٩،١٣٩ ؛ ج٢ ، ص١٢، ١٠٤،٣٥٨ .

ولعل أخص خصائص النجم تلك الصبغة الدينية التي أشرقت وتألقت في تاريخه ، وتستبان معالمها في تعليقاته المقتضبة على الحوادث والأخبار الخصبة والمريرة معاً ، وهي تعليقات أشبه بعودة واعية إلى استقصاء المنابع الخفية العالية المتعالية ، فالله هو الفعال لما يريد ، وكل شيء بقضائه وقدره وحكمته وتدبيره .

ومن أبرز خصائص كتابته الربط التاريخي عن طريق الإحالة اللاحقة أو السابقة ، أو الربط الموضوعي لحوادث السنة الواحدة ، والتعريف بمواقع المنشآت التعليمية أو الاجتماعية أو السياسية(١)، كما أنه حريص على ضبط الأسماء والأماكن والتعريف بما أشكل منها(٢).

وقد أدرك النجم أهمية التنبيه على مصادره ، والاعتماد على المراجع الموثوق بها ، وكان أميناً في الإشارة إلى الكتب التي استقى منها معلوماته ، أميناً في النقل عنها . وبحصافة المؤرخ ، وحسه المرهف اهتم بالأوراق الرسمية ، أو بمعنى آخر السجلات أو الوثائق ، واعتبرها مصدرًا هاماً من مصادر تاريخه ، وبملاحظة واعية منه نبه إلى أهمية الآثار ، وعزا اليها بعض مادته(٣).

وإذا كان مؤرخنا قد انصرف بكليته إلى علوم الحديث والتاريخ ، فهو مع ذلك لم يمتنع عن الاستمتاع الأدبي بسماع الأشعار ، وتذوق أعمال أدباء عصره ، وقد أورد كثيراً من الشواهد الشعرية في ثنايا كتبه ، وهي في حد ذاتها موارد قيمة ، أضفت على مادته تصويراً نابضاً للحياة والقيم الفردية

---

(١) انظر المبحث الخاص بدراسة اتحاف الورى ص٢٣٤-٢٤٠،٢٤٥،٢٤٦ من هذه الدراسة .

(٢) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص١٣٧،٤٤٧،٥٤٤ ؛ ج٣ ، ص٤٧، ٦١،١٧٩،٢٩٤،٣٣٦،٣٧٥،٣٨٦،٤٠٣،٤٩١،٥٠٠،٥١٤،٦٣٤ ؛ ج٤ ، ص١٥٢،١٧٩،٣٥٣، ٤٠٧ .

(٣) انظر المبحث الخاص بموارده ص٤٣٢-٤٧٠ من هذه الدراسة .

والجماعية لذلك العصر ، ويبدو أن غزارة المادة الأدبية التي تخللت مصنفاته هي التي حملته على أن يفرد للشعر والشعراء في عصره مصنفات خاصة بأشعارهم وتراجمهم[(١)].

ويبدو أيضا أن النجم يجد متعة في تنويع معارفه واطلاعه ، وخبراته فقد سبق وأن أشرنا أن له إجازة في أحد العلوم البحتة وهو الطب[(٢)]، وعلاوة على ذلك فقد وضع فهرستاً لتاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعه[(٣)]، ومع أهمية المادة التي تحملها في هذا الصدد إلا أنها غير كافية للالماح عن ثقافته التخصصية في الطب ، لأن الإجازة فيها كانت في أواخر حياته ، ولعلها هنا ثقافة نظرية لاعملية ، القصد منها المعرفة الخاصة لتلبية الحاجات الذاتية ، وليس ممارسة المهنة والتطبيق العملي لها . والله أعلم .

والمتأمل في مواهب وآثار مؤرخنا يلاحظ أنه لم يكن على حظ واضح من الثقافة الفلسفية ، مع أن كتبها كانت ميسورة قبله ، ويبدو أنه كان عزوفاً عنها بحكم دراسته الدينية والحديثية على وجه الخصوص ، كما أنها لم تكن من تراث قومه فيتولد لديه استعداد فطري لها ، ويحرص عليها .

على أن صفات النجم الأخلاقية تجعله طرازاً نادراً ، فقد زكت نفسه ، ووصلت روحه إلى أرقى درجات الصفاء ، وتخلص من أردان المادة بالاعراض عن بنى الدنيا وآمالهم القصيرة[(٤)].

إن النجم رجل ذو شخصية متميزة ، تحلى بأخلاق العلماء الذين حطمت المعرفة كبرياء نفوسهم ، ونزوات طيشهم ، صادق اللهجة ، كثير النصح ، عظيم المروءة ، عالي الهمة ، طارحاً للتكلف ، كثير الهضم لنفسه ،

---

(١) انظر آثار النجم ص٢١٨-٢٢٢ من هذه الدراسة .

(٢) انظر ص١١١ من هذا المبحث .

(٣) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ .

(٤) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

عفيفاً ، شهماً ، كريمًا(١).

وإذا كانت أظهر مواهب فكره سعة الاطلاع ، ودقة الملاحظة ، والاستقلال بالرأى ، فان أظهر أخلاقه التواضع ، وعدم ادعاء المعرفة ، فإذا التبس عليه أمر ما لم يجد حرجا من الإشارة إلى عدم احاطته بجوانب الحادثة أو قصره الخبر في حد علمه .. وهذه السمة النابضة بالنزاهة ترفع النجم إلى صفوف المؤرخين المؤثرين المتميزين ، وهي خير ضمان للثقة فيما كتب والاطمئنان إلى حقيقته(٢).

ولعل مما يلاحظه المتأمل في كتابات النجم ذلك الهوىٰ الصوفي الواضح ، والذي كان من السمات الغالبة آنذاك ، وقد ذكر النجم : أن التصوف في زمانه قد زاغ عن طريقة السلف الصالح ، غير أن الأمر لم يعدم من وجود علماء من كبار الزهاد وقفوا أنفسهم للتحذير من غلاة الصوفية ، والتنفير من مقالاتهم(٣). إلا اننا نجده يعود ويذكر بعض الكرامات ، وزيارات قبور الأولياء الخ!! وعلى كل فهو ينتمي إلى عصره ، وقد صور لنا سيطرة بعض المذاهب على عقول كثير من الناس وآثارها على البيئة الفكرية.

وربماكان من عيوبه فرط إخلاصه ، ونبل نفسه ، قال عنه صاحبه السخاوى : "ومحاسنه جمة ، ولم يعدم مع كثرتها ، من يؤذيه ، حتى من أفنىٰ عمره في صحبته ، وعادىٰ جمعا بمزيد محبته"(٤).

ولم يكن النجم بارعاً في النحو ، وفي نفس الوقت لم يكن رديئًا فيه ، ولغته عموما جيدة ، قياسا بالعصر الذي عاشه ، حيث غلبة العنصر التتاري

---

(١) السخاوى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) انظر ص٢٤٠-٢٤٢ من هذه الدراسة .
(٣) الدر الكمين ، ق٧١ب .
(٤) الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨ .

"المغولي" والتركي "المملوكي" . وقد أشار السخاوي إلى عدم معرفته بالنحو[١]، ويتردد الدارس الناقد طويلاً قبل أن يوافق على هذا الحكم ، فاللحن في كتابات النجم مع وجوده قليل ، والملاحظ على أسلوبه بصفة عامة السلاسة والدقة في التعبير ، وحسن استخدامه للغة العربية ، والتأكيد على بيان مواطن ضعفها ، لاسيما في تراجمه[٢]، أما تاريخه فقد استخدم فيه بعض الألفاظ العامية[٣]وكان بعضها بمثابة المصطلحات المتعارف عليها[٤]. ويبدو والله أعلم أن القصد من تلك المقولة يعود إلى أسلوبه في الحديث ، وظهور بعض الألفاظ غير السليمة لغوياً كعادة بعض المكيين ، نتيجة للمؤثرات البيئية الاجتماعية في مكة .

وعرف النجم بسرعة القراءة ، وأيضا سرعة الكتابة ، وصحتها املائياً إلا أن خطه ليس جيداً من حيث الشكل[٥]. لكنه يمتاز بالدقة ، والاتقان لاسيما لمن أدمن قراءته .

هذه خلاصة مركزة لفكر وصفات مؤرخنا ، الذي كان مدرسة قائمة بذاتها خرجت عددا من الحفاظ والمؤرخين المكيين ، ولايختلف المؤرخون والمتخصصون الذين ترجموا له في اشادتهم بدوره وبخصوبة البيئة العامة والبيئة الخاصة التي أهلته لأن ينفرد بما صدر عنه من أعمال .

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٤أ ، ٤٠ب ، ٦٦ب ، ١٢٥ب ، ١٧٩ب ، ١٩٨أ ، ٢٨٥أ .

(٣) انظر اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٢١،٥٥١ ؛ ج٤ ، ص٢٣،٢٩،١١٦،٢٥٩،٣١٩،٣٨٢، ٥٠٩،٥٢٤ .

(٤) انظر اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢١،٢٢،٣٥،٤٢،٩٣،٢١٢،٢١٧،٢٣٣،٣٨٤،٤٥٤،٤٧١، ٤٢٩،٥٩٤-٥٩٥ .

(٥) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠ ؛ ج١١ ، ص٩٢ .

صلاته وعلاقاته الشخصية :

اتصل النجم بالكثير من علماء عصره المشهورين ، وتوطدت صلته بالعديد من الأعلام في بلاد الشام ومصر وغيرها .. وكان من ألمع تلك الرموز : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشيرازي الشهير بابن الجزري (٧٥١-٨٣٣هـ/١٣٥٠-١٤٢٩م) ، ونور الدين أبو الحسن على بن حسن الدمشقي الحنبلي الشهير بابن زكنون (قبل ٧٦٠-٨٣٧هـ/١٣٥٨-١٤٣٣م) ، وبرهان الدين أبو الوفا ابراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الحلبي (٧٥٣-٨٤١هـ/١٣٥٢-١٤٣٧م) ، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين (٧٧٧-٨٤٢هـ/١٣٧٥-١٤٣٨م) ، وأحمد بن على بن عبد القادر الشهير بالمقريزي (٧٦٦- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤-١٤٤١م) ، وشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد الشهير بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ/١٣٧١-١٤٤٨م) ، وموفق الدين أبو الحسن على بن ابراهيم الإبّي اليمني (قبل ٧٩٠-٨٥٩هـ/١٣٨٨-١٤٥٤م) ، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ/١٤٢٧-١٤٩٧م) ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ/١٤٤٥-١٥٠٥م) .

ويمثل هؤلاء الشيوخ والأقران روافد من ثقافة النجم بعد والده التي هيأت له عوامل النجاح والتميز ، ولاريب فهم أهل المعرفة والاختصاص وإليهم انتهت العلوم الإسلامية بوجه عام ، وعلوم اللغة وآدابها في عصره ، وإن القاء نظرة سريعة على ترجمة هؤلاء ، والمادة التي استقاها منهم في معجمه المخطوط لتبين لنا بجلاء ثراءهم الفكري ، ومكانتهم العلمية والأدبية وحرص نجمنا على الاتصال بهم ، ورغبته في مباحثة العلم وشئون الحياة معهم ، لقد كان مديناً لهم بالفضل في اثراء ثقافة ، وبناء شخصيته . وكانوا كثيري المحبة له والإقبال عليه ، والانتفاع به . وسنتناول في هذا المبحث طرفاً من علاقته بكل منهم على حدة باختصار شديد :

ابن الجزرى :

هـو ألمع اسم لعلماء القـراءات والحديث الذين تتلمـذ عليهم النجم ، وقد انتهت إليه رئاسة علم القراءات في الممالك الإسلامية جميعها في عصره ، واتصل بسلاطين آل عثمان ، وأمراء المغول ، وسلاطين المماليك ، واليمن ، وأمراء الحجاز ، ولقي عندهم جميعا حظوة كبيرة واكراماً عظيماً ، ونشر فنه في كـل بقعة نزل فيها ، وقـد تولى قضاء دمشق وشيراز وغيرهـا ، ولـه آثار عظيمة في فنه(١).

وقد التقاه النجم في مكة أثناء مجاورته وحجه عـام (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) ، وعـام (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) ، وعـام (٨٢٨هـ/١٤٢٤م) وأكثر مـن الأخذ عنـه ، يقـول في ذلـك : "سمعت عليـه جميـع القرآن العظيم ختمـة جامعـة لمذاهب القراء العشرة المشهورين ، من رواياتهم العشرين ، بطرقهم الثمانين ، حسبما اشتمل عليه كتاب النشر ، من لفظ جماعة جمعوا عليه القراءات المذكورة ، ومن لفظه سورة الصف مسلسلة مرات ، ومرة منها بجميـع القراءات العشر ، وسـورة الكـوثر ، والآيتين مـن سـورة البقرة وأولهما : {وَإِذ جَعَلْنَـا البَيْـتَ مَثَابَةً لِلنَاسِ وَأَمْنَاً}(٢)وسمعت عليه سورة الفاتحة" . ثم يذكر قائمة كبيرة من الكتب والأجزاء في علم الحديث من تأليفه وتأليف غيره ، ويشير إلى اعجاب شيخـه به حيـث ألبسـه من يده خرقـة التصـوف مرات ، وكتـب لـه خطـه بالإجازة غير مرة بعد عرضه عليه بعض محفوظاته ، كما أجازه مناولة الكتب الستة(٣).

---

(١) انظـر ترجمته في ابن الجزري : غـاية النهاية ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ النجـم ابن فهد : معجـم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٦أ-٢٥٧ب ؛ السخاوي : الضـوء اللامع ، ج٩ ، ص٢١٤ ؛ السيوطي : نظم العقيان ، ص١٦٧ ؛ ابن طولون : قضاة دمشق ، ص١٢١ القلائد الجوهرية ، ج١ ، ص١٧٦ .

(٢) آية ١٢٥

(٣) انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٧أ،ب .

ولم تكن رعاية ابن الجزري وتشجيعه لتلميذه النجيب إلا استمراراً لود يربطه بوالده التقي ، فقد حرص الأخير على ملازمة ابن الجزري أثناء مجاوراته ، وحضر جميع مجالسه ، وأحضر معه جميع أبنائه وبناته للسماع عليه ، وقد ذكر ابن الجزري في خاتمة كتابه "المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد" أن التقي ابن فهد قرأ عليه جميع المسند كاملاً ، وسمع بقراءته جم غفير منهم أولاده : أبو بكر وعمر وأم هاني وأم البنين وعثمان إلا أنه فات الأخير أشياء منه ، كما سمعوا عليه كتابه المصعد الأحمد عام ٨٢٨هـ بالمسجد الحرام(١).

ابن زكنون :

هو العلامة الزاهد ، كان ورعاً ، مداوماً على العبادة ، مكباً على الإشتغال وتأديب الأطفال احتساباً بدون أجر ، وكان يتقوت من عمل يده بنسخ الكتب ، وحصلت له شدائد ومحن كثيرة ، فصبر واحتسب حتى توفاه الله تعالى .

وكان النجم قد لقيه في ظاهر دمشق أثناء رحلته العلمية الأولى - والتي امتدت قرابة ثلاث سنوات تنقل فيها بين مدن مصر والشام مرارًا - وحضر مجالسه ، وسمع عليه بعض الأجزاء الحديثية والفقهية ، وكان يتردد عليه كثيرًا ، ويفيد من آرائه وعاداته وظروف حياته ، ويأنس بدعائه له ، كما تعلم الكثير من مكتبته التي تضم نفائس الكتب والمجلدات ، وقد أوقفها بعد موته .

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن علاقة الود التي نشأت بينهما صورها ابن زكنون تصويرًا بليغاً في بيتين أنشدهما للنجم بعد أن انقطع الأخير عن زيارته ثم عاد إليه فقال(٢):

---

(١) انظر مقدمة مسند الامام أحمد ، تحقيق أحمد شاكر ، ج١ ، ص٥٥ .
(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٣٤أ،ب .

وليسَ خليلي بالملولِ ولاالذي إذا غِبتُ عنهُ باعني لخليلِ
ولكنَّ خليلي مَنْ يدومُ وصالهُ ويحفظُ سري عندَ كلِ خليلِ

البرهان الحلبى :

أعجب به النجم كثيرًا ، وحسبك قوله عنه فى بداية ترجمته : "الإمام العلامة الحافظ الكبير برهان الدين أبو الوفاء ، حافظ بلاد الشام ، أشهر من أن يوصف ، وأكبر من أن ينبه مثلي على قدره"(١).

كان عالي السند ، كثير الانصاف والبشر لمن يقصده للأخذ عنه ، خصوصًا الغرباء ، مواظبًا على الإشتغال والإشغال ، صبورًا على الاستماع من الطلبة وربما سمع اليوم الكامل من غير ملل ولاضجر ، وقد عرض عليه منصب القضاء مرات فامتنع ، وأصر على امتناعه ، وله مؤلفات مفيدة في علم الحديث(٢).

التقىٰ النجم بالبرهان في حلب مرتين : الأولى عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) ، وكان لقاء عاجلا حضر فيه بعض دروسه ، ثم اضطر للسفر لتقيده بمرافقة صاحبه الحافظ ابن ناصر الدين ، ورغم قصر المدة التي التقىٰ فيها بشيخه البرهان إلا أن نجمنا المتعطش لعلم الحديث قد وقف على مواطن العطاء اللامحدود لهذا الشيخ الذي وهب نفسه للعلم وأهله ، وعزم في قرارة نفسه أن يعود إليه ليرتوي من نبعه ، ويصل في هذا الفن إلى مايشتهي من إجادة وعمق .

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص٤٧ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٧ب-٨أ .

(٢) انظر ترجمته في ابن تغري بردي : المنهل الصافى ، ج١ ، ص١٣١ ؛ التقي ابن فهد لحظ الألحاظ ، ص٣٠٨-٣١٢ ؛ النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص٤٧-٥٠ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٧ب-١٠أ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ،ص١٣٨-١٤٥ ؛ السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص٥٤٥-٥٤٦ ؛ ذيل تذكرة الحفاظ ، ص٣٧٩ ؛ الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص٦٢ .

عاد النجم إلى حلب أواخر السنة المذكورة ، وكله شوق للقاء شيخه البرهان ، وقد خصه بهذه الرحلة ، ولازمه إلى أواخر صفر عام (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) ؛ وفي هذه الفترة توثقت الروابط بين الشيخ وتلميذه المحب له ، المعجب به ، وقد اغتبط الشيخ بتلميذه ، وقربه منه ، بل لم تكن محبته له ، واعجابه بنباهته ودأبه على الطلب ، بأقل مما يكنه له النجم ، ولهذا أنزله في بيت ولده بالشرقية ليكون أكثر قربًا منه ، ويحظى بكامل عنايته وتأثيره ، وقد كرس النجم جهده في هذه الفترة للدراسة الخصبة من شيخه ، وعندما شعر بالامتلاء غادره حافظًا لوده ، مقدرًا لضيافته ، يقول البرهان : "قرأ على شيئًا كثيرًا جدًا واستفاد ، وكتب الطباق والأجزاء ، ودأب في طلب الحديث"(١).

وفي سلسلة طويلة فصل النجم ماأجمله البرهان حيث ذكر قائمة بأسماء الكتب والأجزاء والشروح والمختصرات التي استفادها من البرهان قراءةً وسماعًا وأشار إلى أنه أجازه مايجوز له وعنه روايته مشافهة غير مرة ، وكتب له خطه بذلك مرارا(٢).

ودان النجم بما ناله من فضل وخير من البرهان ، وأراد أن يوثق مابينه وبين حافظ بلاد الشام بصلة وثقىٰ هي الوفاء؛فعكف على تخريج معجم يجمع شيوخه بالسماع والإجازة ، وقدمه هدية له أنفذه إليه صحبة الحاج الحلبي عام (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)(٣).

ابن ناصر الدين :

الحافظ المشارك في العلوم والأدب ، كان إمامًا وخطيبًا للجامع

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠ .

(٢) انظر معجم الشيوخ المخطوط ، ق٩أ ، ١٠أ .

(٣) التقي ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٣١٢ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ ابن طولون : القلائد الجوهرية ، ق٢ ، ص٤٥٤ .

النـاصري ، وشيخ دار الحديث الأشـرفية بدمشق ، تصـدىٰ لنشـر الحديث في بلـده وفي غيرها ، وانتفع به الناس ، وكان رحلة وقتـه مع البرهان الحلبي ، له مؤلفات في التاريخ والحديث ، ونظم متوسط(١).

اتصـل النجـم بالحافظ ابن ناصـر الدين أثناء رحلتـه لبلاد الشـام عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) ، وانتفـع بعلمـه ، واغتبط بمزيد محبتـه له ، وثنائه عليه ، وعلى كلفـه بعلم الحديث ، وتراجم رجالـه ، وتوطدت الصلـة بينهما ، وشد من أواصرها اختياره له رفيقـاً في رحلة علمية إلى حلـب التقيـا فيها بحافظها البرهان الحلبي وغيره(٢).

وقـد أنشد ابن ناصر الدين النجم الكثير من شعـره وشعر غيره ، كما سمـع عليـه ، ومـن لفظـه عـددًا كبيرًا مـن الكتـب والمنتخبـات والطبـاق والمسلسلات الحديثيـة ، وأجزاء فيهـا موافقات ومصـافحات وابدال وعـوالي ذكرها جميعاً في كتابه معجم الشيوخ المخطوط(٣).

وأسبـغ ابن ناصر الدين ـ الـذي تصفه المصادر بحافـظ بلاد الشام بغير منازع ـ على النجم الثناء العاطر في عبارات طنانة رنانة ، وكـان هذا التقدير من الأستاذ لتلميذه من الأهميـة بمكان فقد جعله في وضـع أفقي بإزاء شيوخ عصره ، وكان لذلك بالغ الأثر في حياته العلمية والعملية(٤).

---

(١) انظر ترجمته في التقى ابن فهد : نفس المصدر ، ص٣١٧ ؛ النجم ابن فهد : معجم الشيـوخ المطبوع ، ص٢٣٨-٢٣٩ ؛ معجـم الشيوخ المخطـوط ، ق٢٠٩ب-٢١١أ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٨ ، ص١٠٣-١٠٦ ؛ السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ، ص٣٧٩ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٢٧ ؛ ج٨ ، ص١٠٣ .

(٣) انظر ترجمته ق٢٠٩ب-٢١١أ .

(٤) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٢٧ .

المقريزي :

مؤرخ زمانه ، تنقل في عدد من الوظائف الحكومية ، فاشتغل في ديوان الإنشاء - وزارة الخارجية حالياً - ثم عين نائباً في الحكم ، واماماً وخطيباً لجامع الحاكم ، ثم تولى وظيفة تدريس الحديث بالمدرسة المؤيدية ، وولي الحسبة باالقاهرة غير مرة ، وتولى بدمشق نظر بعض الأوقاف ، والتدريس في عدد من مدارسها ، وعرض عليه قضاؤها مراراً فأبى(١).

والمقريزي هو خريج المدرسة الخلدونية ، حيث يظهر واضحاً في كتاباته مدىٰ تأثره بفكر أستاذه عبد الرحمن بن خلدون ،الذي نادىٰ بضرورة إعادة كتابة التاريخ وفقاً لنظرية تعتمد منهجاً علمياً متطوراً في أغراضه ومنافعه ، هدفه النفاذ إلى أعماق الحدث التاريخي اجتماعياً واقتصادياً ، والاهتمام بكافة الجوانب الحضارية والسياسية على حد سواء ، وطرح الأحداث على بساط البحث والنظر ، والادلاء بالرأي الخاص استناداً على الملاحظة والتحليل والتعليل والمقارنة والنقد(٢).

امتلك المقريزي قلماً قوياً ، عالج به الكثير من الموضوعات السياسية والقضايا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وخرجها تخريجا سليما ، ينم عن مقدرة فائقة في فهمه لمعنىٰ التاريخ ، والمامه بالحوادث المضطربة المحيطة بمجتمعه وعصره . وقد ذكر السخاوي أن كبار رجال الدولة كانوا يدارونه خوفاً من قلمه(٣).

---

(١) انظر ترجمته في ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج١ ، ص٩٩ ؛ النجم ابن فهد معجم الشيوخ المطبوع ، ص٦٣-٦٧ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٨أ-٢٩أ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٢١-٢٥ ؛ التبر المسبوك ، ص٢١ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٥٥٧ .

(٢) انظر عبد الجبار ناجي : تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون في اعادة كتابة التاريخ ، ص١١٣-١٤٨ .

(٣) الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٢٤ .

اجتمع مؤرخنا بمؤرخ الديار المصرية مرات عديدة ، كان أولها في مكة أثناء مجاورته عام (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) ، ثم في القاهرة ابان رحلته عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) ، وأخيرًا عام (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) في مكة وكان قد أقام بها مجاورًا بعد أن حج عام (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) وقد حرص النجم في جميع لقاءاته على الافادة من أستاذه وصاحبه فسمع عليه كتاب امتاع الأسماع(١)، وقرأ عليه كتاب النزاع والتخاصم(٢)، وآداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي(٣)، وغيرها من المسلسلات والعوالي والأجزاء والمشيخات(٤).

ومنذ التقى النجم وهو في الثانية والعشرين من عمره مع شيخه المقريزي نشأت بينهما مودة وثيقة ؛ نلمح أثرها في الرسائل المتبادلة بينهما ، وفي اعجاب المقريزي بالذكاء اللامع للنجم(٥). وفي التقدير الخاص الذي أبداه النجم للمقريزي في مواضع كثيرة منها : اعتنائه بترجمته في معجميه(٦)، واهتمامه بمطالعة كتبه ، ومتابعة انتاجه التاريخي(٧) ،

---

(١) كتاب تاريخي في السيرة النبوية ، وعنوانه الكامل : امتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء والحفدة والأخوال والأتباع ؛ وهو من أوائل مصنفات المقريزي ، غير أن فيه الكثير مما ينتقد على المقريزي . انظر السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ، ص٨٩ .

(٢) كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم من مصنفات المقريزي ، مستمدًا من فكرة العصبية القبلية التي فلسف عليها ابن خلدون أكثر نظرياته التاريخية .

(٣) لعله من المصنفات الحديثية التي تدخل ضمن اطار الفضائل والمناقب . ذكر في كشف الظنون ، ج١ ، ص٤٦ بعنوان أدب الصحبة .

(٤) انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٩أ .

(٥) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠ .

(٦) انظر معجم الشيوخ المطبوع ، ص٦٣-٦٧ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٨أ-٢٩أ .

(٧) يوجد على طرة كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، ثبت بخط النجم يفيد بانتهائه من مطالعة الكتاب عام ٨٤٦هـ ؛ انظر تصدير الكتاب المذكور ، ج١ ، ق١ ، ص٦ .

واستشهاده في مقدمة كتابه "اتحاف الورى بما قاله المقريزي عن أهمية علم التاريخ ، وضرورة تسجيل حوادثه(١).

أما ابن حجر :

فهو الذي لهج الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأخبار

بهذا البيت افتتح النجم ترجمة شيخه الإمام العلامة الرحلة ، ناقد الأسانيد والألفاظ ، أكثر مشائخ عصره عطاءً ، واهتماماً بعلوم الحديث والفقه ، وأصول الدين ، والأدب ، والتاريخ ، والتراجم ، طار صيته ، وانتشرت مصنفاته - التي تزيد على المئة والخمسين - في الآفاق(٢).

تصدىٰ لتدريس الحديث والفقه والتفسير في عدد من المدارس ، وعقد مجالس الإملاء الكثيرة ، وقد زادت على ألف مجلس(٣). وتولى الإفتاء بدار العدل والخطابة بالجامع الأزهر ، وجامع عمرو ، وعرض عليه قضاء المملكة الشامية فامتنع ، وأصر على الامتناع ، رغم أن السلطان رغبه فى ذلك حتى صرح بأن للقاضي بدمشق عشرة آلاف درهم فضة في الشهر ، إذا كان رجلاً جيداً ، وضاعف له هذا العدد إلا أنه أصر على الرفض ؛ وبالغ في الاستعفاء(٤)، وأخيرا فوض إليه السلطان المملوكي رئاسة القضاء في الدولة المملوكية عامة ، وأن يكون مقره القاهرة ، فباشر المنصب على مايليق به من عفة ونزاهة مدة تزيد على احدىٰ وعشرين عاماً ، تخللها عزله في مرات

---

(١) انظر ج١ ، ص٤ .

(٢) انظر ترجمته في ابن تغري بردي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص١٧ ؛ التقي ابن فهد : نفس المصدر ، ص٣٢٦-٣٤٣ ؛ النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص٧٠-٧٨ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣١ب-٣٥ب ؛ السخاوي : بغية العلماء ص٧٥-٧٩ ؛ التبر المسبوك ، ص٢٣٠-٢٣٤ ؛ الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٣٦-٤٠ ؛ السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ، ص٣٨١-٣٨٢ ؛ نظم العقيان ، ص٤٥-٥٣ ؛ حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٣٦٣-٣٦٦ .

(٣) السخاوي : بغية العلماء ، ص٨٦ .

(٤) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣٢أ،ب .

متفرقة لعدم تفريق أرباب الدولة بين العلماء وغيرهم ، ومبالغتهم في اللوم لرد اشاراتهم ؛ وإن لم تكن على وجه حق ، حتى زهد في القضاء زهداً تاماً ورفض العودة إليه بعزم أكيد(١).

تصدرت شخصية ابن حجر ، وعمق ثقافته ، وسعة اطلاعه ، وسمو أخلاقه ، قائمة اهتمامات النجم وفكره منذ صغره ، فلم يكد ابن حجر يصل إلى مكة عام (٨٢٤هـ/١٤٢١م) حتى أسرع الصبي الصغير - الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره - إلى لقائه عارضاً عليه بعض محفوظاته ، وطالباً منه الإجازة(٢)، ومنذ هذا التاريخ أصبح الشيخ وتلميذه النجيب مرتبطان ارتباطاً شديداً ، فقد قرر ابن حجر أن يبسط رعايته وتوجيهه على النجم بعد أن رأىٰ مايتمتع به من ذكاء متوقد ، وذهن صافي .

وكانت براعة النجم في فن تراجم الرجال محط اعجاب ابن حجر وثنائه ، فكثيراً ماتبادلا الرسائل التي تحمل الصفة الخاصة والعلمية في نفس الوقت ، ومما جاء في أحد رسائل ابن حجر للنجم قوله : "وقد كثر شوقنا إلى مجالستكم ، وتشوقنا إلى متجدداتكم،ويسرنا مايبلغنا من اقبالكم على هذا الفن الذي باد جماله ، وحاد عن السنن المعتبر عماله(٣):

وقد كُنا نعَدَهُم قليلاً " فَقَدْ صَاروا أَقلَ مِنَ القَليلِ

وتمضىٰ الرسائل بينهما إلى أن حانت ساعة اللقاء ثانية عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) في القاهرة فأطال المكوث معه ، وحمل عنه أشياء كثيرة ، وتدرب به ، وتقدم في ميدانه يعطى بكل ثقة واقتدار ، ثم التقاه في دمشق أواخر العام نفسه ، فكان دؤوباً على السماع عليه ، بل ومعه أيضا على بعض المسندين، وحضر جميع دروسه ومجالس إملائه فيها وفي حلب ، ثم عاد

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٣٨ .
(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣٥ب .
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣٩ .

ولازمه في القاهرة حتى نهاية عام (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) ، وحصل من فوائده ، ومأثور نظمه أشياء جليلة من الكتب والأجزاء والمنتقيات والقصائد ...الخ مما يطول بنا المقام لو أوردناه(١).

وتوثقت الصلة بين التلميذ وأستاذه حتى أن السخاوي يذكر أن ابن حجر أفاد من تعليقات النجم ومسوداته فيما يتعلق بأخبار اليمن ومكة ووفياتهما . وأنه كان كثير الثناء عليه(٢). وعندما دعاه إلى القاهرة عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ، طلب منه أن يحضر معه ماتجدد من تخريج وتجميع ، فسارع النجم إلى اجابة الدعوة ، ورحل إلى القاهرة في نفس العام ، وأفاد شيخه واستفاد منه(٣).

وقد أحب النجم شيخه ابن حجر ، وكَلُفَ به ، فقال بعد أن بالغ في مدحه : "وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت : أنى مارأيت بعيني مثله ، ولم تر عين من رآه مثله ، ورأت عينه مثل نفسه . لبررت!!"(٤). واستشهد بأبيات من الشعر للدلالة على علو مكانته وتفرده منها :

هَيهاتَ أَن يأتي الزمانُ بمثلهِ ... إنَ الزمانَ بمثلهِ لَبخيلُ
عَقِمَ النساءُ فما يلدنَ شبيههُ ... إنَ النساءِ بمثلهِ لعَقيمُ

ولفضائله وتبحره في علمه ووفور محاسنه تأسف الناس على وفاته خاصة نجمنا الذي قال : "وكان موته مصيبة يالها من مصيبة ، عمت الأنام وهدمت ركن الإسلام!! ، وأصمت المسامع ، وأجرت المدامع ، وإنها والله

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٣٤ب-٣٥أ .
(٢) انظر الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣٩ .
(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٣٥أ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) انظر معجم الشيوخ المطبوع ، ص٧٧ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣٥أ،ب .

لمن أعظم الفجائع ، وأطم الوقائع ، فلقد انتقص السؤدد بمصابه ، وانثلم المذهب بذهابه ، وكان للإسلام والمسلمين سندًا ، وللدين في هذا الوقت عضداً فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون،ولم يخلف في معناه مثله ، ولقد كان للدنيا بوجوده جمال وبهجة ومفخر ، وللناس به أنس ، ولهم منه فوائد جمة ، ولاأعلم في الشرق والغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله رحمه الله ورضي عنه"(١).

الإبي :

من أشهر علماء اليمن ، كان فقيهًا أديبًا ، حج وجاور ، وسافر في رحلات علمية إلى بلاد الشام ومصر ، وتكررت زيارته للأخيرة عدة مرات ، وصار يتعاهد الوصول إلى مكة من اليمن أو من مصر ، ثم استوطن مكة عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) ، واستمر فيها إلى أن توفى(٢).

وقامت بينه وبين آل فهد علاقة متينة ، وكان مقربًا جداً من التقي ابن فهد الذي اتخذه رفيقًا له في زيارة المدينة النبوية على طريق الماشي(٣). ولاشك أن الرفقة في طريق طويل بين محدث حافظ ، وأديب بارع ، كانت مميزة وممتعة ، وعملت على تعزيز أواصر الصلة بينهما .

ومانظن النجم بحكم هذه الصلة إلا قد وصل حبله بحبل الإبي منذ حل بمكة ، فلقد كان اعجابه بعلمه وفنه واضحاً ، إذ يثني عليه بقوله : "كان إماماً عالمًا ، حسن الهيئة ، كثير الفكاهة ، حلو النادرة ، حسن المذاكرة ، كثير الاستحضار لمستحسنات من الشعر والحكايات والنوادر ، وعلى ذهنه

---

(١) انظر معجم الشيوخ المطبوع ، ص٧٨ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣٤أ .

(٢) انظر ترجمته فى النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٤٧ب-١٤٩أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٦٣-١٦٦ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٢٨ب-١٢٩ب .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٤٧ب .

فضائل وفوائد ، وله محاضرات لطيفة ، ونوادر طريفة"(١). وقد صرح النجم بأنه قد أكثر من الأخذ عنه ، وأورد بعضاً من نظمه في كتابه الدر الكمين (٢).

وعلى كل فالود بينهم ظاهر ، والفضل متبادل ، فقد رأينا الإبيّ لاينفك يهنيء آل فهد ، ويثني عليهم في المناسبات ، فحين أكمل التقي ابن فهد مصنفه المشهور "نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب" كان الإبيّ من أوائل من قرظه ، مادحًا التقي ومصنفه مدحا يليق به (٣).

وحين ولد للنجم ابنه عبد الله ، هنأه بولادته ، وانبرىٰ يقول (٤):

تهنَ بعبدِ اللهِ ياخادمَ الأثرْ ... ويامنْ حوىٰ فضلاً به صارَ يشتهر
سألتُ الالهَ أن يمّتعنا بـه ... ونَبلغَ فيـهِ مانحبُ مِنَ الوطر

السخاوي :

من أبرز مؤرخي القرن التاسع الهجري ، تتلمذ على يد ابن حجر ، واهتم بالحديث وعلومه ، ونقد رجاله وتعديلهم ، واتسمت حياته بالدأب على نشر العلم والتدريس في عدد من المدارس والمساجد ، وتصدىٰ للفتيا والرد على الأسئلة والإستدعاءات التي ترسل إليه ، وله نشاط واسع في التأليف ، قدم الكثير من المصنفات في الحديث وعلومه والتاريخ ومنهجيته ، وتراجم رجال عصره (٥).

---

(١) معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٦٦ .

(٢) انظر ق١٦٢أ ، ١٤٨ب-١٤٩أ .

(٣) انظر نص تقريظه للكتاب المذكور فى النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٤٨ب .

(٤) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٤٩أ .

(٥) انظر ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٢-٣٢ ؛ السيوطى : نظم العقيان ، ص١٦٠ ؛ العيدروس : النور السافر ، ص١٦ ؛ الغزى : الكواكب السائرة ، ج١ ، ص٥٣ ؛ الشوكاني : البدر الطالع ، ج٢ ، ص٨٤ . وعن سيرة السخاوي ومنهجه التاريخي انظر كتاب عبد الله الشقاوي : السخاوي مؤرخا .

ويعـد السخاوي من المؤرخين النابهين الذين نضج فـن النقد التاريخي على أيديهـم ، وهو يبرر كثرة استعمـاله للنقد في غير مجال الـرواة بالفـائدة المتـوخاه منـه للنصيحة ودفـع الضرر ، فالمؤرخون عنده "كسـائر المصنفين في كلامهـم الخمير والعفين ، والسعيـد مـن عـدت غلطـاته ، ومـاشتدت سقطاته"(١).

وقـد أخذ على السخـاوي تحامله على معـاصريه فهو لم يترك أحدا إلا وتناوله بالجرح ، إلا أننا نراه مؤدباً عند ترجمته للنجم(٢)، بل قرنه بشيخه ابن حجر العسقلاني(٣)، وبدت بينهما صداقة عميقة طويلة ، وتبـادل فكري أثر على كـل منهما وعلى انتـاجه ، والمطالع لكتاب الضـوء اللامع للسخاوي يجد أن جل مادته استقاها من مؤلفات النجم ، كما ذكـره في كتاب الاعلان بالتوبيخ في مواقع كثيرة(٤).

وقـد صـرح السخاوي باستفـادته العظمى من النجـم فقـال : "أما أنا فاستفدت منه كثيرًا ، وسمعـت منـه في سنـة خمسين ومـابعدها أشيـاء ، بل قرأت عليه في الطائف وفي مكة أشياء"(٥). وفي المقابل ذكر أن النجم سمع منـه بمكة ، وحضر مجالس املائه ، وكـان حريصاً على تحصيـل كـل مايصدر عنه من تأليف وتخريج(٦). "بحيث اجتمع عنده من ذلك الكثير"(٧).

وسنـة خمسين التي ذكرها السخاوي هي عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ، وفيهـا وبالتحديد في أواخر جمادي الآخرة وصل النجم إلى القاهرة ، بقصد الأخذ

---

(١) انظر السخاوى : الاعلان بالتوبيخ ، ص٤٦١-٤٦٢،٤٧٩-٤٨٠ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٦-١٣١ .
(٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص١٠٢ .
(٤) انظر الكتاب المذكور ، ص٣٥،٣٨،١٠٢،١٠٦،١٠٨،١١٩،١٣٣،١٦٧ .
(٥) الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣٠ .
(٦) نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ .
(٧) نفس المصدر والجزء ، ص١٣١ .

عن شيخه ابن حجر وغيره من المسندين ، وهذه هي رحلته الثانية لمصر ، وقد تزاملا في مجالس ابن حجر حيث جمعهما أول لقاء ، يقول السخاوي : "وسمع فيها بقراءتي على شيخنا وغيره كثيراً ، وكتب بخطه أشياء منها لسان الميزان من تصانيف شيخنا ، وقرأه بتمامه عليه ، وسمعته معه ، والأصل في حال قراءته بيدي"(١).

واتخذت علاقة السخاوي بمؤرخنا طابعاً مميزاً ، ومن خلالها توثقت صلته بآل فهد عموماً ، فقد أقام عندهم في مجاورته الأولى(٢)، وحرص على الأخذ عن والد مؤرخنا أثناء مجاوراته بمكة عام (٨٥٦هـ/١٤٥٢م) ، وعام (٨٧٠هـ/١٤٦٥م) ، كما حضر جنازته ، وشهد الصلاة عليه ودفنه ، وتردد على قبره أياماً يدعو له ، وأثنىٰ عليه بما هو أهل له(٣). ورافق النجم ولازمه في مكة والطائف ، حيث دله مؤرخنا على شيوخ مكة ، وأعانه على الاستفادة من مكتبة آل فهد ثم تبادلا رسائل الود والإخاء على البعد(٤)، وتوطدت علاقته بابنه العز الذي تتلمذ على يده(٥)، وأجازه برواية كتابه الضوء وسائر مؤلفاته(٦)، كما أسمع الحفيد جار الله بن العز بن فهد(٧)، وكان كلاهما يجل السخاوي ويحترمه ويلقبه بشيخنا(٨).

وعندما توفي عبد الرحمن ابن شقيق النجم في القاهرة عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)تقدم السخاوي للصلاة عليه ، وامتدحه قائلا : "أنه كان بها - يعنى

---

(١) التبر المسبوك ، ص١٤٦ .
(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٧٠ .
(٣) السخاوي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٢٨٣ ؛ العيدروس : نفس المصدر ، ص١٨ .
(٤) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠-١٣١ ؛ التبر المسبوك ، ص٣٩٣ .
(٥) السخاوي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٢٥-٢٢٦ ؛ الغزى : نفس المصدر ، ج١ ، ص٢٣٨ ؛ ابن العماد الحنبلى : نفس المصدر ، ج٨ ، ص١٠١ .
(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص٦٦ .
(٧) السخاوي : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٢ .
(٨) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٦٦ ؛ العيدروس : نفس المصدر ، ص٢١ .

بالقاهرة على طريقة جميلة من السكون والتعفف والعقل والإنجماع بحيث مارأيت أحداً ممن خالطه إلا ويحمد صنيعه"(١).

وهكذا كان لقاء السخاوي بالنجم في القاهرة نقطة البداية في علاقته بآل فهد وهي بلاشك علاقة متينة نستشفها من عبارات الثناء والحب المتبادل بينهما ، فالسخاوي يقول : "وكان بيننا من المودة والإخاء مالاأصفه" ، في حين يقول النجم : "ولاأعلم لك في الدنيا نظير ، ووالله كلما اطلعت في مؤلفاتك ومافيها من الفوائد أدعوا لكم بطول الحياة ، ولم أزل أبث محاسنكم في كل مجلس ، وأدعو لكم بظهر الغيب"(٢).

السيوطي :

ذكر أنه رزق "التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب البلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة"(٣). وقال : "ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب منها لقدرت على ذلك من فضل الله لابحولي ولابقوتي"(٤).

كان في درجة المجتهدين في العلم والعمل ، اشتغل بالتدريس ثم اعتزل وعكف على التأليف ، ويعده المؤرخون رجلاً موسوعيا ، فقد صنف في كل فن ، ولم يترك علماً من العلوم الموجودة في عصره إلا وكتب عنه ، وقد بلغت عدة مصنفاته نحو ستمائة مصنف(٥)، من بينها رسائل صغيرة ، يقول

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٧١ .
(٢) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠-١٣١ .
(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٣٣٨ .
(٤) السيوطي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣٩ .
(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص٨٣ .

السخاوي : "رأيت ماهو في ورقه ، وأما ماهو فوق الكراسة فكثير"(١)، وله كتاب في منهج البحث التاريخي أسماه "الشماريخ في علم التاريخ" نظر فيه إلى التاريخ كعلم . إضافة إلى العديد من الكتب التاريخية الهامة .

وقد شَهّر السخاوي بالسيوطي واتهمه بالسرقة العلمية ، وأنه اختلس كثيرًا من أعماله ، وأعمال شيخه ابن حجر ، وأنه أخذ من بعض المكتبات كثيرًا من كتب السلف التي لاعهد لأكثر المعاصرين بها ، ونسبها لنفسه ، وأكثر من الحط عليه ، واتهمه بقلة العلم مع مزيد الترفع ، وعدم التأدب مع شيوخه (٢). وله مؤلفات في نقد السيوطي ، منها كتاب "انتقاد مدعي الإجتهاد" ، وكتب أخرى خاصة بالرد على مؤلف بعينه من مؤلفات السيوطي مثل كتاب "الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة" الذي يرد فيه على كتاب السيوطي "تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك" .

ولم يسكت السيوطي على هذا التجريح ، فألف كتابا أسماه "مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي" - يقصد كتاب الضوء اللامع - تهجم فيه على السخاوي ، واتهمه بالتحامل ، والإساءة إلى كثير ممن ترجم لهم في هذا الكتاب ، وقد انتصر لكلا الطرفين عدد من تلاميذهما وبعض معاصريهم ، وألفت المصنفات في الرد على هذا أو ذاك (٣).

اتصل السيوطي بالنجم في مكة عام (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) ، واستفاد من علمه وخبرته (٤)، وعرض عليه بعض مؤلفاته ، وكان يستشيره ، ويأخذ برأيه لثقته بغزارة علمه وفضله ، يقول في كتابه بغية الوعاة : "وقفت عليها

---

(١) الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٦٨ .
(٢) انظر الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٦٥-٧٠ .
(٣) انظر مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٩ .
(٤) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٦٦ .

صديقنا الحافظ نجم الدين ابن فهد ، فأشار على أن ألخص منها طبقات في مجلد يحتوي على المهم ، فحمدت رأيه"(١).

والغريب أن السيوطي لم يترجم للنجم في كتابه نظم العقيان ، رغم أنه من أعيان مكة(٢)، وكان ممن استمد منه علومه واعتد برأيه كما أسلفنا!! كما لم يترجم للحافظ التقي ابن فهد في ذيله على طبقات الحفاظ ، وهو شيخه وقد سمع عليه الحديث المسلسل بالأولية بيوم العيد في المسجد الحرام(٣)، على أن غمضه لهذين الشيخين الحافظين الذين أشاد معاصروهم ومن جاء بعدهم بعلو مكانتهما العلمية ليس له إلا دلالة واحدة ، ولعلها عمق صلتهما بعدوه اللدود السخاوي ، فقد أسهم آل فهد بنصيب وافر في بث محاسنه في مجالس العلم في الحجاز وبين أصدقائهم الكثر في مصر والشام واليمن ، حتى إن كثيراً من طلبة العلم في الحجاز تحمس للسخاوي وألفوا المصنفات دفاعاً عنه وانتصاراً له ، منهم تلميذ آل فهد أديب مكة أحمد بن العليف الذي صنف كتابين في الرد على السيوطي هما : "الشهاب الهاوي في الرد على منشيء الكاوي" ، و"المنتقد اللوذعي على المجتهد المدعي"(٤)، ولكن إذا أحسنا الظن به ، وبترفعه عن الصغار ، يمكن القول : أن اهماله لهما قد يكون منبعثا من نوعية ثقافته ، فهو لم يكثر من السماع على الشيوخ ولم يمعن في الطلب ، وآثر العزلة والإنكباب على التعليم الذاتي بالأخذ "من بطون الدفاتر والكتب"(٥)، فلعله حال كتابته لمؤلفيه لم يحرص على الإطلاع على كافة المصادر لإستيفاء مادته .

---

(١) ج١ ، ص٨ .

(٢) يلاحظ أن السيوطي في كتابه المذكور قد ترجم للتقى ابن فهد والد مؤرخنا ، إلا أن الترجمة لايستفاد منها سوى التشكيك في نسب آل فهد . انظر نظم العقيان ، ص١٧١ .

(٣) النخلي : بغية الطالبين ، ق٩ب .

(٤) انظر مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٩ .

(٥) انظر السخاوي : الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٦٨ ؛السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ص٣٣٩ .

والجدير بالـذكر أن اهمـاله لترجمة التقي خاصـة قـد استوقف حفيده جار اللـه ، الـذي عبر عـن دهشتـه بعـد الانتهـاء مـن تحريره لسلسـلة ذيول طبقات الحفاظ في آخر كتاب السيوطي قائلاً : "وقد اقتصـر شيخنا في تراجم أهلهـا ، وترك جمـاعة ممن انتظـم فيها ، ومن بين ذلـك شيخـه جد والدي الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي"(١)

ولعـل مما أثار جار الله أن جده التقـي كان له دور كبير ومـؤثر في تيار الحركة الفكرية في عصره ، وأنه سبق السيوطي في التـذييل على طبقات الحفـاظ ، حين ألـف كتابه المسمـىٰ : "لحظ الألحاظ بذيل طبقـات الحفـاظ" . ولكن يبدو أن جار الله بن فهد كان من أقدر الناس على القيام بالمهمة التي أغفلها أو لم يستوعبها السيوطي ، إذ قام بالتذييل على السلسلـة بمؤلف سماه "تحفة الايقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ"(٢).

عالمه الخاص :

ومادمنا قد تطرقنا لبعض صلات النجم ، وعلاقاته الخارجية ، أجد أنه لزاماً علينا قبل أن ننتقـل إلى عـرض آخر أن نشير إلى ملامح مـن حيـاته الخاصة ، حتى يتسنىٰ لنا الاحاطة بجوانب شخصيته .

إن المصادر التي بين أيدينا لاتعرض لتاريخ زواج النجـم ، ولكننا نكاد نعـرف أنه تزوج مـرتين ، ونرجح أن تاريخ زواجه الأول كـان بعـد عودته من رحلته العلمية الأولى لبلاد الشـام ومصـر ، أي أثنـاء عـام (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) أو مابعده بقليل ، ودليلنا على ذلك أن ابنه البكـر عبد الله قد ولد عام (٨٤١هـ/١٤٤٧م)(٣).

---

(١) انظر نهاية الكتاب المذكور ، ص٣٨٢ .

(٢) انظر نفس المصدر والصفحة .

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص٢٢٠ .

وأم عبد الله هي عائشة ابنة الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد ابن على بن عثمان العجمي [١]، أبوها تاجر أصبهاني الأصل ، صحب بمكة واليمن جماعة من الفضلاء ورافقهم ، وكان له أملاك في هدة بنى جابر - من أعمال مكة - [٢] يكثر الاقامة فيها في زمن الصيف ، وفيه مروءة وإكرام لمن يفد إلى هذه الديار [٣]. أما والدتها فهي أم الحسن نسيم ابنة الإمام بالمسجد الحرام أبى اليمن محمد الطبري ، وأخت مؤرخ مكة الفاسي بالرضاع [٤].

أنجبت عائشة للنجم بخلاف عبد الله الذي ذكرناه ، محمد وأحمد وحفصة ، ثم يحيى ، وأخيراً عبد العزيز ، وقد مرت بكثير من المحن من ابتلاء بأبنائها عبد الله ومحمد وأحمد وحفصة الذين لم يمهلهم الأجل فماتوا صغاراً قبل أو بعد اكمالهم العامين [٥]، ومن ثم فجيعتها بوفاة ابنها الشاب اليافع يحيى وعمره سبع وثلاثون عاماً ، ولكنها أسكنت رياح الحزن التي كادت تعصف بها بقوة الاحتساب فهي تمتلك قلباً عامراً بالإيمان ، مفعماً بالخير [٦]، وقد أراها الله في ابنها عبد العزيز ، ومن قبله يحيى قرة عينها فقد كانا حسنة من حسنات عصرهم براً وفضلاً وعلماً [٧]. ويبدو أنها طلبت فراق زوجها ، ولعل ذلك بعد زواجه الثاني ، يقول السخاوي : "ثم فارقت

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٢ ، ص٧٦ .

(٢) الهدة أو هدة بنى جابر : من الأودية المشهورة بالنخيل والأشجار والعيون الجارية وهي على مرحلة من "مر الظهران" وادى فاطمة حاليا .
انظر جار الله بن فهد : حسن القرى ، ص٢٩-٣٢ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص٢٧٨-٢٧٩ .

(٤) الفاسي : نفس المصدر ، ج٨ ، ص٣٢٨ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج١٢ ، ص١٢٩ .

(٥) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢٦٢ ؛ ج١٢ ، ص٢١ .

(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٢ ، ص٧٦ .

(٧) انظر السخاوي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٢٥-٢٢٦ ؛ ج١٠ ، ص٢٣٨-٢٤٠ .

فبقيت أيماً على ولديها"(١).

أما زوجة النجم الثانية فتدعى زيلعة ابنة ابراهيم اليماني(٢)، وهي أرملة ولها أولاد، وزوجها السابق يدعىٰ حسين بن عمر البانى، وقد ولدت لمؤرخنا ولداً مات صغيراً، وتوفيت هي فى حياته عام (٨٧٨هـ/١٤٧٣م)(٣).

ولانعرف شيئا عن أسرتها، ولاعن زوجها السابق لأن المصادر لاتذكر سوى اسم الأب واللقب، ومن يدعىٰ ابراهيم اليماني في مكة كثر، ومن تتبع تراجمهم لم نجد مايشير إلى صلتهم بالنجم. أما بالنسبة لزوجها فإن النجم والسخاوي وهما من أشهر من أرخ لتراجم القرن التاسع لم يشيرا لأحد بهذا اللقب، في حين ترجم كلاهما لشخص يدعىٰ حسين بن عمر كور الهندي الأصل المكي البناء(٤)، وهو مهندس معماري بارع في البناء الهندسي(٥).

ولعل لقب الباني الذي أطلقه النجم على زوجها السابق، يقصد به البناء، فيبدو أن الباني لفظ عامي للبناء، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرجح أن زوجها السابق هو مهندس البناء حسين بن عمر المذكور أعلاه. والله أعلم.

أما أبناء النجم فلم يعش منهم سوىٰ يحي وعبد العزيز، وقد أظلهما برعايته، وعظيم اهتمامه، حتى صار له بهما جمال وأنس، وأظن أنه في تناولنالترجمتهمااثراء"لمعرفتنا بصاحبناالذي كان بحق جديراً بالدراسة والبحث.

---

(١) الضوء اللامع، ج١٢، ص٧٦.
(٢) النجم ابن فهد: الدر الكمين، ق١٩٤ب؛ السخاوي: نفس المصدر، ج١٢، ص٣٨.
(٣) النجم ابن فهد: نفس المصدر والورقة.
(٤) انظر الدر الكمين، ق١٠٥أ؛ الضوء اللامع، ج٣، ص١٥٣.
(٥) النجم ابن فهد: نفس المصدر والورقة.

ولـد يحي في ربيـع الآخر عـام (٨٤٨هـ/١٤٣٦م)[1]، وكـانت نشأته مطابقة للأصول المتبعة في عائلة آل فهد ، حيث حفظ القرآن ، والشاطبية ، وأربعي النووي والألفية لابن مالك ، وشيئاً من المنهـاج للنووي ، وعرضها على جمـاعة مـن الشيـوخ ، وقـرأها كلهـا على جده ، وأحد كبـار العلمـاء بمكة[2].

واعتنى به أبوه فأحضره وأسمعه كثيرًا على شيوخ بلده والقادمين إليها واستجـاز له جماعة ، وكان سعيـدًا بظهور علامات النجـابة والذكاء والفهم على طفلـه الصغير ، فجمع شيـوخه في كتاب فرحًا به ، آملا أن يكـون مـن الصفوة الذين أوتو العلم والفطنة الذهنية ، وناشدًا أن يكـون ذلك حافزا له على زيادة آفاق ثقافته ، واتساع وعمق معارفه مستقبلاً[3].

وكـان من الطبيعى أن يتميز يحي وهـو يلقى هذه الـرعاية عند والده الشغـوف بالعلم ، فـأقبل على الطلـب ، وسـافر إلى المدينـة المنـورة والطائف وبجيلـة مـرارًا ، ودخل القاهـرة واليمـن مرتين ، وصل في الأولى إلى زبيـد وتعز وصنعاء ، وفي الثانية إلى عدن وسمع في جل رحلاته على خيـار شيوخ هذه الأقطار[4].

وقد أظهر يحي نضجاً مبكراً ، وعقلاً متفتحاً لطلب المعـرفة ، والتنقيب عنها في الماحية ، وسرعة بديهة وفطنة ، فتفوق في العربية والفرائض والميقات

---

(١) انظر مصادر ترجمته فى النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٧٤-١٧٥أ ؛ السخـاوي نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢٣٨-٢٤٠ ؛ البغدادي : هدية العـارفين ، ج٢ ، ص٥٢٩ الـزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ص١٦١ ؛ كحـالة : معجم المؤلفين ، ج١٣ ، ص٢١٦ .

(٢) النجـم ابن فهـد : نفس المصـدر ، ق١٧٤ب ؛ السخاوي : نفـس المصـدر والجزء ، ص٢٣٩ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر والورقة .

(٤) النجـم ابن فهـد : نفـس المصـدر والـورقة ؛ السخـاوي : نفـس المصـدر والجزء والصفحة .

واعتنى بالنظم ، وكان له تذوق حسن فيه . ومهر في صنعة تجليد الكتب(١)، ولعله تعلمها من تلميذ والده ابن عزم الذي اشتهر بهذه الصنعة(٢).

وفضائل يحيى كثيرة ، ومحاسنه جمه ، ولم يزل في ترق من الأوصاف الشريفة حتى توفى في ذى القعدة عام (٨٨٥هـ/١٤٨١م) ، وكان قريب الأجل من أبيه الذي توفى قبله بحوالى الشهرين ونصف الشهر(٣).

وقد خلف يحيى الآثار التالية :

- انتخب من دواوين الشعر شيئا كثيرًا ، وجمع المجاميع في هذا المضمار حتى صار خبيرًا فيه .
- جمع فوائد كثيرة من النكت والغرائب .
- اختصر الأمثال للميداني .
- عمل في الأوائل كتابًا مجردًا سماه الدلائل إلى معرفة الأوائل .
- نسب إليه كتاب القول المبين بأخبار المعمرين ، ضمن مجموع من الكتب والرسائل لآل فهد في مكتبة الحرم المكي(٤).

أما أخوه عبد العزيز فهو يصغر يحيى بعامين ونصف ، ولد في شوال عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) في مكة ، وكان والده غائباً في مصر أثناء ولادته ، ونشأ العز في مكة فحفظ القرآن الكريم ، وأربعي النووي ، والارشاد لمختصر الحاوي لابن المقريء ، والنخبة لابن حجر ، وألفية النحو ، والجرومية في النحو ، وعرضها بتمامها على أبيه وجده ، وبعضها على جماعة .

---

(١) النجم ابن فهد : نفس المصدر والورقة ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) انظر ترجمته ص١٦٣-١٦٤ من هذا المبحث .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٤٧ب-١٧٥أ ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٤) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم ، رقم المجموع ، ٤٤١ حديث .

والوافدين إليها ، وقد كتب أحدهم اجازته للصغير نظماً(١).

وقد كان النجم شديد العناية به ، فأحضره وأسمعه واستجاز له عدداً كبيراً من العلماء المكيين وغيرهم ، وقد لاحظ ذكاءه اللماح ، وسرعة حفظه فأخذ يشجعه على القراءة والاطلاع ، وهو معه في كل أمره يتابعه ويقرأ له ويسمع منه ، فلما ترعرع برزت مواهبه العقلية ، وشق طريقه إلى الطلب بنفسه ، وسافر إلى المدينة المنورة أكثر من مرة ، وسمع فيها من فضلائها(٢).

وعندما اكتمل له الأخذ عن شيوخ بلده ، وآنس أنه مفيد من علمه في غيرها رحل إلى مصر عام (٨٧٠هـ/١٤٦٥م) ، وكان سنه آنذاك عشرون عاماً ، وبقي في الديار المصرية عاما كاملاً أكثر فيه من القراءة والسماع على شيوخ مصر والجيزة وعلو الأهرام وغيرها . ثم سافر في أول العام الذي يليه إلى بلاد الشام فزار القدس ، وسمع فيها وفي الخليل وغزة ونابلس ودمشق وبعلبك وحماه وحلب . واجتهد في كل ذلك ، وتميز في الطلب ورجع إلى مكة في نهاية العام مع الركب(٣).

وفي عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) سافر العز إلى مصر والشام من جديد ، وكان جل قصده من هذه الرحلة الدراية ، فأكثر من القراءة ، ونسخ بعض الكتب ، ثم عاد بعد عامين من المتابعة الدقيقة والبحث إلى مكة ، وفي جعبته الكثير .

---

(١) انظر مصادر ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع ، ج٤ ، ص٢٢٤-٢٢٦ ؛ الغزي الكواكب السائرة ، ج١ ، ص٢٣٨ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص١٠٠-١٠٢ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٥٨٣ ؛ الكتاني : فهرس الفهارس ، ص٧٥٤-٧٥٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٤ ، ص٢٤ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٥ ، ص٢٢٥ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٢٤-٢٢٥ .

(٣) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٢٥ .

واستطاع العز بمثابرته ، ومتانة خلقه ، وعلو همته ، واستعداده العقلي أن يفوز باحترام شيوخه واعجابهم ، ولما قدم إلى مصر عام (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) للمرة الثالثة لازم السخاوي ومشاهير العلماء ، وحضر كثيرًا من مجالس الإملاء ، واستملىٰ بعضها ، وعاد بعد أن تضلع في علومه وثقافته .

وتألق نجم العز في الفقه والعربية ، وسطع ضياؤه في التخريج والكشف والتأريخ ، وبرع في الحديث طلباً وضبطاً ، حتى قيل انه "ليس بعد أبيه ببلاد الحجاز من يدانيه في الحديث ، مع المشاركة في الفضائل وجودة الخط "(١).

والجدير بالذكر هنا أن علاقة العز بأبيه كانت كبيرة جدًا ، فقد كان اليد اليمنىٰ له سيما في مجال التأليف ، فقد رأيناه يمسك بقلمه فيستكمل مصنفات والده!! ولكن في منهجية علمية بالغة الدقة والأمانة(٢).

وقد انقطع العز للعطاء ، وإفادة الطلبة بعد أن أذن له كبار علماء عصره بتدريس الحديث والفقه والنحو ، ومن أبرز تلاميذه ابنه جار الله ، والشمس ابن طولون(٣).

واختلفت مصادر ترجمته في تاريخ وفاته على أربعة أقوال ، ثلاثة منها متقاربة مابين عام (٩٢٠هـ/١٥١٤م) وعام (٩٢١هـ/١٥١٥م) وعام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) ، وقول رابع ذهب بعيدا فذكر أن وفاته كانت عام (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) ، وعلى كل فإن أرجح الأقوال هي التي ذكرت وفاته عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) ، فقد أفاد ابن طولون أن جار الله بن العز كان في دمشق في ذلك التاريخ ، ولما سمع بوفاة والده قفل راجعاً إلى مكة(٤).

---

(١) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) انظر الفصل الخاص بدراسة معجم الشيوخ المخطوط ص٣٦٦-٣٦٧ من هذه الدراسة .

(٣) الغزي : نفس المصدر والجزء والصفحة ..

(٤) انظر مفاكهة الخلان ، ج٢ ، ص٦٣ .

وقد ترك العز آثاراً هامة في التاريخ والتراجم والفهرسة والحديث وغيرها ، نذكر منها مايلى :

- الإجازة[١].

- بلوغ القرىٰ في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرىٰ ، ويعنىٰ معهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الإسلامى بطباعته .

- ترتيب طبقات القراء - للذهبي - على حروف المعجم[٢].

- الترغيب والاجتهاد في الباعث لذوي الهمم العالية على الجهاد[٣].

- الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة[٤]، ويبدو من عنوان الكتاب أن المؤلف يقصد به الرد على كتاب فصوص الحكم لابن عربي .

- ذروة العز والمجد لمشائخ ابن فهد : أورد فيه أسماء ثلاثمائة ، من مشائخه بالإجازة والسماع[٥].

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، في ثلاثةأجزاء ، وهو كتاب مطبوع بعناية معهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى .

- فهرست مروياته[٦].

- معجم شيوخه : ويشتمل على نحو ألف شيخ[٧].

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج٢ ، ص١٧٥ ، الملحق ٢٢٤،٢ .

(٢) الغزي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٢٣٩ ؛ ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، ج٨ ص١٠٠ .

(٣) الغزي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ البغدادي : ايضاح المكنون ، ج١ ، ص٢٨٣ .

(٤) البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٥٨٣ .

(٥) الكتاني : فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص٧٥٥ .

(٦) الغزي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر والجزء ، ص١٠٩ .

(٧) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص٤٥٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

- جزء في المسلسل بالأولية(١).
- كتاب في المسلسلات(٢).
- إكمال "مشيخة السمهودي" : أصل المشيخة من تأليف النجم غير أنه توفى قبل إتمامها ، فأكملها العز ، وحدث بها السمهودي(٣).
- نزهة الأبصار ، لما تآلف من الأفكار(٤).
- نزهة ذوي الأحلام بأخبار سلطنة البلد الحرام(٥).
- النزهة السنية فيما يطلب من أخبار الملوك وخلفاء الديار المصرية(٦).

وبعد فما أكثر أوجه الشبه بين النجم وابنيه ، فثلاثتهم ظهرت عليه علامات النجابة منذ الصغر ، وثلاثتهم وجدوا الرعاية الكاملة من مسيري مملكتهم الصغيرة ، وثلاثتهم نشأوا تنشئة علمية موجهة ، وثلاثتهم حملوا معاصريهم على احترامهم بما حازوه من قيم دينية وخلقية وفكرية ، ومن الملفت تعلق يحي بتذوق الشعر والتاريخ ، وتولع عبد العزيز بالتاريخ والحديث ، وكل الميادين الثلاثة كانت مضماراً للنجم قدم فيها عطاءات ظاهرة ، غير أن ثمة شيئاً بارزاً هنا ألا وهو الإهتمام بالتاريخ الذي يعد صفة مشتركة ومميزة بين الثلاثة ، ولن نبالغ إذا قلنا أن النجم قد حصل الآت هذا الفن وأتقن معرفته فكان الإمام ، وكان القدوة لابنيه .

تلك لمحة سريعة عن بعض صلات النجم وعلاقاته الشخصية ، بعالمه

---

(١) الكتاني : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٧٥٥،٩١١ .
(٢) الكتاني : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٧٥٥ .
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص٢٤٧ .
(٤) المحبي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٥ ؛ البغدادي : ايضاح المكنون ، ج٢ ، ص٦٣٤ .
(٥) المحبي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٤٥٧ ؛ البغدادي : نفس المصدر والجزء ، ص٩٣٩ .
(٦) بروكلمان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٧٥ ؛ الملحق ٢،٢٢٤ .

الخاص ، والخارجي ، والتي أسهمت في فتح المجال أمام صاحبنا للدخول في زمرة الرواد الأول من علماء عصره .

علاقته بالمجتمع :

عاش النجم في منزل كبير لآل فهد ، فوالده التقي كان من مياسير مكة وقد أوقف الدور على أقربائه ومن ينسبون إليه ، كما أوقف العقارات التجارية على أوجه البر التي أنشأها في البلد الأمين(١). ولعل هذا العقار التجاري الموقوف هو الذي سكن فيه العالم عبد الحق السنباطي أثناء مجاورته في مكة عام (٩٣١هـ/١٥٢٣م) ، وقدرت وفاته فيه(٢).

وآل فهد بيوت مشهورة مذكورة في مكة ، منازلها قرب المسجد الحرام في شارع يعرف بهم يسمى "زقاق الفهود"(٣)وقد ذكر السنجاري أن أحد أبواب المسجد الحرام كان يسمى بباب الفهود(٤)، فلعله ينسب إليهم ، ذلك لأن منازلهم قريبة من المسجد الحرام ، والشارع الذي يشرفون عليه يحمل نفس الاسم .

والمهم أن النجم قد جاور بيت الله الحرام حساً ومعنىً فمنزله الذي شهد طفولته يقع بجوار المسجد الحرام خارج باب الندوة(٥)، وله سكن آخر في السويقة في مقدمة حي كان يعرف بحارة الشيبيين(٦). وله منزل في المشعر الحرام بوادي منى كان يجتمع فيه بالعلماء في مواسم الحج(٧).

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ،ب .
(٢) الغزى : نفس المصدر ، ج١ ، ص٢٢٢ .
(٣) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ق٤١ب .
(٤) منائح الكرم ، ق١٠٠ب .
(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٣١أ .
(٦) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ .
(٧) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨٠أ .

وفي هـذا الجوار المؤنس الـذي يسـاعد على تنشئة النفـوس العظيمـة ، عكف النجم على كتابة تاريخ مكة[١]. وفي منزله تجاه الكعبة الشريفة انتهى من تسويد معجم شيوخه بالسماع والإجازة[٢]، ومانشك في أن الجوار كان قدوة ملهمة دافعة متدفقة لحياة وفكر مؤرخنا ، خاصة لمن تربى في بيت المعلم الجليل ، والمربي الفاضل التقي بن فهد .

ونحن إذا تأملنا آثار النجم العلمية ، وجدنا أن مكة وأهلها ومجاوريها قد استأثرت بقسط كبير من نشاطه ، وأن قضاياها وهمـوم ناسها واسهاماتهم كانت ملء سمعه وبصره ، ولهـذا استخدم قلمه لأكثر مـن نصـف قرن كأداة يستقـرىء بها تاريخ هذا البلـد العظيم ، ويتتبع مجريات التنـافس بين القـوى الإسلامية المختلفة في مد نفوذها وسيادتها عليه ، وآثار الصراع الداخلي على السلطـة ، ومـاخلفته الفتن مـن أوضـاع متردية ، وأصـداء مـن شأنها تأجيج المطـامع والأغـراض ، وإضعـاف البنيـة الأسـاسية عن القيـام بدورهـا وأداء رسـالتها كما يجب ، وهو حين يصف لنا تدفق تلك الأحداث لما قبـل عصره يكتفي بتسجيلها دون توضيح القوى التي تحركها ، تاركاً لمن يأتي بعده مهمة النفـاذ وراء الأخبـار ، وكشـف المحركات الخفية المسيطـرة على سير الحوادث واتجاهاتها .

أما تاريخه المعاصر فقد رسم إطاره في تفاعل حي نابض مـع محيطه فهو يتعمـق في الأسبـاب والنتائج ، ويملـك زمـام قلمه ، ويعطـي أخبـاره كـامل اهتمــامه ، ويستـوعب في نظـرة شمـولية خطـوات المجتمـع المكـي في العلم والسيـاسة والاقتصاد والاجتمـاع ، وشئون الحج ، وعمـارة المسجـد الحرام ، والمشاعر المقدسة ، وصفوة القول أنه قدم تاريخه المعـاصر في منهجية متكاملة هي في الحقيقة قمة مثالية لايسـع البـاحث المستـوعب إلا أن يقـدر مـوهبته

---

(١) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٦٤٤ .
(٢) انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٨٦ب .

الذاتية ، وينظر بعين الاعجاب للمادة التاريخية التي صور فيها حياة مجتمعه ، في تفاصيل دقيقة ثرية لم يكن يستطيع تقديمها لولا قربه من مسرح الأحداث.

لقد تفرد النجم بكتابة سجل ضاف لأخبار مكة وحوادثها في عصره ، وكونت مقروءاته ومسموعاته ومشاهداته لهذا التاريخ تحفة نادرة صاغ معلوماتها بوضوح ورصانة ، وعلل معظم نصوص مادته تعليلاً ناضجاً يدل على المام واسع بأغوار مجتمعه الذي داخله الفساد من جهات عدة ، كما يدل على مقدرة لاحد لها في مواجهة الأمور التي يراها منافية للحق والعدل فنراه مثلاً يعرض بالقواعد والنظم المالية(١)، ويشخص الداء الذي يكمن في تردي الأوضاع السياسية في مكة(٢)، وينتقد بعض العادات السائدة في المجتمع ؛ والتي تنافي الدين الإسلامى وأصوله(٣).

ولعل أعظم خدمة قدمها النجم لمجتمعه هي تلك الأعمال التاريخية الخالدة التي تركزت وتبلورت في حفظ تاريخ مكة ، وتلك غاية سامية كانت همته العالية منصرفه بكل طاقتها لتحقيقها(٤).

ومن المسلم به أن النجم قد كرس حياته لخدمة علم الحديث في مجتمعه تحديثاً وتصنيفاً ، وكان مدرسة قائمة بذاتها خرجت العديد من الحفاظ والعلماء ، وقد أتاح له تبحره في علم الحديث ورجاله مكانة عالية ، وشهرة عظيمة بين معاصريه ، فهو لم يغادر أى فرع من فروع هذا الفن إلا ألم به ، ووقف على أهم ماألف فيه ، ومـاوصل إليه الباحثون في مسائله ، فأقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب ، وحرص أئمة العلماء على الأخذ منه

---

(١) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٢١-٦٢٢،٦٤٧ ؛ ج٤ ، ص١٤٥،٣ .

(٢) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٥٤٢-٥٤٦ ؛ ج٤ ، ص١٨٨ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ج٢ ، ص٧٦ ؛ ج٣ ، ص٤٦٦ .

(٤) انظر مقدمة النجم ابن فهد : في كتابيه اتحاف الورى ، ج١ ، ص٣-٦ ؛ الدر الكمين ، ق١أ-٢أ .

والقراءة عليه أثناء مجاوراتهم[١]. ولعل مما يحمل على الإشادة بالعطاء الذي قدمه النجم في هذا الميدان هي شهادة جهابذته على تفضيله وتقديمه ، والاعتراف بمقدرته وبراعته ، فابن حجر أثنى عليه في أكثر من موقع ووصفه مرة : "بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوي" ، وأخرى "أنه من أهل العلم بالحديث ورجاله ومن أهل البيت النبوى"[٢]، وقال السخاوي معقباً : "ولو علم منه تلفته للأوصاف والثناء لما تخلف عن وصفه بالحافظ"[٣]. واغتبط به حافظ بلاد الشام ابن ناصر الدين ووصفه : "بالشيخ العالم الفاضل ، البارع المحدث ، المفيد الرحاله ، سليل العلماء الأماثل ، فخر الفضلاء الأفاضل ، جمال العترة الهاشمية ، تاج السلالة العلوية ، نجم الدين ، ضياء المحدثين"[٤]. وتوقع المقريزي له مستقبلاً بارزاً في علم الحديث ، وذكره في ترجمة والده وقرنه به في الفضل فقال عنهما : "انهما محدثا الحجاز ، كثيرا الاستحضار ، وأرجو أن يبلغ عمر في هذا العلم مبلغاً عظيماً ، لذكائه واعتنائه بالجمع والسماع والقراءة بارك الله له فيما آتاه"[٥]، وأخذ عنه ابن عذيبة وقال في حقه : "الحافظ نجم الدين ؛ من أعيان فضلاء تلك البلاد ، وإليه المرجع في هذا الفن"[٦]. ووصفه ابن طولون : "بالشيخ الإمام المحدث العلامة"[٧].

ومادامت هذه شهادة الحفاظ فيه فلامغالاة إذن في القول : بطول باعه ، وأصالة تفكيره ، وتأثيره في المعرفة الحديثية في عصره ، لقد عاش نجمنا عمراً مديداً قضاه في دأب وجد ومواظبة على الإشتغال فحدث وأكثر ، وبدأ

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣٠-١٣١ .
(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .
(٣) الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٩-١٣٠ .
(٤) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٧ .
(٥) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٣٠ .
(٦) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٧) القلائد الجوهرية ، ق٢ ، ص٤٥٣ .

انتاجه مبكرًا فخرج وألف كتبًا كثيرة(١).

ولعل مما يسترعي نظر الباحث أن النجم سار على سنة والده في فتح أبواب مكتبته الخاصة لطلاب المعرفة من المكيين والمجاورين والوافدين ، وبذل نفسه ، وفوائده وكتبه للطلاب خاصة المغتربين ، فقد كان مكرماً لهم وهم بالمحل الأعلىٰ من اهتماماته(٢).

وتضم مكتبة النجم عددًا كبيراً من الكتب القيمة ، فضلاً عن احتوائها على أعداد هائلة من المجلدات النفيسة التي ضُمت إليها من مكتبة أبيه الموقوفة ، وكانت قد دخلت تحت نظر النجم بوصية من واقفها التقي ابن فهد بعد وفاته(٣). والمكتبة عمومًا منظمة تنظيماً يندر أن تجد مثله في غيرها من المكتبات الخاصة في مكة في ذلك العهد ، وقد حوت فهارس بأسماء الكتب(٤). ولاشك بأن معد هذه الفهارس ومنظمها النجم فقد كان فارس الفهرسة في زمنه ، وقد عمل فهرستًا له وأخرىٰ لوالده(٥)، وفهرس بعض الكتب الهامة الموجودة في مكتبته(٦).

وقد سهل النجم لطلاب العلم سبل الاطلاع والإعارة تماما كوالده ، ومن الجميل أن بعض المستعيرين من مكتبته كانوا يعيدون الكتب المستعارة ومعها رسائل شكر قد تتضمن أبياتاً شعرية في الممدوح نجمنا(٧).

---

(١) ابن طولون : نفس المصدر والقسم ، ص٤٥٤ .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٨٤ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٩ب .

(٣) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣ب .

(٥) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٢ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٦١ب ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨-١٢٩ .

(٦) روزنتال : مناهج العلماء المسلمين ، ص١١٢ .

(٧) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٥٩أ .

لقد كانت مكتبة النجم درة المكتبات في مكة ، وقد ذاع صيتها ، وأمها الطلاب من كل مكان ، وحرص العلماء والأدباء على الاطلاع على كنوزها ، وكانوا يقصدونها للقراءة ، وكثيراً ماكانوا ينتخبون من كتبها ، ويثبتون ذلك في مصنفاتهم وكان السخاوي والسيوطي ، وابن الشماع وغيرهم من رواد هذه المكتبة أثناء مجاوراتهم بمكة(١).

ولم يكن النجم أكثر علماء مكة شهرة فقط ، بل كان أكثرهم شمولاً في علاقاته الداخلية والخارجيةمع علماء وأعيان عصره في داخل مكة وخارجها خاصة مصر ، ولم يستغل صلاته الوطيدة في مغانم شخصية يحققها لذاته - فقد كان أبعد الناس عن اغراءات الجاه والمناصب - بل أنفق عمره داعياً إلى الحق جاداً في فعل الخير ، شاهراً في ذلك لسانه وقلمه ، حريصا في هذا كله على أن يضع شخصه وعلمه وعلاقاته في خدمة مجتمعه فضرب بذلك أروع الأمثال(٢).

وكان وقوف النجم بجانب قضية ما وتفاعله معها ، ودعمها يعني الكثير ، ونستطيع أن نتلمس علو المكانة التي كان يتبؤوها من الرغبة الشديدة لفضلاء مكة في صحبته ، ولعلنا نوضح شيئاً من ذلك من خلال صلته بالقاضي الشافعي البرهان ابراهيم بن ظهيره(٣)، الذى انتهت إليه رئاسة الحجاز الدينية ، فقد وقف النجم بجرأة وصلابة لتأييد القاضي العادل في كثير من المواقف ، وكان للقاضي به جمال وأنس وسعادة ، يقول السخاوي في ترجمة القاضي ابن ظهيره : "وانتفع ... بصاحبنا النجم ابن فهد

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٩ ؛ ابن الشماع : سفينة نوح ، ق١٦٣ب ؛ وانظر دراستنا للمعجم المخطوط ص٣٦١-٣٦٢ من هذه الدراسة .

(٢) السخاوي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٩٦ .

(٣) انظر ترجمته فى النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٩٣أ،ب ؛ السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٨٨-٩٩ .

الهاشمي ، فانه كان يبرز معه قولاً وفعلاً في المواطن التي يجبن بها غيره ، ويكتب لأصحابه المصريين وغيرهم بما يزداد به قوة ووجاهة ، حتى كان صاحب الترجمة يغتبط به بحيث قال الخطيب أبو الفضل : "وددت لو كان معي ولو تخلف عني سائر أصحابي وأقاربي"(١).

ومن المواقف الصارمة لهذا القاضي رفضه التام لاغتصاب أجزاء من المسعىٰ لبناء رباط وسبيل لأحد خواص السلطان المملوكي قايتباي ، ومنعه للبنائين من إقامة البناء ، مما أدى إلى غضب القائم بأمر العمارة فكتب للسلطان المملوكي وتحامل على القاضي ، ووصفه بما ليس فيه الأمر الذي أدىٰ إلى عزله .

وقد عرض النجم لوحة حية عن المكان والزمان والحدث ، استوعب فيها تاريخ التعديات على هذا الطريق ، وبين أحوال القضاة ، واختلافهم في اصدار الأحكام ، وسخط الفقهاء وعامة الناس وخاصتهم لهذا العمل الذي عدوه منكراً(٢).

وقد تعرض النجم بسبب مناصرته لهذا القاضي ، ووقوفه مع الحق لكثير من العداء ، ومُس بالأذىٰ في نفسه وجهاته ، غير أن مواقفه لم تتبدل وظل يدافع ويكافح عن القاضي العظيم حتى عاد إلى منصبه مرفوع الرأس(٣).

ولهذا حري بنا أن نعد كتابات النجم في ذلك الوقت بمثابة الرأي العام في المصطلح السياسي الحديث ، فقد كان لها وقع وتأثير وصدىٰ في مجريات الأحداث .

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٩٦ .

(٢) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٢٧-٥٣٢ ؛ وانظر النهروالي : الاعلام ، ص٢٨٨ .

(٣) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص٩٦ .

لقد صار للنجم وجاهة وجلالة ، وأحكام مقبولة ، وأضحىٰ عين أعيان بلده ، يختار جنباً إلى جنب مع القضاة الأربعة بمكة للنظر في القضايا والمهام التي تحتاج إلى تحكيم الثقات في مسألة ترشيد القصار وغيرهم(١). ويدعىٰ للبحث في المسائل الشائكة ، ففي عام (٨٧٧هـ/١٤٧٢م) دُعي مع اثنين من كبار رجال القضاء والعلم للنظر في قضية اجتماعية تطورت نتيجة لضعف الوازع الديني ، وأثرت على ركن من أركان الإسلام ، حين افتعل المؤذن وإمام المسجد الحرام تأخير صلاة الصبح إلى أن أسفر النهار ، ثم القراءة بسورتين طويلتين كرر الإمام فيها بعض الآيات للتنبيه على فساد تلك القضية والإفك الذي حيك حولها ، وقامت بسبب هذا الأمر فتنة عظيمة ، وزورت محاضر التحقيق فيها أكثر من مرة ، وقد سجل النجم دقائق التحقيق تسجيل المحقق الجنائي ، ذاكرًا أقوال وألفاظ شخوصها بلهجاتهم العامية ، وذلك تأكيدًا للأمانة ، واثباتاً للحقيقة(٢).

والنجم الذي لم يعش في أبراج عاجية فولاذية ، خاض مع صغار التجار معركتهم ضد الأمير المملوكي المشرف على جباية الضرائب ، ورسم صورة مؤلمة لاستغلالهم والإمعان في ظلمهم وامتهان كرامتهم ، من قبل جميع الجهات الرسمية ، وصور ثورة المجتمع على فساد الضمائر المتحكمة في الناس ، وامتناعها من نصرة المظلوم ، وأصدر كلمة الحق في دنيا أذل الحرص فيها أعناق الرجال(٣).

وصاحبنا على صلة طيبة بأمراء مكة ، فوالده التقي كان شيخاً لحسن ابن عجلان صاحب مكة(٤)، وقد صنف له ولأولاده على وأبى القاسم

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٥٤٧-٥٥٥ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٢٦٦-٢٧١ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ص١٧٥ .

(٤) العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٣٥٢ .

وبركـات مؤلفات باسم كـل منهم[١]. وقـد ترجم النجـم لحسن بن عجلان ضمن شيوخه ، وذكر أنه سمع عليه ثلاثة أحاديث من أولها بقراءة والده ، وحدد الـزمان والمكان الذي سمع فيه ثم قال : "وعنـدي شك هل أجاز لنا أم لا؟ وكان عمر النجم آنذاك أربعة عشر عاماً"[٢].

ويبدو أن لصاحبنا صلة عميقة بأمير مكة بركات بن حسـن بن عجلان فقـد كان أميرًا عالماً ومحدثًا وناظماً للشعر ، حدث بمكـة والقاهرة ، ولم يقدر للنجـم السماع منه ، ولكنه أجازه بالإستـدعاءات ، وقـد روىٰ عنه في كتابه الـدر الكمين حديثًا متواترًا بسنـده ، وألحق ترجمته بعـدد مـن القصائد التي أنشـدها الأمير للنجـم ، ونستشـف عمـق الصلة من لفـظ : أنشـدني ففيه من الخصـوصية مايؤكد ذلك ، وفي الترجمـة مايفيد اجتماع النجـم به أثناء فترة عزله عن الإمارة ، فقد نقـل عنه قصيدة كان قد كتبهـا على ظهر كتاب وهو معزول ، وعموماً فصاحبنا معجب بشجاعته المفرطة ، وسمت وقاره ، وحسن سياسته[٣].

غير أن علاقتـه الجيدة بأمراء مكة لم تؤثر في نزاهتـه وأحكامه ، ولعل في تتبع التاريخ المعاصر لأمراء مكة في كتاب إتحاف الورى خير شاهد لمواقفه الحازمة والمنصفة في نفس الوقت ، فهو لايجامل على حسـاب الحق ، ولايلبس الأحداث قناعًا أو حجاباً ، يلونها ويستر حقائقها .

فهاهو النجم رجل الطبيعة الإنسانية قد هاله المصـاب الجلل الذي لحق بأهـل جازان بعـد غزو أمير مكـة لتلك الديار وتخريبـه لهـا وحرقها ، وقتل الكثير مـن رجالهـا ونسائها وولـدانها صبرًا وعدوانًا ، وأسـره مـن تبقىٰ من

---

(١) العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، ص٣٥٢،٣٩٣-٣٩٤،٤٨٨،٤٩٨ .

(٢) انظر معجم الشيوخ المخطوط ق٧٣أ-٧٤ب ؛ العز ابن فهد : نفس المصدر والجزء ص٣٥٢ .

(٣) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٩٨ب-٩٩ب .

كرام رجالها ، وحرائر نسائهـا وحملهم إلى مكة مع مـاغنم مـن متاع وثياب وكتب نفيسة[١]، فأرسل صرخة من قلمه تندد بسياسة العنف والغزو قائلاً : "كانت نازلة شنيعة عاد وبالها على أهل مكة فإنهـا أقحطت سنين عديدة"[٢]. فالنصر والغنيمة في ضوء الفهـم الروحي لمؤرخنا لم يمنحـا الحياة لأن السياف كان يجري وراء سراب مادي خادع ، وهـذا تحليـل جيـد لمضمـون الغـزو .

وقبل أن نختم حديثنا هنا نقول : أن مؤرخنا الـذي صاغ عالمه صياغة جيدة بالنفاذ إلى أعماق مجتمعه ، قد آثر حياة الزهد في المنـاصب ، فلم يتول وظيفــة شـرعية أو إدارية ، ولم يزاحم الـرؤساء ونحوهـم ، وقـد اكتفى باعـراضه عن بني الدنيا قنـاعة منه[٣]، وكـان في استطاعته وهو الأثير عنـد أمير مكـة وقاضيها أن يلي أعلى المنـاصب ، فهو شيخ العلـوم في مكة ، لكنه على مـايبدو كان يرى أن العلم رفيـع غاية الرفعة ، وأن حيـاة العلماء أنبل حيـاة ، وعملهـم أجل الأعمـال ، فبجهودهم ومشورتهم تقـاد الإنسـانية إلى أعلى درجات المجد والسؤدد .

تلاميذه :

لعل أول مانلتقى بالنجم المعلم نلتقي به في رحلتـه للدراسات العليا في مصـر والشـام ، فقد كان مفيـدًا في زي مستفيـد ، ورأى فيـه شيـوخه هناك نبـاهة ، وذكاءً متوقدًا ، وتضلعـًا في علم السنة المحمـدية ، ومعرفة الرجال ، فأخذوا عنه ، وأسمعوا عليه أولادهم[٤].

---

(١) النجـم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٦١٣-٦١٤ ؛ ابن الـديبع : قرة العيون ق٢ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٢) اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٦١٤ .

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٩ .

(٤) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩-١٣٠ .

ومنـذ هذه البداية لحياته العلميـة العملية ظهرت سجـايا صاحبنا ، ولم يمض وقـت طويل حتى أصبح نجمـاً ساطعًا في حقله ، وتكـاثر عليـه الطلبة ، وراسلـه الشيوخ والأقران ، وكـان من سعد طالعه ، ويمن حظـه ، سكناه في جوار بيـت اللـه الحرام ، ولهـذا فهـو في لقاء دائم ومتجـدد بمعطيـات الفكر والثقـافة ، عـن طريق لقائه بالعلمـاء المجـاورين الـوافدين مـن كافة أصقاع المعمورة ، فلم ينعزل لحظة عن عالمه المحبب ، عالم الإيمان والعلم ، وكـأنه قد وصل فكره بوريد حي متدفق يثري محاضراته ويتوجهها على الدوام .

ولم يكـن للنجـم ولأبيه نظير في الحجـاز في معـرفـة العلـل ، وأسمـاء المتقـدمين والمتـأخرين والمرويات ، والعـالي والنـازل ، والحفـظ للمتون (١)، وهـو مـع رسوخ قدمه في العلم كـان لين الجانب ، دمـث الأخلاق ، متـودداً للخاص والعام ، مكرماً للطلبة ، باذلاً نفسه وكتبه لمنفعتهـم ، مذللاً للصعاب التي تعترض طريق المعرفة خاصة للوافدين منهم (٢).

والمتعمق في كتب رجاله يلمس تواضعه العلمي الجم ، ويجد أن صفـة الإفـادة والإستفـادة ظلـت ملازمـة لـه إلى آخر عمره ، فهـو لايجد حرجًا في الأخذ ممـن هم أقل منه سنًا وعلمـًا ، وممن هم في عداد تلاميـذه ، فـالعلم ضالته ، بغض النظر عن الإناء الـذي يأخذ منـه ، ولـذلك نراه لايتحـاشئ الترجمة لتلاميذه ، الذين أخذ عنهم ضمن الشيوخ الذين يدين لهم بالفضل في اثراء ثقافته (٣)، وقل أن نجد مثل هذه المثالية والأمانة العلمية .

وكـان النجـم في نظر طلابه سيـد الموقـف من أين تأتيـه تجده يبهـرك بكنـوزه العلمية والروحية ، فتعـالت مكانته عندهم ، وازدادت محبتهـم له ،

---

(١) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٨ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .

(٣) انظـر النجـم ابن فهد : معجم الشيـوخ المخطوط ، ق١٩ ، ٦٣ب ، ٩٥ب-٩٦ب ، ٢٠١ب ، ٧٥أ .

وكال له الشعراء منهم المديح والثناء ، ورثوه عندما توفى بقصائد من نظمهم.

ومن تلاميذه المبرزين ابناه يحي وعبد العزيز ، وصاحباه السخاوي والسيوطي ، وقد ترجمنا لهم في ثنايا الحديث عن علاقاته .

ومنهم أيضا :

- ابراهيم بن محمد الخجندي المدني ، ولد عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، قرأ بمكة في منى على النجم الثلاثيات ، وهو أحد أعيان المدينة المنورة ، وإمام الحنفية بها ، توفى عام (٨٩٨هـ/١٥٠٢م)(١).

- أحمد بن الحسين بن العليف أديب شاعر ولد عام (٨٥١هـ/١٤٤٧م) ، ولازم النجم في مكة ، وأنشده مرثيته في القاضى نور الدين على بن أبى اليمن النويري(٢)، وقد ذكر السخاوي أن ابن العليف رثى النجم عندما توفى ، وقد سمع مرثيته تلك إلا أنه لم يسجلها في كتابه(٣).

- أحمد بن على الفاكهي الشهاب بن النور ، ولد عام (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) ، ممن تتلمذ على النجم(٤)، وصفه السخاوي بأنه حاذق فطن متودد(٥).

- أحمد بن محمد القسطلاني ، ولد عام (٨٥١هـ/١٤٤٧م) ، قرأ على النجم فى مكة عام (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) ، ورافق الفضلاء ، وجلس للوعظ في مصر ومكة ، وشارك في عدد من العلوم ، حج مع ابن أخ الخليفة عام (٨٩٧هـ/١٤٩١م) ، ورجع معه(٦).

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ الضوء اللامع ، ج١ ، ص١١٩ .

(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٩ب .

"والقاضي نور الدين النويرى ينتسب إلى بيت كبير في مكة توارث منصب القضاء فيها ، توفى عام ٨٨٢هـ" . انظر ترجمته فى الدر الكمين ، ق١٢٨ب-١٢٩ب .

(٣) انظر الضوء اللامع ، ج١ ، ص٢٩٠ .

(٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص٢١٤ .

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٣٤ .

(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ج٢ ، ص١٠٣-١٠٤ .

- أبو بكر بن زيد الجراعي الدمشقي ، ولد عام (٨٢٥هـ/١٤٢١م) ، وهو أحد أئمة الحنابلة بالشام ، وله شعر حسن ، قرأ مسند الإمام أحمد بتمامه على النجم عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) ، وعمل يوم الختم قصيدة نظم فيها سند المسمع وامتدحه فيها أولها[١]:

الحمدُ للهِ الذي هَدانا وَكَمْ لهُ مِن نعمةٍ حَبانا

ذكره النجم في معجم الشيوخ وقال أنه أنشده القصيدة المذكورة وغيرها من القصائد من نظمه ، توفى بدمشق عام (٨٨٣هـ/١٤٧٨م)[٢].

- ابن العلامة الزين رضوان بن محمد العقبي - والده الزين رضوان محدث القاهرة ، والمتفرد في الديار المصرية بمعرفة الشيوخ - سمع من النجم بعض الأحاديث في رحلته الأولى لمصر ، ولخص والده تراجم أكثر شيوخ تلك الرحلة[٣].

- عبد الرحمن بن أحمد بن فهد ، ابن أخ النجم ، ولد عام (٨٤١هـ/١٤٣٦م)بقاليقوت بالهند ، أثناء رحلة سياحية لعائلته ، وسمع من علماء آل فهد رجالاً ونساءً ، وكان مؤرخنا شديد العناية بتعليمه ، فأحضره وأسمعه وأجاز له جمعاً من شيوخ بلده والقادمين إليها ، مهر في النحو ، ونظم الشعر ، وكتب بخطه الكثير من الكتب من جملتها عدة نسخ من كتاب السلوك للمقريزي . قدرت وفاته في أثناء رحلته العلمية خارج بلاده ، وبالتحديد في القاهرة في وباء كان بها عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)[٤].

- عبد الرحمن بن محمد البربهاري ، ويعرف بابن عثمان ، لازم النجم واختص به ، ودخل الشام ومصر ، توفى في مكة عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م)[٥].

---

(١) السخاوي : نفس المصدر ، ج١١ ، ص٣٢-٣٣ ؛ ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج٧ ، ص٣٣٧ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٢٣٧ .

(٢) انظر ورقة ٦٣ب .

(٣) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣٠ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١٥ب-١١٦ب ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ج٤ ص٧٠-٧١ .

(٥) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١٣٩ .

- عبد القادر بن عبد الغني القباني ، سمع الكثير على النجم بمكة ، توفى في القاهرة عام (٨٩٧هـ/١٤٩١م)(١).

- عبد القادر بن عبد الوهاب المحيوي القاهري ، ولد عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) ، قرأ على النجم ، وسمع من لفظه جزءًا من رواية ابن حبيب داخل البيت المعظم ، وهو أحد موقعي الدرج(٢).

- على بن عبد الله السمهودي نزيل المدينة النبوية ، وعالمها ومؤرخها سمع على النجم بمكة ، وسأله أن يجمع له شيوخه بالسماع والإجازة ، توفى عام (٩١١هـ/١٥٥٠م)(٣).

- محمد بن على البلبيسى المكي ، ولد عام (٨٤١هـ/١٤٣٧م) ، قرأ على النجم ووالده جامع الترمذي ، وامتدح شيوخه بقصائد من نظمه(٤).

- محمد بن أبى القاسم البرنتيشي - من عرب الأندلس - ولد عام (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) ، سمع على النجم بمكة ، وتولى الإشراف على متجر السلطان المملوكي بالاسكندرية ، توفى عام (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)(٥).

- محمد بن عبد الرحمن المدني القطان ، سمع من النجم المسلسل والثلاثيات ، توفى عام (٩٣٠هـ/١٥٢٣م)(٦).

- محمد بن عمر التونسي - ويعرف بابن عزم - له اهتمام بالتاريخ وتقييد الوفيات ومهارة في تجليد الكتب(٧). تخرج بالنجم فى كتابة الطباق ، وأثنىٰ عليه بأبيات من شعره ، توفى في مكة عام (٨٩١هـ/١٤٨٦م) ، ومما قاله في مؤرخنا(٨):

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص١٧٢ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج٥ ، ص٢٤٥ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص٥٠ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٢٥ب .

(٥) السخاوى : نفس المصدر ، ج٨ ، ص٢٨٨-٢٨٩ .

(٦) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٦٢٣ .

(٧) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٤٧أ،ب .

(٨) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٢٥٦ .

يَابنَ فَهْدٍ يَاعُمَرْ جَادَكَ الفَتْحُ وَدَرّْ
إِنمَا النَاسُ نجُومٌ بينَهُمْ أَنتَ قَمرْ

- محمد بن محمد البلبيسي القاهري ، ولد عام (٨٤١هـ/١٤٣٧م) ، قرأ على النجم البخاري ، سكن المدينة المنورة ، وجلس للاقراء في فنون عدة بها(١).

- محمد بن محمد الخيضري ، كان مقربًا للسلطان المملوكي ، وتزوج بابنة الخليفة ، انتفع كثيرًا بمرافقة نجمنا أثناء رحلاته لبلاد الشام ومصر ، وكان بينهما مراسلات ، واعتمد على مؤرخنا في تصنيف معجم لشيوخه رتبه على حروف المعجم ، تولى القضاء ، وكتابة السر ، ووكالة بيت المال ، وتوفى بالقاهرة عام (٨٩٤هـ/١٤٩٨م)(٢).

- معمر بن يحيى المكى يلقب بالسراج ، فقيه مكة وأديبها ونحويها ، سمع على النجم قصيدة الشفاء ، والبردى ، وبعض الأجزاء الحديثية ، وقرأ عليه منسك ابن جماعة الكبير ، وهو من أبرز تلاميذ نجمنا ، وأكثرهم ملازمة له(٣)، له نظم بديع ، اسمع شيخه كثيرًا منه(٤)، وتحمل قصائده طابع السهولة والوضوح ، والتدفق الطبيعي(٥)، طلب منه شيخه عام (٨٨١هـ/١٤٧٦م) أن يكتب له شيئًا من نظمه يرويه عنه ، فأجازه بقصيدة مادحة عبر فيها عن تقديره لأستاذه ، وكانت الكلمات تكشف عن علو قدر كل منهما في قالب طيب من النظم(٦)، وعندما توفى النجم رثاه تلميذه معمر وغيره من الشعراء وفاء له ، وتعبيرًا عن فقدهم اياه(٧).

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص١٩٠-١٩١ .
(٢) السخاوي : نفس المصدر والجزء ، ص١١٧-١٢٠ .
(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٦٨أ،ب .
(٤) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٧٥أ .
(٥) انظر بعض قصائده في النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٦٩أ،ب .
(٦) انظر هذه القصيدة في ص٤٤٤-٤٤٥ من هذه الدراسة .
(٧) السخاوي : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٣١ .

- ياسين بن على البلبيسي القاهري ، ولد عام (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) ، قرأ على النجم بمكة عام (٨٦٦هـ/١٤٦١م) الحلية وغيرها ، تصدىٰ للاقراء ، وتدريس الفقه والخطابة في مدارس مصر(١).

- يحيى بن على الرحبي ، ولد بمكة عام (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) ، نشأ يتيماً ، وعرض في عام (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) على قضاة مكة الأربعة والنجم ابن فهد للحكم على أهليته ورشده وكان عمره أربعة عشر عاماً ، وقد أظهر من الذكاء والفهم مايدل على ترشيده فسلم له ماله الذي كان في حجر رئيس القضاة بمكة . اشتغل بالحديث ، ثم امتهن التجارة ، وسافر لهذا الغرض إلى دمشق ، وله في مكة وغيرها أملاك وقد أثنىٰ عليه السخاوي(٢).

وفاته :

بعد أن تربع النجم على قمة الهرم العلمي ، وغدا شيخ العلوم في مكة من غير منازع ، وبعد أن قضىٰ حياة حافلة بالعطاء ، والإنتاج المثمر ، أسلم الروح إلى بارئها ، بعد أن تعلل مدة بالبطن والإسهال ، يقول ابنه العز : "وعرض له ثقل ، وانقطع عن البروز نحو عشرين يوماً ، كان فيها حاضر الذهن ، ويكثر من الشهادة ، حتى كانت آخر كلامه عند خروج روحه(٣) في وقت الزوال من يوم الجمعة في السابع من شهر رمضان عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ، وصلى عليه عصر يومه(٤)، وتقدم المصلين صديقه رئيس القضاة في الحجاز البرهان ابن ظهيره ، وشيعه خلق كثيرون ، ودفن في المعلاه عند قبور آل فهد بجانب مصلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما(٥). يقول تلميذه وصاحبه السخاوي : "وتأسف القاضي(٦)، وجميع

---

(١) نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢١١-٢١٢ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٢٣٥-٢٣٦ .
(٣) انظر بلوغ القرى ، ق١ .
(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٣١ .
(٥) العز ابن فهد : نفس المصدر والورقة .
(٦) يقصد صاحبه رئيس قضاة مكة البرهان ابراهيم بن ظهيره .

أحبـابه على فقـده ، ولم يخلـف بعده في مجموعه مثلـه ، ورثاه الشعـراء"(١).
ويقـول ابنه العز : "وأسف النـاس وأهل البلد والغرباء على فقـده ، وأثنوا عليه خيرًا"(٢).

---

(١) الضوء اللامع ، نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) بلوغ القرى : نفس المصدر والورقة .

الفصل الثالث

آثاره العلمية

* مؤلفاته في الحديث وعلومه .
* مؤلفاته في المعاجم والمشيخات .
* مؤلفاته في التاريخ .
* اسهاماته في الفهرسة .
* مؤلفاته في الأدب .

آثاره العلمية :

تعد مؤلفات النجم نموذجاً مضيئاً لاسهامات المكيين في الحركة الفكرية في القرن التاسع الهجري ، فقد وظف ثقافاته في خدمة منظوره التاريخي المتسم بطابع اجلال العلم وأهله ، ومعرفة أحوال من سلف للاعتبار والتنبيه والتلذذ واستشراف المستقبل(١).

ويبدو واضحا من قائمة المؤلفات التي ذكرتها المصادر ونسبتها للنجم ، أنه كان نشطاً منتجًا ، خصب العطاء ، وأن انتاجه كان متشعباً في الحديث وعلومه ، وفي التاريخ والأدب وفنون الفهرسة ، وربما لاأعدو واقعاً إذا أشرت إلى خدمته للتراث وحفظه ؛ بنسخ الكثير من الكتب العلمية ، وجمع المجاميع ، وتعليق الفوائد على المصنفات السابقة(٢). وهو في كل ذلك يحدد ملامح عصره ، عصر العموم لاالخصوص ، عصر الموسوعات والمجاميع والمعاجم .

ولم يشر النجم في ترجمته الذاتية إلى عدد مؤلفاته ، إلا أنه ذكر بعضها باختصار واجمال(٣)، وعندما ترجم له تلميذه السخاوي توسع في بيانها أكثر من شيخه ، وأورد قائمة بأسماء عدد من مؤلفاته(٤)، وأجمل في الإشارة إلى بعض الكتب التي تبحث في ميدان واحد ، نحو قوله : "أنه خرج لأصحابه فمن دونهم" ، وقوله : "وعمل لنفسه المسلسلات" ، وقوله : "وانتقى وحرر الأسانيد" ، وقوله : "إلى غير ذلك مما أكثره في المسودات" .

---

(١) انظر خطبتي النجم ابن فهد في : اتحاف الورى ، ج١ ، ص٤-٥ ؛ الدر الكمين ، ق١ب .

(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٤ ؛ الدر الكمين ، ق١٦٢أ .

(٣) النجم ابن فهد : نفس المصدر والصفحة ، نفس المصدر والورقة .

(٤) انظر الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨-١٢٩ .

ثم علـق بما يفيـد اطلاعـه على أغلـب تلـك المؤلفات قـائلاً : "ووقفـت على أكثره "(١).

وقـد بذلنا قصارىٰ الجهد في تقصـي تلك المصنفات المجملـة ، وأمكـن التعـرف على عـدد كبير من التخـاريج والمشيخات والمنتقيـات والمسلسلات ، وهي متناثرة في تراجم شيوخه بالإجازة والسماع ، وفي غيرها من التراجم .

ولاندري إن كنا قد وفقنا بالعثور على أسماء جميع مصنفاته لأن معظم مؤلفاته لم تصل إلينا وظلـت مفقـودة حتى الآن ، إلا أننـا تمكنـا مـن احصاء ستين مصنفـا مـن مـؤلفاته ، ويعـود الفضـل بعـد الله جل وعلا إلى النجـم وصـاحبه السخـاوي في وقوفنـا على عناوينها . ذلك أن الفهـارس والمعـاجم الحديثـة المتخصصة في ذكر المؤلفات والكتب والمؤلفين اقتصـرت على الإشارة إلى بعـض مصنفـاته ، ولم تذكـرها كاملة ، في حين أن تتبعنـا الـدقيق لجميع التراجم التي سجلها النجم في كتابيه معجم الشيوخ ، والدر الكمين ، بجانب الترجمة الضافية له في ضوء السخاوى ؛ قد أفادتنا كثيرًا في الكشف عن جل مصنفاته.

هـذا فيمـا يتعلق بالمؤلفات التي لايعترينـا شك في نسبتهـا للنجـم ، أما تلك التي لانعلم شيئا يقينا عن نسبتها إليه أو نرجح أنها ليست له فهي عشرة مؤلفات أحدهما مؤلف ضخم والأخرىٰ رسـائل متنـوعة في الفقـه والـرقائق والأذكار ومنازل النجوم ...الخ(٢).

ويمكن أن نصنف آثار النجم العلمية حسب التقسيمات التالية :

- مؤلفاته في الحديث وعلومه .
- مؤلفاته في المعاجم والمشيخات .

---

(١) انظر نفس المصدر والجزء ، ص١٢٩ .

(٢) انظر ص٢٢٢-٢٢٥ من هذا المبحث .

- مؤلفاته في التاريخ .
- اسهاماته في الفهرسة .
- مؤلفاته في الأدب .
- المؤلفات المنسوبة له .

وعن القسمين الأولين يمكن القول بأن العصر المملوكي قد شهد عناية بالغة بعلوم الحديث النبوي الشريف ، وكانت المؤلفات في تراجم الحفاظ والمحدثين من الوفرة والكثرة ، ومن الأمور الملفتة للانتباه بين انجازات العلماء في ذلك العصر ، فأكثرهم قد زهدوا في الدنيا ، وترفعوا عن أهلها ، وانكبوا على العلوم الدينية شاغلين أوقاتهم في التصنيف والرحلة ولقاء الشيوخ ، وعلماء العصر ، وكانت دراسة الحديث هي الموجه الأول لاعتماد الأسس الرصينية في النقد ، ويبدو أن انكبابهم على هذا النوع من التآليف نوع من الاحتجاج على الظلم السياسي والاجتماعي المتفشي آنذاك ، ومحاولتهم توجيه رجال السياسة بصفة خاصة ، ومن ثم عامة الناس إلى الطريق الصحيح ، وتلمس الحق ونصرته .

ولهذا كان من الملامح الواضحة احتلال العلماء الأجلاء من رجال الفكر الإسلامى صفحات التاريخ ، وكان إبراز فعالياتهم في الحركة الفكرية أكثر بكثير من الاهتمام بسير رجال السياسة والإدارة والحكم ، إدراكا منهم بقيمة العلم ، وتقدير قيمة الانسان بعمله ، ومدى مسئوليته عن هذا العمل .

وليس ثمة إحصاء أو شبه إحصاء لهذه المصنفات [١]. وهذه المهمة الصعبة قد أحسن التعبير عنها العالم الجليل الصلاح الصفدي فقال : "وأما كتب المحدثين في معرفة الصحابة ، وكتب الجرح والتعديل والأنساب ، ومعاجم المحدثين ، ومشيخات الحفاظ والرواة ، فانها شيء لايحصره حد ، ولايقصره عد ، ولايستقصيه ضبط ، ولايستدنيه ربط لأنها كاثرت الأمواج ،

---

(١) وإن كان كتاب فهرس الفهارس للكتاني يعطينا على الأقل فكرة عن ذلك الاهتمام.

أفواجاً ، وكابرت الأدراج اندراجًا"(١).

وأظن أن من نافلة القول هنا الإشارة إلى أصل هذه المؤلفات التي ينسبها الباحثون إلى علم الحديث النبوي ، فقد تفوق علماء المسلمين في هذا المضمار واسترخصوا فيه الجهد والمال والوقت ، وكان لأهل الحديث الدور القيادي في تتبع الإسناد ، وانصب عليه عماد تفكيرهم ودراستهم ، وظهر ذلك في كثرة مؤلفاتهم للتراجم على اختلاف أنواعها وتسمياتها منذ صدر الإسلام إلى عصر مؤرخنا ، ولايزال شأنها عظيمًا عند علماء المسلمين حتى يومنا هذا .

ومما يلفت الانتباه اهتمام العلماء ببيان أهمية هذه المؤلفات ، وحرصهم على وضع الإشارات القيمة لهذا الفن ، يقول أحدهم : "واعلم أن معرفة الكتب ، وأسماء المؤلفين من الكمال ، ومعرفة طبقات الفقهاء ، وأزمانهم من مهمات الطلبة ، وكذلك معرفة ماألف"(٢)، وقعد محدث آخر قاعدة كيسة نصها : "إنما وضعت التراجم لتعرف المناصب" ، ثم علل بقوله : "ومن جهلت رتبته ؛ لزم عند ذكره الإتيان بما يُشعر من رتبته"(٣).

وقد كان للرحلة في طلب العلم ، والحصول على الأسانيد العالية ، والاستكثار من لقاء الشيوخ ومخالطتهم ، والأخذ منهم بدرجة كبيرة ، أثر فعال في تكوين ملكة النقد والملاحظة ، وعمق التفكير ، وسعة الاطلاع ، يقول ابن خلدون : "إن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً ، وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد ، والكمال

---

(١) الوافى ، ج١ ، ص٥٥ .
(٢) انظر المجاري : البرنامج ، ص٥٨ .
(٣) أحمد زروق : القواعد ، ق١٥أ .

بلقاء المشائخ ، ومباشرة الرجال"[١].

وقد حرص العلماء على تدوين أسماء شيوخهم ومروياتهم ، وعكفوا على تأليف كتب التراجم التي اهتمت بمختلف طبقات العلماء والرواه ؛ ممن اشتهروا بالعلم في عصرهم وانتهت إليهم العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية ، وغدت هذه المصنفات رافدًا هامًا من روافد الحضارة الإسلامية ، التى لاغنىً للباحث التاريخي عنها! "ومما جعلها تكتسي هذه الأهمية أن الذين دونوها تحدثوا فيها عن شيوخهم المباشرين ، أو عن شيوخ شيوخهم وحلوهم بأوصافهم المناسبة ، وترجموا لهم ، وذكروا ماكان متداولاً لديهم من الكتب في مختلف الفنون ، وسجلوا أسانيدهم إلى مؤلفي هذه الكتب ، ومنهم من كان يضبط تاريخ الأخذ عن كل شيخ ، ومكانه ، ويصف أسلوب التدريس وجوه"[٢].

ويصرح مؤلفوا هذه المصادر أن حافزهم في التدوين بهذه الصورة هو خدمة العلم ، والانتساب إلى أهله ، والانضمام إلى سلاسل الرواة ، وغالبًا مايكون الدافع لتدوين التراجم إجابة الإستدعاء للإجازة من الطلبة[٣]. أو طلب تخريج المشيخات والمعاجم[٤]. فالإجازة والمرويات المخرجة تسمح وتيسر للمحدث الإبلاغ والتعليم ، وتكون حجة على أهليته في هذا المجال ، وعندما تتعدد الإجازات التي يحصل عليها العالم في رواية الحديث وكتبه ، يلجأ إلى ترتيبها وجمعها في جزء يعرض فيه مجموعة شيوخه ، وإجازاتهم التي نالها منهم ، وجملة الكتب التي رواها عنهم"[٥].

---

(١) انظر المقدمة ، ص٤٠٦ .
(٢) ابن عطية : مقدمة الفهرس ، ص٢٧ .
(٣) ابن عطية : نفس المصدر ، ص٢٨ .
(٤) الشلي : السنا الباهر ، ق٤٢ب .
(٥) الوادي آشي : مقدمة البرنامج ، ص٢٩-٣٠ .

ومناهج المؤلفين في تنظيم مادة هذه الكتب تختلف من حيث عرض المعلومات تبويبًا وتقسيمًا ، ومن حيث حجمها ايجازاً واطنابًا ، والغالب أنهم استخدموا أربع طرائق مميزة في الكتابة التاريخية لأمثال هذه المؤلفات وهي(١):

- التركيز على المرويات كأساس في الترتيب .
- التركيز على الشيوخ كأساس في الترتيب .
- الدمج بين الطريقتين السابقتين .
- الاستطراد : حيث يسمح بعض المؤلفين بتسرب الكثير من القصص والشعر والأدعية وماشابه ذلك .

والمقام يطول بنا عند الحديث عن هذه الكتب ، غير أننا سوف نضيق رقعة الحديث ، ونقصره على مؤلفات نجمنا ، فهو محدث حافظ ، وله في هذا الفن آثار جليلة فقد صنف الكثير من المعاجم والمشيخات والتخاريج والبلدانيات والمسلسلات والعشاريات ...الخ .

وقبل التطرق إلى ذكر مؤلفاته تلك ، ومن أجل الوقوف على الخصائص المميزة لكل نوع مما كتبه لابد من التعريف بكل منها على حده حسبما ورد في المصادر والمراجع العلمية :

فالمعاجم : جمع معجم ، وهي عبارة عن الكتب المصنفة على حروف المعجم في شيوخ المصنف ، وقد توسع إطارها في الفترة المتأخرة ، فاشتملت على الشيوخ والأقران أو من أخذ عنهم تسهيلاً للمطالع والمستفيد(٢).

---

(١) عبد العزيز الأهواني : برنامج العلماء ، ص٩١ ومابعدها .

(٢) الكتاني : الرسالة المستطرفة ، ص١٠١-١٠٢ ؛ فهرس الفهارس ، ص٦٠٩-٦١٠ .

وتطلق المعاجم : على الأحاديث المرتبة حسب ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك ، بغض النظر عن المسلك المتبع في الترتيب فقد يكون الترتيب حسب وفيات الشيوخ ، أو على أساس توافق ترتيب الحروف الهجائية، أو الفضيلة أو التقدم في العلم والتقوى ، على أن الغالب هو الترتيب على حروف الهجاء(١).

أما المشيخات : جمع مشيخة ، ومدلولها من استبانت فيه السن ، وظهر عليه الشيب ، ويطلق لفظ الشيخ مجازاً على المعلم ، والأستاذ لكبر سنه وعظيم دوره ، ومن ثم استخدم اصطلاح مشيخة للدلالة على الكراريس التي يجمع فيها المؤلف شيوخه ، والمشيخة تأتي في معنى المعجم ، إلا أنها لاتطابقه فالمعجم يكون لشيوخ شخص مخصوص مرتبة ترتيباً هجائياً ، في حين أن المشيخة أعم ولاتلتزم بذلك(٢).

والتخاريج : جمع تخريج ، ويطلق لغة على الاستنباط(٣)، أو الإبراز والإظهار(٤). ويطلق اصطلاحا : على الدلالة على موضوع الحديث في مصادره الأصلية التي ذكرته بسنده ، ومن ثم بيان مرتبته عند الحاجة ، كما يطلق على : "اخراج المحدث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها ، وسياقها من مرويات نفسه ، أو بعض شيوخه ، أو أقرانه أو نحو ذلك ، والكلام عليها ، وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين(٥).

---

(١) شاكر محمود عبد المنعم : دراسة في روائع المعاجم ، ص١٥٨ .

(٢) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ، ص١١٨ ؛ الكتاني : فهرس الفهارس ، ج١ ، ص٦٧-٦٨ ؛ ج٢ ، ص٦٢٤ ؛ شاكر عبد المنعم : نفس المرجع ، ص١٥٩ .

(٣) الفيروزابادي : القاموس المحيط ، ج١ ، ص١٩٢ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ، ص٧٣-٧٤ .

(٥) السخاوي : فتح المغيث ، ج٢ ، ص٣٣٨ .

والبلدانيات : هي مجموعة أحاديث جمعها المحدث في بلدان معينة ، يقوم التنظيم فيها على البلدان أساساً ، يخرج في كل بلد ماقيل فيه من حديث أو شعر أو حكاية عن واحد من أهله أو الواردين عليه ، وهي شبه رحلة تتخللها كثير من المعلومات التاريخية(١).

والمسلسلات : "التسلسل من نعوت الأسانيد ، وهو عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه ، واحداً بعد واحد على صفة أو حالة واحدة(٢). والتسلسل قد يكون فى أول حديث سمعه رجال السند من شيخ معين ويسمى الحديث "المسلسل بالأولية"(٣). وقد يكون في صيغ التحمل نحو قوله : سمعت فلاناً قال سمعت فلاناً إلى آخر الإسناد(٤)، وقد يكون في نوعية الرواة ، كأن يكونوا كلهم قضاة ، أو فقهاء ، أو حفاظاً ...الخ . وقد ذكر الحافظ ابن طولون أربعين نوعًا من أنواع التسلسل(٥).

أما **الأربعينات** : هي أن يجمع المحدث أربعين حديثاً في موضوع معين من طرق كثيرة ، وبروايات متنوعة(٦).

العشاريات : أحاديث عشارية الإسناد إلى الصحابة رضوان الله عليهم ، وهي التي يكون فيها بين الراوي لها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة رواة فقط .

---

(١) انظر بشار عواد معروف : المنذرى ، ص١٧٦ .

(٢) ابن الصلاح : المقدمة ، ص١٣٨ ؛ العراقى : شرح مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٧٦ .

(٣) تقى الدين ابن فهد : بغية الطالب الفالح ، ق٢-٥ .

(٤) ابن الصلاح : نفس المصدر ، ص١٣٨-١٣٩ ؛ العراقى : نفس المصدر ، ص٢٧٦-٢٧٧ .

(٥) انظر الأربعون المسلسلات ، مخطوطة فى الخزانة التيمورية رقم ٥٤٢ ، حديث .

(٦) عن العلة فى ظهور هذا النوع من المؤلفات انظر ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، ص٥١-٥٣ .

ومن مؤلفات نجمنا في الحديث وعلومه :

- كتاب البلدانيات : ذكره حفيده جار الله في كتابه حسن القرى في أودية أم القرى (١).

- كتب عن الثقات : ذكره النجم في كتابه الدر الكمين (٢).

- كتاب المخضرمين : ذكره الشوكانى (٣).

- كتاب المدلسين : ذكره الشوكانى (٤)، ورضا كحالة (٥).

- كتاب المغير اسمهم : ذكره الشوكانى (٦).

- كتاب المؤاخى بينهم : ذكره الشوكانى (٧).

- تخريج أربعين حديثًا قدسيًا لشيخه اسماعيل الجبرتي : ذكره النجم في معجم شيوخه المخطوط (٨).

- تخريج الحديث المسلسل بالأولية بجميع طرقه في الشيخ الأول من مشيخة محمد بن أبى بكر العثمانى المراغى : ذكره النجم في معجم شيوخه المخطوط (٩).

- جمع مرويات والده مسلسلة للعيدين الفطر والأضحى : ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط (١٠).

- جمع مرويات والده للحديث المسلسل بالمحمدين ، والمسلسل بالفقهاء ، والمسلسل بالحفاظ : ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط (١١).

---

(١) انظر ص١٤-١٦،٣١،٣٣،٣٤،٣٩ .

(٢) انظر الورقة ١٤١أ .

(٣) البدر الطالع ، ج١ ، ص٥١٣ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٥١٢ .

(٥) معجم المؤلفين ، ص٣١٨ .

(٦) البدر الطالع ، ج١ ، ص٥١٣ .

(٧) البدر الطالع ، ج١ ، ص٥١٣ .

(٨) انظر الورقة ، ٥٤أ .

(٩) انظر الورقة ١٨٣أ .

(١٠) انظر الورقة ٢٦٢ب .

(١١) انظر الورقة ٢٦٢ب .

- تخريج العشاريات لزينب بنت عبد الله اليافعي : ذكرها النجم في الدر الكمين[(١)]، ومعجم شيوخه المخطوط[(٢)]، والسخاوي في ضوئه[(٣)].
- تخريج العشاريات لسارة بنت العز بن جماعة : ذكرها النجم في معجمه المخطوط[(٤)]، والسخاوي في ضوئه[(٥)].
- كتب الطباق والأجزاء : ذكرها السخاوي في ضوئه[(٦)].

مؤلفاته فى المعاجم والمشيخات :

- عمل تراجم شيوخ شيوخه : ذكرها السخاوي في ضوئه[(٧)].
- جمع شيوخ ولده يحيى فى كتاب : ذكره في الدر الكمين وقال : "اعتنيت به ، فأحضرته ، وأسمعته كثيرًا على شيوخ بلده والقادمين إليها ، واستجزت له جماعة ، وجمعت شيوخه فرحًا به"[(٨)].
- مشيخة زينب بنت عبد الله اليافعي : ذكرها النجم في الدر الكمين[(٩)]، ومعجم شيوخه المطبوع[(١٠)]، والسخاوى في ضوئه[(١١)]، والروادى فى صلة الخلف ، ووضع الأخير عنوانها وهو "الفوائد الهاشمية"[(١٢)].

---

(١) انظر الورقة ١٩٦أ .
(٢) انظر الورقة ٨٧ب .
(٣) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٤) انظر الورقة ٨٨ب .
(٥) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٦) نفس الجزء والصفحة .
(٧) نفس الجزء والصفحة .
(٨) انظر الورقة ١٧٤ب .
(٩) الورقة ١٩٦ب .
(١٠) ص٣١٦ .
(١١) ج٦ ، ص١٢٨ .
(١٢) ص٣٨٥ .

ـ مشيخة سارة بنت العز بن جماعة : ذكرها النجم في معجم الشيوخ المطبوع [١]، وفي معجم شيوخه المخطوط [٢]، والسخاوي في ضوئه [٣]، ويوجد منها نسخة مختصرة في مكتبة دار الخطيب بالقدس ، وصورها معهد المخطوطات العربية عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) على الفيلم رقم ٢٢ ، وتقع في مجموع ، وهي الرسالة الحادية عشرة ضمن المجموع من ١٠١/١٢٥ وعنوانها : "تراجم لمشايخ شيختنا سارة بنت العز بن جماعة" كتبها ابن فهد المكي الهاشمي .

وقد أمدنا معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى مشكوراً بنسخة مصورة من هذا المختصر ، وهي بعنوان : "تراجم لمشايخ شيختنا سارة بنت العز بن جماعة" ومختصرها هو : محمد بن محمد بن أبى شريف المقدسي الشافعي ، وهو الناسخ ، وتاريخ النسخ عام ٨٥٣هـ ، وعدد أوراقها ثلاثون ورقة ، وقياسها ١٤٠/١٨٥ملم ـ في حين أن عدد الأوراق التي وصلت إلينا احدى وعشرون ورقة ـ .

أما الخط الذي كتبت به النسخة فهو دقيق مائل ، تصعب قراءته في بعض المواضع ، والكلمات جلها غير منقوط ، ويوجد اهتزاز فى تصوير بعض الأوراق .

وعلى جلدة الكتاب اسم مالكه وعبارته : من كتب الفقير عبد القادر ابن محمد الحسيني الطبري . وفي أسفلها ختم لنص وقفية الكتاب ممسوح بعض كلماته ومما جاء فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقف هذا الكتاب ... لوجه الله ... وحكم بصحته ... وشرط الاستفادة منه لأولاده قيم قيم وبعدهم ... أوقفه إلى قيام الساعة لاجزى الله من اشتراه وباعه . ثم التاريخ وهو عام ١١٥٤هـ .

---

(١) ص١٣٨/١٣٩ .
(٢) الورقة ٨٨ب .
(٣) ج٦ ، ص١٢٨ ؛ ج١٢ ، ص٥٠ .

ويبتدىء المخطوط بمقدمة قصيرة لابن شريف يقول فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وقفت على ترجمة لمشائخ شيختنا سارة بنت العز بن جماعة ، كتبها صاحبنا المحدث الفاضل الرحلة سراج الدين محمد المدعو عمر ابن العلامة محدث الحجاز تقي الدين ابن فهد الهاشمي المكي ، فأحببت أن أختصرها لضيق الوقت عن نقلها ، فاعتمدت ألا أذكر لمن شاركها فيه شيخنا أبو الفتح ابن زين الدين العثماني المراغي ، ولامن شاركت فيه أبا زيد القبابى ، ولامن شاركت فيه العز عبد الرحيم بن الفرات ـ وهو أكثر مشاركيها في الترجمة ـ إلا الاسم فقط استغناء بما لخصته من مشيخة شيخنا أبى الفتح ، ومشيخة شيخنا العز ابن الفرات . كلاهما تأليف صاحبنا السراج ابن فهد ، وبما نقلته من مشيخة القبابي تأليف شيخنا شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر . اللهم إلا لغرض كزيادة بيان أو نحوه . والله الموفق . ثم يضع الرسم ويلحقه بالعبارة التالية : وكل من ذكرته شيخ بالإجازة ، ولم أقف لها على سماع .

وفي السطر الذي يلي نهاية مقدمته يبدأ بذكر تراجم الشيوخ مبتدئاً بمن اسمه ابراهيم .

وفي نهاية المخطوط سجل العبارة التالية :
هـذا آخر ماانتقيته من مشيخة سارة بنت العز ابن جماعة ، وحذفت أسماء لم أجد في ذكرها كثير فائدة .

وعدد تراجم المخطوط المنتقاه مائة وأربع وسبعون ترجمة . منها : مائة وست وستون ترجمة للشيوخ ، وثمان ترجمات للشيخات ـ هذا بحسب الأوراق التي وصلت إلينا ـ وهى مرتبة ترتيباً أبجدياً في تسلسل واحد ، إذ لايوجد فصل بين تراجم الشيوخ والشيخات .

وتوجد هوامش متناثرة في بعض الأوراق بخط الناسخ تشتمل على تراجم اضافية أو احالة على انتقاء آخر للترجمة ، كما أوضح مختصر المخطوط .

ونكتفي بهذا العرض للمشيخة لأن الاختصار والانتقاء قد أثر بلاريب على ماكتبه مؤرخنا ، ودراستها بهذه الصورة المبتورة تعني أننا ندرس منهج ابن أبى شريف ، وهذا خارج عن اختصاصنا في هذه الدراسة .

- مشيخة عبد الرحمن بن أبى بكر بن زريق : ذكرها النجم في معجم الشيوخ المطبوع(١)، ومعجم شيوخه المخطوط(٢).

- مشيخة العز عبد الرحيم بن الفرات : ذكرها النجم في معجم الشيوخ المطبوع(٣)، ومعجم شيوخه المخطوط(٤)، والسخاوي في ضوئه(٥)، وابن أبى شريف في مختصره لتراجم شيختنا سارة(٦). وقال السخاوي في ترجمة ابن أبى شريف : خرج له صاحبنا النجم ابن فهد عن أكثرهم(٧)مشيخة لم يتيسر له الارسال بها إلينا(٨).

ويوجد انتقاء من هذه المشيخة لابن أبى شريف المذكور : وهي نسخة مخطوطة في مكتبة الخطيب بالقدس ، كتبها ابن أبى شريف عام ٨٣٥هـ ، وعدد أوراقها عشرون ورقة ، ضمن المجموعة السابقة التي تضم مشيخة سارة بنت العز .

---

(١) ص٣٦١ .
(٢) الورقة ٩٥أ .
(٣) ص١٤٠ .
(٤) الورقة ١١١أ .
(٥) ج٤ ، ص١٨٧ .
(٦) الورقة ٢ب ، ٣أ .
(٧) يقصد أكثر شيوخ ابن أبى شريف .
(٨) ج٤ ، ص١٨٧ .

ـ مشيخة عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري : ذكرها النجم في الدر الكمين(١)، ومعجم شيوخه المخطوط(٢)، والسخاوي في ضوئه(٣).

ـ مشيخة ومسموعات عبد الكافي الدمشقي المعروف بابن الذهبي : ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط(٤).

ـ مشيخة عبد الله بن أبي بكر بن زريق شقيق عبد الرحمن السابق : ذكرها النجم في معجم الشيوخ المطبوع(٥)، ومعجم شيوخه المخطوط(٦).

ـ مشيخة على بن عبد الله بن أحمد السمهودي : ذكرها الشلي في السنا الباهر(٧)، والسخاوي في ضوئه(٨)، والعيدروسي في النور السافر(٩)، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب(١٠).

وكان مؤرخ المدينة وفقيهها السمهودي قد التمس من النجم أن يخرج له مشيخة ، ففعل وعظمه وأثنىٰ عليه في خطبتها ، غير أنه مات قبل إكمالها فتممها ولده العز ابن فهد ، وبيضها له ، فانتفع بها ، وحدث بما فيها .

ـ مشيخة أبي الفرج المراغي : ذكرها السخاوي في ضوئه(١١).

ـ مشيخة ومسموعات محمد بن محمد المطري : ذكرها النجم في معجم الشيوخ المطبوع (١٢)، ومعجم شيوخه المخطوط (١٣)، والسخاوي في

---

(١) الورقة ١٢٤ب .
(٢) الورقة ١١٤ب .
(٣) ج ٤ ، ص ٢٨٤ .
(٤) الورقة ١١٥ب-١١٦أ .
(٥) ص ٣٦١ .
(٦) الورقة ٩٥أ .
(٧) الورقة ٤٢ب .
(٨) ج ٥ ، ص ٢٤٥ .
(٩) ص ٥٨-٥٩ .
(١٠) ج ٨ ، ص ٥٠ .
(١١) ج ٦ ، ص ١٢٨ .
(١٢) ص ٢٦٨ .
(١٣) الورقة ٢٤١أ،ب .

ضوئه[١]، والتبر المسبوك[٢].

- مشيخة النور المحلى : ذكرها السخاوي في ضوئه[٣].

- معجم البرهان ابراهيم بن محمد الطرابلسي الحلبي - سبط ابن العجمي - : ذكره التقى ابن فهد في لحظ الألحاظ[٤]، والنجم في معجم الشيوخ المطبوع[٥]، ومعجم شيوخه المخطوط[٦]، والسخاوي في ضوئه[٧] وابن طولون في أربعين الأربعين[٨]، وفي القلائد الجوهرية[٩].

وقد ألف النجم هذا المعجم في بداية حياته العلمية ، في مكة بعد عودته من رحلته الدراسية الأولى لمصر وبلاد الشام ، وأرسل نسخة منه هدية لشيخه البرهان صحبة الحاج الحلبي بعد موسم عام (٨٣٩هـ/١٤٣٦م)[١٠]، وهو في مجلد ضخم ، وقد فرح به الشيخ كثيراً لكونه أراحه من التعب الذى كان يعانيه بالكشف من الثبت ، وقد بين النجم فيه أسانيد البرهان ، وتراجم شيوخه[١١].

أما عنوان المعجم فهو "مورد الطالب الظمي من مرويات الحافظ سبط ابن العجمي" . وقد ذكره التقي ابن فهد فى ترجمة البرهان فقال : وشيوخه بالسماع والاجازة يجمعهم معجمه الذي خرجه له ابني نجم الدين أبو القاسم

---

(١) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٢) ص٤١٧ .
(٣) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٤) ص٣١٢ .
(٥) ص٤٨ .
(٦) الورقة ٨أ .
(٧) ج١ ، ص١٤٠ .
(٨) انظر لحظ الألحاظ ، ص٣١٢ ، هـ١ .
(٩) ص٤٥٤ .
(١٠) التقى ابن فهد : نفس المصدر والصفحة .
(١١) السخاوي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

محمد المدعو بعمر نفعه اللّه تعالى ، ونفع به سماه : مورد الطالب الظمي ...الخ[١]

وقال ابن طولون في أربعين الأربعين أثناء ذكره للبرهان : وقد اعتنى بترجمته المحدث الرحال النجم محمد المدعو عمر بن فهد المكي ، وجمع له مشيخة سماها : مورد الطالب الظمي ...الخ . فمن أراد معرفة مشائخه وتراجمهم ومسموعاتهم ، فليراجعها لينظر العجب العجاب ، وقد أهدى مخرجها ابن فهد المذكور نسخة منها لشيخنا ناصر الدين ابن زريق . ثم زاد : وقد صار إلى بعد موته بأربعة دنانير أشرفية[٢].

وقال أيضا عندما ترجم للنجم ضمن الحفاظ الواردين إلى الصالحية في كتابه القلائد الجوهرية : "ومما ملكته من تخاريجه كتاب : مورد الطالب الظمي ...الخ من مجلده[٣].

- معجم شيوخ الزين أبي بكر العثماني المراغي بالسماع والإجازة : ذكره النجم في معجم شيوخه المخطوط[٤]، والسخاوي في ضوئه[٥].

- معجم الشيوخ : وهو كتاب مطبوع نشرته دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر في المملكة العربية السعودية ، بتحقيق محمد الزاهي ومراجعة حمد الجاسر ، والكتاب باكورة الدار لسلسلة مؤرخي مكة المكرمة.

ولوجود بعض الملاحظات على الكتاب وتحقيقه خصصنا له مبحثًا خاصاً ضمن أحد فصول الباب الثاني[٦].

---

(١) لحظ الألحاظ ، ص٣١٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، ه١ .

(٣) ص٤٥٤ .

(٤) الورقة ٦٣أ .

(٥) ج٦ ، ص١٢٨ .

(٦) انظر ص٣٤٦-٣٥٧ من هذه الدراسة .

- معجم الشيوخ بالسماع والإجازة : ذكره النجم في الدر الكمين[١]، ومعجم الشيوخ المطبوع[٢]، والسخاوي في ضوئه[٣]، وتوجد نسخة منه في مكتبة خدا بخش بالهند برقم ٢٤٢٩ ، تاريخ .

وهذا المعجم خاص بشيوخ مؤرخنا سواء الذين أخذ منهم سماعاً وقراءة أو الذين أجازوه ولم يلقهم . ولأهميته فقد حرصنا على الحصول على نسخة مصورة منه ، وخصصنا له مبحثاً كاملاً في هذه الدراسة[٤].

- معجم شيوخ والده "التقى ابن فهد" : ذكره النجم في الدر الكمين[٥]، ومعجم الشيوخ المطبوع[٦]، ومعجم شيوخه المخطوط[٧]، والسخاوي في ضوئه[٨].

- معجم شيوخ أبي الفتح محمد بن أبي بكر العثماني المراغي ، وقد يطلق عليه مشيخة أبي الفتح المراغي : ذكره النجم في معجم الشيوخ المطبوع[٩]، ومعجم شيوخه المخطوط[١٠]، والسخاوي في ضوئه[١١]، والعز ابن فهد في بلوغ القرى[١٢]، وجار الله ابن فهد في نيل المنى[١٣]، والروداني في صلة الخلف[١٤]، ويوجد منه نسخة بمكتبة عارف حكمت

---

(١) الورقة ١٦٢أ .
(٢) ص١٩٤ .
(٣) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٤) انظر ص٣٥٨-٤٣٠ من هذه الدراسة .
(٥) الورقة ٦٣أ ، ١٦٢أ .
(٦) ص١٩٤ .
(٧) الورقة ٢٥٩أ .
(٨) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٩) ص٢٢١ .
(١٠) الورقة ١٨٢ب-١٨٣أ .
(١١) ج٦ ، ص١٢٨ .
(١٢) الورقة ٣٤ب .
(١٣) الورقة ٤٨ب .
(١٤) ص٣٧١ .

بالمدينـة المنورة برقم ٢٣١/٦٨ ؛ ومنه نسخة مصورة بمكتبـة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٣٧٠ .

وعنـوان المعجم هو : "الفتح الرباني لجميع مرويات الشيـخ العثماني" .

أما منهجه فقد بينه نجمنا في ديباجته فقال : "جمعت له معجماً وسميته الفتح الرباني لجميع مرويات الشيخ أبى الفتح العثماني شاملاً لشيوخه الأخيار وماسمعه في جميع الأمصار ، من كتب كبار ، وأجزاء قصـار ، فاذكر الشيخ مترجمًا ، وأخرج عنه حديثًا متممًا أو غير ذلك مما يحسـن أن يروىٰ ويقرأ ومـن لم أقف له على حال أثبـت له ذكراً ، وأبيض لـه لكـي أظفر بترجمته هنـاك مرة أخرىٰ ، ثم إتى بفصـل مستقل بعد ذلك في ذكـر مسمـوعاته كما تراه هنـالك ، مرتباً لشيوخه ، وأسماء مصنفي ماسمعـه من الكتب والأجزاء على الحروف .

ومـن اللـه سبحـانه وتعـالى أسـأل الإعـانة فهـو جواد بر رؤوف"(١).

وعدد أوراق المخطوط مائة وثلاثون ورقة ، في حين أن عـدد الشيوخ المترجم لهم مائة وأربع وثلاثين شيخا .

وقد تم الانتهاء من تأليفه عام ٨٥٥هـ .

ـ معجـم شيـوخ محمد بن محمـد الخيضري بالإجازة : ذكـره النجـم في معجم شيوخه المخطوط(٢)، والسخاوي في ضوئه(٣).

---

(١) انظر المخطوطة المحفوظة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، ق٢أ .

(٢) الورقة ٢٤٣أ .

(٣) ج٩ ، ص١١٧ .

مؤلفاته في التاريخ المكي :

مال النجم منذ صغره إلى الكتب التاريخية ، ففي طفولته سمع تاريخ مكة للأزرقي [١]، وفي صباه سمع تحصيل المرام من أخبار البلد الحرام للفاسي [٢]، وفي شبابه قرأ السيرة الكبرى ، والسيرة الصغرى لابن سيد الناس [٣]، وتاريخ المدينة للمطري [٤]، وكتاب : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي [٥] ، وتاريخ حلب لابن العديم [٦]، وتاريخ بغداد للخطيب وذيولهما [٧]، ورسالة : امتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء والحفدة والأخوال والأتباع ، وكتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم [٨]، وكتاب السلوك [٩] وثلاثتها للمقريزي ، وغيرها.

وخلال حياته الطويلة ، كان يستمتع بمذاكرة التاريخ مع كبار الشيوخ المشتغلين بالتاريخ ، أو الحافظين لأخبار العرب والمغول وتواريخ العجم وغيرهم [١٠]. ويتابع في الوقت ذاته جولاته عبر المطارح التاريخية ،

---

(١) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٢٠ب .
وكتاب الأزرقي طبع مرتين الأولى من قبل المستشرق الألماني وستنلفيد عام ١٢٧٥هـ ثم حققه رشدي الصالح ملحس عام ١٣٥٢هـ .

(٢) نفس المصدر ، ق١٦٩أ .

(٣) نفس المصدر ، ق١٠٩ب .

(٤) نفس المصدر ، ق١٨٢ب .

(٥) نفس المصدر ، ق٦٣أ ، ١٨٢ب .
"والكتاب المذكور للمراغي مطبوع ، وقد حققه محمد الأصمعي ونشرته المكتبة العلمية بالمدينة" .

(٦) السخاوي : الاعلان ، ص١١٤ .

(٧) نفس المصدر ، ص١١٢ .

(٨) النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق٢٩أ .

(٩) انظر المقريزي : مقدمة السلوك ، ج١ ، ص٦ .

(١٠) انظر على سبيل المثال النجم ابن فهد : نفس المصدر ، ق١٢٣ب ، ١٩٨أ ، ٢١٦ب ٢٥٤أ ، ٢٥٣أ .

ويتوغل في سبر أغوار هذا الفن ، ومن يمعن النظر في مصادر مؤلفاته التاريخية يرى العجب من كثرة أسماء المؤرخين البارزين في التاريخ الإسلامي [١].

ولاشك أن سعة اطلاعه قد شكلت لديه وعيًا تاريخيًا بأهمية التاريخ ، وضرورة تدوينه ، فكانت النواة تسجيل بعض التعاليق في التاريخ ، إلى أن زاره القاضي نجم الدين محمد بن ظهيرة في بيته عام (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) أو الذي يليه ، وكان مؤرخًا حافظًا لجملة من التواريخ كان يذاكر بها ، فرأى تعاليق صاحبنا وأعجبته ، فطلب أن يواصل الكتابة ، والايدع شاردة ولاواردة إلا ويكتبها ، وأنه سيعتمد عليه في هذا الشأن [٢].

ويبدو أن هذه هي البداية لاظهار مشروعه الكبير الذي كان يداريه في خاطره ؛ لكتابة تاريخ أم القرى ، ولعله كان يريد أن يضاهي تلك المشاريع العملاقة لتاريخ بغداد ، ودمشق وحلب ومصر ومكة والذيول المتصلة بها .

ولابد لنا ونحن نتحدث عن اهتمام مؤرخنا بتاريخ مكة أن نشير إلى اسهامات المؤرخين في كتابة ذلك التاريخ ، فقد حظيت أم القرى بعناية فائقة من جهود المؤرخين الأوائل ، ولعل ذلك نابع من كونها بؤرة التشوقات ، ومحور الممارسات للنشاط الانساني الروحى .

وأول من ألف في تاريخها هشام بن محمد بن السائب الكلبي البغدادي

---

(١) انظر على سبيل المثال النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج١ ، ص١٢٣،٢٨٢ ؛ ج٢ ص٣،٤،٥،٣٧،٣٩،١١٨،٢١٥،٣٨٧،٣٧٩،٤١١،٤٣٥،٤٦٠،٤٦٧،٥١٥،٥٣٩ ؛ ج٣ ، ص١٦،٣٣،٦٧،١٣٥،١٤٤،٢٤٤ ؛ ج٤ ، ص٦٤،٥٢٦ .

(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ .

المتوفى عام (٢٠٤هـ/٨١٩م) ، وتحدث عن تاريخها قبل الإسلام وبعده[١]. وقد عاصره عدد من المؤرخين الذين سجلوا تاريخ مكة ، فمحمد بن عمر الواقدى المتوفى عام (٢٠٧هـ/٨٢٢م) له كتاب "أخبار مكة" ، وكتاب "أمر الحبشة والفيل"[٢]. وأبو عبده معمر بن المثنى البصري المتوفى عام (٢١١هـ/ ٨٢٦م) ، له كتاب "قصة الكعبة" ، وكتاب "مكة والحرم"[٣]. وعلى بن محمد المدائني المتوفى عام (٢٢٨هـ/٨٤٢م) وله عدة مؤلفات منها : كتاب "الكعبة" ، وكتاب "خبر خزاعة" ، وكتاب "مكة" ، وكتاب "نسب قريش وأخبارها"[٤].

ومن أشهر من كتب في تاريخ مكة من أبنائها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي المكي المتوفى بعد عام (٢٤٨هـ/٨٦٢م) ، وكتابه الذي يحوي أخبار مكة وآثارها[٥]هو أقدم ماوصل إلينا من المؤلفات عن تاريخ مكة ، والأديب المؤرخ صاحب المؤلفات الكثيرة الزبير بن بكار الزبيري المتوفى عام (٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، وقد ذكر له ابن النديم واحداً وثلاثين كتاباً أشهرها كتاب "جمهرة نسب قريش وأخبارها"[٦]. ويبدو أن مؤلفات ابن بكار كانت موجودة في عصر مؤرخنا،وقد اعتمد عليه في كتابه بغية المرام[٧]

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص١٤٠-١٤٢ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص٢٧٧ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص١٠١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٣٣٤-٣٣٥ ؛ ابن النديم : نفس المصدر ، ص١٤٤ الذهبي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٤٥٤ .

(٣) ابن النديم : نفس المصدر ، ص٧٩-٨٠ ؛ ياقوت : نفس المصدر ، ج٩ ، ص١٥٤ ؛ الذهبي : نفس المصدر ، ج٩ ، ص٤٤٥ .

(٤) ابن النديم : نفس المصدر ، ص١٤٧-١٤٨ ؛ ياقوت : نفس المصدر ، ج١٤ ، ص١٢٤ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٤٩ .

(٦) الفهرست ، ص١٦١ ؛ وانظر أيضا وكيع : أخبار القضاة ، ج١ ، ص٢٦٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣١١ ؛ الفاسي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٤٢٧ .

(٧) انظر النجم ابن فهد : بغية المرام ، ق١ب .

معاصرا لهما من خارج مكة عمر بن شبه بن عبيد النميري المتوفى عام (٢٦٢هـ/٨٤٠م) له تأليف في تاريخ مكة[١]، نسخه مؤرخنا النجم بخطه في مجلد[٢].

ثم جاء مكي ثالث وهو : أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي المتوفى عام (٢٧٢هـ/٨٨٥م) ، صاحب كتاب "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه"[٣]، وهو يصنف في قائمة المؤرخين الكبار ، وقد أثنى عليه مؤرخنا ، وقدم أخباره على غيره من المؤرخين[٤].

وعلى يد المكيين الثلاثة الأزرقي وابن بكار والفاكهي تأسست مدرسة مكة التاريخية وكان من أبرز سماتها قصر حبل المؤلفات التاريخية ، وتضييق رقعتها مكانياً ، وكان اهتمامهم بتسجيل تاريخ البلد الأمين نابعاً من رغبتهم في الاحاطة بتاريخه وتاريخ السيرة النبوية المطهرة ، وهي نزعة دينية في إبراز دور هذه المدينة الخالدة ، واثبات فضلها على العالم الإسلامى الذي استحوذت أقاليمه الجديدة على الجانب السياسى في حين ظل الحجاز صامتاً سلبياً .

غير أن التألق الفكري لمؤرخي مكة لم يستمر ، فقد خمدت جذوته قبل نهاية القرن الثالث الهجري ، وان كان هناك اضافات يسيرة على كتاب الأزرقي طبعت معه ، نسبت الى أبي محمد اسحاق بن أحمد بن اسحاق الخزاعي المكي المتوفى عام (٣٠٨هـ/٩٢٠م)[٥]، وأبي الحسن محمد بن نافع بن

---

(١) ابن النديم : نفس المصدر ، ص١٦٣ ؛ ياقوت : نفس المصدر ، ج١٦ ، ص٦٠ ؛ ابن خلكان : نفس المصدر ، ج٣ ، ص٤٤٠ ؛ السخاوى : الاعلان ، ص١٣٢ .

(٢) السخاوي : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الفاسي : نفس المصدر ، ج١ ، ص٤١١ .

"وكتاب الفاكهي المذكور موضوع رسالة نال بها الدكتور فواز بن على الدهاس درجة الدكتوراه من جامعة اكستر ببريطانيا عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م وطبع القسم الثانى منه فقط عام١٤٠٧هـ/١٩٨٦م بعد أن حققه الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.

(٤) انظر النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج١ ، ص١٢٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

اسحاق الخزاعي المتوفى بعد عام (٣٥١هـ/٩٦٢م)[١]، وأغلب تلك الإضافات تتصل بفترة مابعد وفاة الأزرقى .

ومع ذلك فان جاذبية مكة المكرمة ؛ وثقلها الديني ظلت تستقطب اهتمام العلماء الذين ألفوا كتبًا خاصة بها امتازت بذكر فضائلها ، وقد أورد السخاوي في كتابه "الاعلان بالتوبيخ" قائمة طويلة لمن صنف في هذا الموضوع الشيق بدءًا بالمفضل بن محمد أبو سعيد الجندي المتوفى عام (٣٠٨هـ/٩٢٠م) ، صاحب كتاب "فضائل مكة" ، وانتهاء ببحر اللغة المجد محمد بن يعقوب الشيرازى الفيروز ابادي المتوفى عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) وكتابيه : "مهيج الغرام إلى البلد الحرام" و"إثارة الشجون إلى زيارة الحجون"[٢]. وكتب الفضائل تجمع بين الناحيتين الفقهية والحديثية ، وتتناول الجوانب التاريخية والحضارية ، كالحديث عن بناء الكعبة ، وفتح مكة ، وأخبار من حج من الخلفاء ، ومن قدم مكة من الزهاد ...الخ[٣].

وعلى كل فأخبار مكة وإن كانت ضئيلة إلا أنها لم تنحسر تماماً . وهي متناثرة في كتب الفضائل ، وكتب المسالك والرحلات ، والمؤلفات التاريخية الكبرى في التاريخ العام ، وخصوصاً تلك الأخبار المتعلقة بالحج ، وتعيين الولاة ، والفتن ، بل وجد من اقتصر في التأليف على أخبار فترة زمنية محددة وهي الحج ، فالعتيقي ألف كتاب "أمراء الموسم"[٤]، وهو من المصادر الهامة التي اعتمدها مؤرخنا في كتابه اتحاف الورى ورجع إليه فى احدى

---

(١) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

(٢) انظر ص١٣٢-١٣٣ .

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب "مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن" لابن الجوزى المتوفى عام ٥٩٧هـ ، وهو مخطوط يوجد نسخة منه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، رقم ٢٢٤٩ . وكتاب "القرى لقاصد أم القرى" لمحب الدين الطبري المتوفى عام ٦٩٤هـ وهو مطبوع بتحقيق مصطفى السقا عام ١٣٩٠هـ .

(٤) عن العتيقي وكتابه انظر فهد الدامغ : تقي الدين الفاسي ومنهجه ، ص٣١١-٣١٣

وأربعين موضعًا(١). ومـن المؤلفات التي تدخل ضمن هذا الموضـوع : كتاب المقريزي : "التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك"(٢).

وبعد انقطاع طويل عاد التاريخ المحلي لمكة المكـرمة ، فألف نزيل مكة رزين بن معـاوية بن عمـار الأندلسـي المتـوفى عام (٥٢٥هـ/١١٣٠م) كتـابًا في أخبار مكـة(٣). وألــف وزير المدينــة النبـوية زيد بن هــاشم بن على بن المرتضى الحسني المتوفى بعد عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) تاريخًا لمكة المشرفة(٤). وقد ذكـر الفاسي كلا الكتابين ، وأفـاد بأنه اطلع على كتـاب رزين وأنه لايعـدو كونه ملخصًا لأخبار الأزرقي بمعنى أنه لم يؤرخ للفترة التي عاشها ، أو لم يأت بجديد في أخباره(٥) أما كتاب زيد فقد علق عليه بقوله : "ولم أقف على هذا التاريخ ، وماعرفت على أي نمط هو ، هل هو تراجم فقط ، أو هو حوادث فيهـا ذكـر شيء من أخبار مكـة والكعبـة المعظمة؟ وأشـار إلى أنه رأى بخط بعـض شيوخه أن تاريخ زيد هـذا قد أثبت منه حتى منتصـف عـام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) نحو خمس كراريس(٦).

أما المؤرخ المكي محمد بن محفوظ بن غالي الجهني المتـوفى عام (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) فقـد صنف كتابات في تاريخ مكـة الأول "تاريخ يسير مـن انقضـاء دولـة الهـواشم إلى بعد التسعين وستمـائة" تخلله سنين لم يذكـر فيهـا شيئا ، لعـدم اعتناء من قبله بذلك ، والثـاني : تاريخ لمكة من عـام خمس وعشرين

---

(١) انظـر ج٢ ، ص٣٧،٣٩،١٠٨،١١٣،١١٤،١٣٣،١٣٥،١٤٨،١٥٣،١٥٤،١٥٧،١٧٨،١٩٣،٢١٣، ٢١٦،٢٢٥،٢٢٦،٢٣٤،٢٤٧،٢٥٧،٢٨٨،٢٩٢،٢٩٣،٢٩٤،٢٩٦،٣٢٣،٣٢٤،٣٣١،٣٣٢، ٣٣٥،٣٣٦،٣٦٧،٣٦٩،٣٧٢،٣٨٢،٣٩٢،٣٩٣،٤١٢ .

(٢) كتاب مطبوع بتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة .

(٣) الـذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٠٤ ؛ الفـاسي : العقــد الثمين ، ج٤ ، ص٣٩٨-٣٩٩ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٥ ؛ السخاوي : نفس المصـدر ، ص١٣٢-١٣٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٣٩٩ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٥ .

وسبعمائة إلى عشر الستين وسبعمائة ، وابن محفوظ من المؤرخين الذين نقل عنهم مؤرخنا(١).

ومنذ مطلع القرن التاسع الهجري برزت مدرسة مكة التاريخية من جديد قوية ومؤثرة ، وبرز أعلام من المؤرخين الكبار المكيين يتقدمهم تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن على الفاسي المتوفى عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) صاحب المؤلفات التاريخية المشهورة في تاريخ مكة وغيرها ، والذيول على بعض المؤلفات التاريخية العامة(٢).

ومن مؤلفات الفاسي في تاريخ مكة : العقد الثمين(٣)؛ ومختصراته الثلاثة ، وشفاء الغرام(٤)، ومختصراته الستة ، وتحفة الكرام بأخبار البلد الحرام ، على نمط تاريخ الأزرقي مع فوائد مهمة(٥)، وولاة مكة في الجاهلية والإسلام(٦). ومؤلفات الفاسي متميزة جدًا ، وهي أجمع وأكمل ماكتب

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ السخاوي : نفس المصدر ، ص١٤٨ .

(٢) كان لكل من ابن تغري بردي والسخاوي رأى خاص فى مؤلفات الفاسى ، فابن تغري بردي يرى : ان مؤلفاته في غير تاريخ مكة غير متقنة ، كثيرة الأوهام ، وانه مقصر جدًا فيها ، أما فيما يتعلق بتاريخ الحجاز فقد أجاد فيه إلى الغاية . (انظر النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، ص١٥٠) .
أما السخاوي : فيرىٰ أن مصنفاته ليست كما ينبغي .
(انظر الضوء اللامع ، ج٧ ، ص١٩) .

(٣) وهو كتاب مطبوع في ثمانية أجزاء ساهم في تحقيقها أربعة باحثين طبع في القاهرة من عام ١٣٧٩هـ إلى عام ١٣٨٨هـ .

(٤) وهو كتاب مطبوع مرتان الأولى : من تحقيق لجنة العلماء في القاهرة عام ١٩٥٦م والثانية من تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت عام ١٤٠٥هـ .

(٥) عن مؤلفات الفاسي ومختصراتها انظر التقي ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٢٩١-٢٩٧ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢أ-٤أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٦٨أ-١٦٩ب ؛ (وانظر أيضا هـ٢ ، ص٢٣١-٢٣٢ من هذه الدراسة) .

(٦) السخاوي : نفس المصدر ، ص١٣٣ .

عن مكة حتى عصره ، وقد تطرق فيها إلى موضوعات تمتاز بالجدة والتنوع ، ويمكن أن نعدها بداية مرحلة النضج التام للكتابة التاريخية في مكة[١].

وثمة مؤرخ آخر معاصر للفاسي وهو : نجم الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن ظهيرة المكي المتوفى عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) ، كان حافظاً للتاريخ ، كتب بخطه الكثير منه، إلا أنه كان ضنيناً بكتبه بل إن تاريخه يحمل صفة السرية ، يقول النجم في ترجمته : "ولقد أخبرني من رأىٰ جملة منها جلد بها فلاحول ولاقوة الا بالله"[٢].

وماكتبه ابن ظهيرة مفقود ، ولانعلم نوعيته هل هو في التاريخ العام ، أو أنه يخص تاريخ مكة وتراجم أهلها ، وإن كنا نرجح أنه في تاريخ مكة وتراجمها ، ونستشهد في هذا بما ذكره مؤرخنا في معجم شيوخه المخطوط إذ يقول : "مر على في بعض الأيام ، وذلك قبل موته بسنة أو سنتين ، وأنا في سكن لى برأس حارة الشيبيين بالسويقة ، فدخل إلى ، وجلس عندي ساعة ، ورأى بعض تعاليقي في التاريخ ، فأعجبه ذلك ، وقال : أنا في هذه الأيام ماصرت أكتب شيئا ، وانما أعتمد عليك ، فلاتدع شاردة ولاواردة إلا وتكتبها"[٣]. وفي العبارة الأخيرة من توقفه عن الكتابة ، واعتماده على النجم مايسوق الاضاءة ، ويدلل على صحة ماذكرناه ، ذلك أن مؤلفات النجم التاريخية اتسمت بالطابع المحلي البلداني ، واقتصر فيها على تاريخ مكة المكرمة فقط .

ولبهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشي المتوفى عام (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) مؤلفات عديدة في التاريخ وغيره[٤]. ومن أهم مؤلفاته

---

(١) عن منهج الفاسي انظر فهد الدامغ : تقي الدين الفاسي ومنهجه،ص٣٦٠ ومابعدها.

(٢) انظر معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٧٥ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ .

(٣) الورقة ٢٥٣أ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١أ-١٢أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢١٣-٢١٥ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٧٧أ-١٧٨أ .

كتاب : "تاريخ مكة المسجد الحرام ، والمدينة المنورة ، والقبر الشريف" . ومنهجه قريب من منهج الأزرقي في أخبار مكة ، والفاسي في شفاء الغرام ، فهو يتحدث عن بناء الكعبة ، وعمارة المسجد الحرام ، والمنبر ، والمقامات ، وعين زبيدة ...الخ ومع أهمية الكتاب إلا أنه لايفي بالغرض ، ولايسد النقص الذي تركه الفاسي بعد وفاته ، إذ يعتريه قصور شديد حتى في المعلومات التي سبق وأن سجلها الفاسي ، أما الفترة التي عاشها دونه فنادرًا مايذكر أخبارها(١).

وقد عاصر مؤرخنا كل من الفاسي وابن ظهيرة وابن الضياء ، وهو أصغرهم سنًا ، فعندما توفى الفاسي كان سن مؤرخنا عشرين عاماً ، وكان قبلها تلميذاً لامعًا في حلقاته الدراسية ، ومستمع واعي لمحاضراته في التاريخ والحديث ، وقد استطاع أن يلفت انتباه شيخه ، ويحوز على اعجابه ، فأجازه مرارًا ، وكتب خطه بالإجازة على محفوظاته التي عرضها عليه مرات(٢). وكذلك اتصل بالمؤرخين الآخرين اتصال التلميذ بشيوخه ، وقد أثنى على طريقة المؤرخ ابن ظهيرة في تدريس التاريخ والمذاكرة به ، ووصفه بأنه "كان رئيسًا نبيلاً ، حشماً فخورًا ظاهر اللسان ، لطيف المحاضرة ، ولاتمل مجالسته"(٣). أما ابن الضياء فقد كان متقدماً في الفقه والأصلين ، ومشاركاً في غيرها ، حريصًا على اقتناء نفائس الكتب ، انتفع به نجمنا كثيرًا ، ولازمه وحضر مجالسه العلمية التي كان يعقدها في منزله(٤).

ومن الملفت أن صلة النجم الوثيقة بمؤرخي مكة قد عززها بصلة أكبر وأقوى ، ألا وهي صلة النسب والمصاهرة ، فالفاسي هو أخ والدة زوجة

---

(١) انظر النسخة المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ١٢٨ ، تاريخ .

(٢) النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٦٩ب .

(٣) نفس المصدر ، ق٢٥٣أ .

(٤) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١١أ-١٢أ .

النجم من الرضاعة[(١)]، وشقيقة النجم ست قريش كانت زوجة لأحد أبناء آل ظهيرة[(٢)]. وشقيقته الأخرى أم هانى زوجة الأخ المؤرخ ابن الضياء[(٣)]. ولاشك أن هذا التكامل في العلاقات ينسجم مع مسيرته العلمية ، ويعد رافدا لثقافته التاريخية ، وهو بهذا الرافد ، وفكره الوثاب ، واطلاعه الواسع مع تلك الرحلات ، وآلاف الشيوخ ، وكثرة التآليف يعد أنموذجاً للعالم العامل المنتج .

والجدير بالذكر أن الأصول الأولى للفكر التاريخي لدىٰ مؤرخنا قد نمت وترعرعت في بيت آل فهد ؛ فوالده التقي ابن فهد ، قد ترك إلى جانب مؤلفاته الحديثية ، عدداً من المؤلفات التاريخية ، فقد كتب في السيرة النبوية وفي تاريخ الخلفاء والملوك ، وفي الأنساب ، وفي قصص الأنبياء[(٤)]، وإن كان لم يكتب عن تاريخ بلده المعاصر ، فقد ترك المهمة لولده البار نجمنا الذى أكمل المسيرة فى مشاريع تاريخية كبيرة لمكة توارثها بنوه وأحفاده من بعده[(٥)].

---

(١) انظر الفصل الثانى ص١٤٢ من هذه الدراسة .

(٢) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٩٩-٢٠٠أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٩أ،ب .

(٣) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢٢٢أ،ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٩ب .

(٤) انظر الفصل الثانى ص٨٧-٩٢ من هذه الدراسة .

(٥) ذيل عبد العزيز ابن مؤرخنا على كتابي والده عن تاريخ مكة ، وعن تراجم أهلها . (انظر أسماء هذه المصنفات في الفصل الثاني ص١٤٨-١٤٩ من هذه الدراسة)

كما ذيل حفيده جار الله بن عبد العزيز على تاريخ والده العز ، وتناول مواضيع جديدة لم يسبق إليها ، فله في أودية أم القرى كتاب اسمه "حسن القرى في أودية أم القرى" وله فى الطائف كتاب "تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف" وهو مطبوع ، وكتاب "نشر اللطائف في قطر الطائف" ، وكتاب "تحفة الناس بخبر رباط العباس" وله رسالة في "فضل جدة وشيء من خبرها" ...الخ .

(وعن مؤلفات جار الله بن فهد ومنهجه انظر ابراهيم المشيقح : جار الله بن فهد المكي مؤرخاً ، ص١٠٠ ومابعدها) .

وصفوة القول أن آل فهد قد أكمل بعضهم بعضًا في اعطاء تاريخ مكة فلسفة تاريخية جديدة تناولوا فيه مواضيع أكثر دقة وتفصيلاً عن معرفة مباشرة مما زاد في تطور ونمو الفكر التاريخي للحجاز ، وقد كانت جهودهم جزءًا مكملاً لتلك الفعالية الواسعة التي شملت الحياة الفكرية في العصر المملوكي .

أما عن مؤلفات النجم التاريخية ، فقد سبق أن عرضنا له ثبتًا طويلاً من المؤلفات في علم الرجال والتراجم ، أو ماكان يعرف بالمعاجم والمشيخات فهذه المؤلفات وإن صنفناها ضمن تنظيم خاص لأنها تعنى بتراجم المحدثين في عصر المؤلف ، وتبين أحوالهم ، ودرجة الوثوق بهم ، إلا أنها تمثل سجلاً أميناً لتاريخ ذلك العصر وأخباره ، فقد كان كثير من الرواة ، علماء في تخصصات مختلفة ، أو قضاة ، أو سياسيين ، أو موظفين في مؤسسات الدولة الإدارية أو المالية ، أو تجاراً ، أو مهنيين ...الخ وتتبع سير هؤلاء ، يعطينا وصفاً دقيقاً للواقع الحياتي ، وللمسيرة الفكرية ، ولنظم الحكم والحضارة ، وهي ذات قيمة علمية كبيرة ، كما أنها تمتاز بالفضاءات الرحبة الواسعة ، ولاتلتزم بالحيز المكاني الضيق فنجد تراجم الشيوخ من المشرق والمغرب والأندلس ، وبلاد الشام ، ومصر ، والحجاز ، واليمن ، إذاً فهي موسوعة علمية للعالم الإسلامي أجمع . وقد لانجد في غيرها مثلما نجد فيها من تصوير صادق شامل لحياة العصر الذي يعيشه المؤرخ ، وكان مؤرخنا حامل لواء هذا الميدان بشهادة علماء عصره[١].

وفي المجال التاريخي البحت ، تميزت كتب مؤرخنا بالاختصاص في تاريخ مكة المكرمة ، ولعل السبب في ذلك هو التحرك نحو الإسلامية ، فهذه المدينة المقدسة تستقطب اهتمام كل مسلم ، وقد تمركز فيها كما هو الحال في بقية أقاليم العالم الإسلامي نوع من الوعي التاريخي بضرورة التدوين

(١) انظر السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨ .

للاشهاد على العصر الذي كان يعيشه المؤرخ ، وماكان يموج فيه من فتن وحوادث جسام ، وبدع وضلالات تأصلت بين جهلة العوام وغيرهم .

هذا وقد ترك مؤرخنا ثروة تاريخية هامة في تاريخ مكة، ومن أبرز كتبه :

ـ كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى :
وهو موسوعة تاريخية ضافية ومتكاملة لتاريخ النشاط الانساني عن أم القرىٰ عبر إطاراته المختلفة ، ولمدة تجاوزت التسعة قرون ونصف القرن ، وهو على نظام الحوليات الشاملة .

والكتاب يمتاز بالتجديد والأصالة ، فللنجم قصب السبق في كتابة تاريخ مكة في إطار هذا النسيج التاريخي ، ومع أن المنهج الحولي يعد من أقدم المناهج التاريخية لدىٰ المؤرخين المسلمين ، إلا أن مثل هذا التنظيم لم يسبق إليه أحد من المؤرخين ممن كتب في تاريخ مكة . ولهذا يعد كتاب اتحاف الورى أول كتاب مرتب على السنين في تاريخ مكة المكرمة .

وقد اشتهر هذا الكتاب جدًا فما من مؤرخ إلا وأشار إليه ، وقد حظي بسلسلة من الذيول اتصلت حتى قرون متأخرة ، من أشهرها كتاب "بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى" لعبد العزيز بن فهد ، وذيل على هذا الذيل جار الله بن فهد بكتاب أسماه : "نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى" واصل فيه أخبار مكة المكرمة إلى منتصف القرن العاشر الهجري .

وكتاب اتحاف الورى يقع في أربع مجلدات ضخمة ، وعدد صفحاته ألفان وأربعمائة وتسع وسبعون صفحة ، عدىٰ الفهارس ، وقد دون النجم حوادث كل عام تدويناً مستقلاً ، تحت عنوان باسم ذلك العام ، ويختم

الحوادث بذكر الوفيات ، وينتقل من عام لآخر بدقة متناهية ، وكلما قرب الكتاب من عصره صار أشبه بالسجل اليومي ، المملوء بالوثائق والأخبار الهامة ، الواقعة في مكة وأعمالها ، مرتبة حسب تاريخ وقوعها بدءاً بالمحرم وانتهاء بذي الحجة ، ويشمل السجل أخبار النزاع على الإمارة ، ومراسيم العزل والتولية للأمراء والقضاة والأئمة ، والمباشرين للضرائب التجارية ، علاوة على أخبار التوسعة والصيانة للحرم المكي ، والمساجد والمشاعر ، ومايستجد من مؤسسات تعليمية واجتماعية وحضارية ، وبيان أنظمتها الإدارية والتعليمية ، ومايطرأ على الأوقاف القديمة من استيلاء أو تأجير أو اعادة بناء وتعمير ، وأخبار النشاط التجاري ، والأنظمة المالية المتصلة به ، والتركات وأخبار الحجاج والمعتمرين ، ومقدار الأمن في الطريق ، وفي مكة والاختلافات الحاصلة في تحديد الوقوف بعرفة ...الخ من الأخبار الهامة .

وقد أفردنا لهذا الكتاب مبحثاً مفصلاً لأوصافه ودراسة منهج مؤرخنا فيه ، ونوعية المادة التي احتواها ـ وضربنا الأمثلة لذلك ـ(١).

ـ كتاب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين :

كتاب قيم للغاية ، يعني بالترجمة لأهل مكة ، ومن لهم صلة بها من المجاورين ، أو من له مآثر طيبة فيها ، وقد ذكره معظم الذين ترجموا للنجم ، ويوجد منه نسخ خطية منها : نسخة في مكتبة رضا رامبو بالهند برقم ٣٦١٣ ، وصورها معهد إحياء المخطوطات العربية عام (١٣٧١هـ/١٩٦١م) على الفيلم رقم ٣٠٣٢ ، وهي ضمن المجموع ٦٣٢/٤٠٥ ، وتاريخ نسخها عام ٩٣٤هـ .

وفي المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية نسخة مصورة برقم ٧٥ ، وتاريخ نسخها عام ١٠٥٩هـ .

---

(١) انظر الباب الثانى ، الفصل الأول ص٢٢٨-٣١٥ من هذه الدراسة .

ويوجد منه نسخة بالمكتبة الفيضية بمكة ، لايعرف رقمها ومصدرها ، و لامحتواها ، ويبدو أنها ناقصة لأنها فى كراس[(١)].

وقد عولت في موضوع دراستي على النسخة الأولى المصورة عن نسخة الهند ، والتي أمدني بها معهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى ، وهي أقدم النسخ المعروفة حتى الآن ، وتتلو النسخة الأصلية في القيمة لأنها نقلت عن خط المؤلف[(٢)].

وعدد أوراقها مائتان وخمسون ورقة ، ومقاسها ٥٢٠x١٧٥ملم ، في حين أن عدد الأوراق التي وصلت إلينا مائتان وأربع وعشرون ورقة . والورقة الأولى وتحتوى على مقدمة المخطوط منقوصة ، حيث قطع نصفها بشكل عمودي ، وقد أكملت بخط آخر مخالف لخط المقدمة التي ضاعت بعض عباراتها بسبب العيب المذكور .

وقد كتبت هذه النسخة بعدة خطوط نسخ عادية ، لاهي بالجيدة ولابالرديئة ، وتخلل بعض تراجمها فراغات تتراوح بين كلمة أو نصف سطر أو عدة أسطر ، وقد تصل البياضات إلى ثلثي الورقة[(٣)]. وهناك بعض الأخطاء الكتابية ، تداركها الناسخ بالتصويب فوق العبارة الخاطئة[(٤)]، أو على يسار الورقة بمحاذاة السطر الوارد فيه الخطأ[(٥)]، ويلاحظ وجود بعض الأخطاء النحوية واللغوية ، مع اهمال الهمزة المتأخرة إهمالاً تاماً .

ولايوجد في فهرسة المخطوط ، ولافي خاتمته مايشير إلى اسم الناسخ ، وإنما أشار من كتبه في الخاتمة إلى أنه نقله من نسخة بخط المؤلف في مكة ،

---

(١) انظر عبد الوهاب دهلوى : مجلة المنهل ، ج٧ ، ص٤٠٢ .

(٢) انظر خاتمة الدر الكمين ، ق٢٢٣ب .

(٣) انظر ق٢١أ .

(٤) انظر ق١٧١ب .

(٥) انظر ق٢٠٧أ .

وأن تاريخ الفراغ من النقل يوم الاثنين ثاني ذي القعدة عام ٩٣٤هـ .

ويبدو أن هناك من اطلع على المخطوط ، وتتبع بعض التراجم التي يغلب عليها الأصل المغربي أو الأندلسي[١]، أو تراجم المكيين الذين ارتحلوا إلى تلك الديار[٢]، أو درسوا على أحد الشيوخ المغاربة[٣]، أو ساروا على مذاهبهم وعاداتهم[٤]، فقد لاحظنا أن التراجم التي تحمل تلك الصفات قد وضع أمام السطر الأول للترجمة حرف ص وفوقه رقم لتسلسل التراجم التي بهذه الصورة .

والكتاب كما هو واضح من عنوانه ذيل على كتاب العقد الثمين للفاسي ، وقد ترجم فيه صاحبنا لمعاصريه ممن مات بعد وفاة مؤلف الأصل أو ظهر بعده ، كما أضاف تراجم جديدة للمكيين تركها الفاسي سهوا ، أو غاب عنه أمرها .

أما خطة الكتاب فهي على شرط الفاسي في تراجمه ، خلا المقدمة الطويلة التي جعلها الفاسي في تاريخ مكة ، فإن النجم لم ينتهجها هنا ، وإنما اقتصر في مقدمته على اضاءة يسيرة ركز فيها على بيان أهمية علم التاريخ ، وجلال قدره ، واعتناء السلف الصالح بتدوينه ، وذكر أهم من برز من المؤرخين بحسب طبقاتهم ، ثم بين سبب تأليفه لهذا الكتاب ، وتحدث باقتضاب شديد عن منهجه .

والكتاب يعتمد على النظام المعجمي ، فهو مرتب على حروف الهجاء خلا المحمدين والأحمدين فإنهم مقدمون على غيرهم ، لشرف هذين الاسمين على غيرهما من الأسماء ، واقتداء بخطة الفاسي واضع الأصل .

---

(١) انظر على سبيل المثال ق١٧٥أ ، ١٧٨أ ، ١٨٣ب .

(٢) انظر ق١٣٦أ،ب ، ١٥٦أ .

(٣) انظر ق١٨٠أ ، ١٨٤ب ، ١٨٥أ .

(٤) انظر ق١٨٤أ .

وقسم النجم كتابه إلى أبواب وفصول ، جاءت على النحو التالي :

الباب الأول : اعتنى فيه بترجمة الأعلام بحسب أسمائهم المعروفة ، وهو أكثر الأبواب مادة ، والغالب الأعم من تراجمه اكتملت فيها عناصر الترجمة .

الباب الثاني : ترجم فيه للرجال المعروفين بكناهم ، سواء من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم ، أو من عرف بكنيته وإن كان اسمه معروفاً ، وذكر أن منهجه فيمن غلبت كنيته على اسمه اختصار الترجمة على الكنية والنسب ثم الإحالة على ماتقدم ، بخلاف من لم يعرف له اسم حيث يترجم له ترجمة وافية بادئاً بالكنية التي عرف بها(١).

وفي آخر هذا الباب ذكر أربعة فصول متسلسلة دون الإشارة إلى باب يسبقها ، بمعنىً أنها ملحقة بالباب الثاني ، رغم أنه لايدخل ضمن نطاق فصولها ، وكذلك الحال في أصل هذا الكتاب . وهذه الفصول هي :

الفصل الأول : فيمن اشتهر بلقبه مضافاً إلى لفظ الدين مثل : أمين الدين ، بهاء الدين ، شمس الدين . الخ من الألقاب(٢).

الفصل الثاني : فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده ، وعرف باسمه ، وهنا قد يجمع أكثر من شخص في ترجمة واحدة نحو قوله : "ابن زائد : عبد الله وعلى وسليمان أولاد جار الله بن سليمان بن زائد ، ومحمد بن عبد الله المذكور ، وعبد القادر وعيسى ولدا على المذكور ، وأحمد بن سليمان المذكور ، وجار الله وعبد اللطيف وعطية وموسى أولاد أحمد بن جار الله ومحمد بن عطية المذكور ، وأحمد بن عبد اللطيف المذكور ، وابنا أخيهم

---

(١) انظر ق١٧٦ب .
(٢) انظر ق١٨٦أ .

على وعبد العزيز أبناء محمد بن أحمد بن جار الله"(١).

الفصل الثالث : في المعروفين بأنسابهم إلى قبيلة نحو "البربري"(٢)أو إلى بلد نحو : "الهمذاني"(٣)أو إلى لقب مضاف إلى غير الدين نحو : "بولاد العجمي الخواجا"(٤).

الفصل الرابع : فيمن نسب إلى أبيه أو جده ، ولم يعرف اسمه نحو قوله : "ابن طبيق المصري"(٥)أو من لم يعرف له نسبة لأحد واشتهر بصفته نحو : "أمير التكاررة"(٦).

أما تراجم النساء فقد أفرد لها النجم باباً خاصاً بعد أن انتهى من أبواب وفصول تراجم الرجال ، وقد بدأها بباب ترجم فيه للنساء المعروفات بأسمائهن ثم ألحقه بفصل في الكنى من النساء ، ثم اتبع ذلك بثلاث تراجم لنسوة عرفن بلفظ (والدة فلان)(٧)وختم تراجم النساء بترجمة واحدة لامرأة عرفت بلقبها وليس لها اسم وهى "الحلبية"(٨).

أما مادة التراجم فهي تتفاوت طولاً وقصرًا بحسب مقاييس النجم ، والمعلومات التي جمعها عن المترجم ، وبحسب القيمة السياسية والعلمية والاجتماعية له ، ويختم أكثر التراجم برواية حديث متواتر سمعه منه ، أو أثر له تركه ، أو شعر أنشده إياه ، أو خبر متمم للفائدة . وقد حرص عند

---

(١) ق١٨٧أ .
(٢) ق١٨٨أ .
(٣) ق١٩٠أ .
(٤) ق١٨٨أ .
(٥) ق١٩٠أ .
(٦) نفس الورقة .
(٧) ق٢٢٣ب .
(٨) نفس الورقة .

روايته للحديث على اتباع منهج المحدثين في ذكر السند مهما طال أو تعدد رواته ، واستعمل مقاييسهم في الحكم على قوة الحديث وضعفه ، وعلو اسناده ، نحو قوله : "حديث صحيح ، متفق عليه ، أخرجه الأئمة الستة في كتبهم ، خلا أبا داود ، وابن ماجه ، فرواه البخاري فى الايمان عن ... والترمذي فيه عن ... فوقع لنا بدلاً لهما ولله الحمد"(١). أو قوله : "حديث صحيح شريف ... عظيم الموقع ، انفرد باخراجه مسلم في صحيحه ... فوقع لنا بدلاً عالياً بدرجة من الطريق الأول ... وبدرجتين من الثانية ... ولله الحمد والله ، وهو مسلسل بالدمشقيين إلا شيخنا الأول ، وليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث فيما ذكره أبو مسهر راوى الحديث ، والإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه"(٢).

وقد راعى النجم في طبيعة تراجمه الشمول النوعي فهو لم يقتصر على نوع من الأعيان فقد تنوعت تراجمه ، فشملت الأمراء(٣)، والقضاة والنواب(٤)، والعلماء(٥)، والقواد والمستشارين(٦)، والتجار(٧)، وأصحاب المهن(٨)، والوظائف الصغيرة(٩)، ونزلاء مكة والمجاورين فيها وسنوات المجاورة(١٠)..الخ كما أنه لم يكتف بالترجمة للمشهورين بل ترجم للمغمورين والمجاذيب ونحوهم(١١).

---

(١) ق٧أ .
(٢) ق٣٨أ،ب .
(٣) ق١٥٠ب ، ١٥١أ ، ١٧١ب ، ١٨٤ب ، ١٨٥أ .
(٤) ق٥٤أ،ب ، ٧٨أ،ب ، ١٣٦أ ، ١٥٢أ ، ١٧٩أ،ب ، ١٨٠ب .
(٥) ق٤٩ب ، ٦٦ب ، ٧٥أ ، ٨٥أ ، ١٨٠ب ، ١٨١ب .
(٦) ق١٠١أ ، ١١٠أ ، ١٢٦أ ، ١٥٥ب ، ١٥٦أ ، ١٦٥ب ، ١٦٩ب .
(٧) ق١٥٦أ ، ١٦٣ب ، ١٦٤ب ، ١٦٧ب ، ١٦٩ب .
(٨) ق١٣٥ب ، ١٣٦أ ، ١٤٦أ ، ١٥٥أ ، ١٥٨ب .
(٩) ق١٤٠أ ، ١٢٣أ ، ١٨٢أ .
(١٠) ق١١٨أ،ب ، ١٦٧أ ، ١٨١ب ، ١٨٢أ ، ١٨٣أ .
(١١) انظر ق١٩أ .

أما عناصر الترجمة فهي في الغالب على هذا النحو :

- يذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ، وقلما يورد أقل من أربعة أسماء لأجداده ، وأحيانا تصل قائمتهم إلى أكثر من عشرين جدًا خاصة في تراجم أمراء مكة(١)، أو تراجم من ينتسبون إلى كبار الصحابة(٢)، أو من ينسبون إلى القبائل العربية الكبيرة(٣).

- يذكر الصفات التي تدلل على مكانته العلمية مثل "الامام العلامة"(٤)، و"الحافظ الكبير"(٥)، و"المقريء المجود"(٦)، و"الشيخ"(٧)، أو تلك الدالة على المناصب الدينية أو الدنيوية ، نحو "نائب السلطنة في الأقطار الحجازية"(٨)، و"نائب أمير مكة"(٩)، و"قاضي القضاة"(١٠)، و"ناظر المسجد الحرام" (١١)، و"خطيب المسجد الحرام"(١٢)، "إمام الحنفية بالحرم"(١٣)، و"شيخ السبع بالمسجد الحرام"(١٤)، "شيخ الفراشين بالمسجد الحرام"(١٥)، و"خادم درجة الكعبة الشريفة"(١٦)، الخ .

---

(١) ق١٨أ .
(٢) ق٢أ .
(٣) ق٨أ .
(٤) ق٢أ .
(٥) ق١٥أ .
(٦) ق١٧ب .
(٧) ق٦٩ب .
(٨) ق٧٠أ .
(٩) ق٩١أ .
(١٠) ق١١أ .
(١١) ق١٢٦ب .
(١٢) ق١٧٩أ،ب .
(١٣) ق١٣١أ .
(١٤) ق٧٣ب .
(١٥) ق١٠٠أ .
(١٦) ق٧٥أ .

- يذكر مولده ونشأته ، وقد يشير إلى بعض أسماء أقاربه كوالدته وزوجته وأشقاؤه وشقيقاته(١).

- يذكر شيوخ وشيخات المترجم ، وسماعاته واجازاته ، كما يذكر شيوخه في الأمصار التي ارتحل إليها ، واجازاتهم له(٢)، أما التلاميذ فنادراً مايذكرهم(٣).

- لايقتصر على ذكر الرحلات العلمية ، بل يشير أيضا إلى الرحلات التجارية نحو قوله : "ودخل كلا من القاهرة ودمشق وبلاد اليمن مرتين طلباً للرزق"(٤)، أو "كان تاجرًا ، يسافر إلى الهند"(٥). وقد لايشير إلى نوع الرحلة ، ولكنه يذكر مالقيه في سفره من قبول ونحوه كقوله : "دخل بلاد العجم غير مرة ، وله الحظ الوافر عند ملوكها وقضاتها وأعيانها ، ودخل القاهرة ودمشق وحلب واليمن"(٦)، وقوله : "سافر إلى الهند ، فدخل كلبرقه فأكرم وراج أمره ؛ لاعتقادهم جده!! وحصل له قبول ، واقبال ، ودنيا طائلة ، وذرية ، وتغيرت الدول وهو على جلالته"(٧).

- كان شديد الاهتمام بالانتاج العلمي للمترجم ، والإشارة إلى أسماء أهم مصنفاته(٨)، وقد يذكر آراء العلماء فيه(٩)، ويصف خطه ، ومدى

---

(١) ق٦أ ، ٧ب ، ١٠أ ، ٣٠أ،ب .
(٢) ق١١٨ب ، ١١٩أ ، ١٢٣أ ، ١٢٥ب ، ١٢٦ب ، ١٢٩أ ، ١٣٢ب ، ١٣٨أ ، ١٤٢ب ، ١٤٨أ ، ١٦٨أ،ب .
(٣) ق١١٩ب ، ١٢٣أ .
(٤) ق١٤٥ب .
(٥) ق١٨٢أ .
(٦) ق١٣٦أ .
(٧) ق١٤٠أ .
(٨) ق١٢٥ب ، ١٣٠ب ، ١٣٢أ ، ١٤٢ب ، ١٤٧ب ، ١٧٠أ ، ١٧٤ب ، ١٧٩أ .
(٩) ق١١٩ب ، ١٢٦أ ، ١٦٣ب ، ١٧٠أ .

جودته ، نحو قوله : "وكتب بخطه الحسن"(١)، و"وكتب بخطه الحسن المتقن"(٢)، أو "واشتغل في مبدأ أمره بالخط المنسوب على الشيخ فلان فمهر في ذلك وأجازه ، فصار يكتب للناس"(٣).

- اعتنى في تراجم أمراء مكة ببيان الحوادث التي جرت في عهدهم ومنازعاتهم وأوامر عزلهم وخلافه(٤)، كما عُني في تراجم القضاة بذكر تواريخ التولية والعزل ، والوظائف التي باشروها إلى جانب القضاء ، والوظائف التي أضيفت لهم بقرىٰ مكة وأعمالها(٥).

- والملاحظ أنه لم يترجم لكبار الموظفين من قواد ومستشارين ، ومن كان لهم دور في الحياة السياسية كما ترجم للعلماء ، ففي الوقت الذي يفصل فيه في أخبار العلماء ، نراه يجمل في أخبار السياسيين عدىٰ أمراء مكة(٦).

- عُنى ببيت المترجم فإن كان من أسرة لها مكانتها الرفيعة ، وأصلها العريق ذكر ذلك نحو قوله : "كان من خيار القضاه ، ومن بيت علم ورياسة"(٧)، أو "كان منا بيت شهير باليمن"(٨)، أو "كان هو وأهله من رؤساء اليمن ، ومن المباشرين بزبيد"(٩). وقد يشير إلى علو قدر صاحب الترجمة نفسه ، وتأثيره على قرارات السلطة العليا في مكة كقوله : "وله عند

---

(١) ق١١ب .
(٢) ق١٦أ .
(٣) ق١١١ب .
(٤) ق٩٨ب-٩٩أ .
(٥) ق٨٢ب ، ٨٣أ ، ١٣٥ب ، ١٣٦أ .
(٦) ق١٢٦أ ، ١٦٩ب ، ١٧٠أ ، ١٧٢أ ، ١٧٣أ .
(٧) ق٣١أ ، ٤٠أ .
(٨) ق١٣١ب .
(٩) ق١٨٠أ .

أمير مكة وجاهة ، وإذا قصد فى أمر يتعلق بعرب البلاد في جنايات وغيرها تركه لأجله"(١).

- أصدر أحكامه على المترجم ذماً أو مدحًا بحسب أخلاقه ، ومعاملاته الظاهرة كقوله ذاماً : "وترك حق الله من الزكاة ، ... مع جنف للفقراء ، وغلظة في القول حتى تأخر ، وصار ممقوتاً" (٢)، أو "كان شرس الأخلاق"(٣)، أو "كان مولعاً بشجر الأفيون"(٤)، أو قوله مادحًا : "كان عالماً ، عارفاً بالأحكام ، ساكناً متحبباً إلى الناس ، ومحبباً إليهم"(٥)، أو "كان مبارك التدريس ، أكثر من قرأ عليه في هذا الفن درس فيه ، وكان متواضعًا ... يقريء الطلبة ، ويخدمهم ، سليم القلب"(٦).

- كان أحياناً يورد بعض الطرائف عن المترجم كقوله عن أحدهم : "كان عاشقاً للشهرة مع اظهار الزهد والورع ، والغض من الأكابر ، وجرت له محن في التوصل إلى الرياسة ، وناب في القضاء بالقاهرة عن القاضى فلان بعد أن شرح باب من ولى القضاء فقد نبذ الإسلام وراء ظهره ، ومن أظرف ماوقع في ذلك أن شخصاً من أهل بلده قال له حين ولى القضاء ، كأن مولانا رجع عن دين الاسلام فلم يجب له جوابا!!(٧)

- كان في الغالب يضبط تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة ، ويحدد مكانها ، ووقت الصلاة على الجنازة وتشييعها(٨). وإذا لم يعلم تاريخ وفاته

---

(١) ق١٨٠أ .
(٣٢) ق٤١ب .
(٣) ق٢٣أ .
(٤) ق١٥٣أ .
(٥) ق١٥٣ب .
(٦) ق٤٢أ .
(٧) ق٥٨أ .
(٨) ق٤أ ، ٥أ ، ٦أ ، ٨أ ، ١٣أ ، ١٦٦أ ، ١٦٧ب ، ١٧٠أ .

أشار إلى ذلك نحو قوله : "وماعلمت متى مات"(١).

هذا وتشترك تراجم النساء في أغلب تلك العناصر .

والملاحظة المنهجية المهمة والجديرة بالذكر هي : أن التراجم التي توفى النجم قبل اتمامها ، أو بالأحرى قبل وفاة أصحابها ، أكملها ناسخ المخطوط ولكن في منهجية علمية دقيقة ، حيث يبدأ اضافته بلفظ "أقول" ثم يشير إلى المعلومات التي جدت مع المترجم إن وجدت ، أو يكتفي بذكر تاريخ وفاته(٢).

والكتاب ثري بالمادة التاريخية المتنوعة ، ويمتاز بالعمق والشمول ، وقد وفق مؤرخنا في وصف ملامح عصره ، وتسليط الأضواء عليه .

هذا وقد ظن ناصر الرشيد أن الدر الكمين هو كتاب اتحاف الورىٰ ، واعتمد في استنتاجه على ماذكره بعض المؤرخين : أن للنجم ذيلاً على تاريخ مكة(٣)، وقد نبه حمد الجاسر إلى هذا اللبس ، وأشار إلى اختلاف الكتابين في المنهج ، وأن ذيل - تاريخ مكة للفاسي - هو كتاب الدر الكمين(٤).

وقبل أن أختم عرضي المبسط لهذا الكتاب القيم ، أود أن أشير إلى أن أحد الباحثين قدم دراسة لكتاب الدر الكمين ، ومنهج مؤرخنا فيه مقارنة بكتب التراجم الأخرى(٥). غير أن دراسته تختلف عن خطتنا في تناول هذا الكتاب ، ووصفنا له ولمنهج مؤلفه هنا .

- كتاب بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام :

هذا الكتاب لايزال مخطوطاً ، وقد أمدنا معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى بصورة من النسخة المحفوظة فيه ، ولكن يبدو أنها غير كاملة ، فهى لاتتجاوز التسع ورقات .

---

(١) ق٩ب .

(٢) انظر على سبيل المثال ترجمة يحي بن عمر بن فهد المتوفى عام ٨٨٥هـ ، وستيت ابنة على بن ظهيرة المتوفاه عام ٨٨٦هـ ، ومصباح بنت أحمد بن حسن بن عجلان المتوفاه عام ٨٨٧هـ ، وعمر النويري المتوفى عام ٨٨٧هـ ، وأبو بكر بن على الحارثي المتوفى عام ٨٩٥هـ ، وعلى الشوائطي المتوفى عام ٩٠٠هـ ، وعطية بن ظهيرة المتوفى عام ٩٠٤هـ .

(٣) ناصر الرشيد : بنو فهد ، ص٧٢ .

(٤) توطئة "حسن القرى" ، ص٢ .

(٥) انظر ابراهيم بن حمود المشيقيح : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين ، ص١٨٥-٢١٣ .

وتأتي أهمية هذه النسخة من كونها نسخة أصلية كتبت بخط المؤلف الذي يمتاز بالضبط والسرعة إلا أنه صعب القراءة . ولانعرف تاريخ كتابة المخطوط ، ولاسبب تأليفه ، ولكن يبدو أن النجم كتبه في فترة متأخرة ، وأنه ظل مسودة ، ولم يتمكن من تبييضه لعدم استكماله .

كما أن النسخة لاتوجد بها مقدمة ، وإنما ذكر في أعلى الورقة الأولى : اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ، ثم الإشارة إلى أنه بخطه ، وجميعها في سطر واحد . يليه مباشرة موضوع الكتاب ، الذي يُعنىٰ بالتاريخ السياسي لمكة .

أما منهج الكتاب فإن أساسه التنظيمي هو التراجم ، غير أن الملفت فيها أنها مرتبة حسب السنين ، حيث تبدأ تراجمه بترجمة لعتاب بن أسيد الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة بعد فتحها عام ثمان للهجرة . ثم تليه تراجم الولاة الذين استعملوا على مكة حسب تاريخ ولايتهم ، فكأن النجم أراد في كتابه هذا تسجيل تاريخ كامل عن ولاة مكة في الاسلام منذ فتحها حتى عصره .

غير أن الكتاب يعتريه القصور في بعض تراجمه ، فهناك تراجم لم يذكر فيها سوىٰ اسم الوالى فقط ثم بياض في بقية الورقة حتىٰ نهايتها كما هو الحال في ترجمة معاذ بن جبل ، وعبد الله بن عامر الحضرمي ، وقثم بن العباس بن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص الأموي ، كما يتخلل بعض التراجم فراغات كبيرة ، أما الحواشى فهي كثيرة على يمين أو يسار أو أعلى بعض الأوراق ، وأحيانا تجتمع تلك الحواشي كلها في الورقة الواحدة .

ومن أبرز مايمكن ملاحظته على هذه النسخة المقابلة الحادثة في عنوان الكتاب ، فالعنوان الذي كتبه النجم بخطه هو :

"بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام"

فى حين أن المقابلة التي سجلت كانت أسفل كلمتين من هذا العنوان : فتحت كلمة بغية كتب كلمة غاية ، وتحت كلمة ولاه سجلت كلمة سلطنة .

والملاحظ أيضا أن واضع هذه المقابلة لم يجر أى تغيير أو شطب على أى كلمة من العنوان الأصلي الذي كتبت كلماته بخط واضح وكبير ومقروء.

على أننا نجد تفسير تلك المقابلة لدىٰ العز ابن مؤرخنا إذ يقول في مقدمة كتابه "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام" : "وكان سيدي والدي الحافظ العمدة نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي - رحمة الله عليه - قد سبقني لجمع تراجم كثيرة من ذلك ... فأخذت جميع ماذكر في مسودته وأضفت إليها زيادات لايُستغنىٰ عنها ، وفوائد مهمة لابد منها"(١).

ويفهم من كلام العز أن النجم لم يبيض كتابه ، وأن العز هو الذي أكمل النقص الحاصل في تراجمه ، وأنه أضاف وذيل عليه ، ثم نسب لنفسه الكتاب بعد استكماله ، واجراء التبديل على عنوانه ، مع الابقاء على مسودة والده .

ومن الملاحظ أن العز لم ينكر جهد والده ، وأثبته بأمانة حين قال : أنه أخذ جميع ماذكر في مسودته ... وعزىٰ كل شيء إلى من سبقه لوضعه .

ولاأرىٰ لذلك ضير مادام قد أرجع الحق إلى أهله ، ثم أن نقل الأخبار بتلك الصورة كانت روح العصر الذي عاش فيه ، بل وقبله بكثير .

وأخيراً لانستطيع أن نقلل من قيمة كتاب العز مادام قد تحلىٰ بروح الصدق والأمانة ، ونسب كل جزئية في كتابه إلى قائلها .

---

(١) انظر ج١ ، ص٣ .

وألف النجم في التواريخ الخاصة بالأسر المشهورة في مكة ست مؤلفات لست بيوت موصوفة بالعلم ، "أفرد كل بيت منها في تصنيف ، لكنه أكثر فيه من ذكر المهملين ، والأبناء ممن لم يعش إلا أشهرا ، ونحو ذلك مما لافائدة فيه" ، وهذه المؤلفات نمطها التنظيمي قائم على مايبدو على التراجم(١). أما عناوينها فهي كالتالى :

ـ كتاب بذل الجهد فيمن سمي بفهد أو ابن فهد : ذكره السخاوي في ضوئه(٢)، وفي الاعلان(٣)، والشوكاني في البدر الطالع(٤)، والبغدادي في هدية العارفين(٥)، وفي ايضاح المكنون(٦)، والزركلي في الاعلام(٧)، وكحالة في معجم المؤلفين(٨).

وهذا الكتاب وإن كان خاصاً بعائلة مؤرخنا الفهود(٩) أو الفهديون(١٠)، إلا أن النجم استطرد فيه إلى من تسمىٰ بفهد أو في نسبه فهد ولو لم يكن من بيتهم ، مع فصله لهؤلاء عنهم تبياناً وتوضيحاً(١١).

وكان والد مؤرخنا قد صنف كتاباً في نسب آل فهد وقرابتهم ، غير أنه لم يكمله عنوانه : "الأنساب المستطابة في حمولة بني فهد ومن يلتحق بهم

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨ .
(٢) ج٢ ، ص١٢٨ .
(٣) ص١٠٨،١١٥ .
(٤) ج١ ، ص٥١٣ .
(٥) ج١ ، ص٧٩٤ .
(٦) ج١ ، ص١٧٤ .
(٧) ج٥ ، ص٦٣ .
(٨) ج٧ ، ص٣١٨ .
(٩) السخاوى : الاعلان ، ص١٠٨،١١٥ .
(١٠) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٨ .
(١١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

من القرابة"(١).

- كتاب التبيين بتراجم الطبريين : ذكره السخاوي في ضوئه(٢)؛ وفي الاعلان(٣)، والنهروالي في الاعلام(٤)، والبغدادي في هدية العارفين(٥)، وفي ايضاح المكنون(٦)، والزركلي في الأعلام(٧).

وهذا الكتاب من المصادر الهامة لعبد القادر الطبري صاحب كتاب : "أبناء البرية بالأبناء الطبرية"(٨)ونقل عن التبيين أيضا كل من المحبي في خلاصة الأثر(٩)، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر(١٠).

- كتاب تذكرة الناسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي : ذكره السخاوي في ضوئه(١١)، والبغدادي في هدية العارفين(١٢)، وفي ايضاح المكنون(١٣).

- كتاب السر الظهيرى بأولاد أحمد النويري : ذكره السخاوي في ضوئه(١٤)، وفي الاعلان(١٥)، والبغدادي في ايضاح المكنون(١٦).

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٦٣أ .
(٢) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٣) ص١٠٨،١١٥ .
(٤) ج٥ ، ص٢٢٥ .
(٥) ج٥ ، ص٧٩٤ .
(٦) ج٣ ، ص٢٢٤ .
(٧) ج٥ ، ص٦٣ .
(٨) انظر الورقة ٤٦أ .
(٩) انظر ج٢ ، ص٤٥٧،٤٦١ .
(١٠) انظر ج١ ، ص٦٥،٢٢٥ .
(١١) ج٦ ، ص١٢٨-١٢٩ .
(١٢) ج٥ ، ص٧٩٤ .
(١٣) ج٣ ، ص٢٧٧ .
(١٤) ج٦ ، ص١٢٩ .
(١٥) ص١٠٨،١١٥ .
(١٦) ج٢ ، ص١٢٧ .

ـ كتاب غاية الأماني في تراجم القسطلاني : ذكره السخاوي في ضوئه(١)، وفي الاعلان(٢)، والبغدادي في ايضاح المكنون(٣).

ـ كتاب المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة : ذكره السخاوي في ضوئه(٤)، وفي الاعلان(٥)، والشوكاني في البدر الطالع(٦)، وكحالة في معجم المؤلفين(٧).

ـ ومن مؤلفات النجم التاريخية كتاب : اللباب في الألقاب . أشار إليه الشوكاني في البدر الطالع(٨)، والكتاب مفقود ولانعرف بالضبط طبيعة الكتاب ، ولانستطيع أن نجزم بالمادة التي احتواها ، وهل هو في الأنساب؟ أم في تعريف المصطلحات من أسماء ووظائف؟ أو في تعريف ألقاب من ترجم لهم في مؤلفاته ، أو من اشتهروا بألقاب غريبة في عصره؟!

اسهاماته في الفهرسة :

تعود فكرة الفهارس إلى العقلية العلمية الواعية ، فابتكار هذا الفن يرمي إلى ترتيب المادة العلمية التي تحتويها الكتب ، وتسهيل الاستفادة منها ومقاومة انتحال المؤلفات ، ونسبتها إلى غير مؤلفيها ، ، ولم تظهر أهمية الفهارس إلا بعد اكتشاف الطباعة .(٩)

ولاشك أن هذا العمل يمثل قفزة كبيرة في تطور منهج الكتابة التاريخية والإتجاه نحو التركيز والعملية في التعامل مع الكم الهائل من الكتب

---

(١) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٢) ص١٠٨ .
(٣) ج٢ ، ص١٢٧ .
(٤) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٥) ص١٠٨،١١٥ .
(٦) ج١ ، ص٥١٣ .
(٧) ج٧ ، ص٣١٨ .
(٨) ج١ ، ص٥١٣ .
(٩) روزنتال : مناهج العلماء المسلمين ، ص١١١ .

والمعلـومات ، ويهدف إلى تيسير الحصول على المادة المبتغـاه في سهولة وبأقل جهد .

وقـد كان مؤرخنا فارس الفهـرسة في عصره ، وكانت عنـايته بها نقطة الارتكـاز لمعـرفة المحور الأصيـل الذي يدور حوله فكـره ، فهـو يحمل فكرًا وثابًا متجـددًا ، وقـد أدخل التجـديد على المؤلفـات القـديمة ، ومـؤلفات المعاصرين لـه(١)، وذلـك بترتيبهـا ترتيبـًا مفصلاً دقيقًا وفقـًا لمنهـج علمي ، اختـط فيه التنظيم على حروف المعجم . ولتسهيل الكشـف لما يراد معرفته في تلك المؤلفات القيمة عين محل الاسم من الأجزاء أو الطبقة(٢).

وقـد أشاد السخاوي باسهـامات النجم هذه ، ووصفهـا في ضـوئه بأنها من أهم أعمـال النجم وأفيـدها(٣). وعـدها في كتـابه الاعلان تجديدًا(٤). ولهـذا حقيق بنا أيضا أن نشيـد بامتياز مواهبه ، وإدراكـه الـواعي بضرورة تطويع معارفه لخدمة العلم وأهله .

ومن مساهمات النجم في الفهرسة مايلى :

ـ عمـل فهـرسة خاصـة لـه : ذكـرها في كتـابه الـدر الكمين (٥)، والسخاوي في ضوئه(٦).

ـ عمـل فهرسة لكتاب والده : "الجواهـر الفاخرة فيمـا قرأه التقى ابن فهد وسمعه" ذكرها النجم في الـدر الكمين(٧)، ولعلها الفهرست التي ذكرها

---

(١) السخاوي : الاعلان ، ص١٠٢ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٦ ، ص١٢٩ ؛ روزنتال : مناهج العلماء المسلمين ، ص١١٢ .

(٣) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٤) ص١٠٢ .

(٥) الورقة ١٦٢أ .

(٦) ج٦ ، ص١٢٨ .

(٧) الورقة ٦٢ب-٦٣أ .

السخاوي في ضوئه[١].

- عمل فهرسة لمسموعات والده للحديث المسلسل بالأولية بجميع طرقه والكلام عليه ، والأشعار المسلسلة المتصلة إليه . ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط[٢].

- عمل فهرسة لمسموعات شيخه زين الدين أبو بكر العثماني المراغي : ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط[٣].

- عمل فهرسة لمسموعات شيخه الجمال محمد بن ابراهيم المرشدي . ذكرها النجم في معجم شيوخه المخطوط[٤].

- عمل فهرسة لتاريخ الأطباء[٥]: ذكرها السخاوي في ضوئه[٦]، وفي الاعلان[٧]، وروزنتال في مناهج العلماء المسلمين[٨].

- عمل فهرسة لكتاب تذكرة الحفاظ للذهبي[٩].

---

(١) ج٦ ، ص١٢٨ .

(٢) الورقة ٢٦١ب .

(٣) الورقة ٦٣أ .

(٤) الورقة ٢٥٩أ .

(٥) اسم الكتاب : "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" تأليف الطبيب المؤرخ موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعه ، المتوفى عام ٦٦٨هـ . يبدأ الكتاب بمقدمة عن تاريخ الطب ، يليها تراجم لكبار الأطباء الاغريق والرومان ، ثم السريانيين ، فالأطباء النقلة إلى العربية ، يليها أطباء العصر الاسلامى فى الأقاليم المختلفة الى عهده . ويمتاز الكتاب بوفرة مادته ، وسعة أخباره وحسن صياغته ، ومن الكتاب نسخ عديدة ، حيث طبع غير مرة ، منها طبعة دار مكتبة الحياة ببيروت عام ١٩٦٥م .

(٦) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٧) ص١٠٦ .

(٨) ص١١٢ .

(٩) هو شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، والكتاب في تراجم المحدثين الحفاظ ، رتبه على الطبقات ، ويضم احدى وعشرين طبقة بدأ فيه بالصحابة ، وهم الطبقة الأولى ، وانتهى به إلى عصره ، وينهي أغلب التراجم بذكر من توفى من الأعيان في سنة وفاة المترجم ، كما ينهي أكثر الطبقات =

- عمل فهرسة لذيول طبقات الحفاظ(١).

ذكرهما السخاوي في ضوئه(٢)، وفي الاعلان(٣)، وروزنتال في مناهج العلماء المسلمين(٤)، وفيهما يقول السخاوي : "وعمل الذهبي كتاباً حافلاً بالنسبة لمن تقدمه ، رتبه على الطبقات ... وذيل على الذهبي الحافظ شمس الدين الحسيني ، ثم على الحسيني شيخنا التقي بن فهد المكي ، ورتب ذلك مع الأصل على المعجم تجديداً ولده النجم عمر"(٥).

- عمل فهرسة لكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفاء(٦): ذكره السخاوي في ضوئه(٧)، وروزنتال في مناهج العلماء المسلمين(٨).

- عمل فهرسة لكتاب طبقات الحنابلة لابن الفرا(٩).

= باشارات موجزة عن الأوضاع السياسية والعلمية للعالم الإسلامي في الفترة التي تناولتها الطبقة ، وقد طبع الكتاب عدة مرات منها طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد في أربع مجلدات مع ذيوله عام ١٩٥٥م،١٩٥٨م .

(١) حظيت تذكرة الحفاظ للذهبي بسلسلة من الذيول بدأها تلميذه شمس الدين محمد الحسينى المتوفى عام ٧٦٥هـ ، وأسمى كتابه "ذيل تذكرة الحفاظ" ، وذيل على الحسينى تقي الدين محمد بن فهد المتوفى عام ٨٧١هـ بكتاب "لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ" ، كما ذيل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ بكتاب "ذيل طبقات الحفاظ" ثم أكمله جار الله ابن فهد المتوفى عام ٩٤٥هـ بكتاب "تحفة الايقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ" .

(٢) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٣) ص١٠٢ .

(٤) ص١١٢ .

(٥) الاعلان ، ص١٠٢ .

(٦) مؤلف الكتاب أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، والكتاب حافل بتراجم العباد والمتصوفة . وهو مطبوع في أربع أجزاء فى القاهرة عام ١٩٣٨م .

(٧) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٨) ص١١٢ .

(٩) هو القاضي أبو الحسين محمد بن أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء ، ويرى بعض العلماء أنه "ممن تسبب في وصم المذهب الحنبلي بما هو بريء منه من التشبيه" . انظر لحظ الألحاظ ، ص١٨١ ، هـ٣ .

- عمل فهرسة لذيل طبقات الحنابلة لابن رجب[١].

ذكرهما السخاوي في الاعلان وقال : "وقد رتبهما على الحروف صاحبنا ابن فهد في تصنيفين"[٢]. وذكر الثاني السخاوي في ضوئه[٣]، وروزنتال في مناهج العلماء المسلمين[٤].

- عمل فهرسة لكتاب المدارك[٥]: ذكره السخاوي في ضوئه[٦]، وفي الاعلان[٧]، وروزنتال في مناهج العلماء المسلمين[٨]. يقول السخاوي : وقد عول على المدارك كل من بعده ، واختصرها جماعة ... ورتبها على الحروف لسهولة الكشف صاحبنا ابن فهد في كراسين على قسمين أحدهما : أصحاب مالك ، وثانيهما : من عداه"[٩].

- عمل فهرسة لكتاب العقود للمقريزي[١٠]: ذكرها السخاوي في

---

(١) هو الحافظ عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب البغدادي الدمشقى المتوفى عام ٧٩٥هـ ، وكتابه مطبوع فى جزئين ، دار المعرفة ببيروت ، ابتدأ تراجم كتابه من وفيات المائة الخامسة إلى وفيات المئة السادسة .

(٢) ص١٠١-١٠٢ .

(٣) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٤) ص١١٢ .

(٥) هو كتاب في طبقات الفقهاء المالكية للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى عام ٥٤٤هـ . اشتمل على أكثر من ألف وثلاثمائة ترجمة .
عن أهمية هذا الكتاب (انظر السخاوى : الاعلان ، ص١٠٠-١٠١) .

(٦) ج٦ ، ص١٢٩ .

(٧) ص١٠٠-١٠١ .

(٨) ص١١٢ .

(٩) الاعلان ، ص١٠١ .

(١٠) للمؤرخ أحمد بن على المقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ عددا من المؤلفات فيها لفظ : عقود أو عقد منها : كتاب "عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة الفسطاط" ، وكتاب "شذور العقود" ، وكتاب "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" . ولاندري أى كتاب من تلك العقود قام نجمنا بترتيبها وفهرستها ، لأن السخاوي ذكره مختصرا بلفظ "عقوده". وإن كنا نرجح الكتاب الأخير لأنه يشتمل على المشاهير الذين عاصرهم المقريزى . =

ضوئه (١).

مؤلفاته في الأدب والشعر :

إن من ينظر إلى مؤلفات مؤرخنا نظرة شاملة فاحصة يجد أنه كان تواقاً لسماع الشعر ، مستحضراً لكثير من الأبيات الشعرية . ويبدو أن تلذذه بالشعر وحرصه على سماعه ناتج عن لذة التأريخ للحركة الشعرية في عصره والتي كانت فكرتها تعتمل في نفسه ، وهي لذة سامية بلاشك . ولعل المتابع لكتب التراجم يلاحظ أن قرض الشعر واستحضاره كان لذة الجماهير المثقفة فالكثير من أعلام علمائنا كانوا شعراء إلى جانب ابداعاتهم في الفنون والعلوم التي تخصصوا فيها ، وابن عباس (٢) يقول : "إذا قرأتم شيئاً من كتاب اللّه تعالى فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ؛ فإن الشعر ديوان العرب" .

وقد كان والد مؤرخنا ممن قرض الشعر ، وقد عرفنا القليل من نظمه (٣). أما مؤرخنا فلانعلم إن كانت له اسهامات فيه أم لا...!! لكن من المؤكد أنه كان حافظاً للكثير منه ؛ فقد أورد كماً جيداً من الشواهد الشعرية في تراجمه وتاريخه ، ورأيناه في بعضها مطارحاً للشعراء بأبيات من الشعر لسنا متأكدين من نسبتها له أو لغيره . فعلى سبيل المثال يقول في ترجمة

= وكتاب درر العقود طبع في بيروت سنة ١٤١٢هـ ، بتحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي .

(١) ج١ ، ص٥ .

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يسمىٰ البحر ، والحبر لسعة علمه ، وهو أحد العبادلة المكثرين من فقهاء الصحابة ، توفي في الطائف عام ٦٨هـ .
(انظر ابن حجر : تقريب التهذيب ، ج١ ، ص٤٢٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٥ ، ص٢٧٦-٢٧٩) .

(٣) انظر الباب الأول ، الفصل الأول ص٨٠-٨١ من هذه الدراسة .

الشاعر المكي نور الدين على بن محمد الفاكهي : أنشدني في يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان سنة احدى وسبعين "وثمانمائة" بالمسجد الحرام مضمنا للبيت الأول باقتراحي :

أَعِندَكَ عِلْمٌ أَنَّنِي بِكَ مُغْرَمُ ... وَأَنَّ فُؤَادِي بِالْجَوَىٰ يَتَضَرَّمُ

ثم يتبع هذا البيت بقصيدة طويلة للشاعر على نفس الوزن والقافية(١).

وعلى كل فثمرة عشق نجمنا لهذا الفن كانت خصبة فقد اجتمعت لديه حصيلة كبيرة من أخبار وأشعار الشعراء في عصره . فأخذ في تقسيمها وتصنيفها فإذا مادتها تستقيم لثلاث كتب هي :

- كتاب الإشعار بما أنشدت من الأشعار : ذكره العز ابن فهد في غاية المرام(٢). كما أشار العز إليه عندما قام بنسخ كتاب "العقد الثمين" للفاسي وذلك ضمن ترجمة أمير مكة حسن بن عجلان ، فقد ذكر المحقق أن الناسخ أورد منتخبات من شعر والد الفاسي في مدح السيد حسن ، ثم ختمها بقوله "وممن عارض هذه الأبيات جماعة من العلماء الثقات . منهم الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي ، والجمال محمد بن بركوت المكين ، والجمالى محمد بن عبد الوهاب اليافعي ، وذكر نظمهم مفصلاً" الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي المكى رحمه الله تعالى في كتابه : "الإشعار بما أنشدت من الأشعار" ولله الحمد طول الأعصار"(٣).

- ديوان شعر للشاعر المكي محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي المتوفى عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) : ذكره النجم في الدر الكمين(٤)، والسخاوي

---

(١) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٢٧ب .
(٢) ج٢ ، ص٣٥٤ .
(٣) انظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٥٥ ، هـ١ .
(٤) الورقة ٢٨أ-٢٩أ .

والسخاوي في ضوئه[١]، وكان هذا الشاعر قد أجاز النجم بالرواية عنه ، فجمع النجم أشعاره في مجلد .

وعن مستوىٰ شعر ابن عبد القوي وميدانه يقول النجم : أنه رديء في بدايات الشاعر ، ثم نظم نظماً وسطاً ، وأخيرًا قال الشعر الجيد ، إلا أنه أقبل على ثلب الأعراض ، وتمزيقها بالهجو . وعنده مبالغة في الأخبار التاريخية لمن ليس له معرفة بها[٢].

ـ معجم من كتب عنه من الشعراء : ذكره السخاوي في ضوئه[٣].
ـ نزهة العيون فيما تفرق من الفنون ، وتسمىٰ التذكرة : ذكرها النجم في الدر الكمين[٤]، والعز ابن فهد في غاية المرام[٥]، وعمر الشماع في سفينة نوح[٦]، والعصامي في سمط النجوم العوالي[٧]، والعجيمي في اهداء اللطائف[٨]، والمحبي في خلاصة الأثر[٩]، والبغدادي في هدية العارفين[١٠]، وايضاح المكنون[١١]، وكحالة في معجم المؤلفين[١٢].

ويبدو أن نزهة العيون كانت من أشهر مصنفات نجمنا العامة ، وأنها قد نالت استحسان المعاصرين له ، وثنائهم العاطر ، فقد رأينا في بعض

---

(١) ج ٨ ، ص٧١-٧٣ .
(٢) انظر الدر الكمين ، ق٢٨أ .
(٣) ج٦ ، ص١٢٩ .
(٤) الورقة ١٢٧ب ، ١٥٩أ .
(٥) ج ٢ ، ص٤٣ .
(٦) الورقة ٢٦أ .
(٧) ج١ ، ص١٧ .
(٨) ص٥٤،٨٧ .
(٩) ج ٢ ، ص٤٥٧ .
(١٠) ج٥ ، ص٧٩٤ .
(١١) ج ٤ ، ص٦٨٥ .
(١٢) ج ٧ ، ص٣١٨ .

التراجم تقاريظ مادحة لها من بعض الشعراء المكيين ومنها أبيات كتبها الأديب نور الدين على الفاكهي على طرة الكتاب عام (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) يقول فيها(١):

تهادىٰ ابنُ فهدٍ غزيرِ العلومِ — وأوغلَ في جمعـهِ للفنـون
فأَجمـعَ كـلٌّ علـىٰ فضلـهِ — فدونـهُ نـزهـةً للعيـون
وَجـادَ بـهِ مِنـةً للـورىٰ — فَأضحوا ثمارَ المنـىٰ يجتبـون
فـلازالَ يُهَـدي الـورىٰ — أَجمعينَ وبالنجمِ هم يهتدون

وكتب عليه أيضا قوله(٢):

أَحسنَ اللّٰه للذي — أَحسنَ الوضعَ إذ كتب
وحبـاهُ بفضلـهِ — فهمـا القصدَ والأرب

ومن المدائح الأبيات التي كتبها الفقيه عمر بن القاضي جمال الدين ابن ظهيرة ، وأرسلها للنجم بعد أن استعار منه تذكرته يقول فيها(٣):

سألتُكَ يَامنْ فَضلهُ عمَ خلقـهُ — وجادَ بهذا النجمِ في البيتِ والحـرم
مصنفٍ مجموعٍ حوىٰ كلَ نخبةٍ — وفائـدةٍ منقولـةً عـن ذوي الهمم
تديـمُ عليـه نعمـهُ وتسـرهُ — وتبقي له فرعيهِ والأهـلَ والخـدم

ومدحه ناسخ مخطوطة الدر الكمين ببيتين من الشعر قال فيهما(٤):

رأيتُ كتاباً حازَ كلَ فضيلةٍ
وفائدةٌ منقولةٌ تشبهُ القمر

---

(١) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٢٧ب .
"يلاحظ أن البيت الرابع فيه مضاهاة منفره ، وغير مستحب أن ينعت العبد بذلك" .

(٢) نفس المصدر والورقة .

(٣) نفس المصدر ، ق١٥٩أ .

(٤) نفس المصدر والورقة .

وكيفَ وجامعهُ امامٌ مفنَنٌ
يسمىٰ ابنُ فهدٍ ويُدعىٰ في الورىٰ عمر

المؤلفات المنسوبة للنجم :

نشرت مجلة العرب في باب مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم ، تعليقاً ذكر فيه أسماء عدد من مؤلفات آل فهد ، تتميماً لموضوع سابق يشير إلى دور هذه الأسرة ومكانتها العلمية في مكة المكرمة ، وقد نسب المعلق عشر مؤلفات مابين كتاب ورسالة لصاحبنا(١)، جانبه فيها الصواب ، واتسم رأيه بعدم الدقة . ولايخالجنا شك في أن تلك المؤلفات ليست للنجم ، وقد ثبت لنا ثبوتًا قطعيًا عدم نسبتها إليه . وسنشير إلى تلك المؤلفات المنسوبة ، ودليلنا على عدم صحة ذلك .

وأول تلك المؤلفات كتاب "بغية الطالب الفالح ، من مشيخة قاضي طيبة أبي الفتح ابن صالح" . وهو مخطوط في عشرة أجزاء من مجلد ، بمكتبة البلدية بالإسكندرية ، رقم ١٨٠٥ د .

نسب المعلق هذا الكتاب للنجم ابن فهد ، معتقدًا أنه المشيخة التي خرجها لشيخه أبي الفتح المراغي . والواقع أنه وقع في وهمين :

الوهم الأول : حين ظن أن المشيخة لأبي الفتح المراغي ، شيخ صاحبنا ، وهذا خطأ . فأبو الفتح المراغي يُدعي : محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن عبد الوهاب بن محمد القرشي العثماني المراغي ، وعنوان مشيخته التي ألفها له النجم : "الفتح الرباني

---

(١) انظر مجلة العرب ، ج٧-٨ ، س١٨ محرم - صفر ١٤٠٤هـ ، تشرين ١-٢ ، أكتوبر ، نوفمبر ١٩٨٣م ، ص٥٥٩-٥٦٠ .

لجميع مرويات الشيخ العثماني"[١]. في حين أن مشيخة "بغية الطالب الفالح" لقاضي المدينة المنورة أبي الفتح ابن صالح . ويُدعي : محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن صالح بن اسماعيل بن ابراهيم بن أحمد بن حسن بن على بن صالح الكناني ، وهو يعرف كأسلافه بابن صالح[٢].

فلعل المعلق وقع في هذا اللبس بسبب التشابه بينهما في الكنية ؛ فكلاهما يكني بأبي الفتح .

أما الوهم الثاني : فهو في نسبة الكتاب للنجم ، وهذا خطأ أيضًا ، فقد ذكر النجم في معجم الشيوخ المطبوع[٣]، ومعجم شيوخه المخطوط[٤]، والسخاوي في ضوئه[٥]، أن التقي ابن فهد قد خرج مشيخة لقاضي المدينة المنورة أبي الفتح ابن صالح . وزاد السخاوي فذكر أنها في مجلد اقتصر فيها على المجيزين ـ يعني شيوخه بالإجازة ـ[٦].

ومما تجدر الإشارة إليه أن السخاوي بعد أن ذكر المشيخة التي ألفها التقى ابن فهد للقاضي المذكور ، أشار في نهاية ترجمته : بأن المقريزي في عقوده قد نسب المشيخة لصاحبه عمر بن فهد[٧].

وأحسب أن السخاوي يريد أن ينبه إلى الوهم الذي وقع فيه المقريزي خاصة وأنه ـ أعني السخاوي ـ قد أثبت نسبة الكتاب للتقي في

---

(١) انظر ص١٨٤-١٨٥ من هذا المبحث .
(٢) ترجمته في النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٣٢ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٠٢أ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٣٤-٣٦ .
(٣) ص٢٣٢ .
(٤) الورقة ٢٠٢أ .
(٥) ج٨ ، ص٣٥ .
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٧) نفس المصدر والجزء والصفحة .

أثناء الترجمة وبالتحديد بعد أن ذكر أسماء شيوخ ابن صالح . ثم أن النجم لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنه جمع للقاضي ابن صالح مشيخة ، أو عمل فهرستًا أو معجمًا لشيوخه ؛ بل صرح بأن والده التقي هو مؤلف المشيخة فقال : "وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة من أجاز أحمد بن عبد القوي وغيرهم ، تجمعهم مشيخته تخريج العلامة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي "(١).

وعلى كل فقد اطلعت على النسخة الموجودة بمكتبة البلدية في الاسكندرية التي أشار إليها المعلق .. وهي منسوبة لأبي الفضل محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي . وأبو الفضل هو التقي ابن فهد ، والد مؤرخنا .

ومن المؤلفات المنسوبة للنجم "رسائل ابن فهد" مخطوط بمكتبة البحث العلمي في جامعة كاليفورنيا ، وهي بخط عبد المحمود بن محمد بن على بن محمد بن نمى الحسني . وعدد أوراقها ١١٥ ورقة ، وتاريخ نسخها عام ٨١١هـ وتشتمل على الرسائل التالية :

- اللمعة الجلية في معرفة النية .
- واجبات الحج ونياته .
- كفاية المحتاج في مناسك الحاج .
- الهداية في فقه الصلاة .
- التحصين ، وصفات العارفين - في العزلة - .
- مصباح المبتديء ، وهداية المقتدي .
- ملخص ماذكره الأوائل في معرفة المنازل - منازل النجوم - .

وقد نسب المعلق هذه الرسائل المجموعة للنجم فقال : "ويظهر أن صاحب تلك الرسائل هو : عمر بن محمد بن فهد"(٢).

---

(١) معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٣٢ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٠٢أ .

(٢) انظر مجلة العرب ، نفس العدد ، ص٥٦٠ .

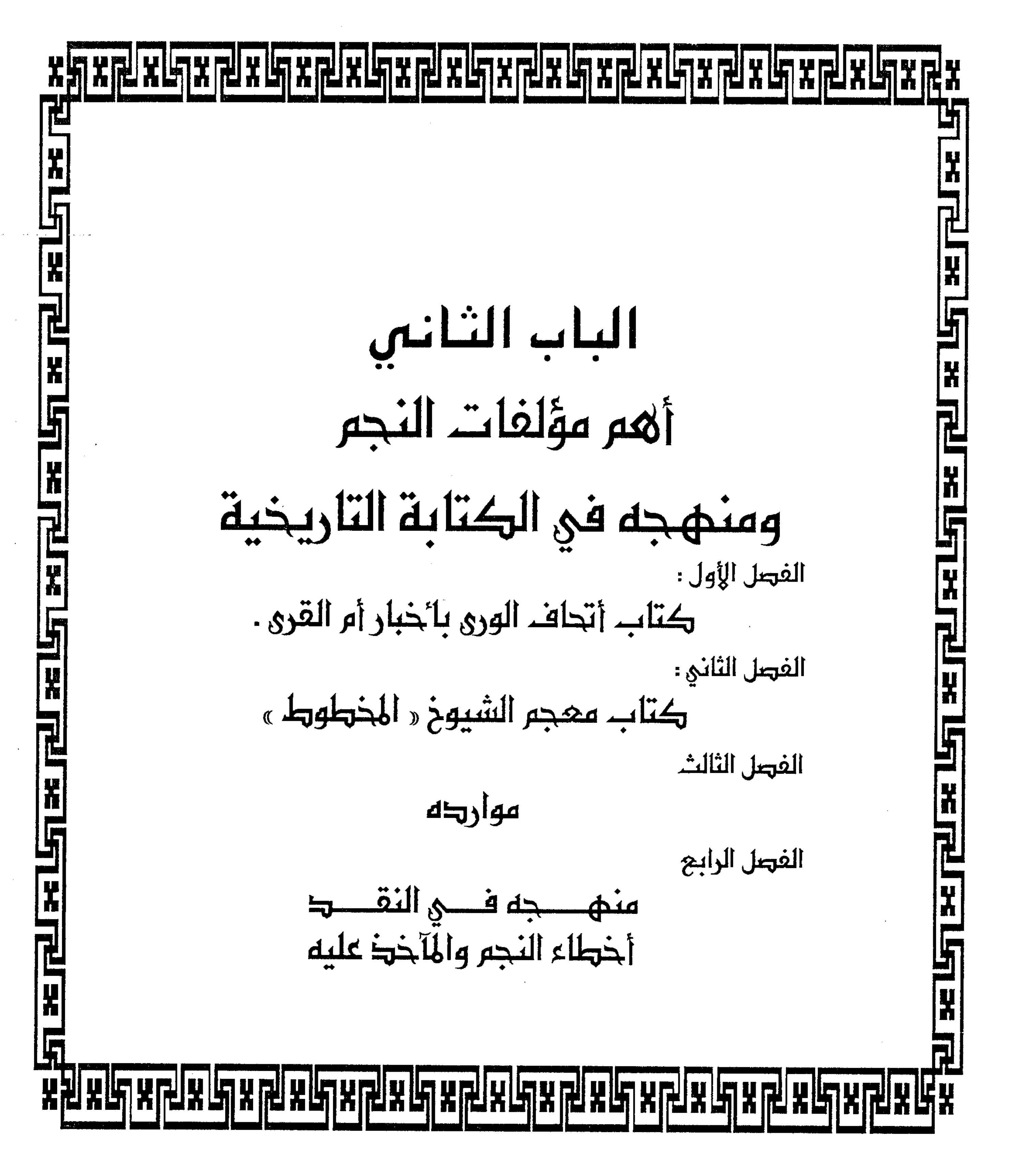
ويبـدو واضحًا أن المعلق تنقصه الدقة ،، وأنه غير مطـالع لتراجم آل فهـد الذاتية ، وهو وإن اجتهد إلا أن اعتقاده في غير محلـه . ولايخالجنا شك مطلقا في عدم نسبتها للنجم ؛ لأنها كتبت في عام ٨١١هـ ، ومـؤرخنا ولد عام ٨١٢هـ .

وبالـرغم مـن أنه لم يتسـن لي الاطلاع على هـذا المجمـوع ، إلا أنني أرجح نسبته لقاضي مكة وفقيهها جمال الدين ابن فهد المتوفى عام ٧٣٦هـ[١] أو حفيده نجم الدين محمد جد مؤرخنا المتوفى عام ٨١١هـ[٢].

---

(١) انظـر ترجمتـه في الفاسي : ذيل التقييـد ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ العقـد الثمين ، ج٢ ، ص٧٩-٨٠ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٧ ، ق٢٧٦ب ؛ الـدليل الشافى ج٢ ، ص٢٤٦ .

(٢) انظر ترجمته في الفاسي : ذيل التقييد ، ج١ ، ص٤٢٥-٤٢٦ ؛ العقد الثمين ، ج٢ ص٣٣٣-٣٣٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٣١ .



الباب الثاني

أهم مؤلفات النجم ومنهجه في الكتابة التاريخية

الفصل الأول :

كتاب أتحاف الورى بأخبار أم القرى .

الفصل الثاني :

كتاب معجم الشيوخ « المخطوط »

الفصل الثالث

موارده

الفصل الرابع

منهجه في النقد

أخطاء النجم والمآخذ عليه



الفصل الأول

كتاب أتحاف الورى بأخبار أم القرى

* أوصاف الكتاب .
* التنظيم العام وأساليب العرض .
* التوازن الكمي للمادة .
* عرض الوفيات .
* نوعية المادة وأسس انتقائها .
  * السيرة النبوية
  * أخبار الحج
  * الأخبار السياسية
  * الأخبار الاقتصادية
  * الأخبار الاجتماعية
  * أخبار الجريمة
  * الأخبار الثقافية والدينية
  * أخبار الأوقاف
  * أخبار متفرقة
* تحقيق الكتاب

أوصاف الكتاب :

كتاب "إتحاف الورى بأخبار أم القرى" يعد من أوسع التواريخ العامة لمكة المكرمة ، وهو من أضخم مؤلفات النجم ، وأكثرها شهرة ، وقد رفعه هذا المصنف إلى درجة كبار الباحثين العارفين بأصول الفن التاريخي ، فحياته المليئة بالانتاج والبحث المستفيض ؛ مكنته من الوقوف على مواضع الأخبار والحوادث ، ورغم كثرتها إلا أنه بلغ مناط الإبداع في سردها وتنسيقها ؛ وعمل الموازنات الجادة لها .

ويعالج مؤرخنا في كتابه هذا الفترة التاريخية من مولد رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إلى عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ، جمع في هذه الحقبة الطويلة سير الأولين حتى عصره لتكون مرجعًا للآخرين يستمدون منه الحقائق والعظات . ويحدثنا النجم في مقدمة كتابه عن منافع علم التاريخ فيقول : "ان علم التاريخ لاشك في جلالة قدره ، وعظم موقعه ، ينتفع به للاطلاع على حوادث الزمان ، وسير الناس ، ومأأبقى الدهر من أخبارهم بعد أن أبادهم مع أنه عبرة لمن اعتبر ، وتنبيه لمن افتكر ، واختبار حال من مضى وغبر ، وإعلام أن ساكني الدنيا على سفر"(١).

أما نسيج الكتاب فهو الطريقة الحولية ؛ والمعروف أن كتابة التاريخ مرتباً على السنين كان منهجاً تقليدياً لكثير من المؤرخين المسلمين ، وإن كان يعزى الفضل في ابتكاره إلى عبد الله بن أبى بكر بن حزم المتوفى بين عامي (١٣٠-١٣٥هـ/٧٤٧-٧٥٢م) ، ففي مطلع القرن الثاني للهجرة جمع قائمة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورتبها ترتيبًا سنويًا ، ثم استعارها ابن اسحاق فى سيرته ، ونقلها الطبري في تاريخه ، وبهذا يكون أول واضع للمنهج الحولي في التاريخ الإسلامى(٢).

---

(١) اتحاف الورى ، ج١ ، ص٣-٤ .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ج١ ، ص١٥٥-١٥٦ .

وإذا كـان هذا المؤرخ المدني قـد ابتكر الترتيب السنـوي للحوادث في هذا الزمن المبكر ، فان مـؤرخنا النجم هو أول من كتـب تاريخ مكة بشكل يومـي أو مايسمىٰ بـ"المياومات" وهذا بدوره تطور دقيق في الكتـابة التاريخية فشهـادة النجم لعصره ، وتقييـده لمشاهداته مملؤة بالـوثائق والأخبـار الهامة وهـي التي خلدت اسمه بلاشـك ، والمياومات وحدها دون غيرهـا من المزايا جعلـت مـن هذا الكتاب تاج مـؤلفات النجم ، ففيه تتجلىٰ مهـارته ، وقمـة تجاربه ، ونضوجه العلمي في كتابة التاريخ .

ويقع كتاب اتحاف الورىٰ بأخبار أم القرىٰ في خمسة أجزاء ، تناولت الأجزاء الأربعـة المادة التـاريخية ؛ في حين احتضن الجزء الخامـس الفهارس ، والكتـاب بأجزائه الخمسـة مـن مطبـوعات معهد البحوث العلميـة ، وإحيـاء التراث الإسلامـي بجامعة أم القرى ، وقد قام بتحقيق الأجزاء الثلاثة الأولى فهيم شلتوت ، والجزء الرابع عبد الكريم على باز ، أمـا الجزء الخامس الخاص بالفهـارس فهو من إعداد محمـد اسماعيل السيد أحمد ، وصـادق البيلي محمد أبو شادي .

والجزء الأول مـن هذا الكتـاب لم يذكر فيه تاريخ الطبـع ، وإن كان تصـديره ومقـدمته قـد ذيلا بتـاريخ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، وعــدد صفحـاته ثمان وستمـائة صفحـة خلا التصدير والمقـدمة ، وتبـدأ مادته بخطبـة النجـم ، ثم مدخل قصير مهد به لعرض أخبار السنة الأولى التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى نهاية السنة الحادية عشرة للهجرة .

الجزء الثـاني طبع عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، وعـدد صفحـاته أربع وأربعون وستمائة ، وتناول الفترة التاريخية من عام اثنتي عشرة مـن الهجرة إلى نهاية حوادث عام ستمائة للهجرة .

الجزء الثالث لم يذكر فيه تاريخ الطبع ، في حين ذيلت مقدمة المحقق بعام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، وعدد صفحاته خمس وستون وسبعمائة صفحة ، ساق فيه النجم الأخبار التاريخية من عام احدى وستمائة من الهجرة النبوية إلى عام ثلاثين وثمانمائة من الهجرة ، واستهل بتقديم مبسط للمحقق .

أما الجزء الرابع فقد طبع عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، وعدد صفحاته احدى وخمسون وسبعمائة ومن ضمنها مقدمة المحقق ، وعالج النجم في هذا الجزء الفترة التى عاصرها ، ويبدأ من عام واحد وثلاثين وثمانمائة هجرية إلى أوائل شهر شعبان عام خمس وثمانين وثمانمائة هجرية .

وقد طبع الجزء الخاص بالفهارس عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، وعدد صفحاته تسع وستون وخمسمائة ، اشتمل على سبعة بنود ستة منها خاصة بفهارس موضوعات الكتاب ، والبند السابع دونت فيه المصادر والمراجع كما جاء في مقدمة الإعداد . والفهارس لاتدخل ضمن النطاق التأليفي لمنهج النجم ، إنما هي تسمح للباحثين بالاستفادة من جهد المعدين ، وهي اسهام من جامعة أم القرى في خدمة العلم وطلابه .

وقد افتتح الجزء الأول بتصدير لمدير الجامعة أشاد فيه بالجهود المخلصة لمعهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الاسلامي - الذي يعد مفخرة جامعة أم القرى ، وثمرة تخطيط مركز - جاء في أرض خصبة فأنبتت من كل زوج بهيج ، وتحدث عن تبنيه لفكرة انشائه وتاريخ البدايات ، وأشار بعبارات موجزة لقيمة الكتاب ومؤلفه ، وأثنىٰ على محققه ، وقدم التهنئة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وإدارة المعهد على اهتمامها بتسجيل ونشر تراثنا المجيد .

ثم تلت التصدير مقدمة المحقق سجل فيها خاطرة تطلعه لاقتران اسمه بتحقيق كتب عن منابع الذات الإسلامية مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ،

وكان معهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الإسلامي ، الجسر الذي أوصله لاتمام أمنيته حين أسند إليه تحقيق هذا الكتاب ، ويسر له جميع سبل النجاح .

بعد ذلك قام المحقق بالتعريف بالمؤلف : اسمه ونسبه مختصرًا ، وتاريخ مولده ونشأته ومسموعاته ، ورحلاته العلمية ، ومكانته بين علماء عصره ، وأشهر مؤلفاته ، ثم تاريخ وفاته ، وأثره العلمي ، ثم أشار إلى قيمة الكتاب ، وأهميته ، وأخيراً عدد النسخ التي اعتمد عليها ، وشكر المحاضر الذي كلفه المعهد بمعاونته .

أما أصل الكتاب فقد بدأه النجم بديباجة أجمل فيها القول بأهمية علم التاريخ وأكد على ضرورة تقييده وضبطه لقيمته العالية ، وعظيم موقعه وعبره ، واستشهد على ذلك بما أورده شيخه العلامة المؤرخ تقي الدين أحمد المقريزي إذ يقول : "من أرخ فقد حاسب الأيام عن عمره ، ومن كتب حوادث دهره فقد كتب كتاباً إلى من بعده بحديث دهره ، ومن قيد ماشهد فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره ، فهو يُهدي إلى الفضلاء أعماراً ، ويبوىء أسماعهم وأبصارهم دياراً ماكانت لهم ديارًا"(١).

ثم عرج النجم إلى بيان موضوع كتابه ومنهجه والدافع الذي دعاه إلى تأليفه فذكر أن شيخه الحافظ المؤرخ تقي الدين محمد الفاسي قد ألف "لأخبار بلده مكة المشرفة عدة مؤلفات منها : شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ؛ ومختصراته الستة(٢). وكتاب : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

---

(١) ج١ ، ص٤ .

(٢) مختصرات شفاء الغرام :
تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام ، تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، هادى ذوي الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، ترويح الصدور باختصار الزهور ، مختصر ترويح الصدور . =

ومختصراته الثلاثة[(١)]. وذكر في أثناء كتبه المذكورة حوادث وأخبارًا اتفقت بمكة المشرفة ؛ وأعمالها في الجاهلية والإسلام ، أحببت أن أفرد ذلك مرتبًا على السنين ، مبتدئًا من حين مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وألحق به كثيرًا مما لم يذكره في مؤلفاته من هذا المعنى ، وأذيل عليه إلى زماني ، وأذكر في كل سنة من مات بها من الأعيان ؛ من أهلها وغيرهم ، وكثيرًا ممن مات من أهلها بغيرها"[(٢)].

ولم يحدد النجم المدة الزمنية التي استغرقها في تأليف كتابه ولاتاريخ بداية تدوينه ، أما عن تاريخ الانتهاء من تأليفه فهو عام ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) ، وكان آخر خبر أورده يوافق عصر يوم الأحد الخامس من رجب ، وهو خبر شبه ناقص يقول فيه : "في عصر يوم الأحد وقع مطر ورعد وبرق ، فوقعت صاعقة بأعلى مكة يقال : أنها بشعب عامر ؛ قتلت امرأة وولدين لها وجملاً ويقال : ان جارية في السياق ..."!![(٣)] في حين جاءت آخر ترجمة للوفيات فيها مؤرخة بضحى يوم الثلاثاء خامس شعبان وهي : ستيت بنت القاضي جمال الدين ابن نجم الدين بن ظهيرة ، زوجة القاضي جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة[(٤)].

ومما سبق يتضح أن النجم توقف عن الكتابة في اتحاف الورى قبل وفاته بشهر تقريبا ، فقد توفى في وقت الزوال من يوم الجمعة سابع رمضان

= (التقى ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص٢٩٣ ؛ النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٣أ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٦٨ب-١٦٩أ) .

(١) مختصرات العقد الثمين :
تاريخ أم القرى ، مختصر تاريخ أم القرى ، عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى .
(انظر فهد الدامغ : تقى الفاسى ومنهجه ، ص١٤٧-١٤٨،١٥٧) .

(٢) ج١ ، ص٥-٦ .

(٣) ج٤ ، ص٦٥٥ .

(٤) ج٤ ، ص٦٦٤ .

من العام المذكور ، وبهذا يكـون قد كرس جل وقته في تدوين هـذا السفـر المبارك .

وفي ختـام الحديث عن الضـروري والجوهري من أوصـاف الكتـاب ؛ أحب أن ألفـت الانتباه إلى أن هنـاك معلومات إضافيـة ألحقـت بالكتاب بعد السبعين وثمانمائة ، وأن الـذى زاد وأضـاف تلـك المادة شخـص آخر غير مؤرخنا ، وأن تلك المعلـومات المضـافة قـد أدخلت في الأصـل ، وأصبحـت جزءًا منه ، وأن محقق الجزء الرابع لم يلحظ ذلك ، ولم ينبـه إليه في هوامشه ولافي مقدمته(١).

التنظيم العام وأساليب العرض :

لقد تناول النجم ببراعة ماينيف على تسعة قرون ، أخرج من مشيمتها تاريخاً يانعاً لمكة المكرمة ، غذاه جهد واضح ومنسق لأطراف المادة التاريخية ، واتبع في معالجته للأحداث الطريقة الحولية كما ذكر في مقدمته ، وكما أشرنا سابقاً ، وهو على ذلك يرتب التاريخ المكي على السنين ترتيباً دقيقاً ، يتناول فيه أخبار كل عام وفق تسلسل زمني منظم في غالبه ، بدءًا بالمحرم ، وانتهاء بذي الحجة ، حتى إذا ماخلص من سردها والتعليق عليهـا سجل في ختام كل عام أسماء الوفيات رجالاً ونساءً في المجتمع المكي سواء من مات في مكة من أهلهـا وغيرهم ، أو من مات من أهلها في غيرها ، على نفـس المنهج الزمني .

والملاحظ أن التـأريخ الـزمني الذي اتبعه النجم في هـذا المصنف جاء على فترتين ؛ تشكلان قطـب الـدائرة ، وقمة الجبل في تاريخ مكـة المكـرمة .

الفترة الأولى : أرخهـا مـن السنة الأولى لمولد الـرسول صلـوات الله وسلامه عليه ، إلى السنة الرابعة والخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر دراستنا لمنهج تحقيق الكتاب ص٣٢٣-٣٢٥ من هذا الفصل .

وقد مهد للدخول في هذه الفترة بفرش مستقل أورد فيه الروايات التي ذكرت زواج والد رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمنة بنت وهب ، وحملها بإمام أمة الإسلام وسراجها المنير محمد صلى الله عليه وسلم .

الفترة الثانية : أرخها من السنة التي هاجر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة - باعتبار الهجرة خطاً فاصلاً في مسيرة التاريخ الإسلامي - واستمر يؤرخ بالهجرة حتى عام ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) ، وهي السنة التي توفى فيها .

وعن حقيقة اختيار هذا النمط من الكتابة التاريخية يقول النجم : "وفى ضبطه بالسنين أمور مهمة ، وفوائد جمة ، لحظها الفاروق والصحابة رضى الله تعالى عنهم ، عند وضعه التأريخ"(١).

أما عن طريقة سرده للحوادث فلم يكن بوسعه التخلي عن سلبيات المنهج الحولي في كتابة التاريخ . فالحدث الواحد كثيرًا مايستغرق أعوامًا عديدة ، حيث نراه موزعًا بين عدة سنوات ، لايذكر منه في السنة الواحدة إلا مايخص الحدث وقتاً وزمناً في غضون تلك السنة ، ثم ينتقل إلى حدث آخر ، وهكذا حتى تنتهى أحداث السنة ، وفي السنة التي تليها يعود إلى تكملة الحدث أيضا بحسب موقعه من أحداثها . فنجد على سبيل المثال : تاريخ عمال مكة وولاتها ، وأمرائها ونوابها ، وتاريخ القضاة والخطباء والأئمة بالمسجد الحرام ؛ وتاريخ عمارته ، وتاريخ قوافل الحجيج من أصقاع العالم الإسلامى ، وأمراء الركوب فيها ، نجد أخبار هؤلاء وغيرهم موزعة حسب ترتيبها الزمني بين سنوات الكتاب .

ولانتردد في القول : أن النجم استطاع أن يتغلب على هذا العيب الرئيسي في المنهج الحولي ، وأنه نجح في الربط بين الأخبار عن طريق الإحالة

---

(١) ج١ ، ص٤ .

على ماتقدم ، أو الإحالة على ماسيأتي ؛ بتلك العبارات القصيرة الجامعة المانعة مثل قوله : كما تقدم(١)، أو المتقدم ذكره(٢)، أو بسبب ماتقدم(٣)، أو السنة قبل هذه(٤)، أو كما سيأتي(٥)، أو السنة بعد هذه(٦)، وقد يحدد السنة التي يربط بها خبره(٧)، أو قد يذكر ماتقدم وماسيأتي بألفاظ توضح ماعمل وماستجد(٨)، أو يربط بما يفيد استمرار الحدث كقوله : واستمر ذلك فيما بعد(٩)، أو واستمر إلى موسم كذا(١٠)، أو واستقر الحال على ذلك إلى هذا الزمان(١١)، وقد يحدد السنة التي انتهى إليها خبره(١٢)، أو يربط الخبر التاريخي بخبر آخر مماثل له(١٣)، أو يحدد ترتيبه(١٤).

ومن أساليب الربط التي استخدمها النجم عند انقطاع الخبر لفترة قد تطول أو تقصر أن يذكر سبب الإنقطاع ، وإذا عاد واستأنف الخبر يذكر مدة التوقف ، خاصة تلك الأخبار المتعلقة بالحجاج ، وانقطاع وصول المحمل سواء من العراق أو الشام أو مصر أو اليمن ، وهي المحامل المشهورة التي كان يصل عن طريقها معظم الحجاج من أصقاع العالم الإسلامي(١٥).

---

(١) ج ٢ ، ص٤٦٠ ؛ ج ٣ ، ص٣٦١ ؛ ج ٤ ، ص٢٤٤ .
(٢) ج ٢ ، ص٥٠١ .
(٣) ج ٣ ، ص١٦٢ .
(٤) ج ٢ ، ص١١٥ ؛ ج ٣ ، ص١٢٢ .
(٥) ج ٢ ، ص١٨ ؛ ج ٣ ، ص٢٤٢ ؛ ج ٤ ، ص١٩٧ .
(٦) ج ٢ ، ص٢٩٠ ؛ ج ٣ ، ص٢٣٧ .
(٧) ج ٣ ، ص٢٣٥،٣٦٨ .
(٨) ج ٢ ، ص٢٠٧-٢٠٨ ؛ ج ٣ ، ص٣٠٢،٥٣٢ .
(٩) ج ٣ ، ص٢١٨ .
(١٠) ج ٣ ، ص٤٦٦ .
(١١) ج ٣ ، ص٩٦ .
(١٢) ج ٢ ، ص٢١٢،٣٧٩ ؛ ج ٣ ، ص٣٩،٤٨٢ .
(١٣) ج ٢ ، ص٥٥٧-٥٥٨ ؛ ج ٣ ، ص٣٥٦-٣٥٧،٤١٩-٤٢٠،٤٩٦-٤٩٧ .
(١٤) ج ٢ ، ص٢١١،٢٤٥ ؛ ج ٣ ، ص١٤٩،١٦٤ .
(١٥) ج ٣ ، ص٧٢،٥٩،٩٢،٢٣٦،٣٣٥،٤٠٨،٤٢٣،٤٣٨ ؛ ج ٤ ، ص٢٣،٤٧٥ .

وعلى هـذا النحـو من الربط بمضـي النجم فيربط الحدث التـاريخي أو الموقـع بعصـره أو يربط عصـره بالماضي ، ويذكر ماطـراً عليـه من تغيير إن وجد ، ويفسـر ماجد ، وأداته في هـذا الربط : عبارات قصيرة ذات مـدلول تاريخي على المعـاصرة ، كقوله : "وهو على صفتـه الآن"[(١)]، أو "على هيئته الموجودة الآن"[(٢)]، أو "وماهو موجود الآن منسوب إليه"[(٣)]، أو "ويعرف الآن"[(٤)]، أو "المعـروف الآن"[(٥)]، أو "ويعرف اليـوم"[(٦)]، أو "في المكـان المعروف"[(٧)]، أو "ولم يعهـد هذا فيمـا سلف"[(٨)]، أو "ولم يعهـد هذا فيمـا مضىٰ"[(٩)]، أو "ولم يتحـدث أحد مـن مشـائخنا أنه رأى ذلـك"[(١٠)]، أو "وماجرت به العادة"[(١١)]، أو "وهي آخر حجة حجها ... خليفة ، وإلى وقتنا هذا"[(١٢)]، أو "ولم يل القضاء بمكة أحد قبله مستقلاً"[(١٣)]، أو "وهذه العين لايعلم لهـا خبراً مـن مـدة مـائة وخمسين سنـة" ، أو نحو قـوله عـن مـدرسة الطواشي خشقدم[(١٤)]التي أنشأها عام ٨٣٥هـ (١٤٣١م) "وكانت قبله للشريف جار اللّـه ابن حمـزة بن راجح بن أبي نمى الحسني بنـاها في عـام ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) ، ثم أعطاها للدولة في عام ٧٩٤هـ"[(١٥)](١٣٩١م) .

---

(١) ج٣ ، ص٥٩٨ .
(٢) ج٣ ، ص٥٦٦ .
(٣) ج٣ ، ص٨٤ .
(٤) ج٣ ، ص٢٥ .
(٥) ج٣ ، ص٦ .
(٦) ج٣ ، ص٥٥٣ .
(٧) ج٣ ، ص٤٦٥ .
(٨) ج٤ ، ص٦٦ .
(٩) ج٤ ، ص٧٤ .
(١٠) ج٣ ، ص٩٩ .
(١١) ج٣ ، ص٤٩١ .
(١٢) ج٢ ، ص٢٤٥ .
(١٣) ج٣ ، ص٤٤٢ .
(١٤) انظر ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٧٥ .
(١٥) ج٤ ، ص٦٤ .

وهنـاك ومضـات أخرى من الـربط الموضوعي البعيـد لـدىٰ النجم في حوادث السنـة الـواحدة ، فهـو يحاول بقـدر الامكـان جمـع شتـات الحدث الواحد في مكان واحد بشكل متتابع حتى ولو استغـرق حدوثه معظم أو كل شهـور السنـة فإذا انتهىٰ منـه عـاد من جديد ليذكر الأخبـار المتفـرقة مـرتبة حسـب الشهـور مـن محرم إلى نهـاية ذي الحجـة وينـدرج تحت هـذا التنظيم الأحداث السيـاسية ، وهي طويلة في مجملها ، أو تلك الأخبـار القصيرة التي يؤدي تفرقها إلى اهمالها[١].

وإذا تنـوعت مـوضوعات السنـة الواحدة ، وتشعـب كـل موضوع في شهر أو عدد من الشهور ، نجده يبذل جهدًا طيبًا في ترتيـب أحداث السنة ، واعطـائها نوعًا من الترابط ، ووحدة الموضـوع ، ولنـأخذ على سبيـل المثال عام ٨٤٧هـ (١٤٤٤م) ، فقد قسم أخباره على النحو التالى :

الموضوع الأول :

أخبار النزاع بين صاحب مكة أبى القاسم وابنه زاهر . ومتابعة فصوله متـابعة دقيقـة من بداية الـوحشة بينهمـا إلى الصلح مقـابل أخذ الابن لـرسم الـرقيق ، وثلاثمائة افلوري تؤخذ مـن أحد مخاليف مكـة ، ثم عـودة النزاع بسبـب كثرة الوشاة بين الابن وأبيـه ، وتهديد الأول للأوضـاع الأمنية بمكة ومـاحولها ، واستعـانته ببعـض الأشـراف والقواد المناوئين لـوالده ، وقيـامه بابتزاز بعـض التجـار ، وكبـار الأعيـان في جدة ومكـة بعـد القبض عليهم ، ومطالبة ذويهم بفدية كبيرة ، وعندما عجز والده عن ردعه اضطر لعقد هدنة محددة الزمن يلتزم بها كلا الطرفين .

---

(١) ج ٣ ، ص٦٥،٢٨١،٤١٣،٤٨١،٥٩٢–٦٠٠ ؛ ج ٤ ، ص١٧٨–٢٠٦،٢٠٧–٢٢٦ .

الموضوع الثانى :

قدوم الرجبية ، وتوجه أمير مكة لملاقاتها في خليص ، ثم دخولها إلى مكة في مستهل رمضان ، وذكر مآثر كبار المعتمرين .

الموضوع الثالث :

أخبار بركات شقيق صاحب مكة ، المناهض له ، واستعانة أمير مكة أبو القاسم بهذا الشقيق المناهض ضد ابنه زاهر ، وأخباره تبدأ مسلسلة من صفر حتى أوائل شهر ذي الحجة ، خلا خبر واحد خاص بأمير مكة في منتصف جمادي الآخرة .

الموضوع الرابع :

أخبار الغلاء ، وارتفاع الأسعار ، ثم هبوطها مع بداية شهر رمضان ، ثم التدرج في الأسعار ارتفاعاً آخر رمضان .

الموضوع الخامس :

عمارة عين خليص في صفر ، وجريان مائها في جمادى الآخرة .

الموضوع السادس :

صيانة الكعبة ، وعمارة المسجد الحرام ابتداء من أوائل المحرم حتى جمادي الآخرة .

الموضوع السابع :

تجديد سبيل للماء في المروة ، وإقامة الأوقاف عليه ، وبناء ثلاثة سبل أخرى في منى أحدها لم يكتمل بناه في هذه السنة .

تلى هذه الموضوعات - التي تناول كل منها على حده وعلى مدار السنة - مجموعة من الأخبار المتفرقة من شهر رمضان ، وحتى مغرب ليلة الخميس الثانى والعشرين من شهر ذي الحجة . ثم ختم أخبار السنة

بالوفيات(١).

وعلى هذا النحو نرى النجم قد وفق إلى حد كبير في عرض المادة التاريخية ولم شتاتها . إلا أنه لابد من التنبيه لبعض استخدامات ألفاظ الربط لديه ، والتي لاتعني أحيانا المعنى الدقيق لها . أو تلك التي يفهم منها استكمال الحديث عما سبق .

فالنجم مثلاً ، استخدم عبارة : "في السنة قبل هذه" لربط خبره بما سبق أن ذكره في السنة الماضية ؛ إلا أنه أحياناً لايعني التحديد الزمني الدقيق وإنما قد تفيد الربط لسنوات ماضية قريبة من سنته ، أو ليست بعيدة عنها ، وقد تصل الفترة بينهما إلى ثلاث سنوات ، ففي عام ٨٥٣هـ ذكر توجه صاحب مكة "نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج عقيل في السنة قبل هذه"(٢)، وعند تتبع حوادث عامي ٨٥٢هـ و٨٥١هـ ، لم نجد أي اشارة لحاج عقيل ، في حين ذكر عام ٨٥٠هـ تعرض عرب مطير(٣)للركب العراقي ، وعليه نعتقد أنه يقصد هذه السنة ، خاصة وأنه حريص على تسجيل مايتعرض له الحاج في الطريق من أذى وكوارث .

واستخدم النجم أداة الربط لخبر متأخر أصلاً عن موضعه زمنيًا لسبب نجهله ـ قد يكون سهوًا أو عن قصد ـ نحو قوله : "وفيها .. في آخر السنة قبلها" ثم يذكر مامضى وماستجد من الخبر وهو خاص بهدم وإعادة عمارة مسجد الخيف بمنى .

وعلى أى حال فهو لايستخدم هذا الأسلوب إلا نادرًا ، ويبدو أنه هنا لم يتنبه أصلاً لتسجيل الخبر في وقته على الرغم من أهميته ، ولعل مانبهه

---

(١) ج٤ ، ص٢٠٧-٢٢٦ .
(٢) ج٤ ، ص٢٨٥ .
(٣) مطير : من القبائل الكبيرة في الجزيرة العربية ، يقدر عدد بيوتها بخمسة آلاف بيت كانت ديارهم بين قبيلتي حرب وعتيبة .
(انظر كحالة : معجم قبائل العرب ؛ البلادى : معجم قبائل الحجاز) .

لذكر هذه العبارة ماجاء في المراسيم التي ذكرها قبل هذا الخبر ، فهي تشير إلى وصول الأمير المملوكي المكلف بإكمال عمارة مسجد الخيف ، وفيها الإشارة أيضا بأن هذا العمل استمرار لما بدىء به في العام الماضي(١). ولعل اهمال النجم تسجيل مايتعلق بهذا الخبر في العام الماضى يعود إلى أن ماتم فيه لم يكن بذي ذكر ، ومما يؤيد هذا الرأي ، المدة التي استغرقها هذا العمل والتي تبدأ بيوم الأحد سابع عشر ذي الحجة عام ٨٧٣هـ الموافق (٢٩ يونيه ١٤٦٨م) ، وتنتهي بالعاشر من ذي القعدة عام ٨٧٤هـ الموافق (١٢ مايو ١٤٧٠م) ، وعليه فإن مايخص الخبر في السنة الماضية هو جزء من عملية هدم المسجد ، وأن الصورة لم تكن واضحة ليتم تسجيل الأمر بخصوصها ، ولأهمية الموقع الذي يمس مشعراً من المشاعر المقدسة للمسلمين ، فلو كتب في تلك السنة : وفيها بُديء بهدم مسجد الخيف بمنى ؛ فإن عبارة كهذه ستكون ناقصة وربما تحتمل تفسيرات كثيرة . خاصة وإنه لم ترد في الأعوام الماضية مراسيم تخص هذا الموضوع . ونحن نعلم حرصه الشديد ، ومتابعته الدقيقة للمراسيم السلطانية ، وتسجيله لكل صغيرة وكبيرة فيها حتى الأمور الشكلية(٢).

ومما يلمسه الدارس المتتبع لمنهج النجم طريقته في تسجيل الأخبار المعاصرة الغير مؤكده ، أو التي تحتمل أكثر من قول ؛ فهنا نجده صادق اللهجة دقيقاً جداً في بيان حال الخبر ، فلايضعه بصورة يفهم منها القطع بصحة الخبر ، وإنما جعل له ضوابط لفظية تخرجه من تحمل المسئولية ، وتحث القاريء على التأني فى الحكم على الخبر ، أو البحث عما يرجحه ، أو يلغيه.

وهذه السمة النابضة بالأمانة التاريخية ترفع النجم إلى صفوف المؤرخين المتميزين ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : قصره الخبر في حد علمه

---

(١) ج٤ ، ص٥٠٩ .
(٢) انظر الفصل الخاص بموارده ص٤٣٥-٤٣٧ من هذه الدراسة .

نحو قوله : "ولم يتحقق السبب لكن يقال ان ... أو ان ..."(١)، أو نحو قوله "ولاأعلم هل هي الأولى أم لا"(٢)، أو "ثم تخلصوا من ذلك لاأعلم بشيء أو بغير شيء"(٣)، أو "ولم يقرأ مرسوم فلان ، وسببه فيما يقال"(٤)، أو "ولعله غير ذلك"(٥)، أو "سمعنا أنهما اصطلحا ، ثم يقال ... والله أعلم بصحة ذلك"(٦)، أو "ولاأدري هل هذه آخر ولايته لمكة أم لا"(٧).

وقد يعبر عنها بألفاظ منها : "على مايقال"(٨)، و"كذا يقال"(٩)، "وأظن"(١٠)، أو "ظناً"(١١)، أو "ظناً غالباً"(١٢).

وقد يأتي عدم اليقين هذا بالنسبة لتأريخ الخبر كقوله : في هذه السنة أو السنة قبلها أو بعدها ، أو قبلها بقليل أو يسير ، أو بعدها بقليل أو يسير ، أو في أحد الربيعين ، أو في أحد الجمادين ، والجزء الأول من كتاب اتحاف الورى حافل بالأخبار التي تأتي بهذه الصورة أو قريبًا منها . وقد يكون الاحتمال في الأيام أو الأشهر كقوله : "كانت الوقفة يوم الثلاثاء أو

---

(١) ج ٤ ، ص ٥٤٠ .
(٢) ج ٤ ، ص ٥٨٠ .
(٣) ج ٤ ، ص ٦٠٥ .
(٤) ج ٤ ، ص ٦١٧ .
(٥) ج ٣ ، ص ٩٨ .
(٦) ج ٤ ، ص ٦٣٦ .
(٧) ج ٢ ، ص ٥٦٥ .
(٨) ج ٤ ، ص ٤٨١ .
(٩) ج ٤ ، ص ٥٣٠ .
(١٠) ج ٤ ، ص ٤٥٤ .
(١١) ج ٤ ، ص ٣٩٦ .
(١٢) ج ٣ ، ص ٥٢٤ .

الأربعاء"(١)، أو أدق من ذلك نحو : "حدث كذا في آخر يوم الأربعاء ، أو ليلة الخميس"(٢)، أو قد لايحدد اليوم والشهر فيقول : "فيها في أوائلها"(٣).

والمطلع على كتاب اتحاف الورىٰ يرىٰ أن النجم قد واجه اشكالات جمة ، ومصاعب كثيرة في ضبط التواريخ التي لم يعتن المتقدمون بضبطها ، أو اختلفت المصادر في تحديد تاريخها . وأنه بذل جهدًا واضحًا في تجميع الأخبار المتناثرة ووضعها في مكانها الصحيح قدر الامكان .

وثمة ناحية جديرة بالذكر في معرض الإشارات العابرة لمنهجه ، ألا وهي كثرة الروايات التاريخية للحدث الواحد ، وقد برز هذا الأسلوب بصورة كبيرة في الجزء الأول من الكتاب ، وفي الأخبار المتعلقة بالحج في الجزء الثاني .

والملاحظ أن النجم قد تتبع بعناية شديدة تلك الروايات والأخبار ، وقام بعرضها وصياغتها بأسلوب سلس ، على الرغم من اختلاف الروايات في الأسس أحيانا ، وفي بعض التفصيلات الجزئية في أحيان كثيرة . ولعله يهدف من وراء عرضه لذلك الكم من الروايات توخي النزاهة العلمية .

والواقع أن النجم لايترك مجمل الروايات التي تحتاج إلى ترجيح دون تفضيل رواية على غيرها . ويدلل أحيانا على صحة الترجيح ، وينقد الروايات ويصحح بعضها . ومن الأمثلة على ذلك : عندما تحدث عمن كفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاة جده عبد المطلب ؛ ذكر عددًا من الروايات منها رواية تقول أن عمه الزبير بن عبد المطلب هو الذي كفله حتى وفاته ، ثم كفله عمه أبو طالب بعده . فعلق عليها بقوله : "وهذا غلط

---

(١) ج ٤ ، ص ٤٦٧ .
(٢) ج ٤ ، ص ٤٥٩ .
(٣) ج ٤ ، ص ٦١٢ .

لأن الزبير بن عبد المطلب شهد حلف الفضول ؛ ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وعشرين سنة ، ولايختلف أهل العلم والآثار في شخوص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين"(١).

وعند عرضه للروايات التي تذكر زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، علق على الرواية التي تقول أن وليها في الزواج أبوها بقوله : "وقد رد هذا القول بأن أباها خويلدًا توفي قبل الفجار"(٢)، وختم الأقوال بالتعقيب التالي : "والصحيح المجمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها"(٣).

وعن الإسراء والمعراج يعرض مجمل الروايات ثم يرجح رواية مغلطاي (٤)التي نصها : "أن الاسراء كان في اليقظة بجسده ، وأنه مرات متعددة ، وأنه رأى ربه عز وجل بعيني رأسه صلى الله عليه وسلم"(٥).

وعن قلع القرامطة للحجر الأسود ، ثم ردهم له بعد فترة طويلة ، ذكر عددًا من الروايات ثم قال : "وقد غلط أبو القاسم السمناني(٦) في

---

(١) ج١ ، ص٩٦ .
(٢) ج١ ، ص١٣٩ .
(٣) نفس الجزء والصفحة .
(٤) هو علاء الدين ابن قليج بن عبد الله ، من الأئمة الحفاظ ، له مؤلفات عديدة في الحديث واللغة والتاريخ ، من أشهرها كتاب الإشارة إلى سيرة المصطفى ، توفى عام ٧٦٢هـ .
(انظر ترجمته فى التقى ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص١٣٣-١٤٤ ؛ ومصادر ترجمته التي ذكرها كحالة في معجم المؤلفين ، ج١٢ ، ص٣١٣) .
(٥) ج١ ، ص٣٣٦-٣٣٧ .
(٦) هو أبو القاسم على بن محمد الرحبي ، من فقهاء الحنفية ، له مصنفات في الفقه والتاريخ ، توفى عام ٤٩٩هـ .
(انظر الزركلى : الأعلام ، ج٤ ، ص٣٢٩) .

تاريخه فقال : "ان الذي قلع الحجر الأسود إنما هو أبو سعيد الجنابي[١]...الخ وبعد أن ذكر قصة قلعه ورده كما أوردها السمناني ، علق عليها بالعبارة التالية : "قال جامعه - لطف الله به : أبو سعيد الجنابي هلك في سنة احدىٰ وثلاثمائة ، ورد الحجر إلى مكة إنما كان في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة"[٢].

ومن الملاحظ أن ضبط النجم لم يقتصر على تواريخ الحوداث ، وتصحيح الروايات ، بل نجده فاحصًا متابعًا ومدققًا لتاريخ الوفاة . نحو قوله "كذا وجد في حجر قبره ، وقال فلان : أنه مات فى سنة كذا ... ، وقال فلان وفلان : أنه مات في سنة كذا ... وكلاهما وهم ، والصحيح الأول"[٣].

وعلى كل فقد تبين أن النجم استخدم ألفاظاً عديدة دالة على التصويب والترجيح مثل قوله : "وهو الصحيح"[٤]، أو "وهو غير صحيح"[٥]، أو "والأول أصح"[٦]، أو "ولايصح"[٧]، أو "على الأرجح"[٨]، أو "وفيه نظر"[٩]، أو "ولعله غلط من الناسخ"[١٠]...الخ .

---

(١) هو حسن بن بهرام ، زعيم احدىٰ جماعات القرامطة ، ظهر في البحرين ، واستولى على هجر ، والقطيف ، والطائف ، وغيرها . واستفحل أمره وفساده هو وجماعته حتى قتل عام ٣٠١هـ على يد خادمه في الحمام .
(انظر ترجمته فى ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص١٤٧-١٤٨)

(٢) انظر ج٢ ، ص٣٧٩-٣٨٠ .

(٣) انظر ج٣ ، ص١٤٤ .

(٤) ج١ ، ص٤٧٥ ؛ ج٢ ، ص٣٥٢ .

(٥) ج١ ، ص١٤٤ .

(٦) ج٢ ، ص١٤٩ .

(٧) ج٢ ، ص١٠٤ .

(٨) ج١ ، ص١٢ .

(٩) ج١ ، ص٤٤٧ .

(١٠) ج٢ ، ص٣٥٨ .

ونخلص إلى القول أن النجم قدم عدة مجاميع من الروايات والأخبار التاريخية بصورة أمينة ، وأنه تحمل عناء التقويم والتفضيل لكثير من المعلومات المضطربة ، والتي قد يعجز الباحث عن اعطاء رأي نهائي لها ، ويتطلب الوصول إلى حقائقها الكثير من الوقت والجهد .

ومما يلاحظ على كتابات النجم اهتمامه الأصيل في التعريف بالمصطلحات ، وهو بهذا الاهتمام يضفي قيمة حقيقية على منهجيته التاريخية ويجعلها أكثر دقة عند الحديث عن المواقع والمسافات والأعلام وغيرها ، بل ويحاول عن طريقها ربط الخبر بعصره ، أو العكس ماأمكن ، خاصة الأخبار التي تتعلق بالنواحي الحضارية كعمارة المساجد والأوقاف والمدارس والأربطة ونحوها .

ووفق هذا المنهج العلمي الذي اختطه نجد حرصه الدائم على تعريف المادة ، وإذا أخذنا على سبيل المثال تعريفه للمواقع ؛ نجده مثلاً يقول عن حنين : "وادٍ فيه ماء قريب من الطائف ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً ، ينسب إلى حنين ابن قانيه بن مهلائيل من جرهم"(١)، ويقول عن مواضع أخرى : "تربه : من مخاليف مكة النجدية"(٢)، و"غزال : مكان علو ثنية عسفان"(٣)، و"قوس : موضع بقرب جدة"(٤).

وقد يوضح التغيير الذي لحق باسم الموقع في عصره مثل قوله : "الثنية السفلى : ثنية كدي المعروفة الآن بباب الشبيكة"(٥)، وعن موقع احدى الجزر في المحيط الهندي ، وماطرأ على اسمها من تحريف العوام يقول :

---

(١) ج١ ، ص٥٢٦ .
(٢) ج١ ، ص٥٦١ .
(٣) ج٤ ، ص٣٥ .
(٤) ج٤ ، ص٤٠٦,
(٥) ج٤ ، ص٣٦ .

"ديوه : التي يسميها العامة دينه ، وهي : جزائر في البحر تجاور سيلان"(١).

ونراه يضبط المواقع لغويًا ومكانيًا إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، نحو قوله : "غران : بالغين المعجمة ، والراء آخره نون . موضع بالقرب من خليص"(٢).

وعند ذكره للقبائل قد يستوقف القاريء ، ويشير إلى بعض بطونها ، ومنازلها في عصره . كقوله : "بشر من بطون حرب احدىٰ قبائل مذحج ، ومنازلهم حول عسفان ، نزلوها من عام عشر وثمانمائة ، وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة النبوية"(٣).

وتستبان معالم هذا المنهج أيضا عند تعريف أسباب التسمية للعديد من الأخبار التي أطلق عليها اصطلاح معين ربط بحدث ما ، وأصبح متعارف عليه تاريخيًا لدى العامة . فالسيول والسنين مثلاً قرنت بأسماء وأوصاف معينة ، وأصبح يؤرخ بها محليًا ، نحو "سنة أم جرب" عرفت عند المكيين بهذا الاسم ، للقحط ، وانعدام الأقوات ، وهلاك الكثير من السكان ، ونزوح أغلبهم من مكة(٤)، و"سيل المخبل" عرف بذلك نسبة لوباء يشبه الخبل ، أصاب الناس في أجسامهم وألسنتهم ، عقب أحد السيول العوارم في مكة(٥). ومن الواضح أن محور أو فكرة التسمية محصور في نطاق المعاناة لواقع الحدث ، ومدى تأثيره .

---

(١) ج٤ ، ص٨٤ .

(٢) ج٤ ، ص٤٠٧ .

(٣) ج٤ ، ص٩٠ .

بنو لام : بطن مشهور من قبيلة طيء ، كانت مساكنهم المدينة المنورة وماحولها ، وجبل أجا وسلمى "حائل" وقد انتشرت فروعهم في الجزيرة العربية وبلاد الشام .

انظر (ابن خلدون : العبر ، ج٢ ، ص٢٥٤ ؛ ج٦ ، ص٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ، ص٣٢٤) .

(٤) ج٣ ، ص٣٠٣ .

(٥) ج٢ ، ص١١٢،٢٣٣ .

وعلى الرغم من الوضوح التام لأطر المنهج التنظيمي الذي اختطه النجم ، إلا أن المتصفح بدقة لأخبار الحوادث والوفيات داخل السنة ؛ يجد تخلخلاً نسبياً في تنظيمها أو ترتيبها التسلسلي ؛ فهناك بعض التقديم أو التأخير في الأخبار والحوادث حيث نجد مثلاً خبرًا في آخر جمادي الأولى يتقدم خبرًا في العاشر من الشهر نفسه ، وخبرًا فى المحرم يتأخر إلى ذي القعدة ...الخ(١).

ويبدو أن عدم التزام النجم بمنهج التنظيم في بعض الأخبار مرجعه المحافظة على الربط الموضوعي للخبر بسبب أهميته ، فيسترسل في ذكر الحادثة لعدة شهور . وقد يكون التأخير لسهو من النجم في ترتيب حوادثه ، أو لنسيان ذكر الخبر أصلاً ؛ ومن ثم استدراكه لوقوع خبر قريب منه أو شبيه به حدث في آخر السنة فنبه إليه ، على سبيل المثال في عام ٨٤٨هـ (١٤٤٤م) يذكر خبراً عن الأمطار ، ونزول الصاعقة يوم عرفة ، ثم بعد أن ينتهي من الخبر ، يستدرك فيذكر خبرًا عن خسوف القمر في شهر صفر(٢)، ومن الملاحظ أيضا أن بعض السنوات قد لاتبدأ أخبارها بشهر المحرم . والسبب فيما نعتقد متأت من عدم وجود مايستحق الذكر .

وعموماً فإنه وفق التنظيم التسلسلي تساوت جميع الأخبار السياسية والحضارية والطبيعية ، فالأولوية عادة للحوادث المتقدمة زمنيًا بغض النظر عن أهميتها ، فقد يبدأ بخبر عن الأوبئة(٣)، أو الظواهر الطبيعية(٤)، أو الأمور العجيبة(٥)...الخ .

---

(١) وهذه السنوات هى : ٦٢٥،٦٤٧،٧٤٧،٧٥٧،٧٦٠،٧٨٨،٧٩٨،٨٠١،٨٠٥،٨١٢،٨١٨، ٨١٩،٨٢٠،٨٢٢،٨٢٥،٨٢٦،٨٣٠،٨٣٧،٨٤١،٨٤٣،٨٤٦،٨٤٧،٨٤٨،٨٤٩،٨٥٤،٨٥٥، ٨٦٣،٨٦٧،٨٧٠ .

(٢) ج٤ ، ص٢٣٩ .

(٣) ج٢ ، ص٤٨٢،٤٨٣ ؛ ج٤ ، ص١٤٠ .

(٤) ج٢ ، ص١٤٧ ؛ ج٤ ، ص٣٧٠ .

(٥) ج٢ ، ص٢٩٤ ؛ ج٤ ، ص٢٩ .

التوازن الكمى للمادة :

لاشك أن اتساع النطاق الزماني لكتاب اتحاف الـورى ، قد وضع أمام النجم مهمة صعبة ؛ من تتبع واستيعاب مادته ، واعادة تنظيم جزء كبير منها حسب المنهج الحولى المنظم الذي رسمه .

ومن الواضح أنه اهتم اهتماماً كبيراً بتغطية تلك الفترة الطـويلة ، غير أن المادة التـاريخية عن مكـة المكرمة قبل عصره ـ باستثنـاء عصر النبوة ـ قد جاءت متـذبذبة في كميـة المعلـومات ، والسنـوات التي تمت تغطيتهـا ، وعلى الـرغم من أنه أراد لكتابه الشمول النوعي والزماني لأخبـار أم القرى ، إلا أن المصـادر التاريخية لم تسعفـه في الوقت نفسه ؛ فجميـع المصـادر قد ركزت اهتمـامها على مـراكز الخلافـة في الـدولة الإسلاميــة ، ففـي عصـر الخلفـاء الـراشدين كـان الاهتمـام منصبـا على الـدور التـاريخي العظيم لمدينـة النـور "المدينة المنورة" وعلى الفتوحات الخالدة لجيوش المسلمين الأوائل ، وأعمـال الصفـوة من الصحابة للاقتداء بسيرهـم العظيمة ، وفي العهـد الأمـوي كانت العناية بالأمصار الجديدة ، والفتوحات شرقاً وغرباً ، وظهرت أخبار المذاهب والفـرق التي خرجت عـن اجمـاع الأمة ، وعملت على تمزيق صفـوفها ، ثم انتقـل الاهتمام بالعراق بعـد أن أصبحت مركزاً للخلافـة العبـاسية ، وبدأت تصـاغ الأفكـار التي بلورت الحضـارة الإسلامية بعد نشـاط حركـة الترجمة ، فسلـط المؤرخون الأضـواء عليهـا ، وعلى الصراعات الـداخلية ، والانفصـال الرسمي في أجزاء الدولة وقيام الدويلات المستقلة في المشـرق والمغرب ، إلى جانب المعـارك التي خاضها المسلمون مع البيزنطيين ، والصليبيين والمغـول في المراحل التاريخية المختلفة .

وإذا كـانت مراكز القوىٰ السيـاسية الجديدة ، والمستجـدة ، وعلاقاتها الـــداخلية والخارجيـــة في السلم والحرب هـــي المحـــور الـــذي دارت حولـه اهتمامات المؤرخين المسلمين ، فإن لمعاً من أخبار مكة ظلت تستقطب عنايتهم ضمـن إطار المصالح الدينية . فـاهتموا بذكر مواسم الحج ، وأمـن الطريق ،

وحج الخلفاء والسلاطين ، ومآثر كبار الحجيج في مكة ، ونالت عمارة المسجد الحرام جل عنايتهم ، فسجلوا أعمال الصيانة والعمارة بدقة شديدة . وعدى هذه المصالح لم ينل تاريخ مكة إلا النزر القليل من الاهتمام .

إن قلة المادة التاريخية عن مكة هي التي جعلت النجم فيما نعتقده لايتبع نمطاً واحداً في تجميع الحوادث وتنظيمها . والموازنة بين المعلومات المذكورة في أجزاء الكتاب كماً ونوعاً . ولهذا نجد أن هناك عدداً من السنوات لم يؤرخ لها ، ولكنه سجلها رسماً فقط ، وترك فراغاً[(١)]، لعله يستطيع العثور على مايملؤه فيما بعد . غير أنه أحياناً عندما تكون تلك السنوات متتالية يذكر بعد السنة الأولى عبارة : "لم يتجدد فيها ، ولافى التي بعدها شيء"[(٢)]، أما السنوات التي سقطت من الكتاب ولم يسجل حتى رسمها فهي نادرة[(٣)].

ويلاحظ أن هناك بعض السنوات قام النجم بعطفها على التي تليها نحو قوله : "سنة تسع وعشرين وستمائة" و"سنة ثلاثين وستمائة"[(٤)]، ثم استهل الأخبار في السنة الأخيرة بلفظ "فيها" ويبدو أن وحدة موضوعاتها في المصادر هي السبب في ذكره لها بهذه الصورة .

وهناك قصور نسبي في المادة التاريخية لعدد كبير من السنوات ، ويرجع ذلك فيما يبدو للركود السياسي الذي خيم على سماء الحجاز ردحاً من الزمن وأثر سلباً على تاريخها ، ومجريات الأحداث فيها .

---

(١) السنوات التي سجلت بهذه الصورة :
في الجزء الأول : ٣٧،٣٦،٢٩،٢٨،١٩،٢ ، وجميعها قبل البعثة النبوية ، وسنة ٤٣،٤٢ وهما السنتان الأولى والثانية من البعثة .
في الجزء الثانى : ٤٩٤هـ،٤٩٨هـ،٥٠١هـ،٥٢٠هـ .

(٢) ج١ ، ص١٦١ .

(٣) السنوات الساقطة هى : ٦٧هـ،٦٣١هـ،٦٣٢هـ،٦٣٣هـ .

(٤) وعطف خلاف ماذكرناه : /عام ٦٥٨هـ على عام ٦٥٩هـ/ .

وقد انبرىٰ مؤرخنا أمام هذا التحدي التاريخي المعلوماتي ليستخلص من المصادر مايؤكد ذاكرة التاريخ المكي ، فالزعامة الدينيـة ، فرضت أخبار هذا التـاريخ ، رغم السبات الذي شمـل مناحي الحياة في البقـاع المقدسة ، ولذا نجد ماينيف على المائة عام من كتابه ليس فيها من المادة التـاريخية سوىٰ اسم أمير الحج فقط(١).

وفي الوقت نفسه نرىٰ النجم لم يؤرخ لستة عشر عاماً إلا بعبارة : بطل الحج ، أو لم يحج أحد(٢)، وأرخ لتسع وعشرين عاماً بذكر أسماء أمير الحج وأميري مكـة والطائف فقـط دون سواها مـن المعلومات(٣). وأرخ لخمسين عاماً بذكر اسم أمير الحج ؛ والـوفيات فقط(٤). وأرخ لثماني سنوات بذكـر تراجم الوفيات فقـط(٥)، واقتصـرت أخبار اثنِي عشـر عاماً على ذكـر مولد

---

(١) وهـذه السنـوات هـى : ٢٥،٢٧،٣٠،٣١،٣٢،٣٣،٣٤،٣٨،٤٢،٤٥،٤٦،٤٧،٤٨،٤٩،٥٢، ٥٣،٧١،٧٦،٧٧،٧٨،٧٩،٨١،٨٢،٨٣،٨٥،٨٧،٩٨،١٠٧،١٠٨،١١٠،١١١،١١٢،١١٥،١٢١، ١٢٢،١٧٢،١٧٥،١٧٨،١٨٨،١٩٠،١٩١،٢٠٦،٢٠٧،٢٠٩،٢١٣،٢١٥،٢٢٢،٢٢٤،٢٢٧،٢٣٥، ٢٣٨،٢٤٤،٢٥٠،٢٥٨،٢٦٤،٢٧٠،٢٧٢،٢٧٣،٢٧٤،٢٧٥،٢٧٧،٢٧٨،٢٨٤،٢٨٥،٢٨٩، ٢٩٢،٢٩٣،٢٩٤،٢٩٨،٢٩٩،٣٠٠،٣٠٤،٣٠٧،٣٣١،٣٣٧،٣٣٨،٣٥٣،٣٥٤،٣٦٢،٣٧٠، ٣٧١،٣٧٢،٣٧٣،٣٧٦،٣٧٧،٣٨٢،٣٨٧،٤٠٠،٤٠٤،٤٦٠،٤٦٥،٤٧١،٤٧٣،٤٧٤،٤٧٥، ٤٧٦،٤٨٠،٤٨٢،٤٨٣،٥٠٦،٥٠٧،٥١٣،٥٢٠،٥٢٢،٥٣٣،٥٣٤،٥٣٥،٥٣٨،٥٨٤،٥٨٧، ٦٠٢،٦٧٩ .

(٢) والسنـوات هى : ٣٩٢،٤١١،٤١٦،٤١٨،٤٢٠،٤٢٦،٤٢٧،٤٢٩،٤٣١،٤٣٥،٤٣٧،٤٣٩،٤٤٢، ٤٤٦،٤٤٨،٤٥٠ .

(٣) والسنـوات هـى : ١٥،١٦،١٨،١٩،٢٠،٢٢،٣٥،٣٧،٤٣،٨٦،٩٠،٩١،٩٢،٩٤،٩٩،١٠٢،١٤٢، ١٤٣،١٤٨،١٥٠،١٥٢،١٥٥،١٥٦،١٥٧،١٦٢،١٦٣،١٦٥،٢٠٤،٢١٤ .

(٤) والسنـوات هـى : ٤١،٥٥،٥٧،٥٨،٥٩،١١٤،١١٨،١٢٣،١٧٣،١٧٧،١٨٠،١٨٢،١٨٧،٢٠٣، ٢٠٥،٢١٢،٢٢١،٢٤٧،٢٥٢،٢٨٢،٢٨٦،٢٩٠،٢٩١،٣٠٣،٣٣٠،٣٤١،٣٥٠،٣٥١،٣٥٢،٣٦٩، ٣٧٥،٣٨٨،٣٩١،٤٦٤،٤٩٥،٥٠٠،٥٠٨،٥١٩،٥٢١،٥٢٤،٥٢٥،٥٣١،٥٤٥،٥٤٦،٥٤٧،٥٤٨، ٥٥٨،٥٨٢،٦٧٨ .

(٥) والسنوات هى : ٥١١،٦٦٢،٦٦٣،٦٤٨،٦٧٢،٧٢٩،٧٦٥،٧٦٧ .

أحد الصحابة دون وجود أي خبر آخر(١).

وخلاصة القول أن أخبار الحج هي جوهر المادة التاريخية التي حرص النجم على تسجيلها في كتابه منذ السنة الثامنة للهجرة ، وحتى سنة أربع وثمانين وثمانمائة ، وإن لم يتوسع فيها نجده يلمح لها باشارات قصيرة .

وباختصار فقد تميزت الفترة الزمنية قبل البعثة النبوية ، وبعد عصر النبوة حتى أوائل الثلث الأخير من سنة سبعمائة للهجرة بعدة نواقص في الكتابة التاريخية ؛ أبرزها عدم الشمول ، والتركيز على بعض الأجزاء من تاريخ مكة المكرمة ، وظهور التأرجح في المادة التاريخية بين العدم في بعض السنوات ، ومحدوديتها في سنوات أخرى ، والطول النسبي أحياناً .

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هنا هو : هل قصر النجم في تقصي المادة التاريخية لمكة المكرمة ابان هذه الفترة المتذبذبة؟ والحق أن المؤرخ المنصف لابد أن يشهد للنجم بأنه استوعب أخبار أفقه وقطره ، وأن جهوده كانت مثمرة يانعة في حدود طاقة الانسان والعصر ، وأنها اتصفت بما يلى :

- الاعتماد على جمع الأخبار والروايات الخاصة بمكة ، واستقصائها من معظم المصادر التاريخية السابقة والمعاصرة له .

- الأمانة العلمية ، وتمثلت في عرض ماجاء فى المصادر المختلفة ، فهو لم يقحم أى مادة تاريخية دخيلة قد تجردت عن مواردها ، فجميع حوادث كتابه معلومة الأصول التاريخية .

---

(١) والسنوات هى : ١٦،١٧،١٨،٢٢،٢٤،٢٧،٣٠،٣١،٣٢،٣٣،٣٦،٣٧ وجميعها قبل البعثة النبوية .

عرض الوفيات :

كانت تراجم الوفيات هي الخطوة الأخيرة للمنهج التنظيمي السنوي في كتاب اتحاف الورى ، وهي تراجم قصيرة ، لاتتجاوز السطر أو السطرين في غالبيتها ، وهناك تراجم طويلة نوعًا ما وإن كانت لاتتجاوز عدة أسطر (١).

والوفيات مرتبة حسب التسلسل الزمني من أول المحرم إلى نهاية ذي الحجة ، بدقة متناهية ، ولم يشذ عن هذا المنهج إلا في النادر (٢). وقد ضبط تاريخ الوفاة ضبطاً دقيقًا ، وسجله بالوقت واليوم والشهر ، وإذا لم يتحقق من صحة تاريخ الوفاة يلحقه بكلمة "ظنًا" . والوقت لديه محدد باللفظ الزماني نحو : "صباحًا" ، "ضحًا" ، "ظهرًا وعصرًا" ، "مغرب ليلة كذا" ، "عشاء ليلة كذا" ، "نصف ليلة كذا" ، "أواخر ليلة" ، "فجر يوم" ، "في سحر يوم" ، "عند طلوع الشمس" .

وإذا كانت الوفاة في أحد مخاليف مكة ، وحمل ليدفن فيها ذكر ذلك (٣)، أما إذا كانت خارج مكة في البلدان البعيدة كمصر والشام واليمن والهند وغيرها ، ذكرها ، وقدم أكثر من تاريخ للزمن الذى بلغه فيه خبر الوفاة (٤). وإذا لم يعرف مكان الوفاة بالتحديد قربه كقوله : "بناحية اليمن" (٥)، وإن لم يظفر بمعرفة المكان أشار أنه توفى خارج مكة (٦).
وقد يذكر وقت الصلاة على الجنازة حسب الأئمة (٧)، وأحيانا كثيرة

---

(١) ج ٣ ، ص٤٠٢، ٤٠٦ ؛ ج ٤ ، ص٤١٠، ٤٢٦، ٤٥٩–٤٦٠ .
(٢) ج ٣ ، ص٢٣٩، ٢٩٩ .
(٣) ج ٤ ، ص٩٨ .
(٤) ج ٣ ، ص٤٦٢ ؛ ج ٤ ، ص١٥٦، ١٥٧، ٤٩٠، ٥٧٦ .
(٥) ج ٤ ، ص٢٠٦ .
ناحية اليمن : هي في الغالب منطقة الليث وادي حلية ، وادي عليب ، وماجاورهما إلى حلي بن يعقوب وهي تابعة لإمارة مكة منذ القدم .
انظر (الزيلعي : الأوضاع السياسية ، ص٩/٢١ ، نقوش اسلامية ، ص٢٠ ومابعدها) .
(٦) ج ٤ ، ص١٦٦ .
(٧) ج ٤ ، ص٦٤٠ .

يحدد مكان الدفن ، "بالمعلاة" ، "بالشبيكة" ، "بتربة أسلافه" ، "بقبة والدها" .

ومن تتبع منهج الوفيات في هذا الكتاب نلاحظ أن جميعها تبدأ باسم المتوفى ، والتعريف به إن أمكن ، ثم تاريخ الوفاة ، في حين شذ في وفيات عام ٨٦٣هـ (١٤٥٨م) حيث بدأ أول وفيات هذه السنة فقط بذكر زمن وتاريخ الوفاة ، ثم اسم المتوفى ، بعدها عاد لمنهجه في بقية الوفيات من السنة نفسها(١). كما شذ في آخر ثلاث وفيات عام ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) حيث بدأ بمكان الوفاة ، وسببها ثم أسماء المتوفين دون تاريخ وفاتهم(٢). وشذ في عام ٨٧٦هـ (١٤٧١م) فذكر في نهاية احدى الوفيات عمر المتوفى(٣). وهذا ليس من أساسيات منهجه هنا . كما مهد لعام ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) بمقدمة ذكر فيها الوباء الذي انتشر بمكة ، وتسبب في كثرة الوفيات فيه(٤). وكان قد سبق أن أشار إلى هذا الوباء فى محله ضمن حوادث السنة ، ولم يسبق له أن مهد لغيرها من السنوات(٥).

ومن الملاحظ أنه أحياناً يجمع أكثر من وفاة في ترجمة واحدة لوجود صفة ما تجمعهم كالقرابة ، نحو قوله : "فلان ... وأولاده ... كلهم بالاسكندرية"(٦)، أو لاتحاد حالة الوفاة كقوله : "ماتا مقتولين"(٧)، أو قد يعمم بدون ذكر أسماء فيقول : "مات أربعة وثلاثون نفساً في الكعبة الشريفة من الزحام"(٨). وقد تسقط بعض التراجم سهوا لمن وردت الإشارة إلى وفاتهم ضمن أخبار الحوادث داخل العام - مع كونهم من

---

(١) ج٤ ، ص٣٩٧ .
(٢) ج٤ ، ص٥٢٢ .
(٣) ج٤ ، ص٥٤٣ .
(٤) ج٤ ، ص٦٢٤ .
(٥) ج٤ ، ص٦١٢ .
(٦) ج٤ ، ص١٣٩ .
(٧) ج٣ ، ص٣٤٠ .
(٨) ج٢ ، ص٥٥٤ .

المشهورين [١]- وقد تقتصر أخبار بعض السنوات عى التراجم فقط [٢].

ومن الملفت في وفيات الجزء الرابع من الكتاب : أن شيخ السدنة تقدم وفاته على سائر وفيات السنة ؛ حتى وإن كان تاريخ وفاته في آخر العام ، فانه يذكر في المقدمة دون الالتزام بالترتيب الزمني [٣]؛ عدى آخر وفاة ذكرها لشيخ السدنة في كتابه فقد جاءت وفقاً للترتيب الزمني لمنهجه التنظيمي . ويلاحظ في وفياتهم ، ووفيات الأئمة والقضاة الذين يتولون مناصب دينية الإشارة عادة إلى من يخلفهم [٤].

وتختلف عناصر الترجمة في الوفيات من ترجمة لأخرى ، فقد يكتفي بذكر الاسم فقط [٥]، أو بالاسم واللقب ، وقد يطيل قليلاً في النسب [٦]، وقد يبدأ بالكنية أو بالصفة العلمية أو الأدبية ، وإذا كان المتوفى صاحب وظيفة دينية أو دنيوية أو مهنة يذكرها [٧]، وإن كانت سابقة يلحقها بعبارة "كان" [٨]. وإذا كان من أساتذته يبدأ بلفظ "شيخنا وشيختنا" [٩] في الغالب وإذا كان المتوفى من نزلاء مكة [١٠]، أو من ساكني الأربطة [١١]، أشار إلى

---

(١) ج ٣ ، ص ٥٠٧، ٥٤٥ .

(٢) ج ٣ ، ص ٣٠٠، ٣٠٥ .

(٣) ج ٤ ، ص ٩٧، ١٠٤، ١٥٣ .

(٤) ج ٢ ، ص ٤٠٠ ؛ ج ٣ ، ص ٨٨، ٢٠١، ١٩٨، ١٩٣، ٢٣٩، ٢٧٥، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٤٥، ٣٥٠، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٣٩، ٤٨٤، ٥٢٢، ٥٩٠ .

(٥) ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

(٦) ج ٤ ، ص ٥٣٤ .

(٧) ج ٢ ، ص ٣٤٨ ؛ ج ٣ ، ص ٣١٤، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٦٠ ؛ ج ٤ ، ص ١٠٥، ٢٢٦، ٣١٠، ٤٥٦، ٥١٧، ٦٤٢ .

(٨) ج ٤ ، ص ٤٩٧ .

(٩) ج ٤ ، ص ٢٥٠، ٣٤٠ .

(١٠) ج ٤ ، ص ٢٤٩، ٤٢٢ .

(١١) ج ٤ ، ص ٣١٣ .

ذلك ، وعرف بمكان سكنه[١]. وإذا سبق عليه الرق ذكر اسم معتقه[٢]، وإذا كان مولى لأحد الأعيان أشار إلى ذلك[٣]، وإذا كان له اسم اشتهر به ذكره[٤]، وإذا كان المتوفى من عائلته أشار إلى صلة قرابته له[٥]. وقد يشير إلى مهنة والد المتوفى[٦]. وأحيانا يذكر كيفية الوفاة[٧]، وإذا كانت بصورة غير طبيعية يذكرها[٨].

وعناصر الترجمة لوفيات النساء تشترك في كل ذلك ، وقد يلحقها باسم الزوج ، أو الابن ، أو الأخ ، أو ابن الابن ، أو والد أحفادها[٩]. وقد ينسبها إلى والدها أو ابنها دون ذكر اسمها[١٠]، وقد يذكر صلة قرابتها بزوجها[١١]، وقد يذكر شهرة والدها وشهرتها[١٢]، وإذا كانت أم ولد ذكر سيدها[١٣]. الخ من الأمور المتفرقة .

نوعية المادة وأسس انتقائها :

مما لاشك فيه أن النجم واجه تحدياً قوياً في جمع مادة كتابه ، وتجلية نصوصها ، فهو يسجل تاريخ عدد ضخم من السنوات ، لبلد لم يسبقه أحد

---

(١) ج٤ ، ص٣٣٦ .
(٢) ج٣ ، ص٢٠٣ ؛ ج٤ ، ص١٦٦،٣٥٨ .
(٣) ج٤ ، ص٤٢٤ .
(٤) ج٢ ، ص٤٠٧ ؛ ج٣ ، ص٤٠ ؛ ج٤ ، ص١٣٣ .
(٥) ج٣ ، ص٣٤٩ ؛ ج٤ ، ص٧٥ .
(٦) ج٤ ، ص٤٩٨،٥٠٠،٥٠٢،٥٧١ .
(٧) ج٢ ، ص٥٧٠ ؛ ج٣ ، ص٣٧٠ ؛ ج٤ ، ص١٧٧ .
(٨) ج٣ ، ص٣٤٠ ؛ ج٤ ، ص٢٥٠،٥١٧ .
(٩) ج٤ ، ص٣٩٧،٤١١،٤٦٢،٥٧٣ .
(١٠) ج٤ ، ص٣٢٠،٣٤١ .
(١١) ج٤ ، ص٦٢٥ .
(١٢) ج٤ ، ص٧٣ .
(١٣) ج٤ ، ص١٣٣ .

للكتابة عنده بالصورة والحجم الذي كتبه هو ، فعدى ماكتبه شيخه الفاسي - الذي أسدىٰ للتاريخ المكي أجل الخدمات - لم يجد النجم أمامه سوىٰ شذرات متناثرة في المصادر التاريخية على اختلاف أنواعها ومشاربها . ولهذا نجده يعتمد اعتماداً كبيراً على مؤلفات شيخه ، ويقدمها بعد إعادة صياغتها في قالب جديد مع فوائد وزيادات مهمة ، جعلت من الكتاب تحفة نفيسة ، ووضعت في الوقت نفسه المؤرخ المكي في المكانة اللائقة به بين الصفوة المختارة من كبار العلماء والمؤرخين .

أما محتويات الكتاب ففيها تصوير لجميع مناحي الحياة في مكة ، وكانت أسس انتقائه لموضوعاته نابعة من أهميتها وتأثيرها وهي على النحو التالى :

السيرة النبوية :

انطلاقا من بيئته وثقافته الدينية ، نجد النجم يخصص مجلداً كاملاً من مجلداته الأربعة لعصر النبوة ، وهي فترة عظيمة ، كتب عنها كما لم يكتب في أى موضوع آخر ، ولاريب فالرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه هو المؤسس الأول للدولة الإسلامية ، ولنظم الحضارة والحكم الالهي فيها ، وفي مدرسته تخرجت القيادات الفذة التي سطرت أنصع وأعظم صفحات الدين والدولة في الإسلام .

وقد تناول مؤرخنا بتفصيل واف - يدعو إلى الاعجاب - أبرز الحوادث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، وتحدث عن مرحلتي الدعوة في مكة ، وهجرته إلى المدينة ، وغزواته وسراياه ذات الإرتباط بالتاريخ المكى ، وحجة الوداع التي علق في آخرها باستفاضة على النسيء ، وابطال الإسلام له ، وأشار باختصار لأسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ثم ختم الجزء بسنة وفاته صلى الله عليه وسلم .

أخبار الحج :

ووجدناه بعد ذلك يعتني بأخبار الحج والحجيج مؤكدًا على عالمية الإسلام حيث يتشكل في عرفات الله أروع مجتمع بشري يضم المسلمين من كل لون وجنس .

وقد أولى قوافل الحاج جل اهتمامه ـ وكانت أكثرها انتظامًا تلك التي تنطلق من مصر والشام والعراق واليمن ـ ولذلك تتبع أخبار تأخرها وانقطاعها ، وشخص الأسباب والعلل المؤدية لذلك نقلاً عن مصادرها نحو : "لم يحج أحد من العراق والمشرق بسبب القرامطة ، أو خوفا من القرامطة"(١)، أو "لاختلاف كان وقع من جهة القرامطة"(٢)، أو "لعدم من ينظر في أمر القوافل"(٣)، أو "لتأخر حاج خراسان ، أو عدم ورودهم"(٤)، أو "لفساد الوقت ، واختلاف الكلمة"(٥)، أو "لاضطراب البلاد"(٦)، أو "لبعد السلطان عن البلاد ، واختلاف بين العرب"(٧)، وكقوله : "أخذ ركب العراق ، اعترضه بنو هلال ، وقتلوا خلقاً كثيرًا ، وبطل الحج"(٨)، أو "خرجت طائفة الإسماعيلية على حاج خراسان في الطريق ، وقتلت جميع الركب ؛ إلا من ولى هارباً ، وكانت مصيبة عمت بلاد الإسلام ، وخصت خراسان ، ولم يبق بلد إلا وفيه مأتم"(٩)، أو "ولم يحج أحد من بلاد الأعاجم ، ولامن همذان ولاأصفهان لخوف من انتشار

---

(١) ج ٢ ، ص٣٧١،٣٧٢،٣٧٣،٣٧٤،٣٧٥،٣٩٠،٣٩٢،٣٩٤ .
(٢) ج ٢ ، ص٤٠٦،٤٠٧ .
(٣) ج ٢ ، ص٣٨٢-٣٨٣ .
(٤) ج ٢ ، ص٤٥٠،٤٥٤،٤٥٥،٤٥٧ .
(٥) ج ٢ ، ص٤٥٨ .
(٦) ج ٢ ، ٣٩٠-٣٩١ .
(٧) ج ٢ ، ص٤٢٨ .
(٨) ج ٢ ، ص٤٠٨ .
(٩) ج ٢ ، ص٥١٨-٥١٩ .

التتـــار الكفـرة في البلاد ومـــايليها"[١]، أو "انقطـع حجـاج العـراق لموت سلطانهم فلان ، واختلاف الكلمـة بعده"[٢]، أو نحو قوله : "خرج قوم من العرب على حاج مصر فقتلوا خلقاً كثيراً ، وأخذوا أمـوالهم ، وعاد من سلم ولم يحج"[٣]، أو "منع الأفضل ابن أمير الجيوش وزير الديار المصرية الناس أن يحجوا"[٤]، أو "حاج مصـر لم يأتوا لانشغـالهم بما حدث عنـدهم مـن القتـال بين نور الدين وشيركوه ، وبين الفـرنج والمصريين"[٥]، أو "لم يحج أحد مـن الشـام على طريقهم المعتـادة لخرابهـا ، ولما أصـاب أهـل دمشق من القتـل والعـذاب والأسر ، واحراق دمشـق بعـد أن صـودر أهلهـا ، وكانوا مسلمين البلاد بأمـــان ، والفـــاعل لـــذلك أصحـــاب تيمـــورلنك صـــاحب الشرق"[٦]. وإذا كـان الانقطاع عاما لجميع المحامل وضح سببـه كقوله : "لم يحج أحد من الناس لاختلاف السلاطين"[٧].

ولايكتفي النجم ببيان أسباب انقطاع المحامل الرئيسية ، بل نراه يقوم بعمليـة البحث والاستقصاء لفترة الانقطاع فيشير عند عـودة الركوب إلى مدة الانقطاع . ومن الملاحظ أن أكثر الحاج انقطاعا هم حجاج العراق والمشرق ، فقد ذكر عودتهم مراراً "بعد انقطـاع سبع سنوات"[٨]، ثم بعد عشر سنوات مرتين[٩]، ثم بعد احدى عشـر سنة[١٠]، ثم بعد سنين لم يذكـرها[١١]، ثم

---

(١) ج ٣ ، ص٥٢،٣٢ .
(٢) ج ٣ ، ص٢٠٥ .
(٣) ج ٢ ، ص٤٨٣ .
(٤) ج ٢ ، ص٤٩٧ .
(٥) ج ٢ ، ص٥٢٩ .
(٦) ج ٣ ، ص٤٢٣ .
(٧) ج ٢ ، ص٤٨٧ .
(٨) ج ٣ ، ص٥٩ .
(٩) ج ٣ ، ص٩٢،٧٢ .
(١٠) ج ٣ ، ص٢٣٦ .
(١١) ج ٣ ، ص٣٩٦ .

بعد أكثر من عشر سنوات[١]، ثم بعد سبع عشر سنة[٢]...الخ وأشار إلى عودة المحمل اليمني في موقعين بعد انقطاع دام نحو عشرين سنة لكل فترة[٣]. وإلى عودة المحمل الشامي بعد انقطاع ثلاث سنوات[٤].

واهتم النجم بأخبار حج الخلفاء والسلاطين اهتماماً ملحوظًا ، فذكر معلومات مفصلة عن صور من لقاءاتهم بالمكيين والمجاورين ، وملامح من أخلاقياتهم ، وتواضعهم ، وصدقاتهم ، وهباتهم ، ومايتصل بحجهم من أوامر بعمارة المرافق الدينية والعامة ، واسقاط الجبايات والمكوس عن الحاج والتجار ، وأبرز السمات الحضارية لركوبهم[٥].

وحرص النجم على إبراز مآثر كبار الحجاج والمعتمرين رجالا ونساء ، وآثارها الواضحة على مجمل الحياة العامة في مكة ، وقد أشاد بأولئك المحسنين ، وخلد بصماتهم ، فكان لايذكر خبرًا لأى من المآثر التي تقام في مكة إلا ويذكر من أقامه ، وتاريخه ، وكأنه في متابعته لذلك يحسن الالتفات إلى أوضاع البلد الحرام ، الذي مزقته الصراعات السياسية ، وأنهكته الأحوال المعيشية الضنكة ؛ فنراه يقرن بين معروف هؤلاء وصدقاتهم وبين انتعاش البلاد ورخائها ، وجاء ذلك في صور شتىٰ نحو قوله : "وأغنت الفقراء والمجاورين بالصلات الجزيلة"[٦]، أو "وكانت كثيرة الصدقات وهي سنة لم ير أكثر منها خيرًا ، واشترى أهل مكة الأملاك ، وعمروا القصور ،

---

(١) ج ٤ ، ص٢٣-٢٤ .

(٢) ج ٤ ، ص٤٧٥ .

(٣) ج ٣ ، ص٣٣١،٤٠٨ .

(٤) ج ٣ ، ص٤٣٨ .

(٥) ج ٢ ، ص١٣-١٧،١٩-٢٠،٢١-٢٢،٣٤-٣٥،٣٧-٣٩،١٢٩-١٣٢،١٧٧-١٧٨،١٨٠-١٨٦، ١٩٤-١٩٨،٢٠٣-٢٠٦،٢١٤-٢١٦،٢٢٢-٢٢٥،٢٣٤-٢٤٤ ؛ ج ٣ ، ص٧٠-٧١،٨٢-٨٤، ٩٤-٩٧،١٦٤-١٦٦،١٩٨-٢٠٠،٢٢٠-٢٢٣،٢٤٥-٢٥٢ ؛ ج ٤ ، ص٦٤٥-٦٤٩ .

(٦) ج ٢ ، ص٤١٤ .

وحلوا نساءهم بالذهب والفضة ، وتظاهروا بالنعم"(١)، أو "ولم يسمع بمثل هذه الحجة في كثرة خيرها ، وسعة العطاء"(٢)، وكقوله : "وفعل ببلاد الحجاز أفعالاً جميلة منها : أنه كتب أسماء المجاورين بمكة ، وأوفى عنهم جميع ماكان عليهم من الديون لأربابها ، وأعطىٰ لكل منهم بعد وفاء دينه مؤنة سنة ، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة ، ففرق مافيها على سائر أهل مكة ، فلم يبق بمكة شريف أو غير شريف إلا وعمه ذلك ، ثم استدعى الزيلع(٣)، وفرق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى ، حتى عم سائرهم ، وبعث مباشريه إلى جدة ، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة ، ... وحمل مابقي إلى المدينة النبوية"(٤). وقوله : "واستدعىٰ المجاورين جميعهم والأشراف ، وغيرهم من أرباب البيوت من أهل مكة صغاراً وكباراً ، وغيرهم من الزيالعة ، وفرق فيهم من الأموال مالايعلمه إلا الله ، ولم يبق ... أحد لم يسد إليه معروفاً ، وكانت السنة طيبة رخية ، كثيرة الخير"(٥)، وقوله : "وفعل في مكة معروفًا كثيراً من الصدقات بالذهب والقمح والدقيق والحلوى السكرية على الفقراء والمنقطعين بالحرم الشريف"(٦)، و"فرق في الموسم صدقة قدرها ستمائة دينار وهي ثياب وبرود وغير ذلك"(٧)، أو "وعظمت صدقته بالحرمين"(٨)، أو "وشكرت سيرته ، فإنه تصدق بشيء كثير وأطعم العيش للناس كافة ، وحمل المنقطعين"(٩).

---

(١) ج ٣ ، ص٦٠-٦١ .

(٢) ج ٣ ، ص١٧٣-١٧٤ .

(٣) هم جماعة من الأفارقة ، وأرضهم في طرف الحبشة ، وزيلع قرية على الساحل الغربى للبحر الأحمر بين السودان والحبشة يسكنها أفارقة وغيرهم .
انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٦٤-١٦٥ .
وبلاد الزيلع غالبا جبرته ، وينسب إليها عرب مهاجرون بعضهم من بني هاشم ، ولهم تراجم في الفاسي ، وفي الجندى ، والشرفى ، والشوكاني ، وغيرهم .

(٤) ج ٣ ، ص١٣٨-١٤٠ .

(٥) ج ٣ ، ص٢١٧ .

(٦) ج ٤ ، ص٢١٥ .

(٧) ج ٣ ، ص٦٠٧ .

(٨) ج ٣ ، ص١٥٦ .

(٩) ج ٣ ، ص١٣٠ .

ومن الجوانب الهامة التي كان لها صدى أليم في أخبار الحج ، وتطرق لها النجم بوضوح حديثه عن النواحي الأمنية ، والتي تتمثل في قلة الأمن وانعدامه في أزمان كثيرة ، واستباحة أصحاب الملل المنحرفة ، وقطاع الطرق وبعض أمراء مكة وعبيدهم لأموال الحجيج ، والطمع فيهم وقتلهم أو أسرهم - وقد يصل الأمر إلى بيعهم بأرخص الأثمان - ولم يسلم المسجد الحرام من هتكهم لحرمته ، واستباحة القتال فيه ، وبالجملة كان يحصل للحاج من الاضطهاد والضرر مالايوصف[١].

كما أشار النجم إلى مكس الحاج ، ويطلق عليه الجباية أو الزالة أو العرافة[٢]- وهو مورد مالي ليس له سند شرعي - وكانت تتم جبايته من حجاج البر في مكة ، ومن حجاج البحر بعيذاب[٣]، فمن يدفعه يعلم اسمه علامة الأداء ، ومن لم يدفعه بعيذاب ، دفعه بجدة ، وإلا حبس وعذب بشتى أنواع العذاب ، ومنع من الحج[٤]، وينفرد بأخذ مكس الحاج أمير مكة ، ومقداره سبعة دنانير مصرية ونصف عن كل حاج[٥]، عدى بقية الضرائب التي تؤخذ من الحاج كضريبة الطعام "وهي على كل غرارة طعام ربع غرارة" وضريبة المتاع وضريبة الجمال التي يكتريها الحاج[٦]. وقد تعرضت المكوس التي تجبى من الحاج للإلغاء والإعادة أكثر من مرة ، بناء على تدخل بعض

---

(١) انظر ج٢ ، ص١٢٦،٣٤٥،٣٦٠،٣٧٤،٣٧٥-٣٨٠،٣٩٨،٤٧٨،٤٨٦-٤٨٧،٥٠٨،٥٢٥، ٥٣٦-٥٣٨،٥٥٥-٥٥٧ ؛ ج٣ ، ص١١-١٣،٢٣،٢٨-٣١،٧٧،١٢٠،١٢٦،١٣١،١٤٣،١٤٥، ١٥٨،٢٥٧،٢٨٢-٢٨٥،٣٨٠،٤٨٢،٥١٦،٥١٩-٥٢٠،٦٢٤ .

(٢) ج٢ ، ص٥١٧،٥٢٨،٥٣٨ ؛ ج٣ ، ص٩٦،١١٦،١٧٦،٣٠٣،٣١٩،٣٨٠،٥٢٠،٥٨١ .

(٣) ميناء على ساحل البحر الأحمر مقابل جدة .

(٤) الفاسي : تحصيل المرام ، ق٨٨ب ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٠ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص٢٨-٢٩ ؛ الفاسي : نفس المصدر والورقة .

(٦) التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة ، ص٢١٩-٢٢٠ .

السلاطين ، مقابل تعويض سنوي يدفع لأمير مكة[١].

وماكان طريق الحاج بأفضل مما كان عليه الحال في مكة ، فقد كان قطاع الطرق يقفون بالمرصاد للحجاج أثناء قدومهم إلى الحج لأخذ الجبايات منهم ، وأثناء العودة يعمدون لمهاجمتهم ونهبهم ؛ لما يكون بينهم من تجار يحملون البضائع والأموال[٢]، وبلغت القسوة بهؤلاء المفسدين قتل بعض الحجيج ، وأحياناً معظم الركب[٣]. هذا علاوة على مايلقاه الحاج من مآسي الطبيعة القاسية ، من قلة المناهل في الطريق ، وشدة الحر أو البرد ، وتحطم المراكب الشراعية وموت الجمال ، والعطش الذي كان يفتك بسوادهم ، والسيول التي كان تدهمهم ، وقد تتبع النجم جميع ذلك وأشار إليه[٤].

وفيما يتصل بالحج ركز النجم - في متابعته لأخبار الركوب - على الرجبية أو الركب الرجبي ، وحرص على إيراد أسماء بعض العلماء والأعيان والمهندسين المكلفين بإصلاح طريق الحاج وعمارته ، القادمين معها[٥]، وتوسع في بيان الأسماء ، وبيان الرتب الوظيفية أحياناً[٦]. كما

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ الفاسي : نفس المصدر ، ورقة ٨٨ب ، ٨٩ب ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٣ ، ص٥٣ ؛ يحي بن الحسين : غاية الأمان ، ق١ ، ص٤٣١ ؛ وانظر بخصوص مكس الحاج ، سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة ، ص٢١٥-٥١٧ .

(٢) انظر ج٢ ، ص٣٥٤-٣٥٥،٣٥٩،٣٦٣،٣٦٩،٣٧٠،٣٧١،٣٧٥،٣٧٦،٣٨٥،٣٨٧،٤٠٤، ٤١٠،٤١١،٤٢٩-٤٣٠،٤٤١-٤٤٢،٤٥٦،٤٥٧،٥١١-٥١٢،٥١٨-٥١٩،٥٣٠ ؛ ج٣ ، ص٤٠، ١٠٧،٢٢٧،٣٤٢،٤٢٠-٤٢١،٤٢٤-٤٢٥،٤٥١،٤٥٥،٦٢٤،٦٤٢ ؛ ج٤ ، ص٥٦،٢٥٩-٢٦٠، ٣٢٨-٣٢٩،٣٣٠،٤٣٢،٤٨٥-٤٨٦ .

(٣) انظر ج٢ ، ص٣٣٠،٣٥٩،٣٦٩،٣٧٠،٣٠٨،٤٨٣،٥١٨-٥١٩ .

(٤) انظر ج٢ ، ص٢٩٨،٣٠٠،٣٤٢،٣٤٦،٣٦٠،٤٠١،٤٠٥،٤٣٢،٤٤١،٤٨٨،٤٩٣ ؛ ج٣ ، ص١١٢،٢١٦،٢٢٧،٣٦٧،٣٧٨،٤٠٩،٤١٤،٥٣٦ ؛ ج٤ ، ص٤٩،٥٥-٥٦،١٤٤-١٤٥ .

(٥) انظر ج٣ ، ص٢٠٥،٢٣٦-٢٣٧،٢٦٣،٢٦٧،٢٧٨،٣٣١ ؛ ج٤ ، ص١٦،٤٢،٧١،٩٢، ١٠١،١٤٢،١٦٢،١٦٣،٢١٥،٢٣٢،٢٨٦،٢٩٦،٤٧١ .

(٦) ج٤ ، ص٤٧١-٤٧٣ .

حرص على ذكر مدة الانقطاع في حالة حدوثه[١]، وتحدث عن اعداد الركوب كقوله : "وكان قليلاً نحو سبعمائة جمل"[٢]، أو كانت "كبيرة أربعة آلاف جمل"[٣]، أو "كانوا أحد عشر ألف جمل وخمسمائة جمل"[٤].

والملاحظة المهمة التي يمكن أن تقال في صدد الركب الرجبي أو الرجبية "هي : أن محقق الجزء الرابع لهذا الكتاب قد جانبه الصواب في تفسيره ، وخلط بينه وبين العمرة الرجبية ؛ عندما علق على الرجبية القادمة من القاهرة بقوله : أن المراد بها عمرة رجب[٥].

والصحيح أن ذلك الركب يختلف عن العمرة المذكورة ، وأن تسميته بالرجبي أو الرجبية : يرجع لوقت تجهيز المحمل في مصر ، فهو يجهز مرتين في السنة . الأولى : في رجب ، "وهو مايعرف بالركب الرجبى أو الرجبية" . والثانية : في شوال . "وهو ركب الحج" . وقد ذكر ذلك السيوطي فى كتابه حسن المحاضرة ؛ وقال ان زمن خروج المحمل بهذه الصورة قد انتظم منذ عام ٦٧٥هـ (١٢٧٦م) ، وأن الاحتفالات تقام في القاهرة عند خروجه ، وعند عودته ، ويحضرها السلطان ، وكبار رجال دولته[٦]. ويبدو أن الهدف من الركب الرجبي كان التمهيد لخروج ركب الحاج القادم بعده ؛ وذلك باستكشاف الطريق وإصلاح مسالكه ، وصيانة صهاريج المياه فيه من جهة . والعمل على تأمينه عن طريق التعاقد مع القبائل المقيمة على طوله للقيام بخفارة وحماية ركب الحجيج من جهة أخرى . ومن تتبعنا للركب الرجبي وجدنا أنه يصل إلى مكة المكرمة في منتصف أو قبيل منتصف شهر شعبان ، أو في أوائل شهر رمضان ، في أغلب السنين ، في حين أن وصوله في شهر

---

(١) ج ٣ ، ص٤١١ .
(٢) ج ٤ ، ص٢١٥ .
(٣) ج ٤ ، ص٢٣٢ .
(٤) ج ٣ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .
(٥) ج ٤ ، ص١٦ .
(٦) انظر ج ٢ ، ص٩٦ .

رجب لايكون إلا عارضاً[(١)]. بمعنى أنه يصل في الغالب في غير شهر رجب . مما يؤكد عدم اقتران التسمية تلك بالعمرة التي استنها بعض العوام في رجب . وعلى كل إن لم يكن الهدف من خروجه ماذكرت سابقاً ، فكلاهما بدعة ، وليس لهما أصل من السنة ، وإن كان لهما جذور في التاريخ الإسلامى [(٢)].

الأخبار السياسية :

سلط النجم الأضواء على التاريخ السياسى في مكة ، وأورد معلومات كبيرة الحجم عن ولاتها وأمرائها ، وتاريخ الصراع والتنافس على فرض النفوذ والسيادة عليها .

ومن تصفح أجزاء الكتاب يبدو واضحا أن مكة لم تنعم بالاستقرار والأمن من بعد عصر الخلفاء الراشدين ، وإلى زمن مؤرخنا . فبعد انتقال مراكز الخلافة الى الشام ، ثم العراق ، فقد الحجاز ثقله السياسي ، وانحسرت عنه زعامة العالم الإسلامي ، وشهدت ساحته ثورات عده ، ضد الأمويين والعباسيين ، وقد تتبعها النجم بدقة ، وكان من أبرزها محاولة عبد الله بن الزبير استعادة تلك الزعامة ، وجعل مكة مركزاً للخلافة الإسلامية ، غير أن الأمر انتهىٰ باستشهاده عام (٧٣هـ/٦٩٢م)[(٣)].

وفي أوائل العصر العباسي ، ظهرت أولى الثورات العلوية ، بعد أن بويع محمد بن عبد الله بن الحسن ـ الملقب بالنفس الزكية ـ بالإمامة في الحجاز ، إلا أن العباسيين تمكنوا من قتله عام (١٤٥هـ/٧٦٢م)[(٤)].

ثم قامت ثورة علوية أخرىٰ عندما بويع الحسين بن على بن الحسن ، في المدينة المنورة ، وقدم مكة ، ونادىٰ بتحرير العبيد ، واستطاع ضمهم إليه

---

(١) انظر ج٣ ، ص٢٣٧،٢٦٣،٢٦٧،٢٧٨،٣٣١ ؛ ج٤ ، ص١٦،٤٢،٧١،٩٢،١٠١،١٤٢،١٦٢، ١٨٣،٢١٥،٢٣٢،٢٨٦،٢٩٦،٤٧١ .

(٢) انظر منهجه النقدي ص٤٨٠ من هذه الدراسة .

(٣) انظر ج٢ ، ص٤٣-٩٩ .

(٤) انظر نفس الجزء ، ص١٨٦-١٨٧ .

وقد تصدىٰ له الجيش العباسي ، فقتل يوم التروية عام (١٦٩هـ/٧٨٥م) في أزيد من مائة نفر من أصحابه(١).

وفي عام (١٩٩هـ/٨١٤م) أرسل أبو السرايا الشيباني داعية العلويين في العراق جيشاً إلى مكة بقيادة الحسين الأفطس ، فدخلها وسرق جميع مافي خزانة الكعبة ، وودائع العباسيين ، وأخذ أموال الناس ، وأساء إليهم ، فتغيروا عليه ، وحتى يبقى على سلطانه اتجه إلى محمد بن جعفر الصادق - الديباجة - وكان شيخاً عالماً ، ذا سمت ووقار ، محبباً في الناس ، وبايعه في عام (٢٠٠هـ/٨١٥م) ولم يكن للديباجة سوىٰ الاسم ، حيث استبد ابنه علي والحسين الأفطس بمكة ، وسارا أقبح سيرة ، فأرسل العباسيون جيشاً تمكن من هزيمة الطالبيين في نفس العام . وانتهىٰ الأمر باجلاء المفسدين ، والعفو عن الديباجة(٣).

وفي عام (٢٠١هـ/٨٠٦م) استولى أحد العلويين ويُدعىٰ ابراهيم بن موسى الكاظم على مكة بعد قتله لواليها من قبل العباسيين ، وأقام للناس الحج متغلباً لامتولياً من قبل خليفة ، غير أنه لم يستمر في حكمه ، وخرج من مكة في نفس العام(٢).

وفي عام (٢٥١هـ/٨٦٥م) خرج أحد العلويين ويدعىٰ اسماعيل بن يوسف عن الطاعة ، ونهب منزل أمير مكة ، ومنازل أصحابه ، وقاتل أهل مكة ونهب بيوتهم وأحرقها ، وأخذ المال المرسل من قبل الخليفة لاصلاح عين زبيدة ، وتعرض للتجار والحجاج وقتل الكثير منهم(٤).

---

(١) انظر نفس الجزء ، ص٢٢٠-٢٢١ .
(٢) انظر نفس الجزء ، ص٢٧٨-٢٧٩ .
(٣) انظر ج٢ ، ص٢٦٢-٢٧١ .
(٤) انظر نفس الجزء ، ص٣٢٩-٣٣٠ .

كما أشار النجم إلى محاولة صاحب الزنج[١] أخذ مكة عام (٢٦٥هـ/ ٨٦٩م) ، وماأصاب الحاج في السنة التي تلتها من هول وشدة ، وانتهاب كسوة الكعبة وصيرورة بعضها إلى صاحب الزنج ، وعلى الرغم من عدم تمكنه من الاستيلاء على مكة ، إلا أنه وأصحابه ظلوا يفسدون في الطريق ، ففى عام (٢٦٨هـ/٨٧١م) غوروا مياه مكة ، ونهبوا جدة ، وأحرقوا بيوتها ، وعم البلاء والغلاء بلاد الحجاز حتى جاء جيش الخليفة وتمكن من حفظها[٢].

وذكر النجم محاولة الدولة الطولونية[٣] مد نفوذها على مكة ؛ مستغلة في ذلك ماكانت تعيشه الدولة العباسية من سنوات حالكات أثناء حروبها مع حركات التمرد الباطنية من جهة ، ومع مشكلاتها مع الدويلات المنفصلة عنها من جهة ثانية ، ففي عام (٢٦٩هـ/٥٩٨م) أرسل ابن طولون جيشاً إلى مكة بقيادة قائدين من رجاله ، فتصدىٰ لهم وإلى مكة، واقتتل معهم ، وكانت الهزيمة من نصيب جيش الطولونيين ، الذي عاد أدراجه ، وسلم

---

(١) هو على بن محمد بن أحمد الدعى زعم الانتماء إلى على بن أبى طالب ، وسخر الناس فى تحقيق مآربه خاصة أولئك الزنج الذين جلبوا للعمل في جنوبى العراق ، وتسببت حركتهم ، في اثارة الرعب والخوف ، فقتلوا ونهبوا وارتكبوا المنكرات والمحارم وعاثوا في الأرض فساداً حتى قضى عليهم نهائياً الموفق شقيق الخليفة العباسي المعتمد على الله عام ٢٧٠هـ .

انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج١١ ، ص٣٢١-٣٢٥،٣٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٥ ، ص٣٤٦،٣٤٩ ، ج٦ ، ص٤٠-٤٥،٥١-٥٣ ؛ محمود شاكر : التاريخ الاسلامى ، ج٦ ، ص٧٤-٧٦ .

(٢) انظر نفس الجزء ، ص٣٤٠-٣٤٤ .

(٣) من الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية إدارياً ، وحكمت مصر والشام مدة ثمان وثلاثين عاماً ، واستمرت في أيديهم حتى استطاعت الخلافة العباسية استرجاعها من آل طولون ، والقضاء على دولتهم عام ٢٩٢هـ .

(انظر ابن الأثير : نفس المصدر ، ج٥ ، ص٣٣٩ ، ج٦ ، ص١١٠-١١١ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٤ ، ج١٢ ، ص٩٩ ؛ محمد أمين صالح : محاضرات في تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٩-٣٤) .

الناس وأموال التجار من القتل والنهب[١].

وفي تناول النجم للأخبار السياسية ذكر أن الناهض محمد بن سليمان من ولد سليمان بن داود[٢]، خلع طاعة العباسيين ، ودعىٰ لنفسه بالإمامة في موسم عام (٣٠١هـ/٩١٣م) ، وأورد نص الخطبة التي أعلن فيها إمامته[٣]، ويبدو أن الناهض لم يستمر في حكم مكة إذ لايوجد في السنوات التي تلى هذا العام مايؤيد استمراره[٤].

وعرض النجم بتفصيل واف حادثة دخول القرامطة[٥]مكة عام (٣١٧هـ/٨٨٤م) واستباحتهم لحرمة البيت الحرام ، وقتالهم فيه ، فكان الناس يطوفون حول البيت والسيوف تقرضهم ، حتى قيل أن عدد القتلى في المسجد الحرام من الرجال والنساء ثلاثة عشر ألفا . وقلع القرامطة الحجر الأسود ، وأخذوه

---

(١) انظر نفس الجزء ، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(٢) انظر ترجمته فى الفاسى : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٣) انظر ج٢ ، ص٣٦٢ .

(٤) "والغريب أن عددًا من أهم المصادر التاريخية - عدىٰ ابن خلدون الذي ينقل عنه الفاسي ، وعن الأخير مؤرخنا - لم تشر إلى خبر الناهض في العام المذكور . (انظر الطبري : نفس المصدر ، ج١٢ ، ص٢٢-٢٥ ؛ ابن الأثير : نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٤٤- ١٤٧ ؛ ابن كثير : نفس المصدر ، ج١١ ، ص١٢٠-١٢١) .
كما أن ابن حزم لم يذكر أن أحدا من أبناء سليمان بن داود قد ادعىٰ الإمامة وأعلنها في مكة ؛ وفي الوقت نفسه بين أن سليمان بن داود لاعقب له . (انظر : الجمهرة ، ص٤٣) .

(٥) وهم حركة باطنية سياسية ، هدفها القضاء على الإسلام ، كانت التقية سمتهم ، ودعو إلى شيوعية المال والنساء ، واستغلوا غرائز الشباب ، والحاقدين على الدولة العباسية لتحقيق غايتهم وبناء دولتهم ، التي شملت أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية إلى أطراف الشام ، وحدود مصر .
(انظر ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص٢٢٣-٢٣٠ ؛ ابن الأثير ، نفس المصدر والجزء ، ص٦٩-٧٠ ؛ ابن كثير : نفس المصدر ، ج١١ ، ص٨١، ١٦٠-١٦٤) .

إلى ديارهم ، واستمر الحجر عندهم نحو اثنين وعشرين عاما[١]، واستفحل أمر القرامطة حتى خطب لهم بالإمارة بعد الخليفة العباسي ، على منابر مكة عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م) ، وعام (٣٥٩هـ/٩٧٠-٩٧١م)[٢].

وأشار النجم إلى تنافس البويهيين[٣] والاخشيديين[٤]على بسط سلطانهما بمكة ، ورغبة كل من الطرفين في أن ينفرد بالخطبة على منابرها ، وفي موسم الحج ، وقتالهما بسبب ذلك ، وقد يتفق الطرفان على افراد الخطبة للخليفة العباسي ، ويحدث خلاف ذلك باستعمال الحيلة ، وعلى كل فقد كان الغلب في أكثر سنوات النزاع إلى جانب البويهيين[٥].

---

(١) انظر ج٢ ، ص٣٧٤-٣٨٠ .

(٢) انظر ج٢ ، ص٤٠٦،٤٠٧ .
في هذه الفترة دخل القرامطة في طاعة العباسيين ، وغيروا شعارهم ، ولبسوا السواد وأصبحوا جندًا للخلافة العباسية وحاربوا الفاطميين في الشام ، وحاصروا القاهرة عدة مرات .
(انظر بحث الزيلعي : مسكوكات جنابية) .

(٣) اتخذ آل بويه شيراز قاعدة لحكمهم عام ٣٣٤هـ ، ثم توسعوا في ضم كل الأقاليم الفارسية ، وامتد حكمهم على العراق ، وصارت الخلافة في عهدهم مجرد رمز ، وتعرض الكثير من الخلفاء للاهانة والعزل ، وسمل العينين ، واستمروا يحكمون حتى انتهت دولتهم على يد السلاجقة عام ٤٤٧هـ .
(انظر ابن الأثير : نفس المصدر ، ج٦ ، ص٣١٤-٣١٥ ، ج٨ ، ص٧٠-٧١ ؛ ابن كثير : نفس المصدر ، ج١١ ، ص٢١٢ ، ج١٢ ، ص٦٦ ؛ محمد أمين صالح : نفس المرجع ، ٦٥-٧٩) .

(٤) من الدويلات المستقلة التي أقامها العباسيون في الرملة ودمشق ومصر ، لصد العدوان الشيعي العبيدي الذى مد نفوذه على المشرق العربى ، ولقب الاخشيد أطلقه الخليفة العباسي الراضي على مؤسس هذه الدولة محمد بن طغج عام ٣٢٣هـ واستمر حكمهم حتى زالت دولتهم على يد العبيديين عام ٣٥٨هـ .
(انظر ابن الأثير : نفس المصدر ، ج٦ ، ص٢٥٦ ، ج٧ ، ص٣٠-٣١ ابن كثير : نفس المصدر ، ج١١ ، ص٢٦٦ ؛ محمد أمين صالح : نفس المرجع ، ص٣٤-٣٧) .

(٥) انظر ج٢ ، ص٣٩٨،٤٠٠،٤٠٤،٤٠٦ .

وعلى هـذا النحـو يمضـى النجـم فيـذكر الحوادث التي اتصلـت بالفاطميين[١] لمد نفوذهم على الحرمين ، وتنافسهم مع العباسيين في الخطبة على منـابر مكة والمدينة منذ عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م) إلى عام (٣٦٨هـ/٩٧٠-٩٧١م) ، ولم تقـم هـذا التاريخ خطبة للعبـاسيين ، ذلـك أن الفـاطميين استعـانوا ببني حسـن أهل مكة وبني حسين أهـل المدينة ـ وكانت طاعتهـم مـع الفاطميين ـ فمكنـوهم من الاستيلاء على الحرمين ، واقـامة الخطبـة لهم دون سواهم[٢].

ويبدو أن مجيء الفاطميين إلى مصر ، قد ارتبط في نفس الوقت بظهور إمـارات شبـه مستقلة في مكة ، كـان أولهـا الأسرة الحسنيـة التي تنسـب إلى جعفر بن محمد بن الحسن[٣]، والد أبي الفتوح الذي علا شأنه في الحجاز ، وخطـب وده الخلفاء ، فقد ذكـر النجم أن الخليفة العبـاسى القادر بالله[٤]، كتـب إلى أبي الفتوح ، ورغبه في الطاعة ، ووعده باتصـال الإمارة في بيته ،

---

(١) قـامت دولتهم فى المغرب عام ٢٩٦هـ ، ثم حكموا مصر ، وامتـد سلطانهم إلى بلاد الشام والحجاز واليمن ، ادعوا التشيع والانتساب للعلويين ، واختلـف العلماء في صحة ذلك النسب ، وأساءوا في فترة حكمهم التي امتدت إلى عـام ٥٦٧هـ للإسلام وانتهكوا حرماته ، وظهرت في فترة حكمهم كثير من البدع والمنكرات .
(انظـر ابن الأثير : نفـس المصـدر ، ج٦ ، ص١٢٤-١٣٥ ، ج٧ ، ص٣٠-٣٢،٥٤،٥٨،٦٥-٧٧،٧٩ ، ج٩ ، ص١١١-١١٢ ؛ ابن كثير : نفـس المصـدر ، ج١٢ ، ص٩-١٠،٢٦٤-٢٦٩) .

(٢) انظر ج٢ ، ص٤٠٨،٤١٣-٤١٤،٤١٥-٤١٦ .

(٣) لانعـرف بالتحديد تاريخ ولاية جعفـر هذا ، ولاتاريخ وفـاته ، ويلاحظ أن هنـاك اختلاف بين ابن حزم وابن خلـدون في نسبه ، وقد رجح الفـاسي تاريخ استقلاله بإمارة مكة في الفترة بعد وفاة كافور الاخشيدي في حين ذكر ابن خلدون أن ذلك حدث بعد استيلاء جوهر الصقلي على مصر.
(انظر الجمهـرة ، ص٤٧ ؛ العبر ، ج٤ ، ص١٠٣ ؛ العقـد الثمين ، ج٣ ص٤٢٩-٤٣٠) .

(٤) أحمد بن اسحاق المتقي بن جعفر المقتدر ، حكم ماينيف على ثلاث وأربعين عـاماً اشتهـر بالدين والعدل ، ومصاحبـة العلماء ، وكان عالماً وقـد بلغ في علومه شأواً كبيرا ، وصنف في عدة فنون ، توفى عام ٤٢٢هـ وقيل عام ٤٢٣هـ .
(انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص١٥٢-١٥٤) .

لكن ولاءه للفاطميين جعله يمتنع عن الخطبة لبني العباس ، ويرسل خطاب الخليفة لصاحب مصر الفاطمي ، تأكيداً لولائه له ، وتمكينا لسلطانهم في مكة(١).

وتناول النجم بالتوضيح الأخبار التي تشير إلى محاولات الفاطميين تسخير أبى الفتوح لتنفيذ مآربهم ، وأفعالهم الشنيعة في الحجاز ، بدءًا من أمرهم له بنبش قبر الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - وصاحبيه - رضوان اللّه عليهما - وحملهم إلى مصر(٢)، ومرورًا بأمرهم له قراءة السجل المرسل من قبلهم في المسجد الحرام ، والذي يشتمل على انتقاص حق الصحابة - رضوان اللّه عليهم - وتجريح بعض زوجات الرسول - صلى اللّه عليه وسلم -(٣)، وانتهاء بمحاولتهم قلع الحجر الأسود ، وهدم الكعبة(٤).

كما ذكر النجم ملابسات خبر مبايعة أبى الفتوح بالخلافة ، وتلقبه بالراشد ، وضربه للدراهم الفتحية ، ثم عودته إلى طاعة الفاطميين في نفس العام الذي خلع فيه ولاءه لهم ، واعتذاره منهم بعد أن غدر به من أغراه بهذا العمل(٥).

ولم يذكر النجم بعد وفاة أبى الفتوح عام (٤٣٠هـ/١٠٣٨م)(٦)، أى

---

(١) انظر ج٢ ، ص٤٢١-٤٢٤ .

(٢) انظر ج٢ ، ص٤٢٦-٤٢٧ .

عن موقف أبى الفتوح تجاه هذا العمل انظر رأى (الدكتور الزيلعي : مكة وعلاقاتها ص٤٩-٥٠) ونحن نؤيد الدكتور الزيلعي فيما قال .

(٣) انظر نفس الجزء ، ص٤٣١ .

(٤) انظر نفس الجزء ، ص٤٤٨-٤٥٠ .

(٥) انظر نفس الجزء ، ص٤٣٥-٤٤٠ .

(٦) انظر نفس الجزء ، ص٤٥٩ .

خبر سياسي - يخص أمراء مكة - سوى خبر وفاة ابنه شكر عام (٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) ، وانقراض دولتهم به ، والتي سماها : "بالدولة السليمانية"(١)، وألحق هذا الخبر باختلاف المصادر في نسب الأسرة التي تولت الإمارة بعده ، وهي دولة الهواشم(٢).

وبعد هذا العام بدأت الأخبار السياسية تنتظم نوعًا ما ، فتناول النجم النزاعات المستمرة بين الهواشم بسبب الإمارة ، وأثرها على الأوضاع الأمنية وتعرض أموال المجاورين والأعيان للنهب والمصادرة من قبل أمير مكة ، أو أقربائه أو عبيدهم ، حتى الحاج لم يسلم من فتنتهم ، وطالت أيديهم أموال الصدقة فأخذوها أثناء نزاعاتهم ، وتعرضوا للتجار في جدة ، وتضرر منهم العام والخاص(٣).

وذكر النجم في معرض تناوله لتاريخ هذه الدولة ، أن الدعاء للخليفة العباسي أو الفاطمي أو غيرهم أصبح مرتبطاً بالميرة والأموال التي ترسل إلى مكة(٤)فقد قطع الهواشم الدعاء للفاطمي بعد قطعه للميرة عن الحجاز ، وكان الفاطميون من قبل قد انفردوا بالخطبة في مكة لما ينيف عن مئة عام(٥).

وأبرز النجم أسباب سقوط دولة الهواشم ، وقال : إن انهماكهم على اللهو ، وتبسطهم في الظلم ، واعراضهم عن صون الديار ، وعسفهم لمن عارضهم في مرادهم ، وإن كان ظلماً ، كانت من أهم الأسباب التي غيرت

---

(١) عن الدولة السليمانية انظر ص٥٠٠-٥٠٢ من هذه الدراسة .
(٢) انظر ج٢ ، ص٤٦٧ .
(٣) انظر ج٢ ، ص٤٦٨، ٤٦٩-٤٧٠، ٥٢٣، ٥٢٤-٥٢٥، ٥٣٢ .
(٤) انظر نفس الجزء ، ص٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤ .
(٥) نفس الجزء ، ص٤٧٣ .

خواطـر قـوادهم عليهـم ، فضـاقوا منهـم ، ومـالوا إلى قتـادة بن ادريس الحسنى[(١)]، الـذي كان يرصد الأوضـاع ، وتمكن بمساعدتهـم من دخول مكة دون مقـاومة لانغمـاس الهـواشم في ماكانوا عليـه مـن اللهو والتفريط[(٢)].

ومـن الملاحظ أن الأخبار السياسية للدولة الحسنية الثـالثة التي أسسها قتـادة منتظمه إلى حد كبير ، وقد توارث أبناء قتادة وأحفـاده الحكم في مكة لفترة طـويلة تجاوزت سبعة قرون . غير أن فترة حكمهـم لم تكن بأحسن من الدولتين السالفتين فالصراع على السلطة مستمر بين أفراد البيت الواحد ؛ بل ووصلـت حداً فظيعا من الظلم والفتـك ، إذ يقتل الابن أباه ، والأخ أخاه ، وابن الأخ عمـه في سبيـل الـوصول إلى الإمارة والتفـرد بالحكـم ، وقد بدأ مسلسل القتل على يد ابن مؤسس هذه الدولة[(٣)]، فقد قتل عمه لما بلغه أنه

---

(١) يكنى بأبي عـزيز الينبعي ، كـان يسكن في العلقمية من بلاد ينبـع ، ثم حكم ينبع وماحولها ، ثم استولى على مكة ، وحكمها نحو عشرين عاماً ، كان في بداية أمره حسـن السيرة ، ثم ساءت معاملتـه للحجاج وأكثر المكوس ، والتغـريم في مكة ، حتى ضـج الناس ، وارتفعت فيـه الأيدى بالدعاء فقتل على يد ابنـه - حسن الآتى ذكره - عام ٦١٨هـ .

(انظـر الفـاسي : نفـس المصـدر ، ج٧ ، ص٣٩-٦١ ؛ المقـريزى : السلـوك ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ العصـامى : سمط النجوم العـوالى ، ج٤ ، ص٢١٩) .

(٢) انظر نفس الجزء ، ص٥٦٦-٥٦٧ .

(٣) هـو حسـن بن قتادة ، تولى إمـارة مكة عام ٦١٧هـ ، غير أن أيامـه لم تطـل ، فقد عجلـت مقـابلته ، حيث نزع اللّـه ملكه ، وجعله طريداً شـريداً خائفـاً ، مات في العراق عام ٦٢٣هـ .

(انظر ترجمته فى الفاسي : نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٦٦-١٧٤ ؛ العز ابن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص٥٨٠-٥٨٩) .

طامع في أخذ الإمارة ، ثم استدار على أبيه المؤسس فقتلـه ، خوفاً من عقابه له ؛ لأنه اغتاظ منه عندما سمـع بما فعل ، وبعد أن استقـر في الإمارة عوضاً عن أبيه ، التفت إلى أخيه فقتله(١).

وفي خضـم الصراع الدامي على السلطة ذبح أبو الغيـث أمير مكة بأمر من أخيه حميضة(٢)، وقتـل أبو نمي أمير مكة عم أبيه ادريس ـ شـريكه في الإمارة ـ وجز رأسه ، ثم استبد بالإمرة وحده(٣).

وتواصلـت نزاعات بني قتادة حتى عصر مؤرخنا ، وعـانت مكة المكرمة ومـاحولها ، من الجور بسبـب افتراق الكلمة ، وتعسـف الأشراف ، وبطشهم بالمجـاورين والحجاج والتجـار ، وصارت البلاد مسرحاً للطـامعين الذين كثر فسـادهم ، واستعـانت الأطراف المتنـازعة بالقوى الخارجيـة في مصـر واليمن والعراق(٤).

وتابع النجم أخبار النزاع بين الأشراف ، وامتداده إلى المدينـة المنورة وينبع ، وهي أخبار تؤكد أن عدم الاستقرار قد شمل الحجـاز بأكمله ، وأن البلاد تأثرت كثيراً مـن جراء الحروب ، والحصـار المتبـادل(٥)، وأن تلك

---

(١) انظر ج٣ ، ص٢٧-٢٩ .

(٢) انظر نفس الجزء ، ص١٥٣ .

(٣) انظر نفس الجزء ، ص٩٩ .

(٤) انظر نفس الجزء ، ص٢٦-٣١،٦٩،٧٤،٧٦،٧٨،٨٠،٩٩،١٠١،١١٦،١٣٤،١٥٢،١٥٣،١٥٤، ١٦٧،١٧٠،١٩٤،١٩٧،٢٠٦،٢٠٧-٢١٠،٢٣٠،٢٥٥،٢٥٧-٢٧٧،٢٩٤-٢٩٦،٣٢٣-٣٢٥،٣٦١، ٣٦٨،٣٧٦-٣٨٠،٣٨٢-٣٨٦،٣٨٨-٣٨٩،٣٩٨-٤٠٢،٤٣٢،٥٠٤-٥٠٦،٥٢٥-٥٢٧،٥٤١، ٥٤٦،٦٣٠ ؛ ج٤ ، ص٣٤-٤٢،٥٠،١١٢-١١٤،١٧٠-١٧١،٧٨-١٩٦،٢٠٧-٢١٤،٢٢٤- ٢٣٢،٢٤٣-٢٤٤،٣٢٦-٣٣١،٤٠٣-٤٠٩،٤٨٠-٤٨١،٤٩١،٥٤٠،٥٦٨،٦١٣ .

(٥) انظر ج٣ ، ص٣-٤،٢٠-٢١،٢٦،٣٩،٥٦،٥٧،٧٤-٧٥،١٠١،١٠٣-١٠٤،١٠٥،١١٨،١١٩، ٤٦٤،٤٧٠،٤٧٨،٤٩٧،٥٠٦،٥٢٥،٥٣٣،٥٨٥،٦٣١ ؛ ج٤ ، ص٣٣-٣٤،٤٧٢،٦٣٦ .

الأجواء غير المستقرة ، قد مهدت لبني رسول ، والمماليك ، بل وحتى المغول في فترة من الفترات إلى مد نفوذهم وسيادتهم على مكة عسكرياً ، أو عن طريق إغراء أمرائها بالأموال والمساعدات العينية ، أو بالقبض على الأشراف المناوئين وسجنهم (١).

وأثناء سرد النجم لأخبار الفتن المتأججة بين أمير مكة وأقاربه ، ذكر أن الأمراء المتأخرين عمدوا إلى إبعاد المناهضين لهم من الأشراف والمتواطئين معهم من القواد إلى خارج مكة ، واجبارهم بالسكن في مخاليفها ومنعهم من دخول مكة إلا في أوقات محددة ولأيام معدودة (٢). وأن سياسة الابعاد كانت حازمة وناجحة سيما إذا وفى أمير مكة بالتزامه معهم ، وهو تقديم الأموال مقابل الهدنة واتقاء شرورهم ، وقد تحملت أعمال مكة ومخاليفها والقبائل العربية التي تقع منازلها على حدود الحجاز أو قريباً منها ؛ توفير ميزانية الأمير وقواده والمناوئين له ، عن طريق فرض الجبايات ، ومايسمى بالقطيعة ، والضيفة ، ويؤدي تأخير دفع الضرائب إلى خراب الديار والأموال والأنفس ، حيث تتعرض الديار والقبائل المتأخرة في الدفع للغزو والنهب وقطع النخيل والأشجار المثمرة . الخ (٣).

وتابع النجم بدقة متناهية أخبار السيطرة المملوكية المطلقة على الحجاز بأكمله ، ومكة وجدة على وجه الخصوص ، وقدم مادة ضخمة لفترة عاصرها

---

(١) انظر ج٢ ، ص٥٦٧-٥٦٨ ؛ ج٣ ، ص٣٢،٣٤،٣٥،٤٩،٥٤،٥٦،٥٧-٥٨،٦٧،٦٩،٧٧، ٨٣،٨٤-٨٦،٨٧،٩١،٩٧-٩٨،١٠٦-١٠٧،١١٣-١١٥،١٣٤-١٣٥،١٣٧-١٣٨،١٤٠-١٤٢، ١٤٧،١٥٠-١٥١،١٥٣-١٥٤،١٥٥-١٥٦،١٥٧-١٥٨،١٥٩-١٦٠،١٦٢-١٦٣،١٦٨-١٦٩،١٧١، ١٧٥-١٧٦،١٨٤،١٩٤-١٩٧،٢١٦،٢٦١،٢٦٧،٢٨٧،٣٤٨،٦٠٠،٦٠٦،٦٣٤ .

(٢) انظر ج٤ ، ص١٩٩،٢٠٩-٢١٠،٢١٥-٢١٦،٣٢٦،٣٣٠-٣٣١،٤٨١،٤٩١،٥٤٠ .

(٣) انظر ج٣ ، ص٢٠٩-٢١٠،٢٦٣،٢٨٩،٣٤٤،٤٠٤،٤١٣،٤١٤،٤٢٢،٤٤٩،٥١٥،٥٥٧-٥٥٨، ٥٦٣-٥٦٤،٥٨٦ ؛ ج٤ ، ص٧١،٢٠٨،٢٢٧،٢٦٠،٣٩٦،٥٠٤-٥٠٥،٥٤١،٦٥٤،٦٢٠،٦٥٥ .

وسبر أغـوارها ، فذكر أن تعيين الأمـراء وعزلهم وقبـول تنازلهم أصبح من صميم سلطات سلاطين المماليك .

الأخبار الاقتصادية :

لاشـك أن الظـروف الطبيعيـة لمكـة قـد حدت مـن ظهـور التنـوع في اقتصـادياتها ، غير أن موقعها الاستراتيجى قد عوضها عـن القصور المذكور ، وهيأ لها مركزاً تجارياً مرموقاً طوال تاريخها .

ومـؤرخنا بما عُرف عنه من شمـولية ودقة ، اعتنىٰ بهـذا الجانب عنـاية فائقة ، وتابع باهتمام شديد العـوامل المؤثرة على الحيـاة الاقتصـادية في مكـة ونقلها سلباً وايجاباً . فرغم جغرافيتها القاسية وأزماتها المتنـوعة ، إلا أن الله بمنـه وكـرمه يقيـض لهذه الـديار المقـدسة مـن يفك ضيـق عيشهـا ، ويحدث الانفراج في أحوالها .

وقـد تتبع النجم أخبار الغلاء ، والتـأرجح في أسعـار السلع ، وألحقها بأسبـاب ذلك ، وعوامل الانفراج في كثير من الأوقات ، نحو قـولـه : "وكان بمكة غلاء كثير ، أكل الناس فيه الدم والجلود والعظـام ، ومات أكثر الناس ثم فرج الله عنهم بصدقات ؛ وصلات من المستضـيء بالله العباسى[١] لأهل مكة والمجاورين"[٢]، وقوله : "كان بمكة غلاء شديد ... وسبـب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر على العـادة ، فلم يحمـل منهـا الطعـام"[٣]، وقـولـه :

---

(١) هـو أبو محمد الحسن بن المستنجـد بالله يوسف بن المقتفي ، كـان مشهورا بالحلم ، وغزارة العلم ، فأحسن السيرة ، ونشر العدل ، وأسقط الضـرائب والخراج المجدد توفى عام ٥٧٥هـ .
(ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص١٧٠-١٧١) .

(٢) ج٢ ، ص٥٣٤ .

(٣) ج٢ ، ص٤٦٤ .

"كـان بمكة غلاء ، ثم فرج اللـه على الناس بجلبتين مشحـونتين بالحب صدقة من السلطان صلاح الدين يوسف أيوب"(١)، وقوله : "نال أهل مكة الجهد وأضر بهم القحط ، وأهلكهم الحر ، فانهم لم يمطروا في الـربيع ، ولاالخريف ولاالشتـاء الا مطرًا طلاً"، غير كـاف ولاشاف ... ووصـل السرو اليمنيون في عدد كبير ... وجلبوا ميرة إلى مكـة على عادتهم ، فـاستبشر النـاس بقدومهم استبشـارًا كثيرًا ، حتى أنهـم أقاموه عوض نزول المطـر ، ولطـف الله بسكان حرمه"(٢).

وتابع النجـم أخبـار الخلفـاء والسلاطين الذين سعـوا في تأمين الموارد الماليـة بمكة ، وعملوا على رخاء البلاد وانتعاشها ، فـالخليفة العباسي المقتدر بالله(٣)رتب مـن يحمل إلى الحرمين الشريفين ، وإلى المجـاورين بهما ، وإلى أرباب الوظائف بمكة والمدينة في كل سنة ثلاثمائة ألـف دينار"(٤)، والمنصور صاحب اليمن(٥)كان يرسل كل سنة بصدقة عظيمة ، يصل بهـا من كان في مكة من المجاورين ، وأهلها(٦). والمظفر يوسف(٧)في أيام والده كان يتاجر

---

(١) ج٢ ، ص٥٣٣ .

(٢) ج٢ ، ص٥٤٧-٥٤٨ .

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق ، تولى الخلافـة قبل بلوغه سن الرشد ، وعزل غير مرة ، كـان سمحـًا كريمًا ، صرف الكثير مـن الأمـوال في كلفة الحاج والثغور ، ورتب لأهل الحرمين رواتب سنوية ، وأجرى على الفقهـاء والقضاة مبالغ ضخمة ، وكثرت في أيامه الفتن ، مات مقتولا عام ٣٢٠هـ .
(ابن دقماق : نفس المصدر ، ص١٣٥-١٤١) .

(٤) ج٣ ، ص٣٦٥ .

(٥) هـو نور الـدين عمر بن على بن رسـول مـؤسس دولة بني رسـول في اليمـن عام ٦٣٠هـ ، حاول مد سلطانه إلى مكة ، وتنافس مع بني أيوب ومـن ثم المماليك على فرض السيادة عليها ، توفى مقتولا عام ٦٤٧هـ .
(انظـر الخزرجي : العقـود اللـؤلؤية ، ج١ ، ص٥١ ومـابعدها) .

(٦) ج٣ ، ص٥٤ .

(٧) هـو يوسف بن عمر بن على بن رسول ، تولى السلطنة بعد وفـاة والده المنصور ، وواجه مصـاعب كثيرة في تثبيت أركان عرشه ، واستطاع بسيـاسته البارعة ، =

بالطعام فيرسل به إلى مكة ليباع بأسعار زهيدة ، وكان فعله هذا يقع موقعاً عظيماً عند أهل مكة ، ويرونه أعظم موقعاً من الصدقة لرخص متجره ، وأثره الايجابي على انخفاض الأسعار(١).

وخلال تناوله لأخبار الغلاء ، قدم النجم معلومات عن المقاييس والمكاييل المستخدمة بمكة مثل : المد المكي(٢)، والمن(٣)، والغرارة المكية(٤)، والغرارة الشامية(٥)، والاردب المصري(٦)، والرطل المصري(٧)، والأوقية(٨)، والويبة(٩).

= وحسن تدبيره أن يسوي الأمور في البلاد ، ويهيء الأجواء المناسبة للاستقرار ، توفي عام ٦٩٤هـ .

(انظر الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٥ ومابعدها) .

(١) ج٣ ، ص٥٤ .

(٢) المد : وحدة كيل : وهو رطلان ، أو رطل وثلث . (محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص٣١٠) .

والمد المكي هو ربع الربع المكي . (الفاسى : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٢٧٠) .

(٣) المن : اثنتى عشر أوقية . (الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٥) .

(٤) الغرارة المكية : أربعون ربعا مكيا . (الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٦) .

(٥) الغرارة الشامية : مقدارها غرارتان مكيتان ونحو نصف غرارة . (الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٢) .

(٦) الاردب المصري : أربعة وستون منا ، ويساوي أربعة وعشرون صاعاً . (محمد ضياء الدين الريس : نفس المرجع ، ص٣٣١) .

(٧) الرطل المصري : أربعمائة وخمسين جرام . (محمد ضياء الدين الريس : نفس المرجع ، ص٣٦٧) .

(٨) الأوقية : وحدة وزن ، ومقدارها رطلان مصريان ونصف . (الفاسى : نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٣) .

(٩) الويبة : اثنان أو أربعة وعشرين مداً ، وتساوى ستة آصع . (محمد ضياء الدين الريس : نفس المرجع ، ص٣٣٠-٣٣١) .

وأورد النجم معلومات تتعلق بأنواع النقود المتعامل بها بمكة كالدنانير الذهبية ، والدراهم المطلية(١)، والمثقال المصري(٢)، والدنانير المصرية(٣)، والدنانير العراقية(٤)، والدنانير والدراهم الكاملية(٥)، والدنانير والدراهم المسعودية(٦)، والدينار الهرجه(٧)، والنقود المؤيدية(٨)، والافرنتي(٩)، والافلورى(١٠). وذكر أيضا النقود التي سكت في دار النقد بمكة مثل الدراهم الفتحية التي ضربها أمير مكة أبو الفتوح عام (٤٠١هـ/١٠١٩م) ، والدنانير والدراهم التي ضربت باسم السلطان صلاح الدين الأيوبى عام (٥٥٣هـ/١١٥٩م) ، والسكة التي ضربت في العصر المملوكي باسم الخليفة المستنصر بالله أحمد بن الظاهر محمد بمكة عام (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)(١١)، ثم باسم السلطان الظاهر بيبرس عام (٦٦٧هـ/١٢٦٨م)(١٢)، ثم باسم السلطان قلاوون الصالحي عام (٦٨١هـ/١٢٨٢م) (١٣)، ثم باسم السلطان الأشرف خليل عام

---

(١) ج٢ ، ص٤٢٣ .
(٢) ج٢ ، ص٥٠٥ .
(٣) ج٢ ، ص٥٣٩ .
(٤) ج٣ ، ص٣٤٢ .
(٥) ج٣ ، ص٤٣ . نسبة للملك الكامل بن العادل الأيوبي المتوفى عام ٦٣٥هـ . (أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص١٦٦) .
(٦) ج٣ ، ص٤٥،٣٠٣ . نسبة للملك المسعود بن الكامل الأيوبى صاحب مكة واليمن المتوفى عام ٦٢٦هـ . (أبو شامة : نفس المصدر ، ص١٥٨) .
(٧) ج٣ ، ص٤٩٩ . الدينار الهرجه : تستعمل في الحلي كالأساور والعقود وغيرها ، تصاغ أطرافها حلقات صغيرة ، أو يجعل في جوانبها ثقوب . (سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٨٣) .
(٨) ج٣ ، ص٥٨٨ . نسبة للسلطان المؤيد شيخ المتوفى عام ٨٢٤هـ . (ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٢ ، ص١١) .
(٩) ج٣ ، ص٥٢٤ . من ضرب البندقية . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٤١) .
(١٠) ج٣ ، ص٤٩٨ .
(١١) ج٣ ، ص٨٦ .
(١٢) ج٣ ، ص٩٣ .
(١٣) ج٣ ، ص١١٤ .

(٦٩٢هـ/١٢٩٢م)[١]، وفي عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) ضربت الدراهم باسم أمير مكة أبى القاسم بن حسن بن عجلان[٢]، وفي عام (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) عقد مجلس بالقضاة والأمراء بخصوص الدراهم المسعودية ، وأن يضرب دراهم بمكة عوضاً عن الموجود بها ، وحددت أسعار صرف النقود[٣].

وتناول النجم أخبار بعض أودية الحجاز ذات التأثير القوي على اقتصاديات مكة ، خاصة في مجال امدادها بالمواد الغذائية ، فما يصيب تلك الديار من كوارث طبيعية ، وأوبئة ؛ يؤثر بشكل كبير على قلة الأقوات بمكة أو انعدامها ، وعلى الأسعار انخفاضاً أو ارتفاعاً . نحو قوله : "سال وادي وج أربعين مرة ، فوقع في الناس الوباء والحمىٰ والموت ، ورخص الشعير ، حتى لم يقم الحمل بكرائه إلى مكة ، وحزن الناس لرخص الشعير"[٤]، وقوله : "وقع البرد بالطائف ، وأتلف الدخن والذرة"[٥]، أو قوله : "كان الغلاء بمكة حتى بلغت شربة الماء بدرهم ، والشاة بأربعين درهماً ، وبيع بالطائف الشعير والدخن مد وربع بدينار"[٦]، وقوله : "بلغ السعر بمكة ربع وشطر بدينار ولم يقع بالطائف مطر إلا بعد ستة أشهر ، وانقطعت عين وج عن أرضه ، وغارت مياه الآبار غاية الغور"[٧]، وقوله : "حصل الغلاء على الناس من أول السنة ، وكانت الحنطة ربع مد بدينار ، وأطلع النخل طلعاً جيداً في الوادى ، ونخله بعد أن حمط أول طلعة"[٨]. وعن الوباء العام الذي حدث عام (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) يقول : "وقع بمكة والطائف وجدة ،

---

(١) ج ٣ ، ص١٢٣ .
(٢) ج ٤ ، ص١٩٥ .
(٣) ج ٤ ، ص٢٣٥-٢٣٦ .
(٤) ج ٣ ، ص٤٦ .
(٥) ج ٣ ، ص٤٨ .
(٦) ج ٣ ، ص٤٨ .
(٧) ج ٣ ، ص٩٠ .
(٨) ج ٣ ، ص١٢٢ .

وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم ... وهو بديار مصر أعظم ماكان"(١).
ويقول عن وباء الحجاز الذي عاصره عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) : "وقع بالطائف ووج وليه وعامة بلاد الحجاز وباء عظيم ، هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان ؛ عالم لايحصيهم إلا الله ، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لامالك لها واستولى عليها سواهم وامتد هذا الوباء إلى نخلة . ولله عاقبة الأمور"(٢).

وأورد النجم معلومات تتصل بأثر الكثافة السكانية على الأسعار ، فهو مثلا يقرن الغلاء بكثرة الحجيج والمعتمرين والعكس نحو قوله : "كان الحاج كثيرًا ، ووقع الغلاء بمكة"(٣)، أو "وحصل الغلاء في مكة بعد دخول الركب"(٤)، أو "وحصل في هذه السنة غلاء عظيم في أيام الحج ... وكان حجاج الشام كثيرين"(٥)، أو كقوله : "غلت الأسعار بمكة ، فلما قدمت الرجبية انحلت قليلاً ... فلما قدم الحاج في الموسم ارتفعت الأسعار"(٦)، أو "كان الحاج قليلاً ، والرخاء كثيرًا"(٧).

وكما تحدث النجم عن قلة السلع والغلاء ؛ تحدث أيضا عن أخبار الرخاء والتي عادة تكون مقترنة بتوافد الحجيج والمعتمرين مع قلتهم كما رأينا ، أو بنزول الغيث كقوله : "وأمطرت عرفة ومنى ، وكثر الخصب ، وكانت مكة في هذه السنة مخصبة"(٨). أو بتوفر المياه والأمن ووصول الميرة وقدوم التجار كقوله : "وكانت مكة في هذه السنة طيبة من كثرة المياه

---

(١) ج ٣ ، ص ٢٣٨ .
(٢) ج ٤ ، ص ١٤٠ .
(٣) ج ٣ ، ص ١١٦ .
(٤) ج ٣ ، ص ١١٨ .
(٥) ج ٣ ، ص ٢٢٧ .
(٦) ج ٣ ، ص ٣٣٧ .
(٧) ج ٣ ، ص ١١٥ .
(٨) ج ٢ ، ص ١١٤ .

والخير والأمـن ، وأرسـل إليهـا من الغلال ماله قيمة كثيرة ، وجاء في هـذه السنة من اليمنين ، وتجار الكارم خلق كثير إلى مكة "بسبب عدل عطيفة"[١] أو "وكـانت سنة آمنة مخصبـة"[٢]، أو "كـان بمكـة رخص لم يشاهـد مثله ، وبلـغ البر والتمـر والزبيـب ، كـل مائتي رطل بدينـار ، وهـذا غريب"[٣].

وقـد يقارن النجم بين ماضي السعر وحاضره نحو قـوله : "كان الغلاء في غالبها[٤]، إلا أنه كـان دون الغلاء الذي كان بعد الحج مـن سنة قبلها ، وكانت الغرارة الحنطة في هذه السنة إلى آخر القعدة منهـا لاتنقص عن تسعة افلـورية ، وربما بلغت خمسـة عشر افلوريًا ، وفي الغـالب يزيد على العشـرة الافلـورية بافلوري وشبهه ، وكـانت الذرة بنحو ذلك ، وبلـغ المن التمر إلى الصيـف ثمانية مسعودية ، وكان فيها سعر المأكولات أرخص كثيرًا مـن موسم السنة قبلها"[٥].

وتخلـل حديث النجـم عن الأحوال السيـاسية المضطـربة في الحجـاز ، الكثير مـن الأخبـار الاقتصـادية المتعلقـة بتجارة مكـة ، التي كـانت تتعـرض للضـرر والمصادرة نتيجة قلة الأمن ، مثل خطف الأموال ، وابتزاز التجـار ، ونهب مراكبهم ، ومخازن غلالهم[٦].

---

(١) ج٣ ، ص١٧٢ .
هو عطيفة بن أبى نمي الحسني أمير مكة المتوفى عام ٧٤٣هـ .
(انظـر ترجمتـه في الفـاسـي : العقـد الثمين ، ج٦ ، ص٩٥-١٠٥) .

(٢) ج٢ ، ص٤٩٥ .

(٣) ج٢ ، ص٤٦٦ .

(٤) أى سنة ٦١٠هـ .

(٥) ج٣ ، ص٥١٠ .

(٦) انظـر على سبيل المثال : ج٢ ، ص٣٣٠،٣٤٣،٤٩٦-٤٩٧،٥١٧،٥٣٢-٥٣٣،٥٣٦،٥٥١
ج٣ ، ص٢٤،٤١،٩٠،١٤٥،١٤٨،١٥٤،١٥٨،٢٠٦،٢٥٣-٢٥٤،٢٦٨،٢٧٠،٢٧٧،٢٩٥،٣٢٤،
٣٦٢-٣٦٣،٣٦٨،٣٨٠،٣٨٨-٣٨٩،٣٩٣،٥٧٨ .

وتحدث عن علاقات مكة الخارجية بجيرانها ؛ وأثرها على زيادة النمو التجاري ، أو عدمه أثناء حدوث الخلافات ؛ فعلى سبيل المثال : أدى توتر العلاقات بين صاحب اليمن وأمير مكة إلى منع المجاهد(١) لتجار اليمن من السفر إلى مكة انتقاماً من أمرائها ، ولحق أهل مكة بسبب تلك المقاطعة أذى وشدة كبيرة(٢).

واهتم النجم بالمكوس أو الضرائب التي كانت تؤخذ من الحجاج والتجار والجبايات التي تؤخذ من مخاليف مكة وأوديتها(٣). والتي كانت تشكل موارد مالية ضخمة لأمير مكة ، وحرص على بيان مقاديرها . فمكس الحاج : كان سبعة دنانير مصرية ونصفاً على كل حاج(٤). ومكس الطعام : كان مداً مكياً وربع مد مكي على كل حمل يصل من جهة الطائف ونخله ، ومداً جديًا على كل حمل يصل من جهة جدة ، وثمانية دنانير مسعودية على كل حمل تمر محشي يصل إليها ، وستة مسعودية على كل شاه ، وسدس قيمة مايباع بمكة من السمن والعسل والخضر وغير ذلك"(٥).

أما الضرائب التجارية التي تؤخذ على المراكب والسفن التجارية القادمة إلى جدة ، فكانت العشر على كل نوع من أنواع السلع والبضائع ، والربع على المراكب التي تتعطل قرب سواحل مكة(٦). وقد شكلت ضرائب

---

(١) هو على بن المؤيد داود من سلاطين بني رسول ، اعتقله المماليك في مكة عام ٧٥١هـ ، وأرسل إلى مصر ، وعلى أثر هذا الاعتقال ساءت علاقته مع أمراء مكة الذين مهدوا لذلك .
(انظر الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢ ومابعدها) .

(٢) ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٣) ج٣ ، ص٢٦٣ .

(٤) ج٢ ، ص٥٣٨-٥٣٩ . (وانظر بقية الضرائب التي تؤخذ من الحاج ص٢٦١-٢٦٢ من هذا المبحث) .

(٥) ج٣ ، ص٣٠٣ .

(٦) ج٣ ، ص٤٢٥،٤٥٠،٥٦٥،٥٧١ .

تجارة جدة دخلاً كبيرًا لأمير مكة ، فقد كان يصل إليه من التاجر الواحد أحيانا مايزيد على الثلاثين ألف افرنتي[١]. هذا قبل أن تتبوأ جدة مكان الصدارة في تجارة البحر الأحمر .

أما بعد ازدهار جدة واحتلالها مكان عدن في التجارة الدولية فقد أصبحت تجارتها خاضعة للسلطان المملوكي ، وأصبح نظرها : "وظيفة سلطانية ، يخلع على متوليها ، ويتوجه في كل سنة إلى مكة في وقت ورود مراكب الهند إلى جدة ، فيأخذ ماعلى التجار من العشور ويحضر به إلى القاهرة[٢].

وقد عاصر النجم هذه الفترة العالية الأهمية في تاريخ الحجاز الاقتصادى وتتبع أحوال مكة وجدة التجارية التي صاحبت هذا التطور ؛ منذ وصول مراكب الهند إلى جدة عام (٨٢٧هـ/١٤٣٣م)[٣]، وانتقد تدخل السلطان المملوكي في تجارة الحجاز ، وأخذه عشور التجارة في جدة[٤]، ومن ثم اجباره لجميع التجار القادمين في موسم الحج بالذهاب رأساً إلى القاهرة ؛ لأخذ المكوس منهم . فصار المكس يؤخذ من التاجر في أكثر من موقع في القاهرة وفي بلاد الشام وغيرها عدىٰ مايأخذه منهم أمير مكة[٥]. وبين مقدار المكوس التي تؤخذ على بضائع التجار في الموسم وغيره ، ومايقتطع منها كرسوم ورواتب للموظفين في جدة من قبل السلطان المملوكى[٦]. وانتقد بمرارة دخول السلطان ورجال دولته في ميدان التجارة ، واحتكاره لعدد من

---

(١) ج ٣ ، ص٥٢٤ .
(٢) ج ٣ ، ص٦٢٠ .
(٣) ج ٣ ، ص٦٠٦ .
(٤) ج ٣ ، ص٦٢٠-٦٢٢ .
(٥) ج ٣ ، ص٦٤٧ ؛ ج ٤ ، ص٤٣ .
(٦) ج ٣ ، ص٦٢١-٦٢٢،٦٣٣،٦٣٧-٦٣٨ ؛ ج ٤ ، ص٨٠-٨١ .

البضائع التي تحمل من بلاد الهند وغيرها ، وطرحها على التجار بالسعر الذي يحدده[(١)].

أما نصيب أمير مكة من فوائد تجارة جدة في هذه الفترة ، فقد شملته الصدقات الشريفة كما تذكر المراسيم بثلث المتحصل من المراكب التجارية عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)[(٢)]، ثم أنعم عليه بنصف العشور عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)[(٣)]، ثم قلصت إلى الربع فقط عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)[(٤)]. في حين تركت له عشور تجار اليمن ، ثم شاركه السلطان بالنصف في عشور الواصل من اليمن من بضائع الهند عام (٨٨١هـ/١٤٧٦م)[(٥)]، وقبل وفاة مؤرخنا جاءت المراسيم بالانعام على صاحب مكة بجميع عشور اليماني على أن يكون تطبيق هذا المرسوم ابتداء من عام (٨٨٦هـ/١٤٨١م)[(٦)].

ونجد النجم في تتبعه للمراسيم السلطانية يحرص على ذكر المراسيم الخاصة بتنظيم التجارة في مكة المكرمة ، ومنع البيع فى المسجد الحرام أيام الموسم ، وايجاد وظائف جديدة لفقراء الحرم ، وصرف الرواتب لهم . مقابل تعهدهم بالنظافة ، وتوفير السكينة والأمن فيه[(٧)]. كما نصت تلك المراسيم على منع التجار المصريين من احتكار التجارة في مكة[(٨)]. ومنع قائد القوات المملوكية والعسكر الراكزين في مكة من التجارة ، أو العمل على احتكار بعض السلع ، ونفي وعزل من يمارس ذلك منهم[(٩)].

---

(١) ج ٤ ، ص٨١-٨٢،٦٠٤ .

(٢) ج ٤ ، ص٣١ .

(٣) ج ٤ ، ص١٠١ .

(٤) ج ٤ ، ص١٤٣ .

(٥) ج ٤ ، ص٦٠٤،٦١٧ .

(٦) ج ٤ ، ص٦٥٤ .

(٧) ج ٣ ، ص٦٤٤-٦٤٦ .

(٨) ج ٤ ، ص١٤٥ .

(٩) ج ٤ ، ص٤٢٩،٤٧٠،٦٢٢،٦٣٨ .

وفيما يتصل بالتجارة أوضح النجم الدور البارز لأعيان التجار في مكة وتأثيرهم الايجابي على قرارات أمير مكة فيما يخص الأوضاع فيها(١). وبين في الوقت نفسه ماقد يتعرضون له من ابتزاز من جراء النزاع بين الأشراف(٢)، وشكايات التجار ومرافعاتهم(٣)، وتابع المراسيم الخاصة بالتوصية على كبار التجار ، وارسال الخلع لهم أسوة بأمير مكة وكبار القضاه فيها(٤). وتنظيم أمر المواريث لمن مات في مكة من غير أهلها ، وقد نصت المراسيم على أن السلطان هو وارث من لاوارث له ، وليس لصاحب مكة إلا ميراث من مات من أهل مكة(٥)، وان الشريف له مادون الألف على العادة ، والسلطان له مافوق الألف(٦). ومن مات من التجار وله وارث لايختم على ماله القاضي على العادة ، بل يدخل ذلك في صلاحيات نائب جدة من قبل السلطان(٧).

وبالجملة فكتاب اتحاف الورى مليء بالأخبار الاقتصادية الخاصة بالتجارة والتجار إبان فترة التطور ، ومناقشاته وتحليلاته وانتقاداته في هذا الجانب لاغنىٰ للباحث في التاريخ الاقتصادي عنها ، سواء في تاريخ مكة أو في تاريخ الدولة المملوكية .

الأخبار الاجتماعية :

لم يهمل النجم في كتابه هذا النواحي الاجتماعية ، وهناك شذرات متناثرة منبهة للعديد من القضايا الاجتماعية ، فنجده مثلاً يسجل الأمور

---

(١) ج ٤ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٢) ج ٤ ، ص٢٠٨ .

(٣) ج ٤ ، ص٢٦٦-٢٧١ .

(٤) ج ٤ ، ص٣٢٥،٤٨٣،٤٩٢،٥٠٩،٦٣٧ .

(٥) ج ٤ ، ص١٤٣ .

(٦) ج ٤ ، ص٥٣٩ .

(٧) ج ٤ ، ص٦٠٤ .

الغريبة من العادات والتقاليد ، كتقبيل الأرض عند الدخول على الخليفة أو السلطان أو الأمير أو عند استقبالهم ؛ تعبيراً عن الطاعة والولاء[١]، وعلى الرغم من أن السلطان المملوكي برسباى قد أبطل هذه العادة تعظيماً لله تعالىٰ ؛ إلا أنها عادت بعد وفاته[٢]. ومن العادات المستقبحة التي خضع لها أمراء مكة أو سنت عليهم : تقبيل خف جمل المحمل القادم من مصر سنويا[٣]، وقد وردت المراسيم عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) على اعفاء أمراء مكة من ذلك ، فامتدح نجمنا هذا التصرف ، وشكر السلطان عليه[٤]، ومن الواضح أن كلتا العادتين من الأمور المنكرة شرعاً ، وفيها إذلال وامتهان لكرامة الانسان .

ومن التقاليد الاجتماعية المستحدثة اجتماع أمير مكة أو من ينوب عنه من أبنائه ؛ والقضاة والفقهاء والأعيان في المسجد الحرام وختم القرآن أكثر من مرة صباحاً ومساءً لعدد من الأيام ، ثم الدعاء للسلطان المملوكي وكتابة محضر بذلك وارساله له عند التهنئة أو التعزية[٥].

ومن مظاهر الابتهاج عند الانتهاء من اقامة بعض المشاريع الخيرية التي يقيمها المحسنون من سلاطين المسلمين[٦]، أو عند الانتهاء من عمارة وصيانة المسجد الحرام[٧]: أن يجتمع القضاة والأعيان في الحرم الشريف ، ويختمون القرآن ، ثم يرفع الداعي صوته بالدعاء لمن أقام ذلك المشروع أو العمارة ، ويذاب السكر في الماء ، ويشرب منه الحاضرون ، ثم يوضع في قرب السقائين ، ويسبل على الطائفين فيشرب منه الغني والفقير ، ولعل أصل

---

(١) ج٣ ، ص١٤،١٦ ، وانظر العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٥٤٠ .
(٢) ج٤ ، ص٤٢ .
(٣) ج٣ ، ص٣٥٥ .
(٤) ج٤ ، ص١٤٥ .
(٥) ج٣ ، ص٥٧٣ .
(٦) ج٣ ، ص٦٤٣ .
(٧) ج٤ ، ص٢٢٠ .

هذا العمل يعود إلى ماحدث عام (٢٤٢هـ/٨٥٦م) ، ففي النصف من شعبان وبعد الفراغ من عمارة الكعبة والمسجد الحرام والمشاعر المقدسة أحضر الحجبة أجزاء القرآن - وهم جماعة - فتفرقوها بينهم ومعهم المهندس الذي كلف بالبناء ، وختموا القرآن ، ثم أحضروا ماءً ومسكاً وعوداً مسحوقاً فطيبوا به جدران الكعبة وأرضها ، ثم دعوا ودعى من حضر الطواف ، وضجوا بالتضرع والبكاء إلى الله عز وجل ، ودعوا لأمير المؤمنين ، ولولاة عهود المسلمين ، ولأنفسهم ولجميع المسلمين ؛ فكان يومهم لذلك يوماً شريفاً حسناً[١].

وأورد النجم معلومات عن التقاليد الرسمية لدخول مكة في العصر المملوكى ؛ فعند قدوم أمراء ركب الحجيج أو العمرة ، أو الأمير المعين لقيادة عسكر المماليك المقيمين بمكة ، يدخل الأمير للطواف والسعى في المسجد الحرام ، ثم يعود خارج مكة ، ويبيت فى الأبطح أو الحجون ، وفي أغلب الأحيان يبيت في الزاهر ، وفي اليوم التالي يخرج أمير مكة ، وكبير القضاة لاستقباله فيلبسهم الخلع التي أرسلها السلطان المملوكي ، ويدخل الجميع مكة لابسين خلعهم ، ويتوجهون إلى المسجد الحرام ، فيطوفون سبعاً ، ويدعون للسلطان ، ثم تقرأ المراسيم السلطانية بحضور القضاة والأعيان وكبار التجار[٢].

وقد اعتنى النجم بذكر نوع الخلعة أو التشريف كما يطلق عليه أحياناً فنراه مثلا يقول : "وهي خلعة ذهب وعمامة شرب[٣] رقيق سحابي اللون ،

---

(١) ج٢ ، ص٣٢٢ .

(٢) انظر ج٤ ، ص١٨٣-١٨٤،١٩٦،٢٥٧-٢٥٨،٢٧٣،٢٧٨-٢٧٩،٣٤٥-٣٤٦،٣٤٩-٣٥٠، ٣٥٩-٣٦٠،٤٥٣-٤٥٤،٥٠٨-٥٠٩،٥٤٠-٥٤١،٥٦٩،٥٧٩-٥٨٠،٦٣٦-٦٣٧ .

(٣) الشرب : قماش رفيع من الكتان .

(Dozy : Supp. Dict. Ar)

مصفحة بالذهب ، وخلعتان من الديبق المرقوم البديع الصنعة"(١)، أو "خلع عليه جبتان صوف أحدهما خضراء ، والفوقانية(٢) بيضاء ، وفوق العمامة طرحة"(٣)، أو "خلعة أطلس(٤) حمراء ، مطرزة بطرازين وحياصة"(٥)، أو "والبس التشريف والحياصة والمنطقة"(٦). وقد يكتفى بذكر نوعها نحو قوله "خلعة كاملية بفرو ناعم"(٧)، أو "كاملية سمور"(٨)، أو "طيلساناً"(٩).

---

(١) ج٣ ، ص٥٤٦ .

(٢) الفوقانية : عباءة أو جبة : وهي نوعان : شتوية من الصوف ، وصيفية من القطن وكان اللون الأبيض هو التقليد المتبع حتى عام ٧٩٩هـ حين رسم السلطان المملوكي برقوق باتخاذ الألوان المختلفة .

(انظر ل.أ.ماير : الملابس المملوكية ، ص٤٥،٩٢) .

(٣) ج٤ ، ص٦٠٣ .

والطرحة : غطاء استعمله القضاه ويضعونه على العمامة ، وكان مختصاً بالشافعية ، ثم استعمله الأحناف .

انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٢ .

(٤) نوع من أقمشة الحرير .

(Dozy : The previous reference) .

(٥) ج٤ ، ص١٨٦ .

والحياصة : جمعها حوائص ، وهي شبيهة بالحزام تلبس في الوسط .

(Dozy : The previous reference) .

(٦) ج٤ ، ص٤١٨ .

والمنطقة : مايشد به الوسط ، وتكون غالباً من الذهب أو الفضة ، وأحياناً من الجلد أو القماش .

(Dozy : The previous reference) .

(٧) ج٤ ، ص١٨٦ .

والكاملية : تنسب للملك الكامل الأيوبي : وهي ثوب ضيق الأكمام ، يلبس فوق القباء ، مفتوح من منتصف الظهر حتى حافة الذيل ، وقد يبطن بفرو ، أو يزين بقلابات فرو .

(انظر النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، هامش ص٤٥) .

(٨) ج٤ ، ص٤٨٣ .

(٩) ج٤ ، ص٥٦٩ .

والطيلسان : كساء مدور أخضر لاأسفل له ، لحمته من صوف ، وهو من لباس العجم . (انظر معجم الألفاظ الفارسية) .

وهناك نتف موزعة على صفحات الجزء الرابع للاحتفالات الرسمية التي وقف عليها النجم في عصره ، وهي تقام بمناسبة التولية أو عودة الأمير من الغزو منتصرًا غانمًا!! أو عودة الأعيان الغائبين ، ومراسيم هذه الاحتفالات : ينادئ فيها بلبس أشرف اللباس ، وتكنس الأزقة "الشوارع الضيقة" وتضرب الطبلخانات ببيت أمير مكة ، وبأبواب أعيان البلد(١)، ويخرج جميع من بمكة من الأعيان وأهلها والمجاورين أو الوافدين من عرب وغيرهم(٢)، وتزين البيوت الملاصقة لبيت المحتفئ به(٣)، وتستمر زينة البلد والأسواق ثلاثة أيام(٤)، أو سبعة أيام(٥).

وقد ركز النجم في حوادث عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) على وصف الاضاءة التي أوقدت في المسجد الحرام ، وزينت بها الشوارع والأسواق احتفاء بقدوم الأمير المملوكى جانبك(٦)إلى مكة المكرمة . ولم يتناول النجم استقبال أى من أمراء المماليك أو غيرهم بهذه الحفاوة والدقة في الوصف إذ يقول : "فلما كان بعد صلاة العشاء من ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة دخل الأمير جانبك إلى مكة المشرفة بعد أن تلقى بفوانيس المسجد الحرام وشموع كثيرة ، وأربعة عشر مشعلاً إلى الحجون ، وأوقدت الشموع من مسجد الراية إلى المسعى ، وأوقدت دكاكين المسعى بالشموع الكثيرة ، كل

---

(١) ج٤ ، ص٢٥٦ .
(٢) ج٤ ، ص١٦٩ .
(٣) ج٤ ، ص٤٤١-٤٤٤ .
(٤) ج٤ ، ص٤٤١-٤٤٢ .
(٥) ج٤ ، ص٥٦٤-٥٦٥،٦١٣-٦١٤ .
(٦) هو جانبك الظاهرى شاد جدة ونائبها ، كان ظالماً جباراً في تعامله مع التجار ، شغوفاً بجمع المال له وللسلطان ، وقد أثرئ ثراءً فاحشاً خاصة من بلاد الحجاز لأنه المتصرف فيه ، وأصبح له حظوة عند السلطان المملوكي ، وذاع صيته فكاتبه ملوك الهند وغيرها ، مات مقتولاً عام ٨٦٧هـ .
انظر السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٥٧-٥٩ .

على حسب حاله ، وأوقد المشعران الصفا والمروة بالقناديل والثريات ، وعلق في الصفا شوطان قناديل جملتها أحد وثلاثون قنديلاً ، وفي عقود الصفا ثلاث ثريات ، في كل عقد ثريا ، وعلق في المروة خمس ثريات ، وعلق على رباط العباس(١)قنديل ، وعلى الأميال الأربعة كل ميل ثريا ، ونصب حبل من رباط العباس إلى المدرسة الأفضلية(٢). وجعل في ذلك أربعة عشر قنديلاً ، وثلاث ثريات ، فكان جملة القناديل خمسين ، والثريات خمس عشر "(٣).

أما الجوانب الاجتماعية الخاصة كحالات الزواج والطلاق ؛ فهو يذكر مايخص أمراء مكة وأسرهم(٤)، والقضاة فقط(٥)، ويقتصر في معظمها على ذكر اسم الزوج والزوجة في أغلب الأخبار ، ولايتعدىٰ ذلك إلا في حالة ذكر اسم الزوج الآخر بعد الطلاق(٦)، أو ذكر حمل المطلقة وولادتها(٧)، أو السبب الذي دعىٰ الزوجة لطلب الطلاق كأن يشق الزوج عليها بزيادة تكاليف الصرف والنفقة من مالها الخاص(٨)، أو لزواجه بالثانية ، وعدم

---

(١) كان مطهرة أنشأها الملك المنصور لاجين المنصوري ، ثم حوله ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون رباطاً .
انظر الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٣ .

(٢) أنشأها الملك الأفضل بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، وأوقفها على فقهاء الشافعية عام ٧٦٨هـ ، وقيل عام ٧٦٩هـ . وتقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام .
(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٨ ؛ النجم ابن فهد ، ج٣ ، ص٣٠٦) .

(٣) ج٤ ، ص٢٧٨ .

(٤) انظر ج٣ ، ص١١٥،٣٠٦،٣٠٨،٣٠٩،٣٧٦،٣٧٨ ؛ ج٤ ، ص٣٠٥ .

(٥) انظر ج٣ ، ص٢٧٣،٣٠٩،٣١٤،٣٤٩،٣٧١،٣٩٠،٥٢٢ .

(٦) انظر ج٣ ، ص٤٣٨،٥٨٣ .

(٧) انظر ج٣ ، ص٣٦٩ .

(٨) انظر ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ .

قدرتها على تحمل ذلك[(١)]، أو بسبب كثرة زواجه وتسريه[(٢)]. وقد يتوسع في خبر الزواج إذا رافقه مظاهر الاسراف ، وبعض المنكرات[(٣)]. أو إذا حصل فيه خلاف[(٤)]، أو حدوث أمر غير متوقع كالقتل مثلا[(٥)]، ومايتم بخصوص تسوية تلك الموضوعات .

أخبار الجريمة :

ومن اللافت للنظر عند دراسة التاريخ الاجتماعي الذي سجله النجم طهارة المجتمع المكي من الجريمة على مستوى الأفراد لاعلى مستوىٰ الساسة ؛ فجرائم القتل والنهب كلها سجلت على ذمم القيادة السياسية ، ومن يلوذ بها من أبناء وعشيرة وقواد وعبيد ، ممن خفت عندهم النزعة الدينية ، فسفكوا الدم المحرم ، وتجاهلوا في سبيل الوصول إلى غاياتهم شرف الوسيلة وتحولوا إلى مجموعات يتربص كل منها بالآخر للوصول إلى السلطة ، فكان القتل ، وكان النهب للحجيج ، وكان الغزو والفتك وزيادة الضرائب على أعمال مكة ومخاليفها ، وعلى القبائل التي تحوط ديارهم أو تبعد عنه .

أما الأفراد فلم يسجل التاريخ المكي عليهم تدنيس عقيدتهم بمثل هذه الجرائم الفظيعة ، إلا عددا من الشواذ ، ودليلنا على ذلك أن النجم قد عاصر أكثر من سبعين عاماً من التاريخ المكي ، لم يسجل خلالها على الأفراد سوى جرائم محددة العدد قد لاتتجاوز أصابع اليدين ، وإذا قال قائل أن مثل هذه الموضوعات لاتدخل ضمن اهتمامات معظم المؤرخين القدامىٰ ، نجيبهم أن النجم يختلف فقد تناول بشمولية عامة تاريخ مكة سواء ماكان

---

(١) انظر ج٣ ، ص٥٩٠ .
(٢) انظر ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ .
(٣) انظر ج٤ ، ص٤٢٨،٥٢٤ .
(٤) انظر ج٤ ، ص٦١٥ .
(٥) انظر ج٣ ، ص٣٢٩ .

منه مرتبطاً بالسياسة أو الاقتصاد ، أو الاجتماع ، أو الثقافة ، بدليل تناوله الدقيق للقضايا الجنائية ، ومتابعته الأكثر دقة لموضوع التحقيق في الجرائم ، لدرجة أنه يورد أسماء وأقوال المحققين ، وأسماء وأقوال المشتبه بهم ، والوسائل الموصلة إلى الجانى إلى أن يتم القبض عليه ، واقامة الحد الشرعي بحقه .

ومهما يكن من أمر فإن النجم قد حرص على تسجيل كل مايمس الأمن بمكة ، حتى الجرائم التي لم يحقق فيها ، يذكرها ويعلق عليها بعبارة : "لم يعرف قاتله"(١)، أو "لم يعلم قاتله" ثم يلحقها بلفظ ناقد(٢). وعند توجيه أصابع الاتهام ، وعدم توفر الأدلة يشير إلى الاجراء الذي اتخذ لإقرار المتهم ونتيجته(٣). وعندما يترك الجاني أو المفسد حرًا طليقًا ، ويتغاضىٰ عن التحقيق في جريمته ، يشير إلى الجهة المتهمة بحفظ القضية(٤). ونلاحظ أن في تناوله لموضوع الجريمة بالصورة التي ذكرناها قمة الدقة والموضوعية .

ونلاحظ أيضا أنه اتبع منهجين في تسجيل الجرائم التي أقيمت فيها الحدود وهي على النحو التالى :

المنهج الأول(٥):

- يذكر اسم الشخص أو الأشخاص الذين أقيم عليهم الحد ، أو يعرف بصفتهم وجهة عملهم .
- يذكر السبب الذي على أساسه أقيم الحد .
- يصف كيفية وقوع الجريمة .

---

(١) ج ٤ ، ص ٤١٦ .
(٢) ج ٤ ، ص ٦٤٣ .
(٣) ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
(٤) ج ٤ ، ص ٤٧٩ .
(٥) ج ٤ ، ص ١١٣-١١٥ .

- يتناول التحقيق فيها بكل دقة حتى مع من يشتبه به .
- أخيرا يشير إلى الجهة التي أصدرت الحكم .

المنهج الثاني[١]:
- يذكر اسم المجني عليه أو عليها ، أو عليهم أو صفتهم .
- الإشارة إلى من اتهم بالقيام بالجريمة ، أو المجرم .
- التحقيق مع المتهم أو المتهمين .
- الحد أو الحدود التي أقيمت عند ثبات الجريمة ، بحسب الضلوع فيها.

هذا التوضيح كان في جرائم القتل أما النهب ، فإن الجاني معروف ، وأمر ملاحقته والقبض عليه هو مايركز عليه النجم[٢]. وانحصرت أسباب الجريمة في الطمع والاجتماع على منكر ومجون . أما القصاص فيسبقه تعزير القاتل ، وتسميره على جمل ، ثم الطواف به في شوارع مكة ، وأزقتها قبل شنقه أو قتله ، ويتبع نفس هذا الاجراء مع المرأة القاتلة ، غير أنه يبيض وجهها بالنورة عند التسمير . والتعزير المشار إليه يكون بعد الاعتراف بالجريمة ، وقبل القتل مباشرة ، وقد يبلغ حدًا فظيعًا كأن تقطع الأذن إلى شحمتها ، ويقطع مارن الأنف[٣].

أما الفسوق من لهو وغيره ، فقد كان موجودًا في مكة المكرمة ، وهي كسائر بلاد الله فيها البر والفاجر[٤]. فعلى سبيل المثال أمر المهدي[٥]عام

---

(١) ج ٤ ، ص٥٠٥-٥٠٦،٣٨٢-٣٨٦ .
(٢) ج ٤ ، ص٢٤٧،٣٦١ .
(٣) ج ٤ ، ص٣٨٦،٥٠٥-٥٠٦ .
(٤) ج ٣ ، ص٢٠٠،٣٩٤ ؛ ج ٤ ، ص١١٣-١١٤،٤٧٩،٦٤٣ .
(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور ثالث خلفاء الدولة العباسية ، ألزم أهل زمانه نصر المظلوم ، والأخذ على يد الظالم ، وأكرم أهل العلم والدين ، وله في مكة مآثر وأفضال لاتحصىٰ ، توفي عام ١٦٩هـ .
(ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص٩٥-٩٨) .

(١٥٩هـ/٧٧٥م) "بنفى كل من بمكة من المغنين ، ومنع قيناتها من الغناء ، وأخرج كل من فيها من المتشبهات من النساء بالرجال ، والرجال المتشبهين بالنساء ، ومنع من لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر إلى اللهو والطرب ، وطهرها من كثير من المباحات الملهية عن الصلوات ، والمشغلة عن اغتنام القرب ، وألزم حجبة الكعبة إجلالها وتوقيرها ، وتنزيهها وتطييبها للزائرين وتجميرها ، وفتح بابها بالسكينة والخشوع ، والانصات عند دخولها بحالة أمينة بصفة الخضوع ، وزجر النساء عن الخروج إلى المسجد متعطرات ، وكف الكافة عن الالمام بها على ارتكاب المكروهات أو ترك المندوبات"(١)، وفي القرن الذي ولد فيه مؤرخنا وبالتحديد في عام (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) قام الأمير بيسق(٢)بتطهير مكة من أهل الفساد والبغي رجالاً ونساء ، وأخرجهم منها ، وألزم بوابي المسجد الحرام بملازمة أبوابه ، وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمائم ، ونقل الكدى التي كانت بسوق الليل والمعلاة ، ونقل السوق من المسعىٰ إلى سوق الليل ، فأعاده أمير مكة على ماهو عليه سابقاً(٣).

الأخبار الثقافية والدينية :

أولى النجم ثقافة المجتمع المكي عناية طيبة ، وتتبع باهتمام بارز أخبار المدارس التي أنشئت في مكة حسب تسلسلها الزمني ، وأورد معلومات مهمة عنها من حيث مواقعها ، وطراز بنائها ، ومؤسسوها ، والتخصصات

---

(١) ج٢ ، ص٢٠٢ .

(٢) هو بيسق بن عبد الله الشيخي أمير الحاج ، استنابه صاحب مكة حسن بن عجلان عام ٨٠٤هـ على مكة ، عند توجهه لاخضاع حلي بن يعقوب ، فأزال كثيراً من المنكرات وغيرها ، واستخدم الشدة في ذلك ، فنقم عليه صاحب مكة ، ويقال : إن من أسباب نقمته عليه أنه خفض سعر الذهب عما قرره أمير مكة .
(انظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٨٩-٩٨ ؛ ابن تغري بردي المنهل الصافي ، ج١ ، ص٢١٠) .

(٣) انظر ج٣ ، ص٤٢٧-٤٢٨ .

العلميـة فيهـا ، ومعلموها والعـاملون بهـا ، ومايطرأ أو يستجـد عليهـا مـن أموال (١).

وفي معـرض اهتمـام النجـم بهـذا الجانب أورد معلـومات عـن أوقاف الكتـب والمكتبـات التي يتبرع بهـا المحسنـون مـن السلاطين والعلمـاء وغيرهم (٢).

وكتاب الإتحاف لايخلو من نتف متناثرة لأخبار علماء مكة ، وهي وان كانت غير بارزة ، إلا أنها في حد ذاتهـا ذات قيمـة طيبـة للـدارس المدقق في تاريخ الحجـاز الفكري . أما العلماء الوافدون فقد اعتنىٰ النجـم بإيراد أخبار المبرزين منهـم ضمن تناوله للملامح الحضـارية والفكرية المتصلـة بموسم الحج والعمـرة . وأشـار إلى فعاليـات مجاوراتهم ، وانتفاع العـامة والخاصـة بفيض علومهم ، والنهضة العلمية المباركة التي أسهموا فيها .

وقـد ذكر النجم مآثر العلمـاء المجاورين وأدوارهـم البـارزة في الحياة العـامة والسيـاسية ، مـن اصلاح ذات البين ، وإنكـار المنكـر ، والـدعوة والإرشـاد ، وانعـاش الحيـاة الاقتصـادية ، وسؤال السلاطين بضـرورة حفـظ الأمن بمكة ، وتأمين أهلها والمجاورين بها ، والعمل على استقرار البلاد التي أنهكتها النزاعات الداخلية . وبالجملة فقد كانوا من النعم التي خص الله بها أهـل بيته . وإن مجرد ذكر أسمائهم في تلك الفترة يوحي بمدىٰ تأثيرهـم على مجمل نواحي الحياة في البلد الطاهر (٣).

---

(١) انظر ج٢ ، ص٥٤٩ ؛ ج٣ ، ص٥٤،٦٠،٢١٧،٣٠٦،٣٦٨-٣٦٩،٤٨٥-٤٨٦،٦٤٣ ؛ ج٤ ، ص٢٥،٤٥،٥٩،٦٣،٦٤،٦٦،٦٢٠،٦٣٨-٦٣٩،٦٤٧-٦٤٨ .

(٢) انظر ج٢ ، ص٤٨٧-٤٨٨،٥٦٤ .

(٣) انظر ج٢ ، ص٣٠٨-٣١٤،٤٤٥،٤٨٩،٥١٩-٥٢٠ ؛ ج٣ ، ص١٠،٧٢-٧٤،٩٣،١٣٩،١٦٦، ١٦٧،٢٠٦،٢١٠،٢١٤-٢١٥،٢٨٣،٢٩٨،٣٠٤،٣٢٨،٣٧٠،٣٧٨،٣٩٣،٥٢١،٥٦٩،٥٧٤،٦٠٧، ٦٠٨،٦٣٤،٦٣٧ ؛ ج٤ ، ص٢٦-٢٧،١٧٢-١٧٣،٢٣٠،٢٩٥-٢٩٦،٢٩٩،٤٧٤،٤٥٨، ٥٢٧-٥٢٩،٥٥٤-٥٥٥،٥٦٦-٥٦٧ .

وقد حظيت أخبار القضاة ، والأئمة ، والخطباء ، باهتمام واضح من النجم ؛ وتابع أخبار تعيينهم وعزلهم ، وأورد نماذج من المناظرات ، والمحاورات ، والمحاضر ، والمرافعات في عصره ، سواء تلك الخاصة بأئمة المذاهب(١)، أو بأهل العلم وأقطاب الحركة الفكرية(٢)، أو بخصوص الأمور المستحدثة(٣)، واستتابة أهل الطوائف المبتدعة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة(٤)، أو المجالس الخاصة بتغيير العملة النقدية ، وتثبيت أسعار صرف العملات المتبادلة في السوق الحجازي(٥)، أو قضايا الرشوة(٦)، أو التحقيق في القضايا الجنائية واقامة الحدود(٧)، أو تلك التي تتناول التعديات على الطريق العام(٨)، أو النظر في الشكاوي المقدمة من التجار(٩). وقد وجدنا النجم في تناوله لهذه الأمور محللاً ناقداً مصوراً لنوعية الحياة والأحكام في عصره .

وتابع النجم الأخبار التي تمس العقيدة ، فذكر الصلاة لأئمة متعددة وجماعات مرتبة بحرم اللّه الشريف ، ووجدناه بحسه الديني ، وثقافته الشرعية ، يدون المعلومات الخاصة بهذا العمل مقرونة بالرأي الشرعي الملتزم بأصول العقيدة الإسلامية ، والمعتمد على المقاييس الفقهية ، ففي عام (٥٥٠هـ/١١٥٥م) أورد خبراً مفاده الفتوىٰ بمنع الصلاة على هذه الصورة ،

---

(١) ج ٤ ، ص٧٢-٧٣ .
(٢) ج ٤ ، ص١٧٢-١٧٣ .
(٣) ج ٤ ، ص١٨٤ .
(٤) ج ٣ ، ص٢٦٥-٢٦٦ .
(٥) ج ٤ ، ص٢٣٥-٢٣٦ .
(٦) ج ٤ ، ص١٣٥-١٣٦ .
(٧) ج ٤ ، ص١١٣-١١٥،٣٨٢-٣٨٦،٥٤٧-٥٥٥ .
(٨) ج ٤ ، ص٥٢٧-٥٣٠،٥٦٣-٥٦٤ .
(٩) ج ٣ ، ص٦٤٠-٦٤١ ؛ ج ٤ ، ص٢٦٨-٢٦٩ .

وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة(١). وفي موسم السنة التي تليها ذكر أنه حضر جماعة من علماء الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وأنكروا صلاة الأئمة الأربعة في صلاة المغرب في وقت واحد(٢).

ويبدو أن الصلاة على هذه الحالة استمرت في مكة رغم انكار الفقهاء إذ يذكر النجم أنه في موسم عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) أبطل السلطان الناصر فرج صلاة المالكي والحنبلي والحنفي في صلاة المغرب(٣)، وأورد نصاً بكيفية الصلاة في الحرم المكي بهذه البدعة بقوله : "كانوا يصلونها في وقت واحد وبسبب اجتماعهم في هذه الصلاة يحصل للمكيين لبس كثير بسبب التباس أصوات المبلغين ، واختلاف حركات المصلين" . وانتقد ذلك نقلاً عن الفاسى بقوله : "وهذا ضلال في الدين" ، وذكر أن الشافعي استمر يصلى بمفرده إلى عام (٨١٦هـ/١٤١٣م)(٤)، وفيها ورد أمر المؤيد صاحب مصر بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب جميعاً كما كانوا يصلون من قبل ففعلوا ذلك من ليلة السادس من ذي الحجة(٥).

وعلى كل فإن بقاء هذه البدعة واستمرارها مئات السنين ، وعدم الأخذ بأقوال العلماء الذين أنكروها في كل عصر ، دليل على جهل في الدين ، وغلبة الهوى ، والرغبة في تفريق المسلمين ، وتشعيب أركان الدين في نظرهم ، في حين أن مذهب أهل السنة والجماعة يدعو إلى الالتفاف حول إمام واحد ، لأن الدين واحد ، ولامجال عند تطبيقه لفرقة أو تمزيق في صفوف المسلمين .

---

(١) ج٢ ، ص٥١٦ .
(٢) ج٢ ، ص٥١٧-٥١٨ .
(٣) ج٣ ، ص٤٦٦ .
(٤) نفس الجزء والصفحة .
(٥) ج٣ ، ص٥٠٩ .

ومـن البدع التي ذكرها النجـم أنه في أثناء طواف أمـراء مكة بالكعبة يدعـو لهم المؤذن جهرا بأعلى قبة زمزم حتى ينتهـي من طوافه(١)، ولايخفىٰ أن الـدعاء بهذه الصورة لمجـرد طواف الأمير ، فيه تشـويش للعابدين الذين يرجون تجارة لـن تبور ، واللـه سبحانه وتعالى يقول : {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(٢)، ويقـول جل وعلا : {وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(٣).

وذكـر النجـم أنه بعد الستمـائة أحدث داخل الكعبـة بدعتـان انتقدها بشـدة ، ووصـف من أقامهما بالفجـرة المحتـالين ، وهـاتان البـدعتان همـا :

ـ العروة الوثقىٰ : وهي أنهم عمدوا إلى موضع عال من جدار البيت المقـابل لباب الكعبة فسموه بالعـروة الوثقىٰ ، وأوقعـوا في قلوب العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعـروة الـوثقىٰ ، فأحوجهـم إلى أن يقـاسوا في الوصول إليها شدة ، وعلى أن يركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعد النساء فوق الرجال ، ولامسوا الـرجال ولامسوهن ، فلحقهـم بذلك أنواع الضرر .

ـ سـرة الـدنيا : وهي أنه كـان في وسـط البيت مسمـار سمـوه "سـرة الدنيا" وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم عن سرته ، وينبطـح على ذلك الموضـع حتى يكـون واضعـاً سـرته على سـرة الدنيا . واختتم النجـم حديثـه عنهمـا نقلاً عن الفاسي بقوله : "قاتل اللّٰه واضـع ذلك ومختلقه"(٤). وأشار بأن البـدعة الأولى أزيلـت عـام (٧٠١هـ/١٣٠١م) على يد الفقيـه زين الـدين أحمد بن محمد بن حنا(٥)؛ أثناء قدومه إلى مكة في العام المذكـور ، فعندما

---

(١) ج٣ ، ص٥٨٠ ؛ ج٤ ، ص٢٥٨ .
(٢) سورة الحج : آية ٢٦
(٣) سورة البقرة : آية ١٢٥
(٤) ج٣ ، ص١٣٢-١٣٣ .
(٥) هـو أحمد بن محمد بن على بن محمـد بن سليم ، كان فقيهًا دينًا ، وافـر الحرمة ، دفن في قبر حفره لنفسه عام ٧٠٤هـ .
(ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٢٨٣) .

رأى هذه البدعة ، أمر بقلعها[١]. أما البدعة الثانية فقد أزيلت بعدها بعام ، وذلك بسعي من الأمير بيبرس الجاشنكير[٢]عند السلطان المملوكي الناصر ، فقد أبلغه بوجود جملة من البدع في مكة من ضمنها البدعتين السالفتين . فكتب الناصر إلى أميري مكة[٣]بألا يهبط الحاج حتى ينقضوا ماكان في الكعبة مما سموه العروة الوثقى ، ولايمكن أحد من مس المسمار الذي يقال له سرة الدنيا . فترك ذلك[٤].

وذكر النجم أن الأمير تغري برمش[٥]التركماني قام عام (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) بسد الباب الضيق من الغار الشريف بجبل ثور ، وذلك لأن كثيرًا ممن يريد دخوله انحبس فيه لضيقه ، وكانوا يقولون أن من لايستطيع دخوله ليس لأبيه . وعلى الرغم من أن عمل الأمير التركماني كان من باب سد الذرائع كما نرى ، إلا أن إمام الحنفية بالمسجد الحرام انتقد تصرفه ، ومنع الطلبة من الأخذ عنه حتى يزيل ماسده ، ويحدث توبة بسبب ذلك[٦].

---

(١) ج ٣ ، ص١٣٣ .

(٢) هو بيبرس البرجي العثماني الجاشنكير ، الملك المظفر ، اتصف بتمام العقل والعفة وأبطل كثيرًا من المنكرات والمعاصي في مكة ومصر .
ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ، ص٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) أبو الغيث ، وعطيفه .

(٤) ج ٣ ، ص١٣٧ .

(٥) هو تغري برمش بن يوسف أبو المحاسن ، كان عابدًا فاضلا محبًا لأهل السنة ، جاور بمكة إلى أن مات بها ، ووقع له مع أهلها أمور يطول شرحها بسبب تصديه للبدع وإزالته لها . توفى عام ٨٢٣هـ .
(انظر ترجمته فى ابن تغري بردي : الدليل الشافى ، ج١ ، ص٢١٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٣١-٣٣) .

(٦) ج ٣ ، ص٤٥٨-٤٥٩ .

وقد تصدىٰ الأمير التركماني أثناء مجاورته للعديد من البدع الاعتقادية وسعىٰ في هدمها وإزالتها بعد أن أخذ عليها موافقة جماعة من فقهاء مكة ، وكتبوا له خطوطهم بذلك ، وكتب له بمثل ذلك غيرهم من علماء القاهرة(١). ولم يتجاسر أحد على فعل البدع المستحدثة في مكة حتى وفاته عام (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) ، حيث عادت البدع على ماكانت عليه(٢).

أما الأذان بحي على خير العمل ، فكان الابقاء عليه وتركه مرتبطاً بالعطاء المالي ، الذي يقدم لأمراء مكة في عصر الفاطميين ، فقد ذكر النجم أنه في عام (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) استغل أمير مكة انشغال الفاطميين بأنفسهم بعد القحط والغلاء الذي أصاب مصر ، فأرسل للسلطان السلجوقي عضد الدولة الب ارسلان يخبره بأنه خطب له بعد الخليفة العباسي ، وأنه ترك الأذان بحى على خير العمل ، فأرسل له السلطان ثلاثين ألف دينار ، وخلعة نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار(٣). وعندما قوى أمر الفاطميين ، وانقطع مايصل من السلطان السلجوقي بسبب موته ، عاد أمير مكة إلى الامتثال للفاطميين وخطب ودهم عام (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)(٤).

وظل المال هو محور الولاء والطاعة لأي جهة كانت!! حتى جاء المماليك وأصبح أمراء مكة في قبضة سلاطين المماليك ، ولم يعد لأمير مكة سوى السلطة التنفيذية فكتب السلطان الناصر عام (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) إلى أمير مكة بألا يمكنوا من الأذان بحى على خير العمل ، فكان مأأمر به(٥).

---

(١) ج٣ ، ص٥٢٧-٥٢٨ .
(٢) ج٣ ، ص٥٤٩-٥٥١ .
(٣) ج٢ ، ص٤٧٣ .
(٤) ج٣ ، ص١٣٧ .
(٥) ج٣ ، ص٤٧٧ .

وأورد النجم أخبار النزاع بين المذاهب في مكة ، ومما ذكره فى هذا الجانب : النزاع الذي حدث عام (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) بين أهل السنة والرافضة ، والذي مال فيه أمير مكة محمد بن أبى هاشم مع الروافض فأخذ فقيه الحرم وجماعة من أصحابه ، وضربهم ضرباً شديداً ، حتى مات بعضهم تحت الضرب(١). وقبل هذا التاريخ حاول أمير مكة أبو الفتوح بأمر من الحاكم الفاطمى ، النيل من أهل السنة بالانتقاص من الصحابة رضوان الله عليهم ، وذم بعض زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يمكن من ذلك لتصدي أهل السنة في مكة له(٢).

وذكر النجم أن الزيدية قد ابتدعوا أدعية يجهر بها إمامهم بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة المغرب (٣). وأنه قد وردت المراسيم عام (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) "بتطبيل مقام الزيدية والإنكار عليه ، فدخل أمير مكة عطيفة بن أبى نمي عند وصول المرسوم المسجد الحرام ، وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً ، وحصل بذلك للناس سرور عظيم"(٤). غير أن أمر الزيدية عاد في مكة ، وصار لهم مؤذن خاص ، ونصب لإمامهم منبرًا في الحرم يخطب عليه يوم العيد وغيره ، ويصلي بطائفته ويتجاهر بمذهبه(٥)وقوي أمرهم حتى أباحوا الدماء والأموال ، إلى عام (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) حيث عقد لكبير الزيدية مجلس لاستتابته ، وكتب خطه : "أنه يبرأ إلى الله عز وجل من اعتقاد أهل البدع من الزيدية والإمامية وغيرها ، وأنه يواظب على الجماعة ، وإن خرج عن ذلك جعل فيه ماتقتضيه الشريعة المطهرة" . كما استتيب إمام الزيدية في الحرم ، وأشهد المجلس الذي حضره أمير الركب وعامة أهل مكة وحجاج مصر ، أنه رجع عن مذهب الزيدية ، وتبرأ إلى الله من اباحة دماء الشافعية

---

(١) ج٢ ، ص٤٨٠ .
(٢) ج٢ ، ص٤٣١ .
(٣) ج٣ ، ص١٧٩-١٨٠ .
(٤) ج٣ ، ص١٨٤ .
(٥) ج٣ ، ص٢٦١-٢٦٢ .

وأموالهم ، وأنه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم . وإن خرج عن ذلك فعل به ماتقتضيه الشريعة ، وكتب خطه بذلك"(١).

وتقطر النفس ألماً وهي تقرأ أخبار الاختلاف الذي طال فريضة التوحد والعالمية للدين الإسلامي ، فقد أورد النجم الكثير من الأخبار التي تفيد أن الحجاج يقفون بعرفة مرتين للاختلاف في تعيين هذا اليوم بين أهل مكة وأمراء الركوب والحجاج ، ولاشك أن هذا من كبرى محاولات أعداء اللّٰه في تثبيت دعائم الفرقة بين المسلمين ، ومن اغواء الشيطان الذي زين لأعوانه المنكر . ومن تتبع أخبار الاختلاف هذه نجد أن أول خبر أورده النجم كان عام (٢١٨هـ/٨٣٣م) إذ يقول : "وضحى أهل مكة يوم الجمعة ، وأهل بغداد يوم السبت"(٢).

وقد وقف الناس بعرفة مرتين حسبما ورد في كتاب الإتحاف في السنوات التالية : (٦٨٠،٦٨٨،٦٩٢،٧٢٥،٧٥٧،٨١٢،٨١٧،٨٥٠،٨٥٩،٨٧٣، ٨٨٢) وعلق النجم على بعض هذه السنوات بعد ذكره لأوجه الخلاف بتعليقات تنم عن ألمه وصدق عقيدته كقوله : "وفاتتهم الفضيلة"(٣)، أو "ولم تطمئن قلوب غالب الناس بالوقوف يوم كذا ، واللّٰه أكرم من أن يرد هذا الوفد العظيم خائبين"(٤). أو نراه يستبشر برحمة اللّٰه فيقول : "وحصل لهم في اليوم الأول غيث اغتبطوا به"(٥). وإذا كان الاختلاف في يوم الجمعة يذكر أن المجالس تعقد لتحديد الوقفة ، ويورد قول بعض الجهلة الذين يعمدون إلى تقديم الجمعة على الرغم من رؤية الهلال بمكة فيقول :

---

(١) ج٣ ، ص٢٦٥-٢٦٦ .
(٢) ج٢ ، ص٢٨٩ .
(٣) ج٣ ، ص٥١٩ .
(٤) ج٤ ، ص٢٦١ .
(٥) ج٣ ، ص٢٧٠ .

"وكان من كلام الغرباء في غير المجلس : أن أهل مكة لايحبون وقفة الجمعة فإن الغلاء يعقبها عندهم ، بل ويغرم السلطان والقاضي الشافعي مالاً ، قاتلهم الله ، فإن هذا افتراء لايعرف" ، ثم يذيل على نهاية الخبر حين انفض المجلس الثاني ورسم بالوقوف مرتين بقوله : "فلاقوة إلا بالله العلى العظيم"(١).

وفي معرض عناية النجم بالأخبار الدينية تابع باهتمام شديد تاريخ عمارة المسجد الحرام وتوسعته طوال العصور الإسلامية ، وكذلك أعمال الصيانة والتجديد على الكعبة الشريفة أو أى ركن من أركان بيت الله الحرام(٢). وأخبار الهدايا الثمينة التي كانت ترسل لتزين بها الكعبة أو تحفظ داخلها(٣). وأخبار كسوة الكعبة ، ومايحدث لها من تغيير في نوع القماش أو صفته أو ألوانه ، ومايستحدث فيها من نقوش وكتابات(٤).

وأورد النجم أخبار الحوادث التي تعرض لها البيت الحرام والكعبة المشرفة ، كالحريق الذى شب فى الكعبة عام (٤٦هـ/٦٦٦م) وأدى إلى تداعي بنيانها ، واضطرار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه لهدمها وإعادة بنائها(٥)، وماطرأ على عمارة ابن الزبير من تغيير على يد الحجاج(٦) ،

---

(١) ج٤ ، ص٦٢٣ .

(٢) انظر ج٢ ، ص٨،١٩-٢٠،٧١-٧٥،١٧٣-١٧٦،٢٠٥،٢٠٦-٢١٢،٢١٤-٢١٥،٢١٧-٢١٩، ٢٤٦،٢٤٨،٢٩٠،٢٩١-٢٩٢،٣٠٢-٣٠٣،٣٠٤-٣٠٨،٣١٤-٣٢٠،٣٢١،٣٣٣-٣٣٤،٣٤٨- ٣٥٢،٣٥٣،٣٦٦ ؛ ج٣ ، ص٩٢،١٧٢،١٨٥،١٨٧،٢٠٣،٢٣٣،٢٧٤،٣٠٤-٣٠٥،٣١٢، ٣٢١-٣٢٢،٣٣٤،٤١٢،٤١٦،٤٤٢،٤٥٧،٤٨٧-٤٨٨،٥٠٠،٥٠١،٥٨٧،٥٩٧-٦٠٠،٦٣٧؛ ج٤ ، ص٤٦،٥٢،٦٧-٦٨،٨٢-٨٣،١١٩،١٤٩-١٥١،١٦٥،١٧٤،١٩٧،٢١٩-٢٢١،٢٤٤، ٢٧٣،٢٨٠-٢٨١،٢٩١،٣١٩،٤٨٦،٤٩٢-٤٩٣،٥٢٤،٥٢٧،٦٠١،٦٣٨ .

(٣) انظر ج٢ ، ص٢٧١-٢٧٨،٣٣٦،٣٣٧-٣٣٨ ؛ ج٣ ، ص١٦٠-١٦١،٤٠٧ .

(٤) انظر ج٢ ، ص٢٠٤-٢٠٥،٤٧٦،٥٥١ ؛ ج٣ ، ص٨٤،٨٧،٢٨٠،٣٥٧،٤٤٤،٤٥٩،٥٣٦، ٥٥١،٥٦١،٥٩٦ ؛ ج٤ ، ص١٧٤،٢١٩،٢٣٨،٣٠٧،٣١٧،١٢٠-٤٢١،٤٣٢،٤٥٥،٦٣٨ .

(٥) ج٢ ، ص٦١-٧٧ .

(٦) ج٢ ، ص١٠٣-١٠٤ .

وكالحريق الذي أصاب الجانب الغربي ، وبعض أجزاء من الجانب الشامي من المسجد الحرام عام (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) ، والجهود السريعة لاعادة العمارة[١]، وتابع أيضا الأضرار التي تلحق كافة أجزاء المسجد الحرام من جراء السيول ، والجهود المبذولة لصون المسجد والمحافظة عليه[٢].

والحق أن النجم قد أولى تلك الموضوعات - خاصة في عصره - جل عنايته ، وقلما تخلو سنة من السنوات دون أن يشير إلى التحسينات والإضافات التي أجريت في المسجد الحرام ، ويتابع أعمال الصيانة مبيناً السبب الذي استدعى ذلك ، وكيف كان ، وكيف أصبح ، ويحدد الوقت واليوم والشهر الذي تم فيه ذلك ، كما يصف بدقة مواد البناء المستخدمة ، والجهة التي صدرتها . والدارس لتاريخ عمارة المسجد الحرام لن يوف موضوعه حقه من البيان والتوضيح إذا لم يطلع على ماكتبه النجم خاصة في عصره . فهو المصدر الأساسي لها ، وكل من جاء بعده عالة عليه في النقل والأخذ .

وأورد النجم معلومات تتصل بأخبار العمارة في المشاعر المقدسة ، وتمهيد طريقها[٣]، والمساجد فيها وفي مكة كمسجد الخيف بمنى[٤]، ومسجد البيعة بقرب العقبة التي بحد منى من جهة مكة[٥]، ومسجد آخر بمنى بين الجمرة الأولى والوسطى على طريق الصاعد إلى عرفة ، يقال : أن النبى صلى اللّـه عليه وسلم صلى فيه الضحى ، ونحر هديه عنده[٦]. ومسجد الهليلجة

---

(١) ج ٣ ، ص٤٢٠،٤٢٣-٤٢٤،٤٣٠ .

(٢) انظر ج ٢ ، ص٨،١٠٩-١١٠،٣٣٨،٣٣٩-٣٤٠ ؛ ج ٣ ، ص٨٦،١٠٠،٢١٢-٢١٣،٢٣٤، ٤١٩-٤٢٠،٥٨٨-٥٩٠،٦٠٧ ؛ ج ٤ ، ص٦٩-٧٠،١١٦-١١٧،٣٥٠،٣٧٠،٤١٦،٤١٩،٤٤٢-٤٤٣،٥٤٠،٥٦٦،٦٣٤ .

(٣) انظر ج ٣ ، ص٨،٢٦،٣٧،٢٧٩ ؛ ج ٤ ، ص١٦٥،٥١٥ .

(٤) انظر ج ٣ ، ص١٧٢ ؛ ج ٤ ، ص٥٠٩-٥١٣ .

(٥) ج ٣ ، ص٣٨ .

(٦) ج ٣ ، ص٦٦ .

بالتنعيم ؛ وهو المسجد الذي اعتمرت منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عام حجها مع النبى صلى الله عليه وسلم (١)، ومسجد الإجابة في شعب بقرب ثنية أذاخر ؛ وهو مسجد مشهور يقال : أن النبي صلى اللـه عليه وسلم صلى فيه (٢). ومسجد الراية : وهو من المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣). ومسجد نمرة بعرفة (٤)..الخ . وقد حرص النجم ماأمكن على تحديد الموقع ، وتاريخ العمارة ، والقائم بها .

أخبار الأوقاف :

أولى النجم الأوقاف اهتماماً كبيراً ، غير أن من الملفت في عرضه لها حرصه على إيراد الإشارات المنبهة إلى ماآل إليه بعضها ، أو ماطرأ عليها من مستجدات ، ذلك أن كثيراً من الأوقاف قد تم الاستيلاء عليها ، وصودرت منافعها . فرباط المراغي (٥)أصبح يعرف في عصر النجم ببيت القيلانى (٦)، ثم ببيت الشريفة شمسية بنت عجلان لسكناها به بعد القيلانى (٧). ورباط ابنه الأمير أبى ليلى (٨)، أصبح يعرف ببيت محمود (٩). ورباط أبى

---

(١) ج٢ ، ص٤٧٥ ؛ ج٣ ، ص٣٦،٦٤ .

(٢) ج٣ ، ص١٧٢ ؛ ج٤ ، ص١٩-٢٠ .

(٣) ج٣ ، ص٥٩،٤١٦ .

(٤) ج٤ ، ص٢٨٧،٥١٣-٥١٥ .

(٥) أنشأه القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي عام ٥٧٥هـ على باب الجنائز ، وأوقفه على الصوفية الواصلين إلى مكة من العرب والعجم .
(الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٠) .

(٦) ج٢ ، ص٥٤٣-٥٤٣ .

(٧) ج٤ ، ص٦١٢ .

(٨) أنشأته الأميرة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى محمد بن أنوشروان عام ٥٧٧هـ ، وأوقفته على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم .
(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣١) .

(٩) ج٢ ، ص٥٤٤ .

سماحة (١)، صار بيتاً للشريف ابن عين الغزال المصري (٢). ورباط أم الخليفة (٣): أصبح سكناً لأمير مكة عطيفة بن أبي نمي (٤). ورباط الملك العادل (٥)، أضحى منزلا لعلى بن يوسف البزاز (٦). ورباط الأمير شجاع الدين الطغتكين (٧)، صار بيتًا لشمس الدين الأنصاري (٨)، على الرغم من وجود النقش على باب الرباط والذي يفيد وقفه على الفقراء المسلمين (٩). ومدرسة الأمير عثمان الزنجبيلي (١٠)، صارت تعرف بدار السلسلة ، وهي

---

(١) أوقفه الأمير قايماز بن عبد الله السلطاني السلجوقي عام ٥٧٨هـ على المجاورين والمقيمين والمنقطعين من أصحاب الإمام أبي حنيفة ، ثم عرف برباط أبي سماحة لسكناه به .

(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣٣) .

(٢) ج٤ ، ص١١٣-١١٤ .

(٣) أنشأته أم الخليفة الناصر لدين الله زمردة خاتون عام ٥٧٩هـ ، وأوقفته على الفقراء الصوفية ويعرف بالعطيفية لأن الأمير عطيفة كان يسكنه .

(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣١) .

(٤) ج٢ ، ص٥٥٢ ؛ ج٣ ، ص٢٠٦ .

(٥) أنشأه الملك العادل بهاء الدين محمد بن أبي على سنة ٦٠٠هـ ، وأوقفه على الصوفية الرجال العرب والعجم ، واشترط أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لاغير سواء كانوا مجاورين أو مجتازين .

(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٣٦) .

(٦) ج٢ ، ص٥٧٠-٥٧١ .

(٧) أنشأه أمير الحاج والحرمين شجاع الدين أبو بكر بن عمر بن محمد الطغتكين الملكي الكاملي عام ٦٢٨هـ ، وأوقفه على الفقراء والغرباء ، واشترط ألا تؤجر بيوته ، ولاتعار لغير أهله المشروط لهم سكناه ، ولاينزل فيها نزل ، ولايسكن فيها إلا على الوجه المشروط .

(النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٧٩ب) .

(٨) ج٣ ، ص٤٨-٤٩ .

(٩) النجم ابن فهد : الدر الكمين ، نفس الورقة .

(١٠) أنشأها الأمير عثمان بن على الزنجبيلي ، متولي أمر عدن أبان ازدهارها التجاري ، فر إلى مكة زمن الأيوبيين ، وله بها مآثر حسنة وأوقاف منها هذه المدرسة التي أوقفها على الحنفية عام ٥٧٩هـ ، ورباط مقابل لها يعرف برباط الهنود .

(انظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٦ ، ص٣٤-٣٥) .

بأيدى بعض الأشراف من أولاد أمير مكة[١]. ومدرسة طاب الزمان[٢]، صارت تعرف بدار زبيدة[٣]. ومدرسة أبى على بن أبى زكريا[٤]، صارت بيتاً لورثة اسماعيل الزمزمي[٥]، ومدرسة الأمير أرغون[٦]الناصري ، استولى عليها الأشراف أبناء راجح بن أبى نمي وباعوها عام (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)[٧]. والقاضي الشافعي استولى على بعض الأوقاف بإذن من الدولة المكية"!![٨]

والواقع أن الاستيلاء على الأوقاف من الصفات التي ذم بها الفاسي عصره قبل مؤرخنا فقال : "وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها"[٩].

وعلى مايبدو فإن السبب فيما آلت إليه هذه الأوقاف يعود إلى عدة عوامل :

أولا : عدم وقف المنافع التي تؤمن استمرار صيانتها والانتفاع بها ، ودفع مرتبات علمائها وفقهائها بالنسبة للمدارس .

---

(١) ج٣ ، ص٥٤٩ .

(٢) أنشأتها طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة العباسى المستضىء عام ٥٨٠هـ وأوقفتها على فقهاء الشافعية .
(انظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٨ ، ص٢٦١-٢٦٢) .

(٣) ج٣ ، ص٥٥٣ .

(٤) أنشأها أبو على بن أبى زكريا عام ٦٣٥هـ ، في الجانب اليمانى من المسجد الحرام .
(الفاسي : شفاء الغرام ، نفس الجزء ، ص٣٣٠) .

(٥) ج٣ ، ص٥٤ .

(٦) لايعرف واقفها ، ولاتاريخ انشائها ، وتقع على الجانب الشامي من المسجد الحرام ، وتنسب للأمير ارغون لأنه عمل فيها درساً للحنفية ، قبل عام ٧٢٠هـ أو بعدها بيسير .
(الفاسي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٨) .

(٧) ج٤ ، ص٥٩ .

(٨) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢١ب .

(٩) شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٧ .

ثانيا : اهمال أمراء مكة لهذا المرفق ، وعدم تعهده أو المساهمة فيه . والتاريخ يشهد بأنه ليس لهم إلى عصر مؤرخنا أي عناية أو اهتمام بمثل هذه المصالح العامة ، ولم يوقف أى منهم أى مشروع خيري عدىٰ السيد حسن بن عجلان نائب السلطنة في بلاد الحجاز(١)، فقد أولى هذا الجانب المهم والحيوي الكثير من عنايته ، فأوقف الأوقاف ، وأقام عليها المنافع لضمان استمراريتها ، وأوقف منافع أخرىٰ على العديد من الأربطة القديمة بمكة ، وتطوع بمبلغ من المال لإعادة عمارة رباط رامشت(٢)، بعد تعرضه للحريق عام (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) "ومايعلم فعل هذه المناقب الحسنة لغيره من ولاة مكة"(٣).

ثالثا : الشبهة التي يمكن أن تلحق متولى هذه الأوقاف . ففى عصر مؤرخنا أصبحت وظائف النظر حتى نظر المسجد الحرام ومشيخته "من وظائف

---

(١) أنشأ السيد حسن عام ٨٠٣هـ رباطاً ومدرسة ، وأوقف عليها أوقافاً بمكة ومنى والوادى ، كما أوقف عام ٨٠٩هـ عدة وجاب بالهنية والعقيق والفتيح والريان ، بعضها على رباطه ، وبعضها على رباط ربيع ، ورباط الموفق ، ورباط العز ، ورباط العباس ، واستأجر عام ٨١٥هـ البيمارستان المستنصري وعمره وزاد فيه وأوقفه عام ٨١٦هـ ، وفي نفس العام أنشأ رباطا آخر ملاصقاً لداره ، وقد اتسمت فترة ولايته بالاستقرار النسبي ، وازدهار التجارة ، توفى عام ٨٢٩هـ .
(الفاسي : العقد الثمين ، ج٤ ، ص٨٦-١٥٥) .
ويبدو أن السيد حسن قد ورث بنيه فعل هذه المنقبة ، فقد استأجر ابنه بركات أحد الأربطة القديمة ، وعمره سنة وفاته ، وأوقف منافعه على الفقراء ، واشترى المدره المعروفة بالنعيرية خارج أسفل مكة ، وسبلها ، وجدد بئرين بوادي الآبار عام ٨٤٢هـ .
(العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص٤٥٤) .

(٢) أنشأه أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي عام ٥٢٩هـ ، ويقع عند باب الحزورة وأوقفه على جميع الصوفية الرجال والنساء من سائر العراق .
(الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٢) .

(٣) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ العقد الثمين ، ج٤ ، ص٩٦ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٤٢٣ .

الاشباع "[١]ومايؤيد ذلك أن الأوقاف صارت تستأجر مع وجود أوقافها[٢]. وقد يشمل الإيجار بعض الوقف أو كله[٣]، وتلحق الشبهة متولى نظر الأوقاف في مصر لأن العديد من الأوقاف التي ينشئها المماليك يكون نظرها في القاهرة ، ويأتي أمر استئجارها من هناك[٤]، وكان أعيان المماليك يستأجرون الأوقاف في مكة بمبالغ يسيرة ، وأحياناً يأخذونها بدون مقابل بالتهديد ، وباستخدام نفوذهم وصلاتهم القوية بالسلاطين وبالقضاة ، ولايتورع هؤلاء في سبيل الوصول إلى غاياتهم من التعدي قهراً على الأملاك ورمي من يقف في طريقهم بالكفر ، والارتداد عن الدين - والعياذ بالله - واثبات ذلك عند القضاء لتمكينهم من اغتصاب الدار أو الوقف[٥].

ولو نظرنا إلى بعض الأوقاف نجد أن التصرف فيها وتأجيرها يكون من قبل القضاة دون الرجوع إلى ناظر الوقف ، وبدون وجه حق كما يشير النجم!![٦]أما الأوقاف التي تعطلت مصالحها لخرابها فإنها تؤجر من قبل القاضي الشافعي بمكة[٧]. وأوضح النجم أن علماء الحجاز قد أفتوا بجواز استئجار الوقف المتهدم ، وإعادة بنائه من قبل مستأجره[٨]، وأن الأخبار وردت من القاهرة برد فتاوى العلماء ، ومنع الاستئجار ، والاستعاضة عنه بالاستبدال[٩]. ومع ذلك لانجد تطبيق سياسة المنع والاستبدال على سائر الأوقاف المؤجرة!!! ولكننا نستشف إدراك النجم لمدى خطورة استغلال الأوقاف والتصرف فيها .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٨٨ .
(٢) ج٤ ، ص٤٣٣ .
(٣) ج٤ ، ص٥٢٥ .
(٤) ج٤ ، ص٥٢٧ .
(٥) ج٤ ، ص٥٥٦-٥٥٧ .
(٦) ج٤ ، ص٥٥٥ .
(٧) انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق٢١ب .
(٨) ج٤ ، ص٢٩٩ .
(٩) ج٤ ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

ولم يقتصر استئجار الأوقاف في زمن النجم على المنافع الخاصة ، بل شمل أيضاً المنافع العامة ، ففي عام (٨١٥هـ/١٤١٢م) استؤجر البيمارستان المستنصري[(١)] الذي أوقف عام (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)[(٢)]، لمدة معلومة ، على أن تصرف هذه الأجرة على عمارته ، وأوضح النجم أن جواز وقف المنافع يوافق رأي بعض متأخري المالكية ، في حين أن بعضهم يمنع ذلك وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله[(٣)]، وقد صنف الفاسي البعض من فقهاء المالكية ممن يوافق المذاهب الأخرى ، ولايرى جواز الوقف هنا بالمعتبرين من علماء المذهب[(٤)].

وأثار النجم في تناوله لأخبار الأوقاف موضوعاً كان له صدارة في عصره وهو موضوع صيرورة الأوقاف القديمة للسلطان المملوكي بوجه شرعي ، حيث قام السلطان قايتباي[(٥)]باستبدال عدد من الأربطة القديمة ، نظراً لخرابها ، ودفع ثمن الاستبدال ثم هدمها ، وأقام مكانها عدداً من المشروعات الخيرية ، وأوقفها ، ونلمس من تعليق النجم على مدى صحة الاستبدال بهذه الصورة ثقافته الدينية فهو يقول : "والوجه الشرعي الذي ذكر لنا أن في مذهب المالكية : أن مكة فتحت عنوة ، ولم تقسم ، ولم يمن

---

(١) نسبة للخليفة العباسي المستنصر بالله أبو جعفر عبد الله بن الطاهر محمد ، كان ملكاً عادلاً حازماً ، حسن السياسة ، محباً للعلم وأهله . اختلف في تاريخ وفاته بين عام ٦٣٨هـ وعام ٦٣٩هـ وعام ٦٤٠هـ .
(انظر ابن دقماق : نفس المصدر ، ص١٧٤-١٧٥) .

(٢) انظر ج٣ ، ص٤٩ .

(٣) انظر ج٣ ، ص٤٩٦،٥٠٧-٥٠٨ .

(٤) انظر شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٧ .

(٥) من أبرز سلاطين المماليك الجراكسة ، حكم مدة طويلة بلغت تسع وعشرين عاماً ، كان وافر العقل ، سديد الرأي ، ماهراً في ميدان الحرب ، توفي عام ٩٠١هـ . عن مآثره في الحجاز (انظر السمهودي : وفاء الوفاء ، ص٦١٣ ؛ مؤلف مجهول : الجامع ، ص٦٥-٦٩) .

بها فيرى فيها السلطان رأيه ، فأخذه بهذا الوجه بعد أن استفتى المالكية ، فأفتوا بذلك"(١)ولعل النجم كان يتوقع من السلطان - باعتباره ولي أمر المسلمين وصاحب السيادة على مكة وله الخطبة فيها - أن يتصدق بإعادة إعمار هذه الأوقاف التي صارت خرابًا ، وأن يقيم عليها مايؤمن بقاء منافعها وأن يقيم أوقافا أخرىٰ في أماكن أخرى من مكة ، لاأن يستبدل الأوقاف القديمة ، ويقيم مكانها أوقافا خاصة به!!

وفيما يتصل بالأوقاف أيضا نجد النجم وحده يختص بإيراد نصين لوقفين في مكة .

أحدهما : نص وقف البيمارستان المستنصرى الذي ملكه السيد حسن أمير مكة عام (٨١٥هـ/١٤١٢م) ، واستحق منافعه بطريق استئجاره الشرعي ، وأوقفه عام (٨١٦هـ/١٤١٣م) مدة تسع وتسعين عاماً وسبعة وعشرين يوماً متوالية ، على الفقراء والمساكين والمنقطعين المرضى والمجاورين يأوون فيه ، ويؤوون إليه علواً وسفلاً ، وينتفعون بالإقامة فيه ، والارتفاق به ، انتفاع مثلهم بمثله ، لايزعج أحد منهم ولايخرج منه بغير اختياره إلا بعد حصول العافية له والشفاء ، فإذا خلا البيمارستان المذكور منهم ، وصار خالياً كان الانتفاع به للفقراء والمساكين من المسلمين ، فإن عاد الضعفاء والطرحاء ؛ عاد الانتفاع لهم كما كان يجرى الحال في ذلك كذلك وجودًا وعدماً المدة المذكورة . وجعل النظر فيه لولديه بركات وأحمد ؛ ينفردان بذلك مدة حياتهما ، لايشركهما فيه شريك ، لايتأول فيه متأول ، ويتصرفان في ذلك مجتمعين ومفترقين ، ومن بعدهما للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور منهم دون الاناث من ولد الظهر دون البطن ، وثبت ذلك ؛ وحكم بصحته القاضي رضي الدين أبو حامد ابن الشريف عبد الرحمن الفاسي المالكي ،

---

(١) ج ٤ ، ص٦١٩-٦٢٠ .

في يوم الجمعة عاشر صفر"(١)من عام الوقف المذكور .

أما الآخر : فهو خاص بوقف رباط عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) ونصه كما يلي : "في يوم السبت خامس رجب أوقف الخواجا بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم الطاهر(٢)، جميع ماتملكه من منافع الرباط الوقف الكائن بمكة المشرفة بجوار المسجد الحرام عند باب سويقة ـ أحد أبواب المسجد الحرام ـ المعروف بعمارته وانشائه ، الجاري بيده وتصرفه حين صدور هذا الوقف ، واستحق منافعه بطريق استئجاره الشرعي مدة خمسة وتسعين سنة ـ بتقديم التاء على السين ـ وعشرة أشهر وعشرين يوماً متوالية الليالي والأيام والشهور والأعوام ، أولها خامس رجب ، على الفقراء والمساكين الغرباء المتعطلين ، الرجال دون النساء الذين لاسكن لهم ، ولايقدرون على أجرة مسكن ، وليس لأحدهم بيت في رباط ، وألا يكون أمرد يسكن به ، ويقيمون فيه قوما بعد قوم ، على أنه من سبق واحد منهم إلى سكنى بيت من هذا الرباط كان أولى به وأحق من غيره ، وليس لغيره أن يخرجه ، ولايسكن معه فيه ، ومن سافر منهم إلى المدينة فعاد فيما دون ستة أشهر ، كان أحق به من غيره وأولى ، ولايخرج عنه ، ومن سافر منهم سفراً يزيد

---

(١) ج٣ ، ص٥٠٧-٥٠٨ .

والقاضي المذكور هو : ابن عم تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة وقاضيها ، وقد ناب عنه وعن غيره في القضاء ، ثم ساءت العلاقة بينهما بسبب حرصه على تولية منصب قضاء المالكية . توفى عام ٨٢٤هـ .

(انظر الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص١١٥-١١٨) .

(٢) من كبار التجار اليمنيين سكن مكة واستوطنها ؛ وعمر بها دوراً ، واستأجر الرباط المذكور وأوقف منافعه على الفقراء ، وعمر أماكن كثيرة ، من عين حنين وسبيلا في داره ، ولى نظر المسجد الحرام وعزل ، وولى شد جدة ، واتصف بالصدق والمروءة ، والمعرفة العميقة بأمور الدنيا والتجارة ؛ حتى صار كبير التجار بمكة . توفى عام ٨٧١هـ .

(انظر النجم ابن فهد : الدر الكمين ، ق١٠٣ب-١٠٤أ) .

على ستة أشهر وأكثر كان لغيره من الفقراء المتصفين بالصفة المذكورة السكن فيه اسوة بأمثاله ، يجري الحال في ذلك لتلك المدة المذكورة ، وأوقف على مصالحه منافع العزلة "الدار أو العمارة" الكائنة على يمين الداخل من باب الرباط المذكور ، والدكان "الحانوت" والمخزن اللذين تحت هذه العزلة ، المدة التي يستحقها ، وهي خمسة وتسعون سنة وعشرة أشهر ، وعشرون يومًا . وجعل النظر في لولده عمر منفردًا ، ثم من بعده للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور منهم والاناث من ولد الظهر دون البطن ، فإن تعذر ذلك كان النظر في ذلك للأعلم الأصلح من أهل الحرم الشريف المكي ، وثبت ذلك عند قاضي المالكية بمكة المشرفة محي الدين عبد القادر بن أبى القاسم بن أبى العباس بن عبد المعطي الأنصاري(١)، في يوم الأربعاء تاسع رجب من هذه السنة"(٢).

ومما سبق يتضح أن ملاحظات النجم وتهميشاته على جانب كبير من الأهمية ، وأنها منبثقة من روح الاستقصاء والبحث ، ومن واقع الرؤية الصحيحة لمسرح الأحداث التاريخية الحقيقي ، ومن فهم صحيح لمباديء الشريعة الإسلامية التي حفظت للفرد كرامته ، وحثت على التكافل وتقديم المصالح العامة .

الأخبار المتفرقة :

علاوة على تلك الموضوعات التي أولاها النجم عنايته ، أعار مؤرخنا أخبار المياه وتوفيرها في مكة جانبًا كبيرًا من اهتمامه ، ولاريب ... فمكة بواد غير ذي زرع ، وبأرض صحراوية جافة المناخ ، وحاجة سكانها وحجاج بيت الله للماء لايعدلها شيء سوى الحاجة للأمن . لذلك اعتبر

---

(١) تولىٰ قضاء المالكية ، وتصدىٰ للتدريس والإفادة ، فانتفع به أهل مكة والقادمين إليها ، وكان متوغلاً في العربية ، حافظاً لكثير من المتون والتاريخ ، وله العديد من المصنفات .

(انظر النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المطبوع ، ص٣٦٤) .

(٢) ج٤ ، ص١٥١-١٥٣ .

كثير من المحسنين رجالا ونساء حفر العيون والأبار ، وانشاء البرك والسبل من أعظم القرب ، وأوقفوا عليها الأوقاف ، وتنافسوا في اقامة هذه المشاريع الخيرة(١).

وتأتي في نطاق اهتمامات النجم العديد من الأخبار المتفرقة مثل الظواهر الطبيعية كالأمطار والسيول ، وآثار الصواعق ، والرياح الشديدة(٢)، وخسوف القمر(٣)، وكسوف الشمس(٤)، وأشار مرة واحدة إلى فيضان بئر زمزم ، وغرق أركان البيت الحرام عام (٢٩٧هـ/١٩٠٩م) ، وعلق على الخبر نقلاً عن الفاسي : بأن ذلك "لم يعهد فيما سلف من الزمان"(٥). وأشار أيضا مرة واحدة لزلزال حدث في مكة تضعضع على أثره الركن اليماني ، وانهدم جزء منه ، ولم يزد على ذلك(٦).

ووقع مؤرخنا تحت تأثير مؤرخي عصره ، ومن سبقوه في تسجيل الحوادث الغريبة ، وقد يطيل أحياناً في وصفها ، مثل طواف جمل بالبيت الحرام ، ثلاثة أسباع كاملة ، ثم تقبيله الحجر الأسود ، وبكائه ساعة ، وموته في الحرم(٧)!! أو خبراً قريباً منه لطائر غريب(٨). وقصة تلبس الجان

---

(١) انظر ج٢ ، ص٢٤٨-٢٤٩،٢٨٤-٢٨٥،٣٦٣ ؛ ج٣ ، ص٦،٨،٣٧،٤٤،٥٠،٦٠،٦٤،٦٩، ١٨١-١٨٢،٢٢٩،٢٣٥،٢٣٧،٢٤٣،٢٥٨،٣٣٤،٣٤٠،٣٤١،٣٧٨،٤٠٩،٤١٦،٥٢٢،٥٣٧،٥٦٠ ج٤ ، ص١٨-١٩،٢٢،٣٢،٦٠،٦٢-٦٣،١١٦،١٣١،١٣٥،١٩٥،١٩٧،٢٣٩،٢٤٤،٢٧٤،٢٨١، ٢٨٧،٤٦٧،٥٠٩،٥١٥،٥٢٤،٥٢٦ .

(٢) ج٢ ، ص١٥٤،٢٣٣،٥١٤ ؛ ج٣ ، ص٢٠٠،٢٤٣،٥٨٨-٥٩٠ ؛ ج٤ ، ص٢٣٩،٣٥٠، ٥٣٩٣٦١،٦٣٤،٦٥٥ .

(٣) ج٣ ، ص٥٨٢ ؛ ج٤ ، ص٢٣٩،٢٩٤،٣٠٥،٣١٨،٣٤٥،٥٣٠،٥٧٨ .

(٤) ج٢ ، ص١٤٧ ؛ ج٤ ، ص٢٧٧،٤٤٢ .

(٥) ج٢ ، ص٣٦١ .

(٦) ج٢ ، ص٤٩٧-٤٩٨ .

(٧) ج٣ ، ص٤٩٥ .

(٨) ج٢ ، ص٢٩٤-٢٩٦ .

بأحد الحفارين عند حفر عين عرفة ، وصرعه ، وحديث الجان على لسان المصروع بأنهم لن يسمحوا بجريان الماء حتى يعطوهم حقهم(١)!!.الخ وغير ذلك من الأمور العجيبة(٢).

تحقيق الكتاب :

سبق وأن أشرنا أن كتاب "إتحاف الورى" من مطبوعات معهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى ، وهو ضمن الجهود الضخمة التي يبذلها المعهد لاخراج النفائس الثرية من تراثنا الخالد الذي لايقدر بثمن ، واهتمام المعهد بطباعة كتب التاريخ الإسلامي ، وبالأخص الكتب التي تُعنىٰ بتاريخ مكة المكرمة يعد عملاً عملاقاً وجباراً ، ويستحق الثناء العاطر ، ذلك أن دراسة هذه الكتب والتمعن في تاريخنا من خلالها يؤكد أن المحن التي مر بها الحجاز لقرون عديدة أوجدت وعياً تاريخياً لدىٰ مؤرخي الحجاز فنهضوا لكتابة تاريخهم والاشهاد عليه ليكون عبرة لمن جاء بعدهم .

ولعل المعهد كان على قناعة بأن الهدف الذي كرس له جهده ، سيقود دون شك إلى تحقيق الهدف الثاني : وهو تعجيل النهضة العلمية ، والارتقاء بمستوي الطموحات وفق المنهج الرباني الداعي إلى البناء والتعمير ، لاإلى الهدم والتدمير {وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَىٰ اَللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ}(٣).

ومن الواضح أن هذا الكتاب القيم قد حقق وأخرج بعناية وجهد كبيرين . إلا أن هناك ملاحظات على التحقيق بعضها منهجي ، والآخر لايعدو كونه اجتهاد مني أحببت أن أساهم من خلاله في تجلية بعض

---

(١) ج٣ ، ص١٨٢-١٨٤ .
(٢) ج٣ ، ص١٩١-١٩٣،٢٦٤،١١٩،٣٨١،٦٤٤ .
(٣) سورة التوبة : آية ١٠٥

الموضوعات ، فإن أصبت فهو بعون الله ، وإن جانبت الصواب في تحليلي ، فألتمس العذر من أهل العلم والمعرفة ، وحسبي أني اجتهدت .

طبع كتاب الإتحاف في أربعة أجزاء ، ساهم في تحقيقها باحثين على النحو التالي : حقق الأجزاء الثلاثة الأولى : فهيم محمد شلتوت ، أما الجزء الرابع فهو من تحقيق : عبد الكريم على باز .

ولعل من المستحسن اجمال بعض ملاحظاتنا في كل منهما على حده كما يلى :

الأجزاء الثلاثة الأولى :

ـ أول مايستلفت النظر هو عدم وجود دراسة للنسخ التي اعتمدت في التحقيق ، وإن كان المحقق هنا قد ذكر المخطوطات التي اعتمدها إلا أنه لم يقم بتقديم عرض لها ، واكتفىٰ بالإشارة إلى عدد النسخ ، وبيان مكان كل نسخة ورقمها ورمزها فقط . واقتصار المحقق بهذا القدر من التعريف بالنسخ لايعين الدارس على اعطاء فكرة عنها ، وهذا في حد ذاته قصور منهجي .

ـ تجشم المحقق عناء البحث عن مصادر مادة النجم في المواضع التي لم يشر فيها إلى موارده ، في حين أن مصدره الأساسي في تلك الأجزاء هو : كتابا العقد الثمين ، وشفاء الغرام . وقد صرح بذلك في مقدمته ، وبين أنه أفرد المادة التي كتبها الفاسي في المؤلفين المذكورين ورتبها على السنين . وعليه فمن أراد توثيق تلك المادة أمكنه ذلك بالرجوع إلى كتابي الفاسي ، وهي مادة موثقة توثيقاً دقيقاً هناك(١).

---

(١) قد يلاحظ المدقق في الأجزاء الثلاثة الأولى لكتاب الإتحاف أن النجم لم يشر أبداً إلى مواضع نقوله من الكتابين المذكورين ، أما في حالة النقل عن غيرهما فإنه يصرح بذكر مصدره ، ولعل السر في ذلك يعود لضخامة المادة المنقولة عن =

وإذا كـان المحقق قد حاول توثيـق تلك المادة بمصـادر أخرى لايمكننـا القطـع بأنها مصادر النجم الأصليـة ، إلا أننا لانفهم مـايقصده بقوله : "ومن معـالم منهجنـا في تحقيق هذا الكتـاب : أننـا تتبعنا مـاورد به فـوثقناه جزئيـة جزئية ، مستهدين بالمراجع الواردة ضمن الفهارس"(١). فالملاحظ أنه لاتوجد فهـارس خاصة بالمراجع في جميـع الأجزاء الثلاثة التي قـام بتحقيقهـا!! ولعل هذا مأأوقعنا في الحيرة بخصـوص قصـده هنا ، فهل يقصـد هنـا الهوامش التي أثبتهـا في الصفحـات؟! أو أن هنـاك فهـارس للنجم أو لغيره اعتمـد عليهـا!! فضلاً عن أن عدم وجود قائمة المصادر والمراجع يشكل عبئاً للقاريء الباحث لأن المحقق قد أورد هوامشه في الغالب منسوبة لأسماء الكتب وحدها ؛ دون أسماء المؤلفين . وهي طريقة لاتتناسب مع منهجية البحث العلمي .

وعلى كل فالملاحظ أن المحقق بذل جهدًا كبيرًا في توثيـق المادة ، وقد مكنـه الاطلاع على مصادر التـوثيق من اجراء بعض المقـابلات ، أو تصحيـح بعض الأخطاء والتصحيفات التي وقعت في المتن .

ـ اعتنـاء المحقق بتوثيق جزئيات المادة التي لم يشـر النجم إلى مصادره فيهـا جعلـه يهمل بعض الجوانب الأسـاسية في التحقيـق ، ومـن ذلك مثلاً : التعـريف بالأعلام والمواقع والقبـائل الـواردة في المتن ، فـالملاحظ أنه لم يستـوعبهم ؛ حيـث قام بالتعـريف ببعضهـم ، في حين أن مـن أهملهـم أكثر بكثير ممن عرف بهم .

= الفـاسي ، فهي تشكل جل تلك الأجزاء ، وقد كان دور النجـم فيها إعادة هيكلة للمادة حسب المنهج الجديد الذي اختطه . ولهذا اكتفى النجم بالتصريح عن أصل مادته في المقدمة ، ولم يوثق كل جزئية بالرجوع إلى ذلك الأصل .
ومـايؤكد قصد النجم هذا هو أنه أول مرة يصرح فيها برجوعـه إلى الفاسى كان في الجزء الـرابع ، صفحـة أربع وستين ، وتوثيقـه هنـا جاء على أسـاس الـربط التاريخي بين ماضي الخبر وحاضره . وهذا الجزء يخرج عـن دائرة مؤلفات الفاسي إذ أنه كتب بعد موته ، في الفترة التي عاصرها نجمنا .

(١) انظر مقدمة المحقق ، ج١ ، ص١٩ .

ـ هناك بعض الأخطاء المطبعية وقعت في المتن أو الهامش منها على سبيل المثال : (سيفه)[١] والصحيح (سنيه) و(عبد الهاوى)[٢] والصحيح (عبد الهادى) و(المسعود)[٣] والصحيح (المسعودى) و(لنبى)[٤] والصحيح (لنبي) و(اقتتحوها)[٥] والصحيح (افتتحوها) و(الملسمين)[٦] والصحيح (المسلمين) و(الخسب)[٧] والصحيح (الخشب) و(القاتل)[٨] والصحيح (القائل) و(مر الظهرانى)[٩] والصحيح (مر الظهران) .

ـ بعض الهوامش لاتأخذ مكانها الصحيح ، فقد يأتي ضمن هوامش احدى السنوات هامش لايمت بصلة لأخبار السنة نفسها ، وإنما يخص السنة التي تليها ، ويعاد ذكره في مكانه السليم ضمن هوامش السنة التالية[١٠].

ـ تهميشه في الجزء (٢) ، صفحة (٨٧) ناقص ، فعبارة النجم تحتاج إلى بيان وتعريف حيث يقول في حوادث عام ٧٠هـ : "فيها شخص مصعب إلى مكة في قول بعضهم" . ولم يزد على ذلك . والمحقق علق في الهامش على المصدر "بعضهم" فقال : "نسبه الطبري إلى محمد بن عمرو ، وأورده ضمن أخبار سنة سبعين" . في حين أن القاريء يستوقفه أيضا اسم مصعب ، وكان من المستحسن لو عرفه المحقق ، وذكر أنه مصعب بن الزبير ، لأن النجم لم

---

(١) ج٢ ، ص٤ ، هـ(٣) .
(٢) ج٢ ، ص١٤٤ ، هـ(٢) .
(٣) ج٢ ، ص١٥٧ .
(٤) ج٢ ، ص١٦٩ .
(٥) ج٢ ، ص٢٧٤ .
(٦) ج٢ ، ص٢٧٥ .
(٧) ج٢ ، ص٢٩٢ .
(٨) ج٢ ، ص٢٩٦ .
(٩) ج٣ ، ص١٢٦ .
(١٠) انظر ج٣ ، ص٨٦-٨٧ .
(١١) وانظر من أمثلة القصور في التهميش ج٣ ، ص٢٤٢ ، هـ(٣) ، ٢٤٤ ، هـ(٤) .

يحدد من هو مصعب؟! فكان بحاجة إلى بيان خاصة وأنه لم يذكر مصعب بن الزبير في السنوات السابقة ، وإنما ورد اسمه ولقبه بعد ذلك ، في أخبار السنة الثالثة والسبعين ، وعليه فإن التنويه عن ذلك مهم جدًا في نظر القاريء .

- في الجزء (٢) ، صفحة (١٤٤) شكك المحقق في مصدر مؤرخنا عند ذكره لاحدىٰ الروايات المسنده لشيخته عائشة بنت محمد بن عبدالهادى ، فقال : "ويلاحظ أن المؤلف رحمه الله ولد في جمادى الثانية سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) ، وأن المسنده عائشة ابنة محمد بن عبد الهادى ماتت في ربيع الأول سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م) بصالحية دمشق" .

والواقع أن مصدر النجم هنا صحيح بمقاييس بعض علماء الحديث ، فوفاة الشيخة عائشة ولمؤرخنا أربع سنوات لايعني عدم الأخذ عنها ، ونسبة الرواية إليها ، فهي ممن أجاز له بالإستدعاءات التي أخذها والده لأبنائه من الشيوخ والشيخات ولو اطلع المحقق على مخطوطة معجم الشيوخ للنجم ابن فهد "المحفوظة بالهند" لوجد أن في آخرها مجموعة من الإستدعاءات المجاز فيها لمؤرخنا بالرواية ، وكان أول هذه الاستدعاءات في عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) ، أي في السنة التي كان النجم فيها حمل في بطن أمه ، ثم توالت الإستدعاءات منذ مولده وحتى السنوات المتأخرة من عمره .

ومثل هذا الإجراء التعليمي يعرفه جيدًا علماء الحديث والمتخصصون في هذا الفرع المهم من فروع العلوم الدينية ، وقد اعتنى علماء المصطلح ببيان طرق التحمل ، وصيغ الأداء ، ومنها الإجازة : وهي الإذن بالرواية لفظاً أو كتابة ، ولها أنواع كثيرة منها :

الإجازة للمعدوم : وهي أن تكون تبعًا لموجود : كأجزت لفلان ، ولمن يولد له . أو أن تكون لمعدوم استقلالاً : كأجزت لمن يولد لفلان .

وفي صحة هذا التحمل خلاف كبير بين العلماء ، واحتج بعضهم بصحة الإجازة للطفل ، وقالوا : "بأن الاجازة إباحة ، والإباحة تصح للعاقل وغير العاقل "(١).

ثم إن لفظ النجم كان محددًا حيث قال : "أنبأني . ولم يقل أنبأني سماعًا أو مشافهةً . وعلى كل فقد أحال النجم على شيخته هذه أربعين مرة في معجم الشيوخ المطبوع(٢)، عدىٰ كتبه الأخرى .

- يلاحظ أن هناك بعض الأخطاء أو التصحيفات التي وقعت في المتن ، ولم ينبه إليها المحقق . ومن أمثلة ذلك :

- لم يعلق المحقق على الخطأ الواقع في الجزء (٢) ، صفحة (٣٦٦) ، حيث جاء النص كما يلى : "قال سبط ابن الجوزى أبو المحاسن يوسف" .

والمعروف أن سبط ابن الجوزي هو أبو المظفر يوسف ، وليس أبا المحاسن يوسف ، وقد سبق للنجم أن ذكره بكنيته "أبى المظفر" في موقع آخر من الكتاب(٣)، ولهذا من المستبعد أن يكون هو الذي وقع في الوهم فلعله تصحيف من النساخ ، أو لعل النجم كان يقصد مرجعين الأول : سبط ابن الجوزي ، والثاني أبو المحاسن يوسف "صاحب النجوم الزاهرة" . وأنه سقط من الناسخ حرف الواو ، وهو ماأدىٰ إلى وقوع اللبس أو الخلط.

---

(١) انظر الخطيب البغدادي : الكفاية ، ص٣١١-٣١٧ ؛ ابن الصلاح : المقدمة ، ص٧٥-٧٦ ؛ العراقى : التقييد والايضاح ، ص١٨٦-١٨٧ ؛ محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ، ص١٥٧-١٦١ .

(٢) وهذه الإحالات فى الصفحات التالية : ٣٩،٦١،٧٩،٨١،٨٩،٩٣،٩٩،١١٨،١٢٥،١٦٠، ١٦٤،١٧٤،١٨٠،١٩٣،١٩٧،٢٠٤،٢٠٨،٢١١،٢٢٤،٢٣٥،٢٥٦،٢٥٧،٢٦٦،٢٧٩،٣٠٣،٣٠٦، ٣٠٨،٣٠٩،٣٢٩،٣٣١،٣٤٥،٣٥٤،٣٦٥،٣٦٩،٣٨٣،٣٨٤،٣٨٧،٣٩١،٣٩٧،٤٠٥ .

(٣) انظر ج٢ ، ص٢٩٧ .

والغريب أيضا أن المحقق لم يوثق هذه المعلومة من كتابي سبط ابن الجوزى ، أو أبو المحاسن يوسف ، وانما أسند توثيقه لمؤلف آخر فقال : وقاله : ابن الجوزى في المنتظم جزء كذا ، صفحة كذا(١).

- لم ينبه المحقق للتصحيف الواقع في الجزء (٢) ، صفحة (٣٦١) ، الوارد في أقوال المصادر ، فقد أورد النجم في المتن قولين لمن حج بالناس ، وأرجع كل قول إلى مصدره ، لكن كلا المصدرين يذكران شخصًا واحدًا ، وقد اعتبر المحقق ذلك خطأ من النجم ، ودلل عليه بأن أحد المصدرين يذكر اسمًا آخر غير الذي في المتن .

غير أننا نرجح أن هناك تصحيفاً ، أو سبق قلم من قبل النساخ استدعىٰ تكرار الاسم في الموقعين . ولانعتقد أن النجم قد أوردهما بهذه الصورة المتكررة ، فمن خلال المتابعة الدقيقة لموارده تأكد لنا أنه عندما يقول : قال فلان كذا ، وقال فلان كذا ، فهو يعني الاختلاف ، أما في حالة التشابه فهو يقول مثلا : كذا قال فلان وفلان ، أي أنه يجمع المصدرين ، أو المصادر المتشابهة ؛ ثم يذكر الخبر الذي ورد فيهما أو فيها .

- من الملاحظ أن المحقق قد اختط منهجًا للتحقيق أجاز فيه الإضافة والتصويب ، والتعديل في المتن ، مع الإشارة في الهامش أنه في الأصول كذا والمثبت عن كذا ، إذ أن السياق اقتضىٰ ذلك ، وقد استخدم هذا المنهج كثيرًا(٢)، غير أنه أحياناً لايتبع نفس منهجه هذا . فتراه يصوب ويوضح في الهامش ، مع ابقاء المتن على ماهو عليه من أخطاء وتصحيفات ، فعلى سبيل

(١) ج٢ ، ص٣٦٦ ، ه(١) .
(٢) انظر على سبيل المثال فى ج٢ ، ص١٦،١٨،٢٤،٢٦،٣١،٥٢،٦٤،٦٧،٦٩،٧٠،٧١،٧٣،٧٥،٧٨،٧٩،٨٠،٨١،٨٢،٨٤،٨٥،٩١،٩٥،١١٩،١٢٠،١٢٣،١٧٦،٢٤٠،٢٤٢،٢٤٣ .
وانظر على سبيل المثال فى ج٣ ، ص١٣،٢١،٣١،٣٤،٣٧،٤٠،٤١،٤٢،٥٣،٥٧،٦١،٦٢،٦٧،٦٨،٧٤،٧٥،٨٠،٨١،٨٢،٨٥،٨٨،٩٠،٩٥،٩٦،٩٧،٩٨،٩٩،١٠٥،١٠٦،١١٠،١١٢،١٢٣ .

المثـال : ورد في متن جزء (٢) ، صفحـة (١٣٨) ، لفـظ "جميلاً" وذكـر في الهامش كذا في الأصول ، وفي تاريخ الطبري ... "جهلاً" .

وفى عـام (٣٦٥هـ/٩٧٥م) جاء فى المتن أنه دعـى للمعز[١] بالحرمين . وورد في الهـامش كـذا في الأصـول ، وفي كتـاب كذا ، وفي كتـاب كـذا ، وكذا ، "العزيز"[٢] وانظر كتاب كذا وكذا وكذا .

ولانستبعد أن يكون هذا تصحيف من النساخ في المثالين ، ففي الأول: هنـاك تشابه كبير بين اللفظين "جميلاً" و"جهلاً" في الـرسم . أمـا في الثاني : فلعلنـا نؤكـد التصحيـف ، ودليلنـا على ذلـك أن أخبار السنـة قليلـة ، وأن النجم قد أشار في أولها إلى موت المعز وولاية ابنه العزيز بعده[٣].

وعليـه نرىٰ أن المحقق وقد اختط لنفسه منهج الإضـافة ، والتعديل ، كان الأولى هنا تصحيح التصحيـف البين صوابه في المتن ، ومـن ثم التعليق عليه في الهامش ، وبيان الخلل الذي أصلحه .

ـ في الجزء (٣) ، صفحة (٨٨) هناك خطأ في تحديد السنة التي يستهل بهـا النجـم حوادثه ، فقـد ورد أنهـا عـام (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) ، والمفـروض أن تكون عام (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) ، ولعل ماحدث كان سهوًا مـن المحقق ، لأنه لم

---

(١) هو الخليفة الفاطمي معد بن المنصور ، تولى الحكم بعد والده ، واستولى على مصر في آخر حكمه الذي دام ثلاثة وعشرين عامًا ، قضىٰ منها عشرين عامًا ونصف في المغرب ، وعامين ونصف في مصر . توفى عام ٣٦٥هـ .
(انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص٢٠٠-٢٠٢) .

(٢) هـو العـزيز بن المعز العبيـدي صاحب مصر والمغرب ، حكـم بعـد وفاة والده في ربيـع الآخر عـام ٣٦٥هـ ، وكـانت مـدة حكمه احدى وعشـرون سنـة . توفى عام ٣٨٦هـ .
(انظر ابن دقماق : نفس المصدر ، ص٢٠٣-٢٠٤) .

(٣) انظر ج٢ ، ص٤١٣ .

يرد في الهامش تعليق من قبله يوضح أنها وردت في نسخ المخطوط بهذه الصورة ، ثم أن عام (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) قد ورد في مكانه الصحيح فيما بعد بحسب تسلسلها تبعًا للمنهج الحولي للكتاب .

ـ يلاحظ أحيانًا أن المحقق يستخدم في تهميشه نفس ألفاظ المؤرخين القدامى عند التعبير عن الوظائف التي تولاها بعض الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن نحو قوله عند التعريف بالتاجي : "هو الأمير ركن الدين بيبرس التاجي ، وإلى القاهرة ـ كان ـ"(١).

ـ يلاحظ أن المحقق في بعض الأحيان يسند هوامشه إلى عدد من المصادر والأجزاء بعضها ليس فيه شيء مما ورد في المتن ، كما أنه أحيانا في حالة الاختلاف الظاهر بين المصادر يكتفي بإيراد النص الأضعف . ومثال ذلك أنه في الجزء (٣) ، صفحة (٢١٨) أسند خبرًا إلى العقد الثمين ، جزء (١) ، صفحة (٣١٨) ؛ وجزء (٦) ، صفحة (١٥٨) ، وشفاء الغرام والعقود اللؤلؤية ، وأورد النص الذي جاء في الكتاب الأخير .

وعند رجوعنا إلى الجزء الأول من العقد الثمين في الصفحة المشار اليها لم نجد خبرًا يوافق ماورد في المتن . أما الجزء السادس فقد جاء فيه أن ماذكره صاحب العقود اللؤلؤية وهم قطعًا ، ومع ذلك نجد المحقق يورد نص العقود اللؤلؤية ، ولايلتفت إلى ماقطع به الفاسي ، وكان الأولىٰ به والحالة هذه أن يورد النصين ، ويترك للقاريء أمر المقارنة والترجيح إن لم يقم بها هو .

الجزء الرابع :

ـ من الملفت أن محقق هذا الجزء لم يشر اطلاقاً إلى النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق ، وإن كان يذكر أحياناً في هوامشه مايسميه نسختي (م)

---

(١) ج ٣ ، ص١٩٠ ، هـ(١) .

و(ت) . وأعتقد أن هذا اخلال بالمنهجية العلمية ، خصوصاً وأن تحقيق الجزء المشار إليه كان موضوعًا لرسالة دكتوراه ، ويتوقع والحالة هذه أن يقدم الباحث من خلالها دراسة وافية عن النسخ المعتمدة في التحقيق ومنهجه في دراستها .

- ومما تجدر الإشارة إليه أن المحقق قد أغفل الاشارة إلى الزيادات التي أضيفت على أصل المخطوط بعد السبعين وثمانمائة ، والتي ورد فيها نص صريح في خاتمة الكتاب اذ يقول الناسخ : "انتهى إلى هنا من خط مؤلفه ، خلا ماألحقه كاتبه في الأصل بعد السبعين وثمانمائة بمنزلنا من مكة المكرمة"(١).

وأغلب الظن أن الذي زاد وأضاف هو عبد العزيز ابن مؤرخنا ، فخلال معايشتي لمؤلفات النجم وجدت أن هناك تواصلاً فكرياً بين العز وبين مؤلفات والده ، فعلى سبيل المثال عندما قام العز بنسخ كتاب معجم شيوخ والده بالسماع والإجازة أكمل التراجم التي توفى والده قبل وفاة أصحابها ، فأضاف تواريخ وفياتهم ، وبعضاً من أخبارهم ؛ ولكن في منهجية علمية واضحة حيث يبدأ اضافته بلفظ مميز ليتمكن القارىء من عزوها إليه ، ويطمئن إلى الأمانة العلمية التي تميز بها أسلوب آل فهد في الكتابة التاريخية(٢).

وثمة دليل آخر يرجح أن العز هو الذي ألحق الزيادة والإضافة بالأصل ، فالمصادر التاريخية تذكر أنه أرخ لمكة على السنين ، وأن تاريخه يبدأ بسنة اثنين وسبعين وثمانمائة ، غير أن هذا الكتاب لم يعثر عليه حتى

---

(١) ج٤ ، ص٦٦٤ .

(٢) انظر دراستنا لمنهج معجم الشيوخ المخطوط ص٣٦٦ ؛ وانظر طبيعة منهج العز ابن فهد فى كتاب غاية المرام .

الآن كما يشير المؤرخون المعاصرون[1].

وعلى كل يبدو أن ماألحق على الأصل قد طبع ضمنه ، ولعل ذلك يعود إلى عدم اعتماد النسخة الأصلية التي بخط النجم ضمن نسخ التحقيق ، لأن اعتماد النسخة الأصلية يمكن في هذه الحالة من الفرز بين الأصل وماأضيف إليه . لكن الغريب في الأمر أن المحقق مع وجود النص الصريح لم ينبه إلى ذلك في هوامشه ، ولافي مقدمته ، رغم أنه أشار في المقدمة إلى تاريخ العز المذكور ؛ إلا أنه استدل به على تفرد نجمنا بالتاريخ للحقبة التي هي موضوع تحقيقه ، في حين لم يتمكن من الربط بين ماجاء في خاتمة الكتاب وبين السنة التي بدأ العز فيها بتدوين تاريخه عن مكة ؛ بل إنه استغرب أن يؤرخ العز لتلك الفترة ـ نظرًا لصغر سنه ـ فقال بعد أن أشار إلى ذلك : "وماأظنه إلا اعتمد على كتب والده"[2].

ومع أن اعتماد العز على كتب والده وارد ، والعز قد أثبت ذلك وصرح به كما جاء في كتابه غاية المرام[3]. إلا أن ذلك لاينفى قيامه بتلك الزيادات والإضافات على أصل كتاب اتحاف الورىٰ كما فعل في بقية كتب والده ، وفي كتبه هو خاصة الجزئين الأول والثاني من غاية المرام .

ـ ومن أبرز الملاحظات على تحقيق الجزء الرابع أن كتابة المصادر بعيدة عن المنهجية ، فغالباً يكتب اسم الكتاب دون اسم المؤلف ، وأحيانا يكتب اسم المؤلف ثم اسم الكتاب ، غير أنه لايلتزم بذلك فيقدم اسم الكتاب على اسم المؤلف في أحيان أخرى ، بمعنى أنه لايسير على وتيرة واحدة في تدوين هوامشه .

---

(١) انظر مقدمة التحقيق لاتحاف الورى ، ج٤ ، ص٧ ؛ ومقدمة التحقيق لغاية المرام ، ج١ ، ص١٢ .
(٢) ج٤ ، ص٧ .
(٣) ج١ ، ص٣ .

- ويلاحظ أيضا أن ترتيب المصادر في الهامش الواحد غير منهجي ، فقد يوثق مادته من مصدرين أو أكثر لمؤلف واحد ، فيبدأ باسم أحد كتبه ، ثم رقم الجزء والصفحة ، ثم اسم المؤلف ، فاسم الكتاب الآخر ...الخ على سبيل المثال : في الصفحة ٥ ، سجل هامش رقم (٣) على النحو التالى :
- (النجوم الزاهرة ١٣٦،١٦ ، ويوسف ابن تغري بردي - الدليل الشافي ١ : ١١١ برقم ٣٨٤) .

وفي الصفحة (٢٤) هامش رقم (٤) يسند خبره إلى أحد المصادر ثم إلى النجوم الزاهرة ، فالدليل الشافي ، ثم يقول : وابن تغري بردي المنهل الصافي ...الخ . ولاشك أن هذه الطريقة علاوة على خلوها من المنهجية ؛ توحي للقاريء بأن المؤلفات السابقة لأكثر من مؤرخ في حين أنها جميعا من تأليف ابن تغري بردي .

- ومن الملاحظ على الهوامش أيضا أن المحقق لم يلتزم بالتسلسل الزمني للمصادر ، فكثيراً ماكان يحيل إلى المصدر المتأخر زمنياً قبل المصدر المتقدم مثلاً : يقدم كتاب (إتحاف فضلاء الزمن) وهو لمؤرخ من القرن الثانى عشر على مؤلفات لمؤرخين من القرن التاسع والعاشر(١)، ويقدم ابن اياس المتوفى عام (٩٣٠هـ/١٥٢٣م) على ابن حجر المتوفى عام (٨٥٢هـ/١٤٥٤م)(٢)، ويقدم مؤلفات السخاوي المتوفى عام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) على ابن تغري بردي المتوفى عام (٨٧٤هـ/١٤٤٨م)(٣)، ويقدم السخاوي على النجم ابن فهد المتوفى عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م)(٤)، ويقدم مؤلفات النجم ابن فهد على مؤلفات الفاسي المتوفى عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)(٥)، ويقدم تاريخ عمارة

---

(١) ج ٤ ، ص ٣١٧-٣١٨ ، هـ(٥) .
(٢) ج ٤ ، ص ١٧ ، هـ(١) .
(٣) ج ٤ ، ص ١٥ ، هـ(٢) .
(٤) ج ٤ ، ص ١٥ ، هـ(١) . (ويلاحظ أنه يستمر في تقديم الضوء اللامع للسخاوي على الدر الكمين للنجم حتى نهاية الكتاب) .
(٥) ج ٤ ، ص ٢٨٠ ، هـ(٥) .

المسجد الحرام وهو مرجع حديث لباسلامة على شفاء الغرام للفاسي ، كما يقدمه أيضا على الاعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي المتوفى عام (٩٩٠هـ ١٥٨٢م) ؛ وعلى إتحاف فضلاء الزمن(١).

- ويلاحظ أن المحقق يحيلنا أحيانا إلى بعض الصفحات التي لاوجود للخبر المحال عليه فيها ومن ذلك : ماورد في الهامش (٤) من الصفحة (١٥١) ، وفيه إحالة على وفيات عام (٨٧٧هـ/١٤٧٢م) ، وعند رجوعنا لوفيات العام المذكور لم نجد ضمنها الترجمة المحال عليها . وفي الهامش (٥) من الصفحة (٢٢٠) علق على اسم أثبته في المتن ضمن حوادث عام (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م) فقال : "في الأصول كذا ، والمثبت عما سبق في السنة الماضية ص١٩) . وبالرجوع إلى الصفحة المذكورة في الاحالة ، وجدنا أنها تخص حوادث عام (٨٣١هـ/١٤٢٧م) . وفي الهامش (٣) من الصفحة (٤٦١) يحيلنا على الصفحة (٤٤٧) ؛ في حين أننا لم نجد في الصفحة المحال عليها شيئاً بخصوص موضوع الاحالة .

وانظر بشأن الإحالات غير الدقيقة هامش (٤) من الصفحة (٥٢٥) ، وهامش (٣) من الصفحة (٥٢٨) ، وهامش (١) من الصفحة (٥٣٧) ، وهامش (٢) من الصفحة (٦٥٠) ، على أن عدم الدقة قد تشمل اللفظ أيضا كما هو الحال في هامش (٣) من الصفحة (٥٢٨) إذ يحيلنا على صفحتي (٥١٠-٥١١) مستعملاً عبارة "كما سيأتي" والأصح أن يستعمل عبارة : كما تقدم ؛ إذ كيف يأتي الرقمان ٥١٠،٥١١ بعد الرقم ٥٢٨؟! علماً بأن الإحالة هنا أيضا غير دقيقة .

- ومن الملاحظ أن المحقق لم يعتن بمراجعة هوامشه أثناء الطباعة ، فكثيراً من أرقام التنصيص في المتن لاتتناسب مع أرقام الهوامش في العديد من الصفحات ، وقد نشأ من جراء ذلك عدم توافق المعلومات والشروح

---

(١) ج٤ ، ص١٥١ ، هـ(٢)،(٣) .

الـــواردة في الهـامش مـع نصـــوص المتن . وورد الاختلاف المشـــار إليـــه في الصفحـات التالية : ٩٣،٢٢٢،٢٣٢،٢٣٨،٢٨٧،٢٩٢،٣٠٩،٣٩٨،٤٣٤،٥١٠،٦٥٠ .

ـ الخشـافة تكـرر التعريف بهـا من قبل المحقق في هـامشين : الأول في هامش (٣) من الصفحة (١٨٩) قـال فيـه : "الخشافـة : مـوضع قرب جدة ، ولـد به السيـد بركات بن حســن بن عجلان صـاحب الحجـاز ، ولعـل هـذا الموضـع قـد اندثر في الـوقـت الحاضـر ؛ فلم أعثر لـه على تعـريف في كتـب البلـدان الحجازية "ثم يحيلنـا على الدر الكمين فيقول" : انظـر الـدر الكمين ترجمة بركات) .

والثـاني في هـامش (١) مـن الصفحـة (٢٣٦) وقال فيـه : (الخشـافة : موضع لم أعثر عليه في كتب البلـدانيات ، ولعله اندثر في الـوقت الحاضـر ، وقـد ورد اسم الخشافة في الـدر الكمين ، وغاية المرام ضمـن ترجمـة السيد بركـات بن حسن بن عجلان بأنه ولـد بالخشافة بالقرب مـن جدة ، ولم تحدد كتـب التراجم هذه موقعه مـن جدة ، ولعله يقع شـرق جدة من جهة وادي مر ، لكون الأشراف كثيراً مايتزلون تلك الجهات) .

والـواقع أن إعادة التعريف بالصـورة المذكورة في الهـامشين بعيـد عن المنهـج العلمـي ، ولانعلم سببـا لـه اللهم إلا الاجتهـاد الـذي وضعه المحقق!! وكـان الأولى به والحالـة هـذه أن يضيـف اجتهـاده على التعــريف الأول ، والاكتفاء بذكره مرة واحدة فقط .

ـ في الصفحـة (٥٠٢) قال فى الهامش رقم (٢) لم أعثر لـه على ترجمة فيما تيسر من المراجع ، ثم جمع ٤ هوامش وأشار إليهـا بنفس العبارة هكذا (٣)(٤)(٥)(٦) لم أعثر على ترجمـــة لأي منهـم فيمـــا تيسـر مـن المراجع .

ولانعلم لماذا أفرد المحقق الهامش رقم (٢) وجمع بقية الهوامش ، رغم أن عبـارة التهميش واحدة ، والهـوامش متسلسلة ، ولم يفصـل بينهـا هامش مخالف .!!

ـ أحيانا يأتى التعريف ببعض المصطلحات الواردة في المتن متأخرًا ، فعلى سبيل المثال ، المجود : عرف به المحقق في الصفحة (٢١٤) هامش (١) في حين أنه تقدم ذكره في أكثر من موضع منها صفحة(١٩٥) وصفحة (٢٠٩).

ـ يلاحظ أن هناك بعض الأخطاء المطبعية واللغوية سواء في المتن أو في الهامش ومن أمثلة ذلك : (زيل)(١)والصحيح (ذيل) و(هزيل)(٢) والصحيح (هذيل) و(وزارة المدينة)(٣)والصحيح (وزار المدينة) و(غايلا)(٤)والصحيح (غاية) و(الياط)(٥)والصحيح (الخياط) و(في اوصول)(٦)والصحيح (في الأصول) و(لسرور)(٧)والصحيح (السرور) و(فيهما)(٨)والصحيح (فيهم) و(ورصغبو)(٩)والصحيح (ورغبوا ـ أو رغبوه) و(تراجعهم)(١٠)والصحيح (وتراجمهم) و(على عليه)(١١)والصحيح (وصلى عليه) و(لالاالاشرف)(١٢)والصحيح (للأشرف) و(اسبوعا)(١٣) والصحيح (سبعا) و(الزمامزمه)(١٤)والصحيح (الزمازمة) و(استغل)(١٥) والصحيح (اشتغل) و(سعود)(١٦)والصحيح (مسعود) ...الخ .

---

(١) ج٤ ، ص٥ .
(٢) ج٤ ، ص٣٩ .
(٣) ج٤ ، ص٥٩ .
(٤) ج٤ ، ص٧٠ .
(٥) ج٤ ، ص١٠٣ .
(٦) ج٤ ، ص١٠٨ .
(٧) ج٤ ، ص١٠٩ .
(٨) ج٤ ، ص١٧٦ ، هـ(١) ، ١٧٧ ، هـ(٤) ، ٢٤٨ ، هـ(٢) .
(٩) ج٤ ، ص١٦١ .
(١٠) ج٤ ، ص١٩٣ ، هـ(٢) .
(١١) ج٤ ، ص٣٠٣ .
(١٢) ج٤ ، ص٣٢٢ "تتمة هامش سابق" .
(١٣) ج٤ ، ص٣٤٧ .
(١٤) ج٤ ، ص٤٢٤ ، هـ(٤) .
(١٥) ج٤ ، ص٤٧٥ ، هـ(٣) .
(١٦) ج٤ ، ص٤٧١ ، هـ(٤) .

- أحيانًا الاضافات التي يلحقها المحقق على نصوص المتن لالزوم لها ، وقد لايستقيم السياق بها ، ففي الصفحة (٢٢) أضاف على أحد نصوص المتن عبارة (الذي كان) وأثبت في الهامش أن الإضافة من كذا ، غير أن النص بعد الإضافة جاء غير متناسق على النحو التالى : "أمير المحمل قراسنقر (الذى كان) كاشف الجيزة" ، ولو ترك المحقق النص كما سجله النجم بدون تلك الإضافة ، ومن ثم أشار في الهامش أن المذكور كان كاشف الجيزة سابقاً ؛ أو أن وظيفته كانت سابقة وليست حالية لكان أفضل .

- يبدو أن المحقق قد جانب الصواب في بعض هوامشه ، ومن ذلك مثلا : أنه لم يكن دقيقًا - أحيانًا - في متابعة بعض الوظائف في المسجد الحرام فقد عرف أحد الأعلام الواردة في بعض النصوص بقوله : "هو بردبك التاجي ، ولي نظر المسجد الحرام في أيام الظاهر جقمق سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)"[(١)].

في حين أن المذكور تولىٰ هذه الوظيفة ووظائف أخرىٰ بمكة عام ٨٥٤هـ ١٤٥٠م) ، وقد ذكر النجم المرسوم الخاص بذلك فقال : "وقريء توقيع له - يقصد بردبك - بنظر الحرم والحسبة والربط والأوقاف والصدقات ، وأن يحاسب من ولى شيئا من ذلك قبله ، وولى أيضا وظائف النظر على المياضيء الثلاثة المنسوبة للمماليك في مكة ، وأن يحاسب النظار السابقين[(٢)].

أما في عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م) الذي ذكره المحقق فقد أضيف له نظر المطاهر بمكة[(٣)]. وفي عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، قرىء توقيع له بأن يكون مشداًّ بجدة ؛ مع مابيده من النظر والحسبة وإمرة المماليك المقيمين بمكة[(٤)].

(١) ج٤ ، ص٣٢٥ ، هـ(٢) .
(٢) ج٤ ، ص٢٩٧ .
(٣) ج٤ ، ص٣٠٤ .
(٤) ج٤ ، ص٣٢٥ .

- في الصفحة (١١٦) ذكر النجم أنه في ظهر يوم كذا من شهر كذا حصل مطر قوي ، وأن السيل قد داهم المصلين أثناء صلاة العصر ، مما أدىٰ إلى تخفيف الإمام للصلاة ، وقد علق المحقق بقوله : "وفي السلوك : أن السيل دخل المسجد الحرام ، وكان من غير تقدم مطر بمكة"(١)!!

والذي نرىٰ أن ابن فهد أوثق في الأخذ عنه لأنه مؤرخ مكي معاصر وأهل مكة أدرىٰ بشعابها ، وهو يذكر أنه قد سبق السيل مطر قوي وكان توقيت نزول المطر ظهرًا ، ودخول السيل إلى المسجد الحرام أثناء صلاة العصر - حيث التقىٰ في المسجد سيل وادي ابراهيم بسيل اجياد - ولعل هذا الفارق في التوقيت هو الذي أوهم من نقل الخبر لصاحب السلوك بأن السيل كان من غير سابق مطر ، في حين أن المكيين عانوا كثيرًا من أثر السيول التي تعقب الأمطار القوية خاصة عندما تلتقي مياه هذين الواديين وتدخل المسجد الحرام . وعلى كل كنا نأمل من المحقق وقد أورد ماذكره صاحب السلوك أن يعلق عليه لأنه مخالف لما ذكره النجم .

- ونلمح في بعض هوامش المحقق الأخذ من المصادر والمراجع دون تمحيص ، ففي الحاشية (٤) من الصفحة (٦٣٠) يحيلنا إلى الضوء اللامع ، وأعلام النساء لترجمة الشريفة شمسية بنت السيد حسن بن عجلان المتوفاه عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ، ثم يعلق بقوله وفيهما : "كانت من أصحاب البر والإحسان ، وقد أنشأت رباط المراغي بباب الجنائز ، والذي صار فيما بعد المدرسة الأشرفية للأشرف قايتباي ، وماتت خارج مكة ودفنت هناك" .

والواقع أن رباط المراغي لم تنشئه الشريفة المذكورة ، فالفاسي والنجم يذكران أن هذا الرباط أنشأه القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م) ، وشروط وقفه سبق وأن أشرنا إليها(٢). وفى عصر هذين المؤرخين أصبح يعرف برباط القيلانى ، وقيل

(١) ج٤ ، ص١١٦ ، هـ(٣) .
(٢) انظر ص٣٠٥ ، هـ(٥) من هذه الدراسة .

الكيلاني لسكناه به[١].

والغريب أن المحقق قد أشار إلى هذا الوقف بصورة مقتضبة في موقع آخر من هذا الجزء فقال : "ورباط المراغي ويعرف برباط القيلاني وقف سنة ٥٧٥هـ"[٢]. وهو بذلك يربك القارىء ، ويوقعه فى الحيرة ؛ من الذى أنشأ الرباط هل هو المراغى؟ أم الشريفة شمسية؟!

ولاجدال في أن الذي أنشأ الرباط هو القاضي المراغي ، وتاريخ وقفه يوضح أنه كان موجوداً قبل ولادة المذكورة بأكثر من مائتي عام . وفي الوقت الذي كان الفاسي معاصرا للنجم كان الرباط معروفاً ببيت القيلاني ، وبعد وفاة الفاسي أصبح يعرف برباط القيلاني وبيت الشريفة شمسية كما ذكر النجم . ولانعرف كيف أصبح بيتاً للمذكورة هل بالاستبدال أو الاستئجار أو الشراء أو السكنى فقط؟ وقد مر بنا كيف أن الأوقاف أصبح يستولى عليها وتباع رغم وجود أوقافها . ولكن من الواضح أن وقفه كان معلوما لدى السلطان المملوكي بدليل أنه أمر باستبداله وهدمه ، ومن ثم اقامة رباط ومدرسة وملاحقهما ، وجعلها وقفاً ، وقرر فيها النظار والشيوخ والدروس ...الخ[٣].

ونخلص من ذلك أن المصادر المكية المعاصرة أوثق وأولى في الأخذ منها ، أما السخاوي فقد قال : إنها صاحبة رباط القيلاني المراغي ، هكذا بالنص[٤]، وصاحبة الرباط لايعني أنها هي التي أمرت بانشائه!! وإذا كان

---

(١) شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٠ ؛ العقد الثمين ، ج١ ، ص١١٨ ؛ اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٤٢-٥٤٣ .

(٢) ج٤ ، ص٦٣٨ .

(٣) ج٤ ، ص٦١٢،٦١٩،٦٢٠،٦٢٤،٦٣٨،٦٤٤،٦٤٧،٦٤٨-٦٤٩ .

(٤) الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٦٩ .

السخاوى قد وهم فى هذه النقطة فهذا يرجع لكونه لم يؤرخ لمكة ، أو لم يضمن كتاباته التاريخية تاريخ الحجاز في الفترة المتقدمة كما فعل الفاسي والنجم . أما كتاب أعلام النساء فلايحتج به فهو ليس بمعاصر لمؤرخينا المذكورين ولاقريبا من معاصرتهم . بل إن الفاسي ومن بعده النجم هما عمدة من جاء بعدهما في الأخبار المكية . والتفرد أو شبه التفرد في تسجيل تاريخهم المعاصر .

- في الصفحة (٦٥٠) عرف النجم أحد المتوفين بقوله : "شيخ رباط ربيع المغاربة"[١]. وفي الهامش (١) و(٢) من الصفحة المذكورة اختلف المحقق مع النجم وعلق بقوله : "لفظ المغاربة لاوجود له في التعريف بالرباط ضمن المراجع" . واحتج بأن السخاوي عندما ترجم للمذكور سماه شيخ رباط المغاربة ، ولم يسمه برباط ربيع .

والظاهر أن المحقق لم يحاول معرفة العلة أو السبب في هذه التسمية اللاحقة التي أصبح يعرف بها الرباط . ولعل ذلك يرجع إلى سكنىٰ المغاربة به وقد تتبعنا شيوخ الرباط الذين عاصرهم النجم ووجدنا أن بعضاً منهم مغاربة منهم الشيخ المذكور في تلك الصفحة[٢].

أما اقتصار السخاوي على لفظ المغاربة فلعله نابع من الاختصار ، أو لأن الرباط أصبح يعرف بهم لسكناهم به في تلك الفترة ، وعلى كل فأهل مكة أدرىٰ بشعابها كما ذكرت سابقاً .

---

(١) رباط ربيع هذا أوقفه الملك الأفضل على بن السلطان صلاح الدين الأيوبى عام ٥٩٤هـ ؛ على الفقراء المسلمين الغرباء ، وعرف بربيع نسبة إلى اسم الشخص الموكل له بالوقف من قبل الملك الأفضل .
(الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص٣٣٥ ؛ العقد الثمين ، ج١ ، ص١٢١ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٦٤) .

(٢) انظر تراجم وفياتهم في : ج٣ ، ص٦١٨ ؛ ج٤ ، ص١٥٦،٤٢٥،٦٣٣،٦٥٠ .

ـ أحيـاناً تكون تعليقات المحقـق غير شافية وعلى سبيـل المثـال : ذكر النجم أنه فى عام (٨٧٦هـ/١٤٧١م) "حج ابن جبر في خلق كثير جداً ، وكان بخيله"(١). وقد علق المحقق على ابن جبر بقوله : "كذا في الأصـول ... وجبر قبائل من العراق"(٢).

وأعتقـد أن المحقق لم يعـط النص حقه من الايضاح ، فبمجـرد قراءتي للنـص استـوقفتني عبارة النجـم "وكـان بخيله" وهي عبـارة يذكـرها مؤرخنا لأول مـرة في كتاب اتحاف الورى ، وفي رأيي أن تسجيلـه لوفد الحجيج على هذه الصورة يتطلب التوقف عنـد المعنّي بالخبر ، والتعـريف به ؛ لأن مـوكبه شد انتباه مؤرخنا . وكنت أتمنىٰ أن أجد في الهـــامـــش مـــايفيد ، غير أنني وجدت تعليقاً هامشياً ، وفي نفس الوقت مجانب للصواب .

ويبدو أن ابن جبر هو : أجود بن زامل العقيلي الجبري نسبة إلى جده جبر ، ولد عام (٨٢١هـ/١٤١٨م) وتسمى أسرته ببني جبر أو الجبريين ، وهــو من بني خالد من قبائل الجزيرة العـربية وليـس مـن العـراق(٣)، وقـد أقام الجبريون أو بنـو جبر دولتهـم في الاحساء بعد أن قضوا على بقـايا القـرامطة هنـاك ، وأحيوا مذهب أهل السنـة في منطقة القطيف ، وفي عهـد أجود هذا اتسعـت الدولة وشملت منطقـة البحرين وعمان وبلاد نجد ، وفي عهـد ابنـه مقـرن بلغت الدولة أوج عظمتهـا ، وقتل الأخير في صـراعه مـع البرتغاليين عام (٩٢٧هـ/١٥٢٠م)(٤).

وقـولنا هـذا يعـززه دليلان ، الأول : قـول النجـم أنه كـان بخيلـه . ولايخفـىٰ على البـاحثين في تاريخ الجزيرة العـربية فى العصـور الـوسطى

(١) ج٤ ، ص٥٤٢ .
(٢) نفس الجزء والصفحة ، هـ(١) .
(٣) انظر بخصوص نسبهم حمد الجاسر : الجمهرة ، ق١ ، ص١٠٣-١٠٤ ؛ ٢٠٥-٢٥١ .
(٤) السخاوى : الضوء اللامع ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص٦١ هـ(٢) ؛ الحميدان : التاريخ السياسى لامارة الجبور ، ص٦١-٦٦ .

ماللمنطقة التى يسكنها ويحكمها ابن جبر من شهرة واسعة فى تجارة الخيول ، وتربية أشهر السلالات فيها(١). والثانى : وجود مايثبت المعاصرة . وعليه يكون ابن جبر الذى ذكره النجم هو أجود المذكور أو أحدا من طرفه .

- في الصفحة (٦٣٦) أورد النجم خبرًا مفاده وصول صاحب ينبع إلى مكة ، ثم لقائه بصاحب مكة واصطلاحه معه ، والتزامه بمبلغ ثمانية آلاف دينار دية من قتل من أصحاب صاحب مكة بينبع سنة شتات . وقد علق المحقق بقوله : (سنة شتات : لم يسبق أن وردت تسمية سنة من السنوات بسنة شتات ، وربما كان المؤلف يعني بذلك سنة الوباء ؛ لأنه يشتت الأسر ، وقد وقع(٢)في عهد محمد بن بركات في سنة ٨٧٣هـ ، ٨٨٢هـ ولكن لم يحدث فيهما قتال بين الشريف وصاحب ينبع)(٣).

وماذكره المحقق صحيح من حيث أن النجم لم يشر في حوادثه السابقة إلى هذه التسمية ؛ إلا أن هناك خبرًا يمكن أن نعزو هذه السنة له : وهو أنه في عام (٨٧١هـ/١٤٦٦م) غزى صاحب مكة محمد بن بركات ينبع ، وحاصرها وقطع نخيلها(٤)، ويبدو أن ثمة صلة بين هذا الغزو والسنة المذكورة ، ويرجح هذه الصلة دليلان :

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج٣ ، ص٦٩ ؛ الحميدان : التاريخ السياسى لامارة الجبور ، ص٦١ .

(٢) يقصد الوباء .

(٣) من الملفت أن محقق كتاب غاية المرام في تعليقه على سنة شتات قد ذكر التعليق السابق ثم ألحقه بذكر الحروب التي وقعت بين أمير مكة وبين زبيد ذوي مالك في سنتي ٨٧٣هـ ، و٨٧٥هـ . والتى انتهت بانتصار صاحب مكة ، وهزيمة ذوي مالك ، وقتل شيخهم رومي (ج٢ ، ص٥٣٢ ، هـ(١)) .
غير أنه يلاحظ خلطه بين الحقائق التاريخية ، إذ لاتوجد صلة بين ذوي مالك وينبع ، فهؤلاء ديارهم خليص ورابغ ، أما ينبع فان أهلها هم ذوي هجان وذوي ابراهيم ، والأمير الذي وصل إلى مكة واصطلح مع أميرها والتزم بدفع دية أصحاب صاحب مكة الذين قتلوا بينبع هو سبع بن هجان أمير ينبع .

(٤) انظر ج٤ ، ص٤٧٠-٤٧١ .

الأول : وجود قتلى ، ومنهم أحد مماليك صاحب مكة ويدعى "كراكر" سميت به الغزوة ، وأصبحت تعرف عند بني حسن بغزوة "سويق كراكر" والسويق هي بلاد الأشراف ذوي هجان ؛ وذوي ابراهيم أصحاب ينبع .

والثاني : هو أن زوجة أمير ينبع ؛ وابنة أميرها السابق نزلت لصاحب مكة ، واستشفعته في أن يترك قومها . مما يؤكد تشتت الرجال لما رأوا من أنفسهم الغلب ، واضطرار المرأة الحكيمة لفعل مافعلت لتبقي على البقية الباقية من ديارها وأهلها .

وعلى كل لعل تسمية سنة شتات خاصة بأهل ينبع لتشتت أبنائها ورجالها أثناء الغزو ، ولهذا لم يرد ذكرها في الأخبار المكية سوى هنا عندما اصطلح أميرها سبع مع صاحب مكة والتزم بدفع الدية له . في حين أنها اقترنت عند أهل مكة باسم الغزوة وقتيل مملوك أمير مكة فيها الذي ذكرناه سابقا . والله أعلم (١).

ـ وهناك أمر في غاية الأهمية وهو خلط المحقق لبعض الأخبار التاريخية ، فقد عارض خبر النجم في الهامش (٣) من الصفحة (٥٢٨) قائلاً: "الذي أورده هنا ابن فهد أن الرباط لابن الزمن والذي ذكره النهروالي في الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص٢٢٥ ، والسخاوي فى الضوء اللامع ج١ ، ص٩٤ : أن ابن الزمن بناه للسلطان الأشرف قايتباي ، فاعترض القاضي برهان الدين ، فحصلت العداوة بين القاضي والسلطان" .

والحق أن ماأورده النجم هنا صحيح . وهو خاص بما استأجره ابن الزمن لنفسه عام (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ـ كما ذكر النجم بالنص ـ وهو الميضأة التي بين الميلين فى المسعى والربع الذى عليها وأربعة حوانيت ملاصقة لها

---

(١) ومن تعليقاته غير الموفقة تفسيره للركب الرجبي ، انظر ملاحظتنا وتعليقنا ص٢٣٦

من أوقاف أحد الأربطة بالمسعىٰ أيضاً ، وقد هدمها وعمرها ، ثم شرع في بناء سبيل له أمام بعض تلك الحوانيت ، فجاءه المنع (١). أما الذي اشتراه ابن الزمن للسلطان فهو الدار المعروفة بالعلقمية بالمروة وماحولها من دور ، كما أشار عليه بهدم السبيل الكائن بالمسعىٰ على يمين الذاهب إلى المروة لتظهر عمارة السلطان وبوابتها من الصفا ، فأمر السلطان بهدمه أثناء حجه عام (٨٨٤هـ/١٤٨٠م)(٢).

وقد أوضح النجم حقيقة وملابسات ونتائج اعتراض القضاة وأهل العلم لبناء ابن الزمن الخاص به في المسعىٰ ، وعقدهم مجلساً في المسجد الحرام يوم السبت ثاني عشر رجب عام (٨٧٥هـ/١٤٧١م) ، حضره ابن الزمن ، وأفتىٰ العلماء بحرمة ماشرع في عمارته ، ثم أن أقوال ابن الزمن التي وردت في المجلس تدل صراحة على أن البناء له ومما جاء فيها قوله : "هل هذا المنع مختص بي أم بجميع مافي المسعىٰ"؟!(٣)

ولعل عزل القاضي الذى أنكر على ابن الزمن هو ماأوهم المحقق وغيره من أن العمارة للسلطان في حين أن النجم قد ذكر في ثنايا عرضه لهذا الحدث أن الحقائق عن القاضي وصلت إلى السلطان في تزويق وتنميق بواسطة صهر ابن الزمن الذي كان متواجداً في القاهرة اضافة إلى المحضر الذى كتبه أمير المماليك بمكة بعد اجتماعه بابن الزمن ، وقياسهما للمسعىٰ من الأماكن الضيقة ، فكان ماكان من عزله ، مع الأخذ بعين الاعتبار مكانة ابن الزمن الكبيرة لدىٰ السلطان فهو أحد خواصه المقربين .

ثم إن الأدلة والشواهد في نصى المصدرين اللذين استشهد بهما المحقق تؤيد ماذكره النجم وتقوي الحجة ببطلان ماقد وقع من وهم . فالسخاوي يذكر أن القاضي صرف عن القضاء "بسفارة الشمس ابن الزمن

---

(١) ج ٤ ، ص ٥٢٧-٥٢٨ .
(٢) ج ٤ ، ص ٦٤٩ .
(٣) ج ٤ ، ص ٥٢٨ .

لمعارضته له في بناء لما أنشأ رباطه بالمسعى" . والنهروالى يقول : "بالله العجب من ابن الزمن كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالباً به الثواب؟! وكيف تعصب له سلطان عصره الأشرف قايتباي ، مع أنه أحسن ملوك الجراكسة عقلاً وديناً وخيراً؟! ويقول أيضا معللاً موافقة السلطان على مافعله ابن الزمن : "كانت الجراكسة لهم تعصب وقيام في مساعدة من يلوذ بهم ، ولو على الباطل" .

- في الهامش (٦) من الصفحة (٢٢٨) أورد المحقق تعليقاً على لفظ صَحّفه وهو القرض . فقال : "لم يرد فيما سبق أن بركات اقترض من أخيه السيد أبى القاسم ، ولعل الأصوب الفرض الذي كان يفرض على الشريف تجاه اخوته وذويه أو مثلما فرض له أو أمر له بشيء معين في السنة الماضية" .

والحقيقة أن بيان ألفاظ العصر ، أو إثبات حقيقة تاريخية لغوية تحتاج إلى جهد وعناية من الباحث لأن القصور في بيانها يؤدى إلى التعدي على النص ، وعدم انسجام حوادثه ، ولعل الصواب في اللفظ السابق القرض كما ذكر النجم ، والتصحيف إنما جاء من المحقق ، ثم أن تفسيره للفرض لاينسجم مع ماجاء في الحادثة التى تم التعليق عليها ، فما يفرض على صاحب مكة تجاه اخوته وذويه يسمىٰ رسوم أو قطيعة أو ضيفه وتتحملها في الغالب أعمال أو مخاليف مكة ، حيث يحول الأمير هؤلاء لأخذها من الأهالى هناك ، أو يقتطعها هو لهم من الضرائب التجارية التي يأخذها فى جدة[1]!!

على أن تقرير لفظ (القرض) استوقفني لأنه لم يسبق أن ذكره النجم بهذه الصورة سوىٰ هنا ؛ فقد تكرر ترديده أكثر من مرة في حادثة واحدة ، ومن ثم لفت نظري تحريف المحقق للفظ مشتق منه وهو (الفريض) حيث ورد محرفا ثلاث مرات بلفظ الغريض - بالغين - ولهذا أعدت قراءة النص

(١) انظر على سبيل المثال ج ٤ ، ص٢٠٧،٢٠٨،٢١٦،٢١٧،٢٢٩،٢٣٠،٢٣١ .

التـاريخي بدقة شديدة أكثر من مرة منذ بداية الحادثة التي ورد فيهـا اللفظان حتى نهايتها .

وملخـص مـاحدث هو أن شقيـق أمير مكة ويدعىٰ بركـات أغـار على قبيلـة مطير وقتل رجالها ونهـب إبلهم وخيولهم وأمـوالهم ، وكـانت كثيرة كمـا ذكر النجم ، ثم قسم الغنـائم على رفقته وبقي لـه نصيب الأسد فيها ؛ فتقـوىٰ بهـا واشترى الخيل والـركاب والـدروع ، وعنـدما علم صـاحب مكة أرسـل إليه يطالبه بردها ، ويخبره أن هـذه القبيلة في ذمتـه ، واحتج الغازي بعـدم اخطاره أو اعلامه بهـذا الجوار عنهم أو عن غيرهـم ـ لأنه أغـار على سواهم ـ ورفض رد مـاأخذه إلا بالقـرض ، ولم تجد المراسلات بين الطـرفين ، ولااللقـاء والمعـاتبة بين الشقيقين ، وبعـد أن عجـز عنـه قـدم إليـه مع أحد المجـاورين ، وكـان يتمتع بمكـانة عـالية عند الأشراف ، واتفقـوا على هـدنة مقـدرة الزمن والثمن ، وأن تستمـر رسوم آل بركات ومــن يلـوذ بهم على حالها "وأن المال الـذى أخذه بركـات مـن عرب مطير بينهـم فيـه القـرض" وتحت هذا الاصرار رضخ صاحب مكة وقبل اللجوء للفريض ، فأشار الأخير عليهمـا بالصلح ، وانتهىٰ التداول على أن يقسم المال المنهـوب ٣/٣ : ٣/١ يدفعـه الشقيـق الغـازى ، و٣/١ يدفعـه صـاحب مكة ، و٣/١ تتنـازل عنـه القبيلة المنهوبة "قبيلة مطير"(١).

ويغلـب على الظن ـ بعد هذا التطـواف السريع في الحادثة التي ورد فيهـا اللفظـان مثـار نقـاشنا وهمـا : (القـرض) و(الفـريض) ـ أن اللفظين يرتبطـان بمفهـوم البداوة ولهجاتها وأحكامها وأن القرض هو : حكـم عشائري يحتكم فيه المتنازعان إلى شخص معروف بين العرب باسم الفـريض ، ويكون حكمه فاصلاً بين الطرفين حيث يقبل كل طرف مايقطع به .

---

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٧-٢٣٢ .

ويؤيد مانقوله أن القرض في اللغة يأتى بمعنىٰ القطع والإزالة . ويأتي بمعنىٰ ماسلف من إساءة أو إحسان ، وماتعطيه لتقضاه . وفي المقابل فإن الفريض في اللغة : يعني أعرف الناس ، والعارف بالفرائض(١). وعلى كل فالدليل المادي على صحة هذا الاستدلال اللغوي التاريخي هو أن الفريض ندب الأخوين المتنازعين في هذا الأمر إلى الصلح ، وحلت مشكلة الخلاف بينهما وفق بنود قبلها الطرفان . والله أعلم .

- من الملاحظ أن المحقق يحاول اختيار أيسر الطرق في تهميشاته ففي هامش (٢) من الصفحة (٦٢٠) فسر كلمة لها أصل تاريخي مادي تفسيراً اصطلاحياً ، وتناولها من جانب لغوي ؛ في حين أنها تنطوي على تأويلات تاريخية مرتبطة بالانسان والأرض والتاريخ . وحتى تتضح المعالم نورد نص النجم وأيضاً ماكتبه المحقق .

يقول النجم في حوادث عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) : "وفيها - في آخر شوال - وصل صاحب مكة السيد جمال الدين محمد بن بركات إلى مكة ، وتوجه من يومه إلى الشرق لغزو الخيس ، فصبح بعض جماعته ، فأخذ حلتهم ، وقتل رجلين وأسر رجالاً وأكثر ، وغنم شياهاً ، وابلاً كثيرة ، وعاد من قرب" .

وكان تعليق المحقق بالنص كما يلى : "الخيس كذا في الأصول ، ولعله يعني الخارجين عليه ، والناقضين لعهوده ، يقال : خاص بالعهد نكث وغدر وبالوعد أخلف ، ثم ذكر مرجعه وأكمل ، وفي غاية المرام الحنيشى . والدر الكمين الحفيش" .

ويبدو أن تصحيف الكلمة في المصادر الثلاثة هو الذي أوقع المحقق في الحيرة فآثر اللجوء إلى التفسير الذي أورده .

---

(١) انظر الفيروزابادى : القاموس المحيط ، ص٨٣٨،٨٤٠ .

أقول وبالله التوفيق ، لعله يتعين على الباحث الخوض في خضم الأحكام المتضاربة حول هذا اللفظ ليلتمس وجه الحق . وأن يكون السبيل لذلك الوقوف على الآثار المادية للكلمة المصحفة .

فالخيس : مكان معروف في منطقة سدير بنجد ، وقد ورد ذكرها في الكتاب المسمىٰ "بلاد العرب" من تأليف : الحسن بن عبد الله الأصفهانى ، وهو من أعلام علماء القرن الثالث الهجري[١]. ولازال موقعها معروفًا بهذا الاسم حتى عصرنا الحاضر ، وإذا كان هذا اللفظ هو الذي يقصد النجم ، فإنه يمكن القول بأن هذه أول مرة يصل فيها أمير مكة لهذا الموضع من ديار نجد . وإن كنا نستبعد ذلك لبعد المسافة بينه وبين مكة ، ويؤيد استبعادنا اللفظ الصريح الذي ورد في النص : "وعاد عن قرب" .

أما الحنيشى : فلعله اسم شخص ، ومن خلال تتبعنا لتاريخ مكة ، عرفنا أن كاتب أمير مكة بركات بن حسن بن عجلان ، وسفيره الذي يحمل رسائله كان يدعى أحمد بن حنيش ، وقد توفى عام ٨٤٤هـ ، فقد يكون أحدًا من ذويه ، إلا أننا لانعلم شيئًا عن القبيلة التي ينتمون إليها ، والديار التي يقيمون فيها ، ومع ذلك فنحن لانستبعد أن يكون الحنيشى أحد أقارب أحمد بن حنيش المذكور ، حتى مع وجود ولاء الأخير لصاحب مكة ، فإن ذلك قد لايسري على غيره ، أو بالأحرىٰ الموالى اليوم قد يعلن العصيان غدًا.

أما الحفيش : فلم أجد موقعا أو علما بهذا اللفظ أو قريبًا منه . ولعل الحفيش تصحيف لكلمة الحنيش ، وهو الأقرب إلى الصواب لتطابقه في الرسم مع اللفظ السابق "الحنيشى" إذ لافرق بينهما سوى ياء النسبة ، ونميل إلى ترجيح لفظ "الحنيش" لأمور يدعمها نصوص تاريخية وهي :

---

(١) انظر ص٤٣-٢٥٧،٤٨ .

* انه في حوادث عام (٨٨٨هـ/ م) ورد خبر في غاية المرام مرادف للخبر المذكور هنا مع شيء من التوضيح جاء فيه : أن صاحب مكة محمد بن بركات أرسل ولديه بركات وهيزع وجمعًا كثيرًا من عسكرهما ، وجماعتهما والأعراب لأجل غزو الحنيش ، فإنه جاءهم أنه بالوطاة ... وانتهى الخبر بالظفر بهم ونهب حلتهم ...الخ وقد تكرر لفظ الحنيش في هذه الحادثة ثلاث مرات(١).

أن هناك ثلاث أماكن في الجزيرة العربية تعرف بالحنيش ، اثنان منهما يعدان من أعمال مكة ، والثالث في نجد(٢).

فالموضع الذى في نجد من مياه دسمان في منطقة القويعية ، وهو وإن كان يقع إلى الشرق من مكة إلا أنه بعيد عنها ، والمسافة بينها وبينه تعد بمئات الكيلو مترات .

أما الحنيش التابع لمكة :

* فأحدهما : قرية من قرى الجائزة في منطقة الليث وهذا نستبعده لأنه يقع إلى الجنوب من مكة ، في حين إن الخبر يفيد الاتجاه شرقًا .

* والآخر : قرية من قرى الطائف . ولعل هذا الموضع هو المقصود بالغزو لسببين : أولهما وقوعه إلى الشرق من مكة ، وثانيهما قربه منها . وكلا السببين ورد فيهما نص صريح في الخبر المذكور مثار تعليقنا .

تلك بعض من أهم الملاحظات على تحقيق الكتاب ، وهي بلاشك لاتغض من قدر الباحثين ، ولاتقلل من قيمة الجهد المبذول والمشكور في اخراجه ، وإتحاف طلاب العلم والمعرفة به .

---

(١) انظر العز بن فهد : ج٢ ، ص٥٤١ .

(٢) انظر حمد الجاسر : المعجم الجغرافى ، ص٥٥١ .

غير أن الحق أحق أن يتبع ، وأن الاقرار بضرورة العناية بتنقيحه أمر لابد من النظر فيه ، فالكتاب طبع دون تقديم دراسة لنسخ المخطوطات المعتمدة ، والوصف الذي قدمه محقق الأجزاء الأولى لايعين اطلاقاً على اعطاء فكرة عنها ، ومن الغريب أن محقق الجزء الأخير أهمل هذا الجانب رغم اطلاعه على الطبعة التي تحمل ذلك القصور ، غير أنه تجاهلها ، فجاءت طباعة الجزء الخاص به بعيدة عما كان يتوقع منها ، خاصة وأن تحقيقه كان أصلا "موضوعاً" لرسالة دكتوراه . والمأمول في الرسائل التي تتناول التحقيق في هذه المرحلة أن تولي الدراسة النقدية للنسخ المعتمدة جل اهتمامها ، وأن تقدم لها دراسة وافية شاملة ، قد تصل لنصف حجم الكتاب المراد تحقيقه .

هذا من جهة ... ومن جهة أخرى أرىٰ أن الكتاب بطبعته الحالية قد تجاوز الكثير من المواضع والمفردات والأعلام ، التي لم يتم توضيحها ، كما لانجد فيه اجتهاداً في بيان الدلالات اللفظية ، ومتعلقاتها التاريخية . وهي أمور يجب ألا تغيب عن دقة ووعي كل من يتناول الدراسات التاريخية .

ثم أن الكتاب المطبوع يفتقر إلى المنهجية العلمية في الترقيم ، والإحالات ، وتدوين المصادر والمراجع في هوامشه ، وهذا بلاشك يحتاج إلى جهد وعناء كبير .

ولو استرسلنا في الاستقصاء لطال بنا المقام ، وخرجنا عن التدبير اللائق بمثل هذا المبحث . وعلى كل فدراستي لمنهج التحقيق في هذا الكتاب ماهي إلا دور متواضع ـ حسب طاقتي ـ قد يقبل ، وقد يعدل ، غير أنه على أى حال يضع لبنة على طريق الصياغة التي نتمناها .

هذا وقد يلاحظ القاريء الكريم أني قد أوليت الجزء الرابع ، ومنهج التحقيق فيه عناية أكبر . فأقول : إن ذلك يرجع إلى طبيعة الكتاب ، والتصاق هذا الجزء بمؤرخنا ، فهو جزء المعاصرة ، والتفاعل مع الأحداث ، ومن هذا المنطلق كانت الرغبة في العمق والاحاطة .

وأخيرا في ختام هذا الفصل أرجو أن أكون قد وفقت في تناول الزوايا المختلفة لكتاب اتحاف الورى ، وبينت طبيعة منهج النجم فيه ، وعثرت على شيء من جوانب الجدة في تناوله التاريخي للأخبار والحوادث المكية .

الفصل الثاني

كتاب معجم الشيوخ بالسماع والإجازة

« المخطوط »

المدخل :

* دراسة نقدية لمنهج التحقيق في معجم الشيوخ « المطبوع » .
* معجم الشيوخ « المخطوط » :
  * أوصاف المخطوط .
  * عنوان المخطوط ، وزمن تأليفه ونسخه .
  * التنظيم وأساليب عرض المادة .
  * أركان الترجمة .
    * الاسم والنسبة واللقب والكنية .
    * تاريخ الميلاد ومكانه .
    * سماعات الشيوخ واجازاتهم .
    * العطاء والعمل .
    * المصنفات العلمية .
    * تاريخ الوفاة ومكانها .
    * المادة العلمية التي تلقاها النجم عن شيوخه

قبل البدء في استعراض منهج النجم لمعجم شيوخه المخطوط أحب أن أنوه بأن هذا الكتاب هو مصنف آخر للنجم غير معجم الشيوخ المطبوع . وإن كان المطبوع لايعدو كونه مختصرًا له .

ونظرًا لهذا التوافق والاختلاف يهمنا أن نلمح إلى بعض جوانب من الكتاب المطبوع ، ونجعله مدخلاً للموضوع الذي نحن بصدد دراسته هنا .

معجم الشيوخ (المطبوع) :

وهو من منشورات دار اليمامة في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، طبع عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ويحمل رقم (١) ضمن مجموعة "مؤرخي مكة المكرمة" ويقع في ثمان وستمائة صفحة من الحجم العادي . وقد قام بتحقيقه محمد الزاهي ، وراجعه وقابله على أصله حمد الجاسر .

بدأ الكتاب باهداء من محققه ، ثم تقديم لحمد الجاسر في ثلاث صفحات أثنى فيه على جهود المحقق ،و عنايته بتراث أمته ، وماتحلى به من صبر وجلد ، وأشار إلى أهمية الكتاب "الذي لم يؤلف إلا لطبقة خاصة من العلماء" فهو يسجل جانباً من الثقافة الدينية تسجيلاً تاريخيًا في حقبة زمنية طغى فيها الجمود الفكري على أصقاع العالم الإسلامي ، وأكد على ضرورة نقل هذا التراث كما هو بما فيه من حسنات وسيئات ، فالثمرة المجتباه هي العبرة في الحالتين كلتيهما .

أما مقدمة التحقيق فهي في حوالى ثماني عشرة صفحة ، بدأها المحقق بتمهيد قال فيه : "إن هذا الكتاب الذي نحققه اليوم ، وننفض عنه غبار القرون الماضية ، ألفه قطب من أقطاب الثقافة الإسلامية ، وعالم من علماء العروبة ، أصيل في البقاع المقدسة الطاهرة ، إنه عمر بن فهد المكي . وإن هاته العائلة المتضلعة في العلم قد أنجبت أعلامًا أفذاذًا خدموا الإسلام ،

وعلوم الدين ، وعلوم العربية بتآليفهم الجليلة ، وأسهموا اسهاما لامثيل له في تنمية رصيد المكتبة الإسلامية"(١).

واتماماً للفائدة قام بعرض سريع لأهم مؤلفات آل فهد ، ثم قدم ترجمة قصيرة لمؤلف المعجم ذكر فيها مولده ونشأته العلمية ورحلاته في طلب العلم ، ومؤلفاته ، وختمها بذكر وفاته ، كما خص ناسخ المعجم عبدالعزيز بن عمر بن فهد بترجمة سار فيها على نفس الخطة .

ثم ذكر أن للكتاب ثلاث نسخ خطية موجودة في المكتبات العالمية ، منها النسخة المحفوظة بمكتبة برلين الوطنية ، وهي النسخة الوحيدة التي اعتمدها في تحقيقه ، وقدم وصفا مختصرًا لها ، وأشار إلى الذيل الملحق بها .

ثم قدم اطلالة على كتب التراجم موضحا أهميتها، وعرج على ذكر سبب تأليف هذا المعجم ، وتلاه بعرض موجز لقيمة الكتاب التاريخية ، ومنهجية النجم في تنظيم تراجمه ، بعدها انتقل إلى بيان الطريقة التي اتبعها هو في التحقيق ؛ مشيرا الى أهم المصادر التي كانت سندًا له في اخراج هذا السفر الذي يعد اضافة جيدة للمكتبة العربية .

ثم قام بعرض صور لبعض أوراق النسخة المعتمدة في التحقيق ، وتشمل : طرة المعجم ، والورقة الأولى والثانية والأخيرة منه بخط العز ابن فهد ، ثم الورقة الأخيرة والأولى من الذيل بخط الاعزازي متملك المخطوط.

وتلى ذلك مادة الكتاب ، وتبدأ من الصفحة ٣٧ وتنتهي بالصفحة ٤٠٨ . وتضم أربعمائة وأربع وتسعين ترجمة منها : أربعمائة وسبع وعشرون ترجمة للشيوخ ، وسبع وستون ترجمة للشيخات .

(١) مقدمة التحقيق ، ص١١ .

وقد أعقب مادة الكتاب قائمة المصادر والمراجع أشار فيها المحقق إلى أسماء المؤلفات التي استعان بها في اتمام عمله وعددها ست وأربعون كتاباً .

وازدانت نهاية الكتاب بقوائم الفهارس العامة ، وهي مقسمة إلى أربعة أقسام ؛ الأول : لأسماء المترجمين في المعجم ، والثاني : لأسماء الأعلام ، والثالث : لأسماء الكتب ، والأخير : لأسماء المواضع .

وسوف نعرض لمنهج التحقيق في المعجم المطبوع ، وبعض الملاحظات عليه ؛ لتكتمل الصورة التي انتهجناها في هذه الدراسة والتي كان من ضمنها التعرض لمناهج التحقيق في الكتب التى ألفها النجم أملا في تتميم الفائدة المتوخاة .

والواقع أن المحقق - وإن بذل جهدًا مشكوراً - في اهتمامه بإبراز علماء مكة المكرمة بؤرة العالم الإسلامى المشعة ، إلا أنه لم يتحر الدقة المطلوبة في العمل العلمي ، الأمر الذي أوقعه في أوهام عديدة أولها خطأ كبير تجلى في عنوان الكتاب "معجم الشيوخ" فالمحقق وضع عنواناً شاملاً لمحتوى مختصر ، وهو يؤكد هذه الشمولية ولكن بمعنى أضيق أثناء سرده لمؤلفات النجم حيث يتوقف عند كتابه "معجم شيوخه بالإجازة" فيقول وهو معجمه هذا(١). وأيضاً في تقييمه القاصر لأهمية الكتاب التاريخية لشيوخ النجم عندما يصفها بالتراجم الوافية لعلماء القرن التاسع في أهم المدن الإسلامية(٢).

وفي دراسة كهذه تعتمد في الأساس على الحقائق المدونة المخطوطة والمطبوعة لايعذر المحقق في اطلاق هذا العنوان على الكتاب ، فهو لايعدو كونه مختصرًا لمعجم شيوخ النجم . ودليلنا في ذلك عدد من الشواهد اليقينية الموثقة وهي :

---

(١) ص١٨ .
(٢) ص٢٦ .

ـ إن شيوخ النجم يربون على ألفي شيخ كما ذكر ابن طولون [١].

ـ إن هناك حجة ظاهرة تدعم ماسبق ، وهي المخطوطة المحفوظة بمكتبة خدا بخش بالهند والتي تضم أكثر من ألف ومائة شيخ وشيخة من شيوخ النجم ـ وقد خصصنا لها فصلاً كاملاً هنا ـ في حين أن مخطوطة برلين تحتوى على أربعمائة وأربع وتسعين ترجمة .

ـ وتمدنا المخطوطة الهندية بدليل أو حجة ثانية تؤكد وهم المحقق في عنوان الكتاب وهي : أن النجم انتهىٰ من تسويد هذه النسخة في شوال عام (٨٦١هـ/١٤٥٧م) [٢] في حين أن نسخة برلين دونها في نهاية موسم عام (٨٦٩هـ/١٤٦٥م) [٣]، أي بعد قرابة الثمان سنوات من تدوينه للتصنيف السابق . وهذا الشاهد لايدع مجالاً للشك في أن الكتاب المطبوع ليس إلا مختصرا لمعجم الشيوخ .

ـ إن نسخة برلين (الكتاب المطبوع) وإن كانت مختصرًا لشيوخ النجم إلا أنها تخص الشيوخ الذين أجازوا عدة من أصحابه باستدعائه ، ثم هي مختصر المختصر للشيوخ الذين أجازوا أبى ذر الحلبي [٤] واخوته باستدعاء النجم ، وقد صرح النجم في التمهيد الذي صدر به هذه النسخة بذلك عندما أشار إلى جملة موضوعه ، والحاجة التي دعت إليه فقال : "فلما وفق الله سبحانه وتعالى كاتب هذه الأحرف محمد المدعو عمر بن محمد بن محمد ابن أبى الخير محمد بن فهد الهاشمي المكي الأثري ـ أنجح اللّٰه قصده ،

---

(١) القلائد الجوهرية ، ق٢ ، ص٤٥٤ .
(٢) انظر خاتمة المعجم المخطوط .
(٣) انظر مقدمة المعجم المطبوع ، ص٣٧-٣٨ .
(٤) هو موفق الدين أحمد صاحب النجم وابن شيخه العلامة البرهان ابراهيم بن محمد الطرابلسي ثم الحلبي ، نزل النجم ببيته أثناء رحلته إلى الشام ، وهو محدث وأديب بارع له مصنفات في الحديث والأدب والتاريخ ، توفى بحلب عام ٨٨٤هـ . (النجم ابن فهد : معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٢ب-١٣أ) .

وألهمه رشده آمين - لطلب الحديث ؛ والرحلة فيه إلى الديار المصرية والشامية ، ولقي بها بقية من الشيوخ ، فاستجازهم مع جماعة من أهل الحرمين الشريفين وغيرهم في جملة من الإستدعاءات لعدة من الأصحاب منهم : سيدنا - العبد الفقير إلى الله تعالى - الإمام العلامة الأوحد المحدث البارع المفيد موفق الدين أبو ذر أحمد ابن شيخنا الحافظ الكبير المرحوم برهان الدين أبي الوفاء ابراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي ، واخواه الفقيهان الأصيلان ناصر الدين أبو حمزة أنس ، وجمال الدين أبو حامد عبد الله ، نفع الله بهم كما نفع بوالدهم . ووقف سيدي موفق الدين المشار إليه على نقل بعض ذلك ، وورد على كتاب في موسم سنة (٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م) في أن أجمع له تراجم من أجاز له باستدعائي ؛ فوجدت اسمه مجملا في عشرين استدعاء مع أخويه خلا الثالث والرابع فمصرحا بأسمائهم ، فجمعت هذا الكتاب جميع من أجاز في الاستدعاءات المذكورة ، ورتبتهم على حروف الهجاء"(١).

- يبدو أن المحقق لم ينظر إلى هذا التمهيد نظرة فاحصة دقيقة يستوعب من خلالها عنوان الكتاب ، رغم أنه أشار في ثنايا حديثه عن سبب تأليفه إلى بعض من ذلك حين ذكر أن الكتاب يشترك فيه النجم مع أبي ذر وأخويه (٢)، غير أنه يتحلل من قيود هذا التوثيق ، ويجرؤ على التعميم فيعنون له بـ"معجم الشيوخ" ناقلاً بذلك ماسجله متملك الكتاب في طرته (٣). وكان الأولى أن يبتعد المحقق عن النقل والتقليد ، وأن يكون من أهل الاجتهاد في استنتاج عنوانه ، خاصة في خضم التضارب الواضح فيما دون على طرته وأوراقه الأولى .

---

(١) ص٣٧-٣٨ .

(٢) ص٢٥-٢٦ .

(٣) ص٢١،٢٩ .

ـ وثمة مـايؤيد غفلـة المحقـق ، وعـدم تثبته وهـو أن النسخـة التي اعتمدها في تحقيقه والمحفوظة بمكتبة برلين الوطنية ، وألحق تقديمه بصور منها يتصدر الورقة الأولى منها نص صريح مكتوب باللغة الانجليزية يدل على لفظ الاختصار،وهو:(a.Short biogr. of the shaykhs of Ibn Fahd Makky) وكـان الأجدر بالمحقق أن يستوقفه ذلك النص ، ولو فعـل لأمكنه التثبت ، ووضـع العنوان الأقرب إلى الصـواب وهو : "مختصـر لتراجم الشيـوخ"(١).

ـ ثم إن هـذا المختصر يخص أصحـاب النجم الذين أجمـل في ذكرهم والذين صرح بأسمائهم كما رأينا سابقًا ، ودليلنا على ذلـك أن النجم ترجم فيـه لنفسـه ، فلو كان يخص شيـوخه لما فعـل ذلك . إذ كيـف يصنـف نفسه ضمن الشيوخ الذين أخذ عنهم؟! وعليه ، فإن هذه الترجمة قد أوضحت لنا هدف النجم من تأليف هذا المختصر وهو : الترجمة لشيـوخه الذين أجازوا أصحابه باستدعائه فقط ، بما فيهم هو إذ أنه أحد أولئـك الشيوخ المجيزين . ودليلنـا الثاني : هو أن نسخة الهند لاتوجد فيها ترجمـة تخص النجم ، لأنها وضعت أصلاً لشيوخه وأقرانه الذين لقيهم وأخذ عنهم وأجازوه . ولهـذا لم يترجم لنفســه فيها مع علو مكـانته العلمية تأدباً وتواضعـًا وتخصيصاً لمحتوى الكتاب .

ـ وهنـاك أمر يتصل بما أسمـاه المحقق "المعجم" و"الـذيل على المعجم" فقـد ذكـر أن المتملك علق على ظهـر الـورقة الأولى التي بخط العـز مـايلي :

"أسقط ابن المؤلف من الأصل عدة تراجم فجمعتهـا من خط المؤلف ، وألحقتهـا بآخر هذه المبيضة ، ولم يظهـر لي وجه اسقاطهـا مـع أن فيها عوالي وتراجم نفيسة ، يضطر المحدث إليها . فالله أعلم بمقصده"(٢).

ثم صدر الجزء الذي بيضه بما يلى :

---

(١) ص٣٠ .

(٢) ص٢٢ .

"وبعد ... فهذا جزء بيضت فيه مابقي في مسودة معجم الحافظ أبى الخير ابن فهد المكي من أسماء شيوخه ، وألحقته بما بيضه ولده الحافظ عز الدين".

وأعتقد أن المتملك قد توهم حين اتهم العز باسقاط بعض التراجم من مسودة والده . ولهذا أرىٰ أن من حق العز علي - وعلى المؤرخ الحافظ صاحب الامتياز العلمي - أن أبريء ساحته من هذا الاتهام ؛ فأقول والله أعلم :

لعل مابيضه العز خاص بتراجم الشيوخ الذين أجازوا أبا ذر وأخويه ومايرجح هذا القول : أن العز كتبه من خط والده وتعليقه في حلب عام (٨٧١هـ/١٤٦٧م) في المدرسة الأشرفية[١]، وهذه المدرسة هي بيت أبى ذر الحلبي[٢].

أما ماكان في مسودة النجم فهو : شامل للشيوخ الذين أجازوا أصحابه في الاستدعاءات بما فيهم أبى ذر وأخويه .

ويبدو أن المتملك لم يتنبه لهذا الخيط الرفيع ، وأنه صب اهتمامه على ضم الشيوخ في كتاب واحد ليسهل عليه اتصال الرواية . ولهذا أستطيع القول : أنه من خلال تتبعي العميق لآثار النجم المطبوعة والمخطوطة ، والتي كان للعز بصماته الواضحة فيها : أنه قد بلغ من الدقة والأمانة في النقل والتسجيل مبلغاً عظيماً يربو به عن الغفلة ، أو تعمد اسقاط تلك التراجم من كتاب والده .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المحقق لم يفطن لهذا الأمر عند دراسته للكتاب ، وإنما اتسمت كتابته وتصديره للذيل بالتكرار المزوق لتعليقات أبى الفتوح[٣].

---

(١) انظر ص٣٣١ .

(٢) انظر المعجم المخطوط ، ق١٣أ .

(٣) انظ ص٢٣ .

ومن الملفت أن المتملك في الجزء الذى بيضه وألحقه بالكتاب ، قد كنىٰ النجم بأبى الخير في حين أن هذه الكنية خاصة بالعز ، وليست للنجم الذي يكنى بأبى القاسم . ولاأعلم كيف يقع المتملك في هذا الوهم ، خاصة وأن الغرض من تبييضه كما يقول : اتصال الرواية ، وهذه تتطلب المعرفة الدقيقة بالراوي . فلعله سهو أو سبق قلم .

والملاحظ أن المحقق لم يتنبه لهذا التحريف ، ولم يشر إليه في دراسته للنسخة المعتمدة في التحقيق . علماً بأن هذا التحريف ورد أيضا في النص المكتوب باللغة الانجليزية في أعلى الورقة الأولى من الذيل المستشف من نص المتملك وهو : The Shaykhs of Abu-l-Khayr Ibn Fahd Makky (١).

- قدم المحقق دراسة غير موفقة لأعداد التراجم فقد ذكر أن الرقمين ٢٨٩،٢٨٨ مكرران ؛ مع أن المكررين هما ٢٩٠،٢٨٩ .

- لم ينبه في المقدمة ولافي الهوامش للشيخ رقم ٢١٥ في المعجم الذي تكررت ترجمته في الذيل برقم ٨٦ .

- لم ينبه في المقدمة للشيخ رقم ١١٥ في المعجم الذي تكررت ترجمته في الذيل برقم ٥٢ ، وإن كان قد نبه إلى ذلك في الذيل في هامش (١) من الصفحة ٣٦٣ .

- أغفل الإشارة إلى ماورد في تهميش المتملك على طرة الكتاب بخصوص أعداد الشيوخ الذين أسقطهم العز فقد ذكر أنهم ١٢٠ شيخاً و١٧ شيخة ، وأنه استخرجهم في جزء وألحقهم في آخر المشيخة . وهذا العدد لايتطابق مع ماورد في الذيل المطبوع ، فعدد الشيوخ ١١٣ ، اثنان مكرران مع الأصل كما أسلفنا ، أما الشيخات فعددهن ١٦ ، ونبه هنا إلى ترجمة

---

(١) ص٣٣ .

الشيخة المكررة مع الأصل . ولانعلم سبباً لعدم تعليقه على التراجم الناقصة بالنسبة للشيوخ . ومجمل القول : أن مجموع التراجم التي أثبتها في الذيل لاتتوافق مع دراسته ، وتتعارض مع تعليق المتملك .

- لم يعلق المحقق على الفهرسة الإنجليزية الواردة في نهاية الورقة الأولى من الذيل (a. Biographical account of 307 Shaykhs, whom ibn Fahd, flour. in 869, met his trauels)(١) فالفهرسة تثبت أن عدد الشيوخ ٣٠٧ ؛ وهذا العدد يكتنفه الغموض ، فهو لايتوافق مع مجموع تراجم الذيل ولامع مجموع تراجم المعجم التي ذكرها المحقق في دراسته!!

- أسقط المحقق من قائمة الفهارس الملحقة بنهاية الكتاب - والخاصة بأسماء المترجمين في المعجم - اسم الشيخ رقم ١٧٤ ، والشيخ رقم ٢٨١(٢).

- والمتتبع للدراسة الوصفية للنسخة التي قدمها المحقق لايغيب عن فطنته ماوقع فيه من لبس أثناء ذكره لاسم متملكها فمرة يقول : أنه أبو الفتوح ناصر الاعزازي (٣)، وأخري يذكر : أنه أبو الفتوح على الاعزازى(٤). ويزيد في اللبس فيورد ماينص على أن الشيخ ناصر هو شيخ بعض مشائخ أبيه(٥).

- أخطأ المحقق في ذكر السنة التي توفى فيها عبد العزيز بن فهد فقال : أنه توفى عام (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ، وأن المصادر تتفق مع هذا التاريخ عدى مرجعين يذكران أنه توفى عام (٩٢١هـ/١٥١٥م) . والواقع أن المصادر تتفاوت في تاريخ وفاته بين عام (٩٢٠هـ/١٥١٤م) وعام (٩٢١هـ١٥١٥م) وعام

---

(١) ص٣٣ .
(٢) انظر ص٢٦٩،١٨٣ . وقارن بأسماء الرجال الواردين في الفهرس رقم (١) .
(٣) ص٢١ .
(٤) ص٢٢،٢١ .
(٥) ص٢١ .

(٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) ، وأقربها إلى الصواب عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) لأنه يتوافق مع دليل مادي أثبته ابن طولون حيث ذكر أن جار الله بن عبدالعزيز كان في دمشق لما بلغه خبر وفاة والده ، وأنه أقيمت عليه صلاة الغائب هناك(١).

- عرض التراجم في الكتاب المطبوع ينقصه التنظيم ، فالملاحظ أن معظم التراجم - إن لم نقل كلها - يسردها المحقق سردًا متتابعاً في فقرة واحدة ، ويختمها بفقرة أخيرة تتعلق بتاريخ الوفاة إن وجدت . وكان الأجدر به تقسيمها إلى فقرات متعددة ، ويعين بداية كل فقرة ونهايتها بما يناسب معاني النص ودلالاته سواء في التعريف بالمترجم أو نشأته أو رحلاته أو الوظائف التي تقلدها ، أو انتاجه الفكري ...الخ .

- اعتماد المحقق على نسخة واحدة في تحقيقه أدىٰ إلى بتر مادة بعض النصوص ، وعرضها بصورة غير كاملة . فجميع التراجم التي بها سقط أو نقص بالنسخة يوردها كما هي واضعًا نقطًا متوالية مكانها(٢)، ثم يشير في الهامش مانصه : بياض في الأصل ، أو كلمة مطموسة ، أو تعليق نصه كذا ولو أنه استعان بمصادر أخرى لأمكنه في الغالب اتمام السقط ، وتوضيح ماغمض عليه ، ومالم يرد ذكره ، ولو اجتهد في تقويم مادة النص ، وأضاف مايقتضيه السياق في المتن ، ووضعه بين حاصرتين ، وأشار في الحواشي إلى اضافته والمصدر الذي استعان به في اعطاء المعنى الأقرب إلى الصواب ، لخرج الكتاب بصورة أفضل مما هو عليه .

- من الأمور الهامة في التحقيق التعريف بالمبهم والمغمور من أسماء الرجال والبلدان والقبائل والمصطلحات التاريخية الواردة في النص ، وهذه لم يعتن بها المحقق رغم أنها من صلب عمله .

---

(١) مفاكهة الخلان ، ج٢ ، ص٦٣ .

(٢) يلاحظ أحيانا أنه يستعين بالمصادر في اثبات تاريخ الوفاة فقط لبعض المترجمين .

ـ يلاحظ أن المحقق لم يسر على طريقة واحدة في ذكر مصادره ومراجعه ، وتتسم كثيرًا من تهميشاته في هذه النقطة بعدم المنهجية العلمية ، فأحياناً يذكر اسم المؤلف ، وأحياناً يكتفي باسم الكتاب ، وأحياناً أخرى ، لايشير إلى أرقام الأجزاء والصفحات .

ـ أحياناً يستخدم المحقق بعض العبارات غير الدقيقة في تهميشه على سبيل المثال في الهامش (٢) من الصفحة (٢٤٧) علق على احدى التراجم بقوله : "تنتهى الترجمة إلى هذا الحد ، وبعدها بياض مقداره خمسة أسطر" .

غير أن الملاحظ على الترجمةانها لم تنته ، حيث أثبت في المتن بعد هذا التنصيص تاريخ مولد صاحب الترجمة ؛ وعليه أيضا تعليق من قبل المحقق بأن مولده في الضوء اللامع مخالف لما ورد في المتن .

والذي يبدو هنا أن الترجمة لم تنته ، ولكن توقفت ثم استؤنفت وإن عبارة المحقق التي أثبتها في الهامش لم تكن دقيقة!!

ـ يلاحظ أن هناك بعض الأخطاء المطبعية منها على سبيل المثال : (ابن شكر) الصحيح (ابن سكر بالسين)(١)، و(ففيه) الصحيح (فقيه بالقاف)(٢)، و(لمع الأدلة)(٣)والصحيح (جمع الأدلة) ، و(أود)(٤)والصحيح (أورد) ، و(العجم)(٥)والصحيح (المعجم) ، و(الطباحي)(٦)والصحيح (الطناحي بالنون) ، و(الشويكي)(٧)والصحيح (الشوبكي بالباء) ...الخ .

---

(١) ص٦٥،١٤٢،١٩٩،٢١٣،٢١٥،٢٤٤،٢٥٤،٢٥٥،٢٦٢،٢٧٠،٣١٤ .
(٢) ص١٢٠ ، هـ(٣) .
(٣) ص٢٢٠ .
(٤) ص٣٨٨ ، هـ(٢) .
(٥) ص٤٠٣ ، هـ(٤) .
(٦) ص٢٩٣ .
(٧) ص٣١٥ .

ورغم كل هذه الهنات والأخطاء على منهج التحقيق فإن مابذله المحقق من جهد يستحق الشكر ، حيث أن وجود الكتاب بين يدي الباحثين بأخطائه أفضل من عدم استفادتهم منه .

أما منهج النجم في هذا الكتاب فلن نعرض له هنا رغبة منا في الاختصار وعدم التكرار ؛ وذلك لعدة أسباب وهي :

- إن جميع التراجم التي في معجم الشيوخ المطبوع ، موجودة في معجم الشيوخ المخطوط .
- إن المادة العلمية في المعجم المطبوع مستقاه من المعجم المخطوط ، وإن جميع عناصر الترجمة في الأول موجودة في الثاني ، والعكس غير ذلك.
- إن أركان الترجمة في المعجم المخطوط تمتاز بمادة أوسع في بعض التراجم ، علاوة على تفرده بركن رئيسي في أغلب التراجم ، وهو الركن الخاص بثقافة النجم وعلومه التي تلقاها عن أصحاب التراجم .
- في المعجم المخطوط تركزت أكبر مجموعة من تراجم شيوخ النجم ابن فهد ، وهي بالطبع ليست تراجم كل شيوخه كما أثبتنا ذلك في باب سابق من هذه الدراسة(١). فعددهم في المخطوط أكثر من ألف ومئة ترجمة ، أما في المطبوع فعددهم أربعمائة وأربع وتسعين .

على أنه من المفيد أن نشير إلى أن المعجمين لايلتقيان في الطريقة التنظيمية العامة لترتيب الشيوخ والشيخات . ففي المعجم المخطوط جميع التراجم مرتبة حسب موقعها من حروف الهجاء لافصل فيها بين تراجم الشيوخ والشيخات . أما تراجم المطبوع فقد بدأت بتراجم الشيوخ مرتبة حسب حروف الهجاء بدءاً بالألف وانتهاءً بالياء وبعد استكمالها ألحقت بتراجم الشيخات وبنفس الترتيب الهجائي . كما لو أن الكتاب قسم إلى بابين أو فصلين أحدهما للرجال والآخر للنساء .

---

(١) انظر الباب الأول ، الفصل الثاني ، ص١٠٧-١١١ .

ومن جهة أخرى هناك اختلاف في تنظيم العناوين ، ففي المخطوط كانت العناوين رئيسية بحسب الحروف . أما في المعجم المطبوع فإن لكل ترجمة عنوان خاص يحمل رقم الشيخ أو الشيخة والمدينة التي ينتميان إليها هذا في الأصل أما في الذيل فهو مرقم عددياً رسماً وليس كتابة . واتصلت فيه أرقام الشيوخ والشيخات .

وخلاف هذه النقطة التنظيمية يمكن القول : أن مادة المعجم المطبوع تدور كلها في فلك المعجم المخطوط ، ولم تخرج عنه . ولهذا رأينا الاستغناء بدراسة الأصل عن المختصر ؛ لأنه يضم أبرز سمات منهج النجم في تناوله التاريخي لتراجم شيوخه .

معجم الشيوخ (المخطوط):

هذا المخطوط من المعاجم النفيسة ، وهو مصدر تاريخي أصيل لفترة عاصرها المؤرخ فسبر كنوزها ، وأخرج دفائنها ، ودشنها علمياً في المصنف الذي يعد بحق من المصادر المهمة في دراسة الحركة الفكرية للقرنين الثامن والتاسع الهجريين . كما يعد أحد الأصول الرئيسية لمعجم شيوخ النجم ابن فهد .

والنسخة الخطية من هذا الكتاب محفوظة بمكتبة خدابخش في الهند برقم ٢٤٢٩ تاريخ . وهي تتلو النسخة الأصلية في القيمة ، لأنها بخط ابن المؤلف ، ونظراً لنفاستها ، ودقة معلوماتها فقد عولنا عليها في دراستنا التاريخية لمؤرخنا واستفدنا منها فائدة عظمىٰ ، بعد حصولنا على نسخة مصورة منها .

وتجدر الإشارة إلى أن المخطوط قد ألحقت به خمس ورقات تحتوي على مجموعة استدعاءات الإجازة التي حصل عليها مؤرخنا وعائلته ، وعددها ثمانية وتسعون استدعاء ، مصرحاً بأسماء المجازين في أغلبها ، وهي باستدعائه أو باستدعاء والده أو بعض شيوخه .

والاستدعاءات معنونة بالالحاقات . وهي من نقل وترتيب شخص يدعى أحمد الأثري في ربيع الأول عام (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) بمكة المكرمة .

وقد صدرت الاستدعاءات بخط مخالف للخط الذي كتبت به ونص هذا التصدير مايلي : "الحمد لله ... هذه أعداد الاستدعاءات المجاز فيها لصاحب هذا المعجم المرحوم الشيخ الحافظ العمدة نجم الدين عمر بن الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي رحمة الله عليهما ، ونشير إليها في ترجمة كل شيخ أجاز له فيها بالقلم الهندي فليعلم ذلك" .

وهذا التصدير كتب بخط جار الله بن فهد حفيد مؤرخنا ، وذلك للتشابه الكبير بينه وبين الخط الذي يدون به مؤلفاته[١].

أوصاف المخطوط :

النسخة تقع في مجلد ضخم ، وعدد أوراقها ٣٠٩ وفقا للفهرسة ، في حين أنه لم يصلنا سوى ٢٨٦ ورقة (وجه ـ وظهر) ، ومقاسها ٢٥ x ١٨,٥سم ومسطرتها ٢٧ سطراً في كل ورقة ، أما الخط فهو قليل الاعجام ، جميل ، ومنظم ، ولاتصعب قراءته إلا في المواقع التي بها اهتزاز في التصوير أو عطب .

وناسخ المخطوط هو : عبد العزيز بن فهد ابن مؤرخنا ، وتاريخ النسخ ربيع الآخر عام (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) .

وفي خانة الملاحظات الخاصة بفهرسة معلومات المخطوط ، وأيضا في آخره ، وبالتحديد بعد خاتمة المؤلف والناسخ تقييد هامشي على يمين الورقة

---

(١) عن خط جار الله ابن فهد : قابل الخط الذي صدرت به الاستدعاءات بالنموذج الموجود في الزركلي : الأعلام ، ج٧ ، ص١٠٠ ؛ حمد الجاسر : مقدمة حسن القرى ، ص١٦ .

ينص على مقابلة وتوقيع بخط محمد بن عبد الله بن حميد الحنبلي عام (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) .

وأوراق المخطوط غير مرقمة ، ولهذا رقمت بمجهود شخصي ضمن الإطار المنهجي ، لتسهيل دراسته ، وتتبع تراجمه ، وسرعة الوصول إليها عند الحاجة .

ويوجد بالنسخة المصوره اثنى عشر ورقة لحقها العطب ، وهي غير واضحة تماماً ، والعديد من الأوراق فيها لطخات ملونة بالسواد ؛ ويصعب قراءة مافيها . وهناك فراغ في بعض التراجم قد يصل إلى نصف الورقة كما هو الحال في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الله بن داود المصري الأصل المكي ، الشهير بابن خبطه ؛ إلى هنا تتوقف الترجمة ثم بياض حتى آخر الورقة . وقد يكون عدم استكمال الترجمة ناتج عن اهتزاز الصورة كما هو الحال في ترجمة المؤرخ المعروف السخاوي ؛ حيث تبدأ ترجمته بثلاث أسطر واضحة مقروءة ، ثم اهتزاز لايتبين منه سوىٰ سواد الأسطر ، وكذلك الحال في ترجمة المؤرخ أبي المحاسن ابن تغري بردي ، إذ يلاحظ أن ورقة كاملة وجه وظهر من ترجمته ملطخة كلياً بالسواد . بينما بقية الترجمة في ورقة أخرى مقروءة ، وبها معلومات جيدة عنه .

وهناك أيضا مواضع بيضاء بمقدار كلمة أو كلمتين فوق بعضها لفظ كذا(١)، وأحيانا يكون البياض بمقدار سطر أو سطر ونصف أو سطرين(٢)، كما يوجد تشطيب بالقلم على بعض العبارات التي سبقت مكانها الصحيح(٣)، أو بعض الألفاظ المترادفة أو العبارات المكررة(٤)، أو التراجم المكررة(٥).

---

(١) انظر على سبيل المثال : ق٨أ ، ٢٠أ ، ٣٢أ ، ٤٨أ ، ٦٦ب ، ٨٦ب .
(٢) انظر على سبيل المثال : ق٢٥أ ، ٣٣أ ، ٥٦أ ، ٦٠ب .
(٣) انظر على سبيل المثال : ق٥أ ، ٦٨ب .
(٤) انظر على سبيل المثال : ق٤ب ، ٢٦ب .
(٥) انظر على سبيل المثال : ق٥٧ .

وأوراق المخطوط منتظمة في معظمها إلا أن هناك بعض الأوراق ليست في مكانها الصحيح ، وهذا من الأخطاء الشائعة في تجليد المخطوطات ، وعلى كل فهذا الخلل الغير مقصود أمكن تجاوزه في بعض المواضع بعد مقابلة التراجم مستعينين بلفظ الترحيل . ولاتخلو النسخة من أوراق ناقصة ، يمكن ملاحظتها من عدم تسلسل بعض التراجم .

وعلى النسخة تعاليق طفيفة بعضها عبارة عن سقطات كتابية ، أو تصويب لتواريخ الميلاد والوفاة ، وقد تداركها الناسخ بالاثبات عند المراجعة وبعضها اشارات أو تنبيهات بخط مخالف يبدو أنها لأشخاص اطلعوا على المخطوط وهي على النحو التالى :

- في الورقة (٤٢ب) ، أضيف بمحاذاة السطر الأول لاحدى التراجم لقب صاحب الترجمة .
- في الورقة (٢١٢ب) ، أضيف على الهامش اسم الشهرة لصاحب الترجمة ، ومذهبه .
- في الورقة (١٧٣أ) أمام السطرين الأولين لأحد التراجم تعليق بعبارة نصها : "من أولاد الإمام فلان"(١).
- في عدد من الأوراق بمحاذاة السطر الأول لبعض التراجم سجل في الهامش لفظ "نحوي"(٢). وهي طريقة لم تتبع في كل تراجم علماء اللغة النحويين الذين ورد ذكرهم في المخطوط .

ويبدو أن السيوطي قد اطلع على المخطوط ، وأنه تتبع تراجم النحويين وغيرهم ممن هم ضمن اهتماماته . ولعل مايرجح هذا الاستنتاج : أنه في مقدمة كتاب بغية الوعاة ذكر بأنه عرض كتابه على النجم ، وأنه أشار

---

(١) الاسم غير واضح .
(٢) انظر على سبيل المثال : ق١٤ب ، ١٥أ ، ٣٧ب .

عليه بما استحسنه وفى هذا يقول : "جمعت كل ماتضمنته الكتب ... من ترجمة نحوي طالت أو قصرت ، خفيت أخباره أو اشتهرت ، وأوردت من فوائدهم ، وأخبارهم ، ومناظراتهم ، وأشعارهم ، ومروياتهم ، ومفرداتهم مالم يجتمع في كتاب بحيث بلغت المسودة سبع مجلدات . فلما حللت بمكة المشرفة سنة تسع وستين ، وقفت عليها صديقنا الحافظ نجم الدين ابن فهد جزاه الله تعالى أحسن الجزاء ، وحياه أحسن الحياء فأشار على بأن ألخص منها طبقات في مجلد يحتوي على المهم من التراجم ، ويجري مجري ماألفه الناس من المعاجم ، فحمدت رأيه ، وشكرت لذلك سعيه ، ولخصت منها المهم"(١).

ومايقوي هذا الاستنتاج التعليق الذي ورد على هامش ترجمة السيوطي في هذا المعجم فأمام مؤلفاته تنبيه نصه مايلى : "وشيئا كثيرًا ، بل لم يذكر هنا عشر مؤلفاته ، لأن هذه الترجمة كتبت في عنفوان الشباب ، ثم بعدها المؤلف عظم أمره ، واشتهر قدره ، واتسع علمه"(٢). وأسلوب هذا النص يوافق أسلوب السيوطي عندما ترجم لنفسه في كتاب حسن المحاضرة إذ نلمس فيها مسحة التعالي والغرور(٣).

وهناك أيضا تهميش آخر في الورقة (١٧٢ب) يبدو أنه للسيوطي على ترجمة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ؛ فقد ذكر النجم أن له تفسيرًا لم يكمله ، بقي منه من النساء إلى أول الكهف . وأمام السطر الذي به هذه العبارة كتب تعليقاً نصه : "وقد أكمله الأسيوطي فنسب للجلالين : المحلي والأسيوطي ، وأسمع به كثيرًا" .

ـ على الهامش الأيسر والأعلى والأسفل للورقة (١٥٩أ) تقييدات كثيرة تتعلق بكتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله

---

(١) السيوطي ، ص١-٦ .
(٢) ق٩٦ب .
(٣) انظر ج١ ، ص٣٣٥-٣٤٤ . وقارن بالنص الوارد أعلاه .

عليه وسلم ، كما أن هناك أطماس بالحبر لمواضع من التقييدات ، وعلى الرغم من وضوح التراجم المسجلة في هذه الورقة؛إلا أن التقييدات مهزوزة جداً ، وغير واضحة اثر بلل على مايبدو ، ومن الصعب قراءتها وتتبع ماقيد فيها ، ويبدو أن كاتب هذه التقييدات هو الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد لأن الخط الذي كتبت به هو نفسه الذي دون به ابن حميد تقريظه ، ومن ثم توقيعه في الهامش الأيمن من الورقة الأخيرة فى المخطوط .

- في الأوراق (١٦٤ب) و(١٧٠أ) و(١٧٢أ) تعليق نصه : "لم يذكره الأسيوطي" .

ولعل الذي دون هذا التعليق جار الله بن فهد أثناء تتبعه للحفاظ الذين أغفلهم السيوطي في كتابه ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ، فقد أثار جارالله اهمال السيوطي لعدد من الحفاظ من ضمنهم جده تقي الدين ابن فهد فألف كتاباً تمم فيه تراجم من أسقطهم أو سهىٰ عنهم السيوطي (١).

- في الورقة (٢٨٦ب) على هامش الترجمة الأخيرة في المخطوط، يوجد نص مقابلة بين عبارات النجم والسخاوي . فقد كتب النجم أن صاحب الترجمة "إذا وجد عامياً يتسلط عليه ، وخصوصاً من يجاوره" . والمقابلة التي في الهامش نصها : "لفظ السخاوي في ضوئه هكذا : ولايقدم في طول عمره عامياً ، ويتسلط عليه ، وخصوصاً من يجاوره" .

وبالرجوع إلى كتاب السخاوي وجدنا نفس العبارة التي وردت في المقابلة المذكورة (٢).

- على هوامش بعض الأوراق عدد من التراجم الإضافية ، التي يبدو أنها سقطت من الناسخ فاستدركها أثناء المراجعة ، وسوف نتناولها بالذكر في

---

(١) انظر نهاية ذيول تذكرة الحفاظ ، ص٣٨٣ .
(٢) الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص٣٤٣ .

موضع آخر من هذا الفصل .

عنوان المخطوط وزمن تأليفه ونسخه :

إن تحديد الأُطر الأساسية للمخطوط بشكل سليم تكتنفه مصاعب مبعثها فقدان مقدمته وهي عادة تضم معلومات قيمة ، وفي مقدمتها العنوان الحقيقي للمخطوط . وضياع المقدمة يمنعنا من قبول العنوان الذي قُيد في فهرسة المكتبة وهو "أسماء الرجال" .

ويبدو لي أن المفهرس وضع هذا العنوان اجتهاداً منه ، مستنداً على نمط التراجم ونوعيتها . وعلى أى حال فاجتهاد المفهرس يظل ضمن الإطار التقريبي للعنوان ، وحسبه أنه اجتهد .

غير أن مؤلفات النجم ، والمصادر التاريخية التي ترجمت له لم تذكر أن له كتاباً بهذا الاسم . ومن واقع اطلاعي على المخطوط ، ودراستي له ؛ يمكنني القول أنه كتاب "معجم الشيوخ بالسماع والإجازة" والشواهد على ذلك عديدة لعل من أهمها :

- المعلومة الجيدة التي دونها النجم في نهاية المخطوط ، والتي سدت شيئا من القصور الناتج عن فقدان ورقة العنوان وفيها يقول النجم : "انتهى الغرض مما أردت جمعه من مشائخي الذين سمعت منهم أو أجازوا لي الرواية عنهم" .

- أن النجم أثناء ترجمته لنفسه في المعجم المطبوع ، وفي مخطوطة الدر الكمين أشار إلى هذا العنوان ضمن سلسلة مؤلفاته ، ونص على أنه جمع معجمًا لشيوخه بالسماع والإجازة(١).

(١) معجم الشيوخ ، ص١٩٤ ؛ الدر الكمين ، ق١٥٩أ-١٦٢أ .

ـ أن السخاوي وهو مؤرخ معاصر لمؤرخنا وتلميذ وصاحب له أشار إلى هذا المعجم في كتابه الضوء اللامع ضمن ترجمة حافلة تليق بمكانة النجم العلمية والأدبية(١).

أما زمن تأليف الكتاب فليس ثمة معلومة تفيد الابتداء في كتابة مسودته . أما تاريخ الفراغ منه فهو مدون في الورقة الأخيرة من المخطوط . يقول النجم : "وكان الفراغ من تسويد ذلك في آخر يوم الخميس حادي عشر شوال سنة احدى وستين وثمانمائة بمنزلنا بمكة المشرفة ، تجاه الكعبة المعظمة ، وأنا حريص على أن ألحق فيه مايناسبه من الفوائد ، وماأظفر به من المسموعات والمشائخ ، ومايتجدد لي من ذلك أيضا ، والله المسئول الاعانة على ذلك" .

وعبارة النجم الأخيرة تبين امتداد تأليفه إلى مابعد عام (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) ، ومما يؤكد ذلك استمرار تعهده بالإضافة ، وتسجيل الوفيات للشيوخ ، بعد هذا التاريخ بكثير ، فعلى سبيل المثال يقول في احدىٰ تراجمه "ولاأعرف متى مات إلا أنه كان حيا في سنة ٨٧٠هـ (١٤٦٥م)"(٢)، وهناك تراجم سجل بعض أخبارها وتاريخ وفياتها في عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) ، وعام (٨٧٦هـ/١٤٧١م) ، وعام (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) ، وعام (٨٨٣هـ/١٤٧٨م) ، وعام (٨٨٤هـ/١٤٤٩م)(٣).

وفي المخطوط أيضا العديد من المسموعات والإجازات التي تحصل عليها مؤرخنا بعد تاريخ الفراغ من تسويده ، وهي تؤكد بحق عمق نظرته ، وصدق توجهه في طلب العلم ، وخدمته له حتى آخر عمره . فهناك اجازات تحصل عليها عام (٨٦٦هـ/١٤٦١م) ، وعام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) ، وعام

---

(١) ج٦ ، ص١٢٨ .
(٢) ق٤٣أ .
(٣) انظر ق١٢ب-١٣أ ، ١٥أ ، ٤٣أ ، ٦١ب ، ٢٨٢أ .

(٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)[١]...الخ . وهناك تراجم لأقران قرأوا عليه في تواريخ متأخرة منها عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)[٢].

ومما لايخالجنا الشك فيه أن هذه الأمثلة وغيرها كثير تشير إلى أن هذا المخطوط يعتبر أيضا من آخر الكتب التي ألفها النجم ، فهو وإن انتهىٰ من تسويده عام (٨٦١هـ/١٤٥٦م) إلا أنه استمر لأكثر من عشرين عاماً يتعهده بالزيادة والمراجعة للوصول إلى الصيغة المتكاملة دقةً واتقاناً .

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن النجم ورّث عائلته استكمال أعماله في منهجية علمية شديدة الدقة والأمانة ، فهو قد أتم تراجم شيوخه الذين توفوا في حياته . أما من عاصرهم من الشيوخ والأقران الذين أخذ عنهم ثم مات وهم أحياء ، فقد ترجم لهم بتراجم وافية، وذكر مسموعاته وإجازاته منهم ، وأبقىٰ الترجمة بدون نهاية فذيل ابنه عبد العزيز على نفس التراجم التي دونها والده وعاصرها هو بادئاً من حيث انتهىٰ أبوه ؛ ناسباً الإضافة إلى نفسه بلفظ "أقول" ثم يكمل الترجمة ذاكراً تاريخ وفاة صاحبها وقد يشير في بعض التراجم إلى مااستجد من أمور في حياة الشيوخ المترجم لهم ، وبنفس أسلوب والده . على أن أغلب اضافاته موجزة ، ولاتزيد عن بضعة أسطر .

وقد صرح العز ابن فهد بقيامه بهذا العمل وفاء لوالده ، فقال في نهاية المخطوط ، وبالتحديد بعد الخاتمة التي كتبها والده : "قاله وكتبه ابن مؤلفه الفقير إلى لطف اللّٰه وعونه أبو الخير وأبو فارس محمد المدعو عبدالعزيز بن محمد المدعو عمر بن محمد بن أبى الخير ابن فهد الهاشمي العلوي المكي الشافعي" .

---

(١) انظر ق٢أ ، ٦٣أ،ب ، ١٧٩ب-١٨٠أ ، ٢٧٦أ .
(٢) انظر ق٦٣أ،ب .

وآخر مانود الإشارة إليه في هذا المقام هو أن احدى التراجم في المخطوط يبدو أنه ساهم في تدوينها ثلاثة أجيال من آل فهد وهم النجم - وهو الجد - في المقام الأول ، ثم عبد العزيز وهو الابن واضافته تبدأ بلفظ أقول ، ثم الحفيد جار الله وإضافته تبدأ بلفظ زيدت . والملاحظ أن الزيادة التي بخط جار الله تبدأ أخبارها بسنة ست وتسعمائة وهي توافق السنة التي انتهى فيها العز من نسخ المخطوط .

وصاحب تلك الترجمة هو زكريا بن محمد السنيكى (١)، وإذا صح لنا التعبير يمكن أن نطلق عليها الترجمة المعمرة "تدويناً" لتعاقب التسجيلات الثلاثة عليها . وهناك ترجمه في المخطوط بها تصويب بخط جار الله على تاريخ الوفاة ، واضافة بمقدار نصف سطر فيها على موضع بياض يبدو أن والده العز قد تركه لتعبئته فيما بعد . وتصويب آخر لتاريخ المولد لاحدى الشيخات (٢). علاوة على أن مقدمة الاستدعاءات الملحقة بنهاية المخطوط كانت بخط جار الله كما أسلفنا .

وهكذا من خلال هذه الإضافات الجيدة من الابن والحفيد ، نقف على أثر واضح لعنايتهما بمراجعة ماكتب ، واستكمال نواقصه ماأمكن .

التنظيم وأساليب العرض للمادة :

على الرغم من أن أوراق المخطوط الذي وصلنا غير كاملة ، كما أن عددا منها معطوب تماماً ؛ إلا أننا تمكنا من قراءة ألف ومائة وثلاث عشر ترجمة للشيوخ والشيخات ممن حمل عنهم النجم عن طريق الراوية ، أو عن طريق الدراسة ، وممن أخذ منهم من الأقران ونحوهم .

وتبلغ تراجم الرجال تسعمائة وتسعون ترجمة ، أما تراجم النساء فعددها مئة وثلاث عشرون ترجمة . وقد رتبها جميعا ترتيباً هجائياً بدون

---

(١) ق٨٥ب-٨٦أ .
(٢) ق٦٠أ .

بين الشيوخ والشيخات . حيث يترجم لكل منهم بحسب حرفه من التسلسل الهجائى . وينطبق هذا الترتيب ـ المألوف على الحروف ـ على أسماء أصحاب التراجم ، وأسماء آبائهم وأجدادهم . بمعنى إذا تساوى مترجمان في الاسم فانه ينتقل إلى اسم الأب ، وإذا تطابقا في الأب ينتقل إلى الجد . وهكذا .

وقد اعتنى النجم عناية بالغة بهذا الترتيب ، وراعىٰ الدقة المتناهية في جميع تراجمه . وتبدأ التراجم بعنوان رئيسي في منتصف الورقة مكتوب بخط كبير ، وبمداد مختلف . يشتمل على الحرف الذي هو بصدد الترجمة فيه يليه عبارة من اسمه فلان أو فلانة ، نحو قوله : "حرف الخاء المعجمة من اسمها خاتون" ، والعبارة الأخيرة تستمر عنواناً لجميع التراجم المطابقة للاسم المذكور حتى ينتهى منه فيبدأ باسم آخر دون اعادة لذكر الحرف نحو قوله : "من اسمه خالد" و"من اسمها خديجة" و"من اسمه خليل" وهكذا .

وبهذا الشكل المنسق يواصل النجم تراجم كتابه إلى أن يستوفيها جميعا ، غير أن هناك نقطة جديرة بالذكر هنا وهي : أنه فصل بين تراجم حرف الألف وحرف الباء بتراجم الاسم المركب "أبو فلان" وبدأها بمن اسمه أبو بكر . وعلل عمله هذا اقتداء منه بشيخه ابن حجر فقال : "اعلم أنى ذكرتهم هنا تبعًا لشيخنا شيخ الإسلام أبى الفضل ابن حجر تغمده الله برحمته ، فإنه قال في معجمه : "اعلم أنى ذكرتهم هنا بين الألف والباء لأنك إن اعتبرت الجملة فأولها ألف ، وإن اعتبرت الركن الثاني فأوله باء"(١). ثم ذكر اثنان وثلاثون ترجمة لمن يسمى أبو بكر ، وختمها بترجمة واحدة لمن اسمه أبو الفتح .

ومعظم التراجم أخرجت بشكل منظم ومرتب ، حيث كتبت كل ترجمة على حده فلم تلحق ترجمة بأخرى في نفس السطر ، ولكن يبدو أن

---

(١) ق٦١أ،ب .

بعـض التراجم قـد سقطت سهوًا فـاستدركها الناسخ بعد كتـابة الترجمـة التي تليهـا أو بعـد المراجعـة النهـائية للمخطـوط ، فألحقهـا فيمـا تبقـىٰ من سطر الترجمـة السـابقة حسب حرفهـا . وأتم بقيتها على هـوامش المخطـوط ، وفي حالة عدم وجود فراغ في الترجمة السابقة ؛ يكتب الترجمة الساقطة على يمين الورقة (أ) أو يسار الورقة (ب) .

وعـدد الأوراق التي بهـا التراجم المستـدركة سـت عشـرة ورقـة كتبت بعض تراجمها على النحو التالى :

- في الـورقة (١٠أ) سقطت ترجمة طويلة سجل بدايتهـا فيما تبقى من فراغ بعد نهاية الترجمة السـابقة ، ثم أكملهـا على يسـار الـورقة صعودا إلى صدرها بأسطر طولية ثم بأسطـر عرضية فى مقدمة الـورقة بمعدل سبع وخمس أسطر متقاربة .

- في الورقة (٢١أ) كتبت الترجمة الساقطة فى الهامش الأيمن من أسفل إلى أعلى من خمسة أسطر .

- في الـورقة (١٤٠أ) سجل بداية الترجمـة الساقطـة بما تبقـىٰ من سطر الترجمـة السابقة للحرف ، ثم أكملهـا في الهامش الأيسـر صعودًا إلى أعلى ، ثم بأسطـر عـرضية في مقـدمـة الـورقة بمعـدل خمس أسطـر . ونظـرًا لطـول الترجمة عاد بسطر عرضي في أعلى المقدمة ثم بسطر طولى نزولا من أعلى إلى أسفل وألحقه بسطر آخر تمم به الترجمة .

- في الورقة (٢٧٥أ) ترجمتان ساقطتان أضيفتا في الهامش الأيسر وعلى أعلى وأسفـل الورقة ؛ وبأسطر عديدة شملت جميع الحواشـى الثلاثة للورقة المذكورة .

وعلى كل فالتراجم المستدركة والتي شذت عن التنظيم المنسق قليلة بالنسبة لحجم المخطوط ، ولعدد تراجمه ، وهي لاتشكل ظاهرة عليه ، ومعظمها لشيوخ ماتوا في حياة النجم .

ولما كانت مقدمة المخطوط مفقودة فقد تعذر علينا معرفة المنهج الذي اختطه النجم في تراجمه ، فالكتاب وإن كان قد رتب على حروف المعجم ، إلا أننا نعتقد أن النجم قد صنف شيوخه من حيث التحمل ، ومن حيث العلو إلى أقسام ومراتب مع عدم الاخلال بالترتيب المعجمي ، ودليلنا على ذلك أننا نرىٰ فوق الاسم الأول لعدد كبير من التراجم رموزًا وأرقاماً عديدة . وهي تخص شيوخ النجم بالإجازة كما نبه لذلك حفيده جار الله أثناء تصديره للاستدعاءات الملحقة بنهاية المخطوط . ولولا هذا التنبيه لما عرفنا المقصود من تلك الأرقام والرموز .

وعلى كل فالملاحظ أن النجم في عرضه للتراجم وتنظيمه لها قد تحرىٰ الدقة الشديدة ، وقد اعتبر الاسم الأول للمترجم أساساً في الترجمة ، فلم نجده يترجم لشيوخه بما اشتهروا به من أسماء أو ألقاب أو كنى .

ومع التزام النجم بهذا المنهج إلا أن بعض الشيوخ أو الشيخات قد يعرفون بكناهم أو ألقابهم أو أسماء الشهرة . أكثر من معرفتهم بأسمائهم الحقيقية . ومن أجل هذا نجده قد اعتنىٰ ببيان ذلك عن طريق الإحالة ، فإذا تقدمت حروف اللقب أو الشهرة حروف الاسم الحقيقي ، دون ذلك شكلياً مع عمل الإحالة نحو قوله : "أحمد بن مباركشاه ؛ هو أحمد بن محمد بن حسن بن ابراهيم المصري الحنفى يأتى إن شاء الله تعالى"(١)، ونحو قوله : "أبو بكر بن عبد الرحمن بن سالم بن غزى ؛ هو محمد يأتى إن شاء الله تعالى في حرف الميم"(٢). وإذا غلب اسم الجد على صاحب الترجمة ، أشار

---

(١) ق٣٧أ .

(٢) ق٦٤أ .

إلى ذلك عن طريق الاحالة كقوله :"عبد الله بن أيوب ؛ هو عبد الله بن علي بن أيوب ، يأتي بعد ان شاء الله"(١).

ويلاحظ في بعض تراجم الشيخات أن الكنية تغلب على صاحبة الترجمة ، وتعرف بها أكثر من اسمها ، ولذلك فقد عنى النجم باعتبار الكنية أساساً في تراجمهن ، وعمل إحالات عند ذكر أسمائهن لتسهيل الكشف على الترجمة نحو قوله : "مريم ابنة على بن أحمد الهوريني ؛ هى أم هانى تقدمت"(٢). وقوله : "ست قريش بنت أبى الخير محمد بن فهد ؛ هى أم الحسن تقدمت"(٣). واذا عرفت صاحبة الترجمة باسمين نبه إلى ذلك بواسطة الإحالة كقوله : "مريم ابنة أحمد التسترى ؛ هي فاطمة تقدمت"(٤).

ولاريب أن الشهرة الغالبة هي التي حددت نوعية التصنيف في هذه التراجم ، ولكن لم يكن اعتماد النجم عليها كبيرًا ، فالإحالات قليلة جداً والطابع العام للتراجم منظم بشكل كبير ، ولاوجود في الأغلب الأعم لمشاكل تنظيمية .

غير أنه يلاحظ أن ناسخ المخطوط أحياناً يذهل نظرًا لكثرة الشيوخ فيترجم للشخص مرتين ، ففي الورقة (٢٧١ب) أضيفت ترجمة قصيرة لأحد الشيوخ كتب فيها اسم صاحب الترجمة وسلسلة نسبه ومذهبه . ثم أعاد الترجمة كاملة في الورقة التي تليها ، ولكن مع اسقاط بعض نسب المترجم ، ويبدو أن العز تنبه إلى ذلك ، فأشار فوق موضع الترجمة الأولى منبها للتكرار بقوله : "كتب في الورقة بعدها" . وأمام الترجمة الكاملة في الورقة

---

(١) ق١١٩أ .
(٢) ق٢٧٤ب .
(٣) ق٨٩أ .
(٤) ق٢٧٤ب .

(٢٧٢ب) على الهامش الأيمن ، أضاف بقية النسب الساقط ، وفوق الاسم الأول لصاحب الترجمة كتب مايلى : "محلها الورقة قبلها" .

وفي بعض الأحيان يترجم للشيخ ترجمة كاملة ، وعند بداية تسجيله ثانية يتنبه للتكرار ، فيكتفي بما سجله ويضع في الهامش أمام الترجمة المكررة إشارة غير واضحة المعالم هكذا (ـكـ) ولعل هذه الإشارة تعني التكرار عنده . والشواهد على التراجم المكررة قليلة ولاتتجاوز أصابع اليد الواحدة.

ومن الأمور الملفتة اهتمام الناسخ بالتنظيم التسلسلي للتراجم ، وحرصه على أن يشمل هذا التنظيم الاسم الثاني والثالث ..الخ . ولهذا نجد اخراجه للتراجم غاية في الدقة والضبط ، ولايشذ عن هذه الفهرسة الدقيقة سوى قليل من التراجم اختل فيها التنظيم الهجائي لما بعد الاسم الثالث لصاحب الترجمة منها : ترجمتين متتاليتين في الورقة (٣٩أ) سجل فوق اسم المترجم الأول كلمة يؤخر ، وفي الحاشية المقابلة له علق بقوله : يؤخر والذي بعده وأحياناً يستخدم لفظي : يؤخر أمام الترجمة المتقدمة . ويقدم أمام المتأخرة كما ورد في الورقة (٦٤ب) .

ومن الملاحظ أن العز قد تكونت لديه ثقافة واسعة وخبرة عالية في فهرسة التراجم واخراجها . وقد ركز في اخراجه لتراجم المخطوط على إبراز العناصر الأساسية والفكرية لأصحاب التراجم ، وأبرز أيضا المادة العلمية التي أخذها والده منهم فكان مثلا : يسجل الاسم الأول للشيخ ، ولفظ قرأت عليه أو سمعت عليه ، وأول كلمة من أسماء الكتب أو الرسائل التي قرأها أو سمعها على شيخه ؛ بخط كبير تمييزًا لها عن بقية الترجمة . وكان يضع اشارة بهذا الشكل (ــ) فوق الأسماء والألقاب التي يضبطها ، وكذلك فوق اسم الشهرة ، وأيضا فوق كل مصنف من مصنفات صاحب الترجمة .

ويبدو أن العز أراد من اخراجه البديع هذا تسهيل الكشف على التراجم والمؤلفات ، وقائمة القراءات والمسموعات . ولاشك أن عملاً كهذا يعتبر نوعاً من الفن في اخراج كتب المعاجم .

وقد استعمل طريقتين لإبراز المعلومات التي أتمها على تراجم والده ، فتارة يسجل لفظ "أقول" بخط كبير وغليظ في نفس السطر الذي توقف والده عن الكتابة فيه بادئاً من حيث انتهى ، ثم يستكمل الترجمة بما تبقى من السطر إلى أن يختمها . وتارة يلحق إضافته بما كتبه والده بدون فاصل لفظي وإنما رمزي ، وهو اشارة خروج بخط متجه إلى اليمين أو اليسار حسب أوراق المخطوط ، وفي الحواشي بمحاذاة السطر الأول لاضافته يكتب لفظ أقول بخطه العادي الذي نسخ به كامل المخطوط .

وهذا الأسلوب الدقيق في الكتابة يضاف إلى رصيد ابن مؤرخنا فقد غطى بحاسته التاريخية مؤلف والده . بطريقة فنية محسوسة .

وعلى كل فعدد التراجم التي أتمها العز وبدأها بلفظ "أقول" سبع وأربعون ترجمة ، ثلاث منها اقتصرت على لفظ أقول ثم بياض بحوالى السطر ونصف أو السطرين ، ولعل هذا راجع إلى أن العز لم يتمكن من معرفة تاريخ الوفاة وغيرها من أخبار المترجم مع حرصه على التدوين ، فتركه إلى أن يتسنى له ضبطه فيسجله .

أما مادة الترجمة التي أوردها مؤرخنا النجم فهي تتفاوت حسب أهمية الشيوخ وقيمتهم ونشاطهم العلمي والعملي ، ففى حين تبلغ بعض التراجم عدة صفحات ، وفي أحيان أخرى لايتعدى بعضها بضعة أسطر ، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى مكانة الشيوخ من حيث مراكزهم العلمية ، ومن حيث مقدار ماأخذه النجم أو قرأه أو سمعه عليهم . فمنهم من أخذ عنه قائمة كبيرة من الكتب والأجزاء والقصائد والشروح ، ومنهم من اقتصر منه على قراءة أو سماع واحد أو إنشاد أو فائدة ونحوه .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض التراجم اقتصرت على المعلومات الخاصة بالشيوخ دون ذكر المادة التي تلقاها عنهم مؤرخنا . ولعل هؤلاء هم من أجازوه باستدعاء شيوخه وأصحابه .

وهناك أيضا تراجم موجزة جدًا للشيوخ الذين أجازوا له وهو "حمل قبل ولادته" أو وهو طفل أو أجازوه باستدعاء في اجازة عامة ، وهؤلاء لم يجد مايكتبه عنهم لعدم معرفته بحالهم ، وفي نفس الوقت لم ير لهم تراجم عند غيره . فنراه يترجم لهم باقتضاب كذكر الاسم وبعض النسب ثم الإشارة إلى أنه لايعلم عنهم سوى ماذكره نحو قوله : "أجاز لنا في استدعاء مؤرخ بثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتي عشر وثمانمائة ، وماعلمت شيئا من حاله ، ولامتى مات"(١). وقوله في ترجمة احدى الشيخات : "ولاأعلم شيئا من حالها ، وأجازت لنا في سنة خمس وستين وثمانمائة . ولبعضهم(٢)في سنة ثلاث وسبعين"(٣).

وساق النجم في هذا المخطوط تراجم من أجاز لأهل مكة عامة في استدعاءات أولاده ، وعدهم من شيوخه ؛ لأن الإجازة صدرت منهم وهو موجود ، فهي إجازة عامة ، ولكن فيها نوعًا من الخصوص . ومن أمثلة ذلك قوله : "وماعرفت من حاله شيئًا سوى أنه أجاز لأهل مكة في بعض استدعاءات الأولاد سنة احدى وسبعين ، ثم أجاز في سنة ثلاث أيضا"(٤). وقوله : "أجاز لأهل مكة فى بعض استدعاءات الأولاد سنة احدى وسبعين

---

(١) ق٦٢أ .

(٢) من متابعة الاستدعاءات الملحقة بنهاية المخطوط نلاحظ أنها تشمل النجم وعائلته ووالديه وأعمامه واخوانه ...الخ وبين التاريخين المذكورين أعلاه توفى عدد منهم بما في ذلك والده واحدى شقيقاته ، ولعل هذا هو المقصود بقوله ولبعضهم .

(٣) ق٨٧أ .

(٤) ق١٩ب .

وثمانمائة ، وماعرفت من حاله شيئا"(١).

وشملت التراجم الموجزة الشيوخ الذين لم يتثبت النجم من شخوصهم ممن أجازوا في الاستدعاءات غير المؤرخة ، أو ممن ظن أنهم أجازوا له باستدعاء شيوخه . وقد صرح في منهجية دقيقة محددة إلى ذلك كقوله : "محمد بن سعد الشافعي الدمشقي ، ماتحققت من هو ، ولعله القاضي شمس الدين أبو عبد الله العجلوني الدمشقي الشافعي ، أحد النواب بدمشق ، أخذ عنه الطلبة ، وأجاز في الاستدعاءات"(٢). ونحو قوله "يوسف بن على الصفدى .... سمع منه شيخانا ابن موسى والأبى في سنة خمس عشر وثمانمائة ، وأظنه أجاز لنا باستدعاء الأول فيحرر"(٣).

وأعتقد أن النجم قد سجل معلوماته عن أولئك الشيوخ في بداية مرحلة الطلب ، وأن بعض جذاذاته قد ضاعت ؛ فسجل تراجمهم على النحو السابق .

وعلى العموم فإن الدارس لهذا المخطوط يلاحظ على منهج النجم الموضوعية والدقة والصدق في تناوله لتراجم شيوخه ، وهي من الأمور التي تلفت الانتباه في تقييمه وتقييم مايكتبه .

أركان الترجمة :

بعد تلك الإطلالة التي عرّفنا فيها بالمخطوط وأُطره العلمية والفنية ، أجد أنه لزاما على أن أشير إلى الخطة التي التزمها مؤرخنا في التراجم

---

(١) ق٢٧٢ب .
(٢) ق١٩٨أ .
(٣) ق٢٨٥أ .

الطويلة أو الشبه متكاملة حيث نلاحظ تنظيماً واضحاً لأركان الترجمة على النحو التالى :

أولا : الاسم والنسبة واللقب والكنية :

تبدأ التراجم ، باسم المترجم ، واسم والده ، ثم أسماء ثلاثة أو أربعة من أجداده ، وقد يستطرد فيذكر سلسلةطويلة منهم قد تتجاوز تسعاً وعشرين جداً بمعنىٰ أنه يعود بنسب بعض التراجم إلى صدر الإسلام ، وأحياناً إلى العصر الجاهلي . وتبرز هذه السلسلة عندما يذكر بعض الأعلام الذين ينتسبون للأسر القرشية أو القبائل العربية العريقة . وفي المقابل قليلا" مايكتفي باسم جد واحد لصاحب الترجمة ، ونادراً مايورد التراجم مقتصرة على الاسم الأول واسم الأب والنسبة أو الاسم والنسبة فقط .

يلى الاسم والنسب النسبة وقد اهتم النجم بها ، وأوردها في صور شتىٰ مع ضبطها والتعريف بها إن كانت مغمورة أو مجهولة . والنسبة تكون أحياناً إلى القبيلة أو الجنس ، وأحياناً الى علم أو بلد .

فإذا نسب إلى القبيلة يذكر فروعها إن وجدت ، ويسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص نحو قوله فيمن ينتسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "القرشي العدوي العمري"(١)فنسبه أولا لقريش القبيلة الكبيرة فهي أعم ، ثم نسبه للعدوي "بني عدي" وفيه شيء من الخصوص ، ثم نسبه إلى عمر بن الخطاب وهو الأخص . وقس عليه فيمن ينتمي إلى غيره من الخلفاء كالخليفة أبى بكر الصديق ، أو الخليفة عثمان بن عفان ، أو الخليفة على بن أبى طالب ...الخ .

وإذا نسب إلى جنس أشار إلى انتمائه اليه كقوله فيمن أصله من

---

(١) ق١١٥أ .

الروم "الرومي"[١]، ومن ينتسب إلى الأكراد "الكردي الأصل"[٢]، ومن ينتسب إلى الحبشة : "المريسية بضم الميم نسبة لجنس من الحبوش"[٣].

وعندما تكون النسبة إلى علم يوضحه نحو قوله : "الناصري : نسبة للناصر محمد بن قلاوون لكون جده فلان من مماليكه"[٤]، و"الفاضلي نسبة إلى الأمير الفاضل لكون أبيه كان من جملة غلمانه"[٥].

أما بالنسبة إلى البلد اقليماً كان أو مدينة أو قرية فتكون بذكره مضافاً إليه ياء النسب ، وإن كان يحتاج إلى ضبط أو ايضاح بين ذلك نحو قوله : "القفصي - بفتح القاف ، واسكان الفاء ، وكسر الصاد المهملة - نسبة إلى قفصة ، وهي مدينة عظيمة من بلاد الجريد من أعمال افريقية ، وإنما سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل فيها"[٦]، وقوله : "الحوافي الهروي - وحاف قرية من قرىٰ خراسان قريب من هراة"[٧]. وإذا تعددت المواقع المرادفة لاسم البلد في الأقاليم الإسلامية حدد انتماءه لأي منها ، مع ذكر مواقع البلدان المرادفة كقوله : "القبابي - بكسر القاف ، ثم باء موحدة ، ثم ألف ، ثم باء موحدة - : قرية من أشموم الرمان من الوجه البحري من الديار المصرية . وقباب : قرية بالعراق بقرب يعقوبا . وقباب : محلة بنيسابور"[٨].

وكثيراً مايلحق النسبة للقبيلة وغيرها الانتساب للبلدان التي انتمىٰ إليها صاحب الترجمة مولداً وسكنىٰ ووفاة ، نحو قوله : "الكناني الحازمي

---

(١) ق١٢٤أ .
(٢) ق٨٢ب .
(٣) ق٦٩أ .
(٤) ق١٥٢ب .
(٥) ق١٥٢ب .
(٦) ق٢٢٨ب-٢٢٩أ .
(٧) ق٦٨أ .
(٨) ق٢٨١ب .

الحموي القاهري"(١)، أو "الششيني المحلي ثم المصري ثم الدمشقي ، نزيل المزة"(٢)، أو "المغربي الصنهاجي الأصل المنوفي المولد القاهري"(٣)، أو "الهمذاني الجبلي - بكسر الجيم ، واسكان الباء الموحدة - اليمني التعزى"(٤)، أو "السنجاري الأصل ، الشيرازي الواسطي ، نزيل الحرمين الشريفين"(٥).

بعد ذلك يذكر المذهب الفقهي لصاحب الترجمة مثل "الحنبلي" ، "الحنفي" ، "الشافعي" ، "المالكي" وإن كان المترجم من الصوفية ينعته "بالصوفي"(٦)، أو "المريدي"(٧)، وإن كانت له صلة بالصوفية بين ذلك كقوله : "الحنفي ابن الصوفى"(٨). وإن غير المترجم مذهبه ذكر المذهبين القديم والجديد ، وحدد فترة ذلك إن علمت كقوله : "كان والده حنبلياً فلما مات تحنف هو"(٩).

وقد حرص النجم على اضافة اسم الشهرة لنسب المترجم ، ويبدؤه بلفظ "الشهير" أو "المعروف" أو "يعرف" ويضبطه في أغلب الأحيان لما قد يحدث فيه من توهم في بعض الألفاظ كقوله : "الشهير بالقرشي : نسبة إلى غير قريش"(١٠). أو لما يصاحبه من اعجام كقوله : "الشهير بالكافياجي : نسبة لكافيه ابن الحاجب لكثرة ملازمتها قراءة واقراء لكن بزيادة جيم كما

---

(١) ق٨٨أ .
(٢) ق١٢١ب .
(٣) ق٢٤١ب .
(٤) ق١٩١أ .
(٥) ق٢٠٥أ،ب .
(٦) ق٢٢٠أ .
(٧) ق٦٢أ .
(٨) ق١٣٦ب .
(٩) ق١١٢أ .
(١٠) ق١٠ب .

هى عادة الترك في النسب"(١). وإذا كانت له شهرة قديمة وأخرى حديثة يذكرهما ويبين سبب ماستجد كقوله : "المعروف قديماً بابن الرداد ، وحديثاً بقاضي الجن . وسبب شهرته بذلك : أنه كان في أوائل أمره يلهج بعلم الروحاني ، ويدعي أنه يستحضر الجن ، ويصرع من أراد"(٢). وإذا عرف بأكثر من شهرة ذكرها وبين أثرها عليه كقوله :"الشهير بابن المحمرة - بضم الميم وفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم ، وفتح الراء - وهي : أمه نسبت إلى التحمير من الحمرة ؛ وكان يأنف منها . ويعرف أيضا بابن البحلاق . وبابن السمسار لكون أبيه وعمه كانا من سماسرة الغلال بساحل بولاق"(٣).

وإذا كان اسم الشهرة غريباً ولم يتمكن من ضبط معناه أشار إلى ذلك نحو قوله : "ابن دردبه - بفتح الدالين المهملتين ، وسكون الراء ، وماأعرف هذه الشهرة لماذا؟!"(٤).

ويأتى بعد النسبة صفات الثناء التي يحلى بها صاحب الترجمة ، والدالة على مكانته العلمية والأدبية أو منصبه الديني الرفيع ، وأورد ذلك في عبارات موجزة مثل : "الإمام العلامة نحوي مكة"(٥)، و"الإمام المحقق الحافظ"(٦)، و"العلامة المحقق النحرير"(٧)، و"العلامة البليغ المفوه"(٨)، و"العلامة شيخ النحاة"(٩)، و"الإمام الحافظ المفيد"(١٠)، و"المحدث المكثر

---

(١) ق ١٨٩أ .
(٢) ق ١٩٧ب .
(٣) ق ٤٧ب .
(٤) ق ١١٦ب .
(٥) ق ١٨٧ب .
(٦) ١٩١أ .
(٧) ق ٢١٢ب .
(٨) ق ٢٤٦أ .
(٩) ق ٢٧٤ب .
(١٠) ق ٢٦٦ب .

المفيد"(١)، و"الفاضل القدوة"(٢)، و"العلامة المتقدم في العقليات"(٣)، و"سيدي والدي العلامة الحافظ"(٤)، و"العلامة امام الأئمة ، رحلة الوقت"(٥)، و"العلامة ذو الفنون قاضي القضاه"(٦)!! و"أقضىٰ القضاه"(٧)، و"الفقيه الفاضل الشاعر القاضي"(٨)، و"العلامةشيخ القراءات ، قاضي القضاه"(٩)!!.

وقد يطيل قليلاً في الصفات المادحة نحو قوله : "الإمام العلامة المحدث المفيد المقريء المجود"(١٠)، و"الإمام البارع ، أحد أدباء العصر ورؤسائهم ولطفائهم وذوي هممهم ومكارمهم"(١١)، ويجزل ثناءه العاطر على شيخه ابن حجر فيصفه بـ"الإمام العلامة ، علم الأعلام ، عمدة المحققين ، خاتمة الحفاظ ناقد الأسانيد والألفاظ ، عين الأعيان ، مفخرة الزمان ، لم تر العيون كنظيره قاضي القضاه"(١٢)، ويصف شيخه أبا بكر المراغي بقوله : "العلامة رحلة الدنيا بلامشارك ، وشيخ الشافعية ، وقاضي المدينة النبوية وخطيبها ، وإمام المحراب النبوي"(١٣).

---

(١) ق٢٥٧ب .
(٢) ق٢٨٢ب .
(٣) ق٢٧٥أ .
(٤) ق٢٥٨أ .
(٥) ق١٨٥أ .
(٦) ق٢٢١ب .
(٧) ق٢٦٣ب .
(٨) ق١٧٠أ .
(٩) ق٢٥٦أ .
(١٠) ق٨٣ب .
(١١) ق٢٧٩أ .
(١٢) ق٣١ب .
(١٣) ق٦٢أ .

واعتنى النجم بلقب المترجم وهو يأتي بعد صفات التحلية . والألقاب في هذا الموضع عادة ماتقترن بلفظ "الدين" كقوله : "شمس الدين"(١)، و"نجم الدين"(٢)، و"شهاب الدين"(٣)، و"بدر الدين"(٤)، و"تقى الدين"(٥)، و"عز الدين"(٦)، و"شرف الدين" ، و"جمال الدين"(٧)، و"زين الدين"(٨)، و"محب الدين"(٩)، و"رضي الدين"(١٠)، و"كمال الدين"(١١)، و"عماد الدين"(١٢)، و"ولى الدين"(١٣)...الخ .

ويلاحظ أنه بدافع من الاختصار تجرد الألقاب من الإضافة داخل الترجمة أثناء سرد سماعات واجازات الشيوخ فتأتى على نحو : الشمس ، النجم ، الشهاب ، البدر ، التقي ، العز ، الشرف وهكذا .

ثم يذكر كنية صاحب الترجمة نحو قوله : "أبو الفضل"(١٤)، "أبو المحاسن"(١٥)، "أبو البقاء"(١٦)، "أبو الطاهر"(١٧)، "أبو الفضائل"(١٨)،

---

(١) ق١٩٥أ .
(٢) ق١٨٧أ .
(٣) ق٣١ب .
(٤) ق١٩٧أ .
(٥) ق١٦٨أ .
(٦) ق١٩٧أ .
(٧) ق٢٧٩أ .
(٨) ق٢٨٢ب .
(٩) ق٨٣ب .
(١٠) ق٢٦٣أ .
(١١) ق٢١٢ب .
(١٢) ق٢٧٥أ .
(١٣) ق٢١١ب .
(١٤) ق٣١ب .
(١٥) ق٢٨٢ب .
(١٦) ق١٩٧أ .
(١٧) ق٢٤٢أ .
(١٨) ق٢٦٣أ .

"أبو الفتح"(١)، "أبو البركات"(٢)، "أبو العباس"(٣)، "أبو عبد الله"(٤)، "أبو محمد"(٥)وغير ذلك من الكنى ، وإن كانت له أكثر من كنية ذكرها كقوله : "أبو النعيم وأبو الرضى"(٦)، و"أبو هاشم وأبو القاسم وأبو الحسن"(٧).

ويلاحظ أن النجم لايكتفي أحياناً بذكر لقب وكنية صاحب الترجمة إذ يسلسل قائمة من الألقاب والكنى للآباء والأجداد نحو : "شمس الدين ابن علم الدين ابن بهاء الدين ابن علم الدين"(٨). وقد يذكرها مسبوقة بالتحلية نحو : "القاضي تاج الدين أبو سلمة ابن قاضي القضاة جلال الدين ابن شيخ الإسلام سراج الدين"(٩)، و"قاضي القضاة فتح الدين أبو الفتح ابن شيخنا قاضي القضاة زين الدين أبي الفرج"(١٠)، و"الفاضل القدوة جمال الدين أبو المحاسن ابن الشيخ القدوة"(١١)، و"العلامة الحافظ أبو الفضل ابن نجم الدين أبي النصر ابن جمال الدين أبي الخير ابن العلامة أقضى القضاة جمال الدين"(١٢)، و"قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل ابن الإمام نور الدين ابن قطب الدين ابن ناصر الدين ابن جلال الدين"(١٣).

---

(١) ق٢٠٢أ .
(٢) ٢٤٤أ .
(٣) ٤٧ب .
(٤) ق١٩١أ .
(٥) ق٢٧٥أ .
(٦) ق٨٣ب .
(٧) ق١٣٩ب .
(٨) ق٢٥٧ب .
(٩) ق٢٠١أ .
(١٠) ق٢٠١أ .
(١١) ق٢٨٢ب .
(١٢) ق٢٧٦ب .
(١٣) ق٣١ب .

وإذا كان لصاحب الترجمة قريب أكثر شهرة منه أو يوازيه يذكره نحو : "سبط شيخنا زين الدين أبي بكر بن الحسن المراغي"(١)، و"وهو جد صاحبنا الشهاب أحمد بن خليل اللبودي لأمه"(٢)، و"ابن أخت الشيخ سراج الدين البلقيني"(٣)، و"ولد شيختنا عائشة ابنة محمد بن عبدالهادى"(٤)، أو"زوج شيختنا بغداد"(٥)، و"مستولدة الوجيه عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي"(٦). وقد يذكر قريبا له ترجم له أو سوف يترجم له كقوله : "خليل بن أحمد بن حسن المطرى ... ولد بركة ابنة سعد الماضية وأخو فاطمة الآتية"(٧).

وقد يزيد فيذكر الوظيفة أو الحرفة التي اشتهر بها هو أو والده كقوله "العطار والده"(٨)، و"بواب خانقاه سعيد السعداء ، وابن بوابها ، ويعرف بابن الشيخ"(٩). وإذا كانت شهرة جد صاحب الترجمة هي الغالبة ، ذكرها وأشار إلى عدد من أفراد عائلته المشهورين كقوله : "اشتهر بابن قاضي عجلون ؛ شهرة جده قاضي الأيتام برهان الدين أبو اسحاق ابن القاضي زين الدين ابن القاضي شمس الدين، والد الخطيب محب الدين محمد ، وعم الشيخ نجم الدين"(١٠).

---

(١) ق٢٤١أ .
(٢) ق٢٨٥ب .
(٣) ق٢١١ب .
(٤) ق٢٢٥ب-٢٢٦أ .
(٥) ق٢٢٦أ .
(٦) ق٦٩أ .
(٧) ق٨٢أ .
(٨) ق٢٤٢ب .
(٩) ق٢٢٠أ .
(١٠) ق٤ب .

ولاشك أن اعتناء مؤرخنا بتلك التفاصيل دليل على تكامل ودقة المنهج العلمي الذي اتبعه . وهو بتسجيله الدقيق لهذه النواحي يحول دون حدوث اللبس الذي يخشى منه عند تشابه بعض التراجم في سلسلة النسب كما أنه بذلك البيان يتفوق على كثير من كتب التراجم التي أهملت بعض تلك الجوانب ، ولم تعرها كثيرًا من اهتمامها .

ثانيا : تاريخ الميلاد ومكانه :

يعد تاريخ الميلاد ومكانه من الأركان المهمة في الترجمة ، وقد أولاه النجم اهتمامًا كبيرًا ، وحرص على ضبطه بدقة شديدة في غالب تراجمه ، وهو يلي الركن السابق مباشرة .

وعناية النجم بتاريخ مولد المترجم نابعة من اهتمامه كمحدث بضرورة التأكد من اللقيا ، فالحكم على الراوي جرحًا وتعديلاً مبني على أمور منها لقاؤه بالمروي عنه وسماعه منه . ومثال ذلك : لو روى راو عن شيخ توفى قبل مولده ، ففي هذه الحالة يطعن في عدالته وضبطه ، ويحكم بكذبه في هذه الرواية(١).

ولهذا فإن توفر تاريخ الميلاد في الترجمة من العوامل المساعدة في توثيق الروايات والاطمئنان إلى اتصال أسانيدها وثبوت اللقيا .

وقد بذل النجم جهدًا واضحًا في تتبع تاريخ الولادات للمترجمين، وحسبما توفر له هذا التاريخ سجله ، ولهذا نجد تفاوتًا في تحديده لعناصر الزمان والمكان .

فالتاريخ الزماني لميلاد صاحب الترجمة قد يحدده باليوم والشهر والسنة نحو قوله : "ولد في يوم الخميس خامس عشر شهر رمضان سنة تسع

---

(١) انظر السخاوى : الاعلان ، ص٧ ومابعدها .

وثمانمائة"(١)، وقد يكون أكثر دقة فيذكر الوقت الذي ولد فيه المترجم من اليوم نفسه كقوله : "ولد يوم الأربعاء قبيل الظهر سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة"(٢)، "ولد عصر يوم الخميس عشري ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعمائة(٣)، "ولد في يوم السبت وقت الزوال ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وسبعمائة"(٤)، "ولد في ليلة الاثنين بعد العشاء حادى عشر القعدة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة"(٥)، "ولد بعد صلاة التراويح من ليلة السبت خامس عشرى شهر رمضان سنة احدى وخمسين وسبعمائة"(٦)، وفي حالات نادرة يحدد التاريخ بدقة متناهية فيذكر الساعة التي ولد فيها صاحب الترجمة كقوله : "ولد في الساعة السابعة من يوم الأربعاء حادى عشرى المحرم سنة تسع وسبعين وسبعمائة"(٧).

وقد يقتصر على ذكر التاريخ والشهر والوقت دون ذكر اليوم كقوله : "ولد في ضحى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة"(٨)، "ولد في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة"(٩)، "ولدت في آخر ليلة الثاني عشر من ذى الحجة الحرام سنة اثنين وتسعين وسبعمائة"(١٠). وقد يكتفي بالتاريخ والشهر والسنة دون

---

(١) ق٢٤٨ب .
(٢) ق٢٧٩ب .
(٣) ق٢٥٣أ .
(٤) ق٢٧٢أ .
(٥) ق٣٩أ .
(٦) ق٢٥٦أ .
(٧) ق١٣٥ب .
(٨) ق٣٥ب .
(٩) ق٢١٧ب .
(١٠) ق٨٦ب .

تحديد الوقت واليوم كقوله : "ولد في ثامن عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمانمائة"(١).

ونجده في أحيان أخرى يحدد المولد بالشهر والسنة دون ماعداها كقوله "وله في صفر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة"(٢)، وقد يحدد بعض الشيء كقوله "ولد في أواخر ذي الحجة سنة اثنين وستين وسبعمائة"(٣)، و"ولد في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثمانين وسبعمائة"(٤).

وأحياناً يحدد تاريخ الميلاد بالسنة فقط كقوله : "ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة"(٥)، أو "ذكر أنه ولد في السنة التي توفى فيها السيد أحمد بن عجلان أمير مكة، وهي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة"(٦)، أو "ذكر في سنة خمس عشر وثمانمائة أن له من العمر مائة سنة"(٧).

وقد لايحدد تاريخ ميلاد صاحب الترجمة بدقة كقوله : "ولد في خامس عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث وستين ؛ ويقال : وسبعين وسبعمائة"(٨)، "ولد في أحد الربيعين سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة"(٩)، "ولد في أحد الجمادين سنة ثمان وستين وسبعمائة"(١٠)، "ولد قبيل سنة ثمانمائة"(١١)،

---

(١) ق٢٥٢ب .
(٢) ق٤٧أ .
(٣) ق٢٦أ .
(٤) ق١٢٤ب .
(٥) ق٦٣ب .
(٦) ق١١٦ب .
(٧) ق١٤٤أ .
(٨) ق٢١١ب .
(٩) ق٥٥ب .
(١٠) ق١٦٥ب .
(١١) ق٣أ .

"ولـــد قبـــل التسعين بيسير"[١]، "ولــدت ظنا في سنــة ست وعشــرين وسبعمائة"[٢]، "ولد تقريباً سنة سبعين وسبعمائة"[٣]، "ولد في أوائل القرن تقريبًا"[٤]، "ولـد على رأس القرن في أحد السنين الثلاثة الأول"[٥]، "ولد تقريباً في عشر الثمانين وسبعمـائة"[٦]، "ولد تقريباً سنة سبعين وسبعمـائة ؛ وبخطه سنة خمس وستين"[٧].

أمـا إذا جهـل تاريخ مـولـده فيشير إلى أقـرب الحوادث التي يذكــرها صاحب الترجمة في صغره ، والتي تعطى دلالة تقريبية لميلاده كقوله : "سألته عن مولده فقال : أذكر سنـــة بيبغـــاروس ، وكـــانت سنـــة ثلاث وخمسين وسبعمائة"[٨].

هـذا عن تاريخ الميلاد أما عن مكانه فقد اعتنى به النجـم كثيرًا ، وهو عادة يقرنه بتاريخ المولد ، ويأتي عادة في الغالب الأعــم بعده ، وإن كان في أحيان قليلة يتقدم عليه .

ونراه في بعض الحالات التي لايتوفر له فيها تاريخ الميلاد يكتفـي بذكر مكـانه . وإذا كـان مكان الولادة مشهـورًا كمكة المكرمـة والمدينـة النبوية ، وبيت المقدس ، والخليل ، ودمشق ، وحلب ، وبعلبك ، وبغداد ، والقاهرة، وغرناطة ...الخ اقتصر على دلك . أما إن كان مجهولاً أو غير مشهور أشار إلى

---

(١) ق٧أ . "يقصد التسعين وسبعمائة" .
(٢) ق٨٥أ .
(٣) ق٢٦أ .
(٤) ق٢٢٩أ . "يقصد القرن التاسع" .
(٥) ق٢٤٥ب .
(٦) ق٥٥ب .
(٧) ق٨٣أ .
(٨) ق١٤٤أ .

موقعه كقوله : "ولد بمنزلة بني حسون ؛ من أعمال الدهقلية والمرتاحية من أراضي القاهرة"(١)، "ولد بالغراقة من قرىٰ الوجه البحري"(٢)، "ولد بمنية عقبة بالجيزة"(٣). وقد يشير إلى مكان الميلاد داخل المدينة كقوله : "بجوار جامع بشنك الناصري بالقاهرة"(٤).

ثالثا : سماعات الشيوخ واجازاتهم :

هو الركن الثالث في الترجمة ، وتأتي عادة بعد تاريخ الميلاد ومكانه ، ويمهد لها بالإشارة إلى نشأة المترجم ومكانها ، وإذا انتقل أثناء طفولته أو صباه من مكان لآخر أشار إلى ذلك كقوله : "ولد ... بونا وتحول منها إلى مصر العتيقة"(٥)، "ولد بناحية قمن في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وقدم القاهرة في حدود السبعين ، في آخر دولة الأشرف ، ونشأ بها"(٦).

ويشير في بعض التراجم إلى عناية العلماء بأبنائهم ، وحرصهم على احضارهم لمجالس العلم في السنوات الأولى من عمرهم ، بل وفي الشهور الأولى ، وتقييد ذلك كذكرىٰ ؛ لأنهم يأملون أن يكون التقييد دافعًا لهم لحب العلم ، والدأب في تحصيله ، والتفوق فيه لمواصلة الرسالة النبيلة للعلماء(٧).

---

(١) ق٢٦٥أ .

(٢) ق٢٥٥ب .
"الغراقة : بالقاف بلدة بقرب الحوف في شرق مصر" .
(انظر المنجد فى الآداب والعلوم ، ص٣٦٨) .

(٣) ق٨٣ب .

(٤) ق١٦٠ب .

(٥) ق٢٤٥ب .
بونا : ناحية قرب الكوفة ، ورد ذكرها في الأشعار .
(انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥١١) .

(٦) ق٦٦ب .
قمن : قرية من قرى مصر نحو الصعيد ، ينسب إليها جماعة من أهل العلم .
(انظر ياقوت الحموى : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣٩٨) .

(٧) انظر على سبيل المثال : ق٢٦ب ، ٥٥ب ، ٧٠أ ، ٨٧أ ، ١١٧ب ، ٢٠٢ب ، ٢١٩ب ، ٢٢١ب ، ٢٣٠ب .

وفي معرض حديث النجم عن نشأة المترجم قد يذكر الشخص الذي نشأ في كنفه أو الذي تولى العناية به علمياً نحو قوله : "نشأ في كفالة عمه ... واعتنى به خاله شيخنا فلان ، فأحضره وأسمعه على جماعة"(١)، و"مات والده ... وهو في أوائل السابعة من عمره ؛ فكفله أخوه"(٢)، أو"اعتنى بها والدها ، فأحضرها وأسمعها واستجاز لها كثيرا"(٣).

وإذا كان تحصيله ذاتياً أشار إلى ذلك نحو قوله : "وطلب العلم بنفسه ، ولهج بطلب الحديث والقراءات"(٤)، و"كان أبوه عطاراً فرام مساعدته فما رآه صالحاً لذلك فتركه ، فتردد لبعض المشائخ ، وحضر عند ... وسمع الحديث ، وعنى به على خلق كثير"(٥)، و"صحب الشيخ فلان ، ولازمه كثيراً ، واشتغل بالفقه ، ونشأ على العبادة والورع ، ولم يعرف له صبوه"(٦).

أما دراسة المترجم فتبدأ عادة بذكر محفوظاته يتصدرها القرآن الكريم وبعض المختصرات في الحديث والفقه ونحوها كقوله : "حفظ القرآن والعمدة"(٧)، "حفظ القرآن ، والعمدة ، والمنهاج وألفية ابن مالك ، وعرض على جماعة منهم والده"(٨)، "حفظ القرآن والتنبيه ، ثم انتقل إلى القاهرة فحفظ منهاج الأصول ، وألفية النحو والحديث والعمدة ، وعرض على شيوخ عصره"(٩)، "حفظ القرآن ، وتفرس فيه والده النجابة ؛ فقدم به

---

(١) ق٢٣٠ب .

(٢) ق١٢٧ب .

(٣) ٥٩ب .

(٤) ق٢٥٦أ .

(٥) ق٢٥٧ب .

(٦) ق٦٧ب .

(٧) ق٣٩ب .

(٨) ق٢٧ب .

(٩) ق١١٣ب .

القاهرة لقصد الإشتغال ، وهو ابن عشر سنين ؛ فحفظ كتباً منها التنبيه والشاطبية والرابية ، وعرض على جماعة ، وأقبل على التحصيل ... ولم يزل يدأب في العلوم حتى تقدم"(١).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن العلوم التي عنى بدراستها مع ذكر أسماء الشيوخ بالسماع والإجازة الذين أخذ عنهم ، وذكر أسماء الكتب الكبار والمتون التي سمعها منهم أو قرأها عليهم ، مفصلاً أحياناً للأبواب والأجزاء التي حضرها وسمعها من شيخه ، ومبيناً لما فاته منها ، وقد يشير إلى تاريخ ذلك ، نحو قوله : "سمع من المحب الصامت ، وأبى الهول في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة طرق (من كذب على متعمداً) ، لابن صاعد بفوت من أوله ، ومن المحب بن الصامت وحده الأول من مشيخة يعقوب الفسوي ، والربع من الجنايات ، ومشيخة المطعم تخريج الذهبي ، ومن الزين عبدالرحمن بن عبد الله بن محمد بن الفخر البعلي مجالس من أمالي أبى طاهر محمد بن زياد مع مافي آخره ، ومن محمد بن محمد بن عبد الله بن عوض النصف الثاني من حديث اسحاق بن الفيض ، ومن عمر بن محمد البالس قطعة من آخر كتاب سلسلة الذهب للحازمي ، وذكر أنه سمع من الصلاح ابن عمر مسند الامام أحمد ، ومن أبى حفص ابن أميلة جامع الترمذي ، ومن غيرهم"(٢).

ومن متابعة تراجم المخطوط نلاحظ أن النجم في هذه الجزئية ، يقتصر أحياناً على مااشتهر به شيوخ صاحب الترجمة من ألقاب وكنى نحو : ابن حجر ، ابن الملقن ، ابن الشيخة ، العراقي ، الهيثمي ، البلقيني ، العز ابن جماعة ، الجمال المطري ، أبى اليمن الطبري ، تقى الدين الفاسي ...الخ . دون ذكر أسماء الشيوخ كاملة ، ويبدو أن مؤرخنا افترض في القارىء

---

(١) ق١٦٤ب .

(٢) ق٢٠٠ب .

معرفة هؤلاء الشيوخ وتمييزهم لشهرتهم ، ولذلك عمد إلى الإيجاز ، وعدم الاطالة .

ونلاحظ أيضاً أنه لايذكر جميع شيوخ المترجم ، بل يقتصر على ذكر المشهورين منهم . ولعل ذلك يعود لملازمة صاحب الترجمة لبعض الشيوخ ، وكثرة سماعه منهم ، أو لأهمية المسموعات التي أخذها عنهم وعلوها ، أو اختصاراً لكثرة عدد الشيوخ بحيث لايسمح المقام بذكرهم جميعا . ولذلك نراه يجمل سماعاته الأخرىٰ بعبارات موجزة كقوله : "سمع الحديث من شيوخنا ... وجماعة غيرهم"(١)، و"دخل القاهرة مرات ، وسمع بها من ... وخلق كثيرون ، غالبهم مشائخي"(٢)، و"وقرأ بدمشق كثيرًا على جماعة كثيرين من مشائخي بالإجازة ، أحسنهم رواية مسندة الوقت أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادى خاتمه أصحاب الحجار بالسماع ، وجماعة كثر"(٣)، و"أجاز له جمع كثيرون من مشائخي"(٤)، و"أجاز له خلائق من مشائخي ؛ باستدعائه واستدعائي"(٥)، و"أجاز له بعناية الشيخ زين الدين العراقى مشائخ عصره مصرا وشاما"(٦). وقد يذكر العدد التقريبى لشيوخه كقوله : "يبلغ شيوخه بالسماع والإجازة نحو الخمسمائة شيخ"(٧).

واهتم النجم اهتماماً ملحوظاً بأخبار الرحلات العلمية للمترجم ، فكان يذكر أسماء البلدان التي زارها طلباً للعلم ، وأبرز الشيوخ الذين التقىٰ بهم والكتب والأجزاء المشهورة التي أخذها عنهم ، مع ذكر أسماء من أجازوا له .

---

(١) ق٢٨٠ب .
(٢) ق٢٨٠أ .
(٣) ق٢٦٦ب .
(٤) ق٢٨١أ .
(٥) ق١٣أ .
(٦) ق١٨٥أ .
(٧) ق١٦٨ب .

والواقع أن كتابة النجم للحياة العلمية لبعض أصحاب التراجم تعد كتابة وافية فهي تحتوي على كثير من التفصيلات للحركة الفكرية وأقطابها في عصره ؛ نظرًا لاحتكاكه المباشر بهم ، وقد ألقت الأضواء على جوانب مهمة كانت سائدة في فترة من الفترات على تاريخنا الثقافي .

رابعا : العطاء والعمل :

تعد هذه المرحلة : الركن الأكثر توهجًا في تراجم المخطوط ، فمن خلال اشعاعاتها نرسم صدىً واضحاً لمختلف مناحي الحياة في الدولة الإسلامية شرقها وغربها في عصر مؤرخنا ، ونستشف وميضًا لامعًا لعقول موسوعية مستوعبة فذة ورائدة في العلوم العقلية والنقلية عامة ، وفي مجال الفكر الإسلامى بصفة خاصة .

والنجم في أغلب تراجمه يقدم لنا سجلاًأو كشفًا احصائيًا بعدد العلوم التي أتقنها المترجم مسهبًا في ذلك ، أو مختصرًا حسب رؤيته وتقديره لمقتضيات أحوال صاحب الترجمة .

وحتى نقف على حقيقة ماقلنا ، وفضيلة ماوصل إليه أسلافنا فلنتصفح نتفًا مما أورده في بعض التراجم بهذا الصدد فعلى سبيل المثال يقول في ترجمة العز ابن جماعة : "وبرع في عدة علوم منها : النحو والأصول والفقه والمعاني والبيان والجدل والخلاف والكلام ، ومال إلى فنون المعقول فأتقنها اتقانًا بالغًا حتى صار أمة وحده ، وعرف بالتقدم فيها ، وبقيت طلبة البلد كلها عيالاً عليه في ذلك ، مع مشاركة قوية في الفقه ، ورتبة علية في العربية وغير ذلك ، وصار هو المشار إليه فى الديار المصرية بفن المعقول ، والمفاخر به على العجم ، تخضع له الرقاب!! وتنتظم له المقاليد!! وأقبل في آخر عمره على النظر في كتب الحديث ، ونظر في كل فن حتى في الأشياء الصناعية كالفروسية ، ولعب الرمح، ورمي النشاب ، وضرب السيف ،

والنفط والنفاث ، والعوم ، وعلم الحرف والرمل والنجوم ، وفنون الطب والشعوذة!! والهيئة والحساب والحكمة والمنطق والزيج ؛ حتى كان يقول : "أعرف ثلاثين علماً لايعرف أهل عصري أسماءها"(١).

ويقول في ترجمة عز الدين البغدادي : "وبحث في الفقه على مذهب الإمامين الشافعي وأحمد حتى مهر فيهما ، وكان يُقريء في كتب المذهبين ، وبحث في غالب العلوم على مشائخ بغداد والعجم والروم ، ولازم الرحلة في العلم إلى أن صار أحد أركانه ، وأدمن الإشتغال والإشغال حتى بقي وحيد زمانه ... وقد أشير إليه في النحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق والجدل ، وآداب البحث والأصلين ، والطب ، والفقه والقراءات والتفسير والتصوف "(٢).

ويقول في ترجمة الجمال ابن موسي : "اشتغل في الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان والعروض والفرائض والحساب ، وبرع في هذه العلوم ، وتقدم كثيراً في الأدب ، وله فيه النظم المليح لغوصه على المعانى الدقيقة ، وظهرت نجابته ، واشتهرت نباهته ، وكان يتوقد ذكاء ، وتقدم كثيراً في الحديث لجودة معرفته بالعلل وأسماء المتقدمين والمتأخرين ، والمرويات والعالي والنازل ، مع الحفظ لكثير من المتون ، ولم يكن له في ذلك نظير بالحجاز"(٣).

ومما جاء في ترجمة القاضي محمد بن ظهيرة قوله : "وبرع في الفقه ، وكان كثير الاستحضار له ، وبرع في الحديث فنوناً وأسماء ، ولغةً ومتناً ، وكانت له معرفة حسنة بالعربية ، وله مشاركة حسنة في غير ذلك من فنون

---

(١) ق١٨٥أ،ب .

(٢) ق١١٢أ .

(٣) ق٢٦٦ب .

العلم ، ويذاكر بأشياء كثيرة مستحسنة من التاريخ والشعر . وانتهت إليه رئاسة الفقهاء الشافعية ببلده فتصدىٰ لنشر العلم ، ودرس وأفتىٰ كثيراً ، وكان أكثر من يفتي بمكة ، والفتاوى ترد إليه من بلاد اليمن ، وبلاد زهران ، والطائف ولية ... ودارت على رأسه الفتوىٰ ، وقيل له : عالم الحجاز ... وكتب أجوبة مفيدة على مسائل وردت عليه من زهران في كراريس ، وأجوبة عن مسائل نحو مائة ، وردت عليه من عدن من بلاد اليمن في كراريس"(١).

ومن الملاحظ أن قوة الحفظ من الأمور التي استرعت انتباه النجم ، ولاريب في ذلك فهو محدث حافظ ، وملكة الحفظ تعني الكثير بالنسبة للمحدثين ؛ من حيث الضبط ، ودقة الأداء ، وهي من النعم التي تستوجب الشكر ، ولهذا نجده حريصاً على الإشادة بقوة الذاكرة نحو قوله : "وكانت له حافظة عظيمة ، ويستحضر شيئاً كثيراً من الفوائد الفقهية والحديثية ، وغالب الألفاظ المشكلة في الحديث متناً واسناداً ، ويضبط غالب مسموعاته"(٢). وقوله : "وله حافظة عظيمة بحيث أنه يأخذ الكتاب من العلم ؛ فيطلع عليه اطلاعة ، فيحفظ غالبه من مرة واحدة ، وكان كثير الاستحضار للتواريخ"(٣)، وقوله : "وكان من صباه ذكياً فطناً ، قوي الحافظة من عجائب الدنيا في سرعة الفهم ، وجودة الحافظة"(٤)، وقوله : "كان سريع الحفظ ، حفظ الألفية في علم الحديث والألفية في النحو لابن مالك في عشرين يوماً متوالية"(٥)، وقوله : "سريع الحفظ ، ويُحكي عنه أنه قال : ماكنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر"(٦).

(١) ق٢٠٧أ-٢٠٨ب .
(٢) ق٢٢٦ب .
(٣) ق١٧٥ب .
(٤) ق١٠٠أ .
(٥) ق٢٦٣أ .
(٦) ق٢٧٠ب .

وقد كانت افادة الطلبة من الأمور التي أولاها النجم اهتماماً بالغًا وقد رأيناه كلفًا بإبراز جهود الشيوخ في هذاالمجال ، وحرصهم على نفعهم ومن ذلك مثلاً قوله : "وتصدىٰ للافادة والتدريس قديمًا ... وازدحم عليه الطلبة من أهل بلده ، والفضلاء القادمين إليها ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به ، وانتفع به خلق كثير ، وكثرت تلامذته ، وتفقه به جماعة ... واستمر على ذلك مع الدين والخير ، والصبر على الطلبة"(١)، وقوله : "كان خيرًا دينًا حسن البشر ... مشهور الصيت ، قليل التحقيق ، كثير الدعوىٰ ، ذا مروءة وأفضال ، مكرمًا للطلبة بحيث كان فلان يسميه وزير الطلبة!!"(٢)، وقوله : "ومهر في العربية إلى أن صارت فنه الذي يشتهر به ، لاسيما الاعراب ... وانتفع به الطلبة في العربية طبقة بعد أخرى"(٣)، وقوله : "وتصدر لنشر العلم بالمسجد الحرام ، فانتفع به خلق كثيرون ، وكان حريصًا على نفع الطلبة عارفا بأمور الدنيا ... وبالجملة فقد كان زينة لأهل مكة"(٤)، وقوله "ولزم الاشتغال إلى أن اشتهر بالعلم والعمل ، فعكف على الإشغال ، وانتفع به الطلبة ، وهرعوا للأخذ عنه ، فراج أمره ... وقويت شوكته ، وانتشرت جماعته ؛ بحيث صاروا في حياته وبعده شيوخ البلد"(٥)، وقوله : "ولم يزل ... ملازمًا للإشغال ليلاً ونهارًا ، حتى ملأ الدنيا تلاميذه ، وسار ذكره في الأقطار ... وأقرأ زماناً وانتفع به خلق"(٦)، وقوله : "كان ... راغبًا في الاسماع ، صبورًا على الطلبة ، قانعًا باليسير"(٧).

---

(١) ق٢٠٧أ-٢٠٨ب .
(٢) ق١٣٦ب .
(٣) ق٢٥١ب .
(٤) ق١٢٤ب-١٢٥أ .
(٥) ق٢٨١أ .
(٦) ق٢٢٤أ .
(٧) ق٢٣٣أ .

وفي هـذا الموضوع ساق النجم معلومات تشير إلى هيئـة ومزايا شيوخ العلم ، وطريقة تدريسهم ومن ذلك قوله : "كان اماماً علامة حسن المحاضرة بشوشاً متودداً ، محباً للطلبة ، كثير النوادر والنكت الحسنة ، مع حفظ الكثير من الأشعار"(١)، وقـوله : "كان خيراً... على طـريقة مشكـورة ، ذا سمـت حسن وتواضع ، كثير النفع ، صبوراً على الطلبة ، حسن الالقاء في الدروس ، تعلوه مهابة ووقـار"(٢)، وقـوله : "كان محبـاً لنشر العلم والـرواية ، طلق الـوجه ، حسن الملتقى ، كثير البشـاشة"(٣)، وقـوله : "كان انساناً خيراً ... ظريفاً ، فكه المحاضـرة ، نير الهيئة ، محبـاً للطلبة"(٤)، وقوله : "كان شيخـاً وقوراً بهياً ، فكهاً حلو النادرة، وله مشاركة في النحو وغيره ، وعنده ذكاء ، وسـرعة جواب ، والثناء عنـه جميل"(٥)، وقـوله : "كان اماماً علامـة خيراً دينـاً صيتاً ورعاً متواضعاً ذكياً ، مشكوراً في علمه ، وحسـن سيرته ، فصيحاً شديداً في فتاويه ، كثير التحقيـق في دروسـه ، كثير التـودد للنـاس ، مجاملاً لهـم ، مع عقل راجح ، وصيـانة ونزاهة وعفاف ، وانصـاف كثير ، وحسـن فضيلة ، وجميل محاضرة"(٦)، وقوله : "وحدث ودرس وأفتى ... وكان اماماً عالماً بارعاً في فنون ، ذا حافظة جيدة ، لايمل من ملازمـة الإشتغال ، وله يد طولى في الفرائض والحساب ، ديناً خيراً سمحاً ، شديد التـواضع ، قادراً على إبراز مـافي نفسه بأحسن عبارة ، موزوناً وغير موزون مـع السرعة ، لامنتهى لنادرته الحلوة، لاتمل مجالسته"(٧).

---

(١) ق١٥٧ب .
(٢) ق١٦٢ب .
(٣) ق١٨١ب .
(٤) ق١٢٦أ .
(٥) ق١٣١ب .
(٦) ق٤٢ب .
(٧) ق٢٥٥ب .

ومن يمعن النظر في التراجم يجد دقة النجم بلغت إلى حد الإشارة إلى صوت المترجم ، وقد كان حريصًا على بيان جودته وحسنه إذا وجد ذلك ضروريًا نحو قوله : "كان حسن الإيراد لما يلقيه ، بجودة عباراته، وقوة معرفته بالعربية"(١)، وقوله : "وقراءته متقنه ، وصوته شجي ، مع التأني والايضاح"(٢)، وقوله : "كان كثير التلاوة ، شجي الصوت"(٣)، وقوله : "كان على قراءته أنس مع الإتقان والصحة ، ومزيد الخشوع"(٤)، وقوله : "كان المشار إليه بالقراءات ... حسن الأداء إلى الغاية"(٥)، وقوله : "وتصدى للقراءات فانتفع الناس به لتقدمه فيها ، سيما في الأداء والإيراد في المحراب ؛ لجودة صوته بحيث كان من الأفراد"(٦). ونحو : "كان له صوت حسن"(٧)، أو "حسن النغمة"(٨)، أو "جهوري الصوت"(٩)، وقد يشير إلى بعض عيوب النطق كقوله : "وكان يقرأ قراءة صحيحة ، إلا أنه يدغمها بحيث لايفهم إلا قليلا"(١٠).

ومن أقوى الاهتمامات التي استحوذت على فكر النجم حرصه على بيان تفرد المترجم عن بعض شيوخه في الرواية ؛ بغض النظر عن كون هذا التفرد سماعًا أو إجازة ، وعن شيخ واحد أو عدد من الشيوخ ، ولكتاب أو فنون ، أم لجزء أو عدد من الأجزاء نحو قوله في ترجمة المسند المعمر

---

(١) ق١٨٨ب .
(٢) ق١٨٧أ .
(٣) ق١٨٧ب .
(٤) ق٢٠٩أ .
(٥) ق٢٢١ب .
(٦) ق٢٢٩ب .
(٧) ق١٨١ب .
(٨) ق٢٤٩ب .
(٩) ق١٣٦ب .
(١٠) قاب .

شرف الدين ابن الكويك المتوفى عام (٨٢١هـ/١٤١٩م) : "وعمر إلى أن انفرد بأشياء عن أكثر مشائخه ... وتصدىٰ للإسماع عدة سنين ، وتكاثر عليه الطلبة ، وتنافسوا في الأخذ عنه ، ولازموه وحملوا عنه الكثير من مروياته بالسماع والإجازة ... ولم يبق بعده بالقاهرة من يروى عن أحد مشائخه بالإجازة ... ولامن شيوخه بالسماع ... ونزل أهل مصر والقاهرة بموته درجة"(١)، وقوله في ترجمة على البستاني : "ذكر في سنة خمس عشرة وثمانمائة أن له من العمر مائة سنة ، فعلى هذا الذكر له إجازة القاضي سليمان بن حمزة العامة ؛ فاستجيز . وكان على هذه السن قوي البنية ، شديد الحواس"(٢)، وقوله في ترجمة المسند المعمر زين الدين القبابي المتوفى عام (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) : "وتفرد بأكثر مشائخه ، وقصد للسماع، فحدث وأكثر عنه الرحالة ، وقصد لذلك ، فألحق الصغار بالكبار ، والأحفاد بالأجداد ... ونزل الناس في كثير من المرويات بموته درجة"(٣)، وقوله في ترجمة هاجر البوصيري المتوفاه عام (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : "وحدثت ، وتهافت عليها بأخره الطلبة ، وهي أكبر أهل عصرها فيما علمت مسموعًا"(٤)، وقوله في ترجمة عبد الله بن الشرايحي : "وأقام بدمشق زمانًا منفردًا بفنون الحديث ، أعجوبة الزمان من غير مدافع ، مع حفظ تام عن معرفة الرجال المتأخرين يذاكر بهم مذاكرة دالة على حافظة باهرة ، وله نظر بالعالي والنازل ، ولديه مع ذلك فضائل ، ومحفوظات ، ومذاكرة حسنة"(٥).

وفي المقابل عنى النجم بذكر تميز المترجم أثناء فترة الطلب ، وموقف العلماء إزاء المبرزين من طلبتهم يقول في ترجمة محيى الدين القبابي المتوفى عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) : "وطاف على الشيوخ في الدروس وتميز وفضل ، ثم

---

(١) ق٢٤٢أ .

(٢) ق١٤٤أ .

(٣) ق١٠١ب .

(٤) ق٢٧٨ب .

(٥) ق١١٨ب .

ارتحل إلى دمشق في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وهو فاضل ، وحضر المدارس مع الفقهاء ، واشتهر فضله ، ولازم شهاب الدين الزهري ، قرأ عليه نصف المختصر ، وأذن له بالافتاء ، وأثنى على فضائله حتى قال : "ماجاءنا من طلبة مصر أفضل منه"(١)، وقوله في ترجمة نور الدين التلواني المتوفى عام (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) "وكان في شبيبته نابغة في الطلبة"(٢)، ويقول في ترجمة ولى الدين المحلى المتوفى عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) : "لازم شيخنا عز الدين ابن جماعة مدة طويلة تقارب عشر سنين ، وأذن له بالتدريس في الفقه وأصوله والفرائض والمعاني والبيان والبديع والنحو والإعراب ، وأذن له مع ذلك أن يبسط لسانه ، ويمد قلمه بالإفتاء في الفقه على مذهب الشافعى بشرط التثبت والتقوىٰ ، وأجاز له مروياته"(٣).

ويندرج ضمن هذا الركن من الترجمة ذكر الأعمال التي مارسها الشيوخ سواء الوظائف الدينية والإدارية ، أو المهن والأعمال الأخرى . وهي من الأخبار القيمة التي يمكن من خلالها تقييم العديد من جوانب الحياة في عصر مؤرخنا لما تحويه من تفصيلات حول كيفية ممارسة تلك الأعمال ، والعوامل المؤثرة على سيرها سلباً وايجاباً ، وبيان عدد الوظائف التي كان يتولاها بعض المترجمين في وقت واحد ، أو أوقات متفرقة ، وفيما يلى نشير بايجاز إلى بعض ذلك .

ففي ترجمة القاضي شهاب الدين بن المحمرة المتوفى عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) يقول "وتفنن في العلوم ودرس وأفتىٰ ... وتشاغل بالجلوس في رحبة باب العيد ، وتقرر في شهادة الخبز بالخانقاه الصلاحية ، وصار يتكسب منها ، ولازم الأمير يلبغا السالمي فقرأ له بنفسه على جمع من الشيوخ عدة من

(١) ق٢٨٠ب .
(٢) ق١٦٧ب .
(٣) ق٢٣٤أ .

الكتب ... وحدث سمع منه الطلبة ، وناب في الحسبة بالقاهرة عن شيخنا تقي الدين المقريزي ، واستنابه القاضي جلال الدين البلقيني في الحكم بالقاهرة فأقبل على ذلك بكليته ، ودخل في قضايا كبار وفصلها ، وولى بعض البلاد على قاعدة فقهاء مصر ، فحصل منها مالاً ، وصار يتجر بعد أن كان مقلاً ، ومهر في صنعة القضاء ثم ترك الحكم قليلاً ، وكان كثير الدربة في الحكم ، حسن التجمل جداً ، وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء بالقاهرة بمال ، وتدريس المدرسة الشيخونية بمال أيضا ، ثم ولى القضاء بدمشق في يوم الاثنين مستهل جمادي الآخرة سنة اثنين وثلاثين "وثمانمائة" عوضا عن بهاء الدين ابن حجي بغير مال ، وأرسل له السلطان تحفاً ، وأذن له أن يستنيب في وظائفه بالقاهرة ، فاستناب في تدريس الشيخونية بدر الدين ابن الأمانة ، وفي مشيخة الصلاحية جمال الدين ابن المجبر ، وسافر من القاهرة في ثامن عشر الشهر ، وباشر بعفه ، وسار فيه أجمل سيرة بحسب الوقت ، مع أنه لم يخل من كاذب عليه وحاسد ؛ لكن كان عنده لين وتساهل ، ويمضى كل ماقدم إليه ...!! وكان لايتولى الحكم بنفسه ، ولايفصل شيئا من الأمور ، ولاينكر على مايصدر من نوابه من الأحكام مع اطلاعه على حالهم!! ويصرح بأنه لايجوز له ذلك مداراة على المنصب !!! فلم يزل على ذلك حتى وقع في شعبان سنة خمس وثلاثين . فعاد إلى القاهرة وأقام بها ، وكان لما تمادت اقامته بدمشق استنجز ابن الأمانة ، وابن المجبر مرسوم السلطان بالاستقلال بتدريس الشيخونية ، ومشيخة الصلاحية في سنة ثلاث وثلاثين ، فلما عاد إلى القاهرة استعاد الوظيفتين منهما بإذن السلطان ، ولم يلتفت إلى شرط الواقف : أن من غاب عن وظيفته أزيد من مدة مجاوزة الخراج أخرج منها وهذا بخلاف شرط سعيد السعداء ؛ فإن شرط واقفها : من غاب عن وظيفته يعود إليها إذا عاد ، ولو طالت غيبته . فحجة ابن الامانة قائمة ، وحجة ابن المجبر داحضة . ثم في أوائل صفر سنة ثمان وثلاثين قرر في قضاء دمشق عوضاً عن بهاء الدين ابن حجي ، والتمس منه أن يدفع للمسفر بذلك خمسمائة دينار فامتنع وصمم ، فغضب السلطان ، وأمر بنفيه إلى القدس بطالاً أو إلى مكة قاضياً!! فأجابه إلى مكة ، واستمهل

إلى رجب أو شوال . ثم ولي مشيخة الخانقاه الصلاحية ببيت المقدس عوضاً عن عز الدين القدسي في أوائل ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ، وخرج من القاهرة إلى القدس في يوم الثلاثاء عشر ذي الحجة من السنة فباشرها إلى أن مات"(١).

ويشير إلى افتقار بعض القضاه إلى الفقه في العلم ، وتغطية ذلك بالبذل والجاه أو استمالة ذوي السلطان كقوله عن أحدهم أنه : "كثير البذل على الوظائف ، والمداراة للأكابر ، وكان قليل البضاعة في الفقه فربما افتضح في بعض المجالس ؛ ولكنه يستر ذلك بالبذل والإحسان . وكان يقول : أنا قاض كريم ، "وفلان" قاض عالم"!!(٢)، وقوله عن قاض آخر : "كان تام العقل ، متواضعاً ، ذا دهاء وخبره ، يستميل رؤساء وقته بالهدايا وغيرها ؛ فتقال عثراته ، وتستر زلاته!! ؛ يقطع اخصامه عن مقاومته ، حتى أن قريبه "فلان" كان يُكثر السعي عليه ، ويتوسل عند الجمالي ناظر الخاص بقصائد يمتدحه بها بحيث يهتز لها طربًا ، ومع ذلك فما يتحول عن هذا"(٣).

كما يشير إلى ضعف بعض العلماء ممن قلت بضاعتهم العلمية فيقول مثلاً : "وهو قليل العلم!! ولديه معرفة بالأحكام ، ودربة بأحوال القضاء ، من بيت رئاسة وحشمة"(٤)، أو كقوله :"ولم يكن بالماهر"(٥)، أو "وكلامه أكثر من علمه"(٦).

وعن جمع المترجم لأكثر من وظيفة في وقت واحد ، وأخبار التولية والعزل يقول في ترجمة العلامة محب الدين ابن الشحنه المتوفى عام

---

(١) ق٤٧ب-٤٨أ .
(٢) ق٢٤٥أ،ب .
(٣) ق٢٤٠أ .
(٤) ق٢٣١أ .
(٥) ق١٢٩ب .
(٦) ق٤٤أ .

(٨٩٠هـ/١٤٨٥م) : "وجمع بين الرواية والدراية ، وأذن له بالتدريس ... وولى قضاء الحنفية ببلاد حلب في العشر الأول من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثمانمائة ؛ وكانت الوظيفة شاغرة منذ تحول "فلان" إلى القاهرة ، فسار فيها على مايليق به من عفة ونزاهة وحرمة ، واستقر أيضا في أوقات في كتابة سرها ، ونظر جواليها وجيشها وقلعتها والجامع الكبير الثوري ، وتداريس وغيرها مما يفوق الحصر ، وصارت أمور المملكة الحلبية معذوقة به ولاية وإشارة ، ثم عزل عن الوظائف ، وتردد إلى القاهرة ، وولى بها كتابة سرها عن ابن الأشقر ، ثم عزل ونفى إلى القدس ، ثم أعيد إلى بلده ، ثم دخل مصر ، وولى بها كتابة السر أيضا ، ثم لما كان اليوم الثالث من عزل سعد الدين الديرى نفسه يوم الاثنين حادي عشري شوال سنة ست وستين ، طلع القاضي محب الدين ابن الشحنة إلى القلعة لمباشرة كتابة السر على العادة ؛ فألزمه السلطان بوظيفة القضاء ، فتعلل بأشياء كثيرة ، وشرط شروطاً ظن أنه لايجاب إلى شيء منها ؛ قاصداً بذلك تنفيرهم عن الولاية له، فأجابوه إلى كل ماشرطه ، فأخذ خط السلطان بذلك ، واستحلفه عليه ، ولبس خلعة الوظيفة ، وظن جمعه "لها" مع كتابة السر ، فما تم له ؛ بل عزل عنه ، ثم عزل عن القضاء بابن الصواف ، ثم أعيد وألزم بالحج ، فحج ثم عزل بالبرهان ابن الديري ثم أعيد ، واستمر إلى أن عزل بالشمس الامشاطي ، ثم ولى الشيخونية تصوفا وتدريساً وغير ذلك"(١).

ويهمنا هنا أن نشير إلى أن أغلب المترجمين يشغلون مناصب التدريس والقضاء والأوقاف ، ومايدور في فلكها من أعمال ، وقد حظيت باهتمام وعناية وتفصيل بالغ من قبل مؤرخنا . وهي في مجملها ثروة نفيسة يمكن من خلالها دراسة الأنظمة العلمية والإدارية للدولة المملوكية .

---

(١) ق ٢٦٣أ،ب .

غير أننا نلحظ استشراء الفساد الإداري على كثير من الأجهزة الحكومية ولعل هذا الفساد هو الذي أدى إلى احجام عدد من العلماء عن تولى المناصب ، وزهدهم فيها نحو قوله : "ولازم الإشتغال ؛ مع التخلي عن الوظائف الدنيوية"(١)، و"كان اماماً عالماً فقيهاً ... دُعي إلى قضاء بلده ... فلم يرض"(٢)، ونجد بعضهم يحتجب عن التواصل مع السلطان خوفاً من الزامهم بوظيفة القضاء ، يقول في ترجمة تاج الدين البلقيني المتوفى عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) : "عرض عليه قضاء الشافعية ، وشافهه الأشرف بذلك فأبى ، وانقطع حينئذ من التهنية بالشهر خوفاً من الزامه بذلك ، ومن التردد لبني الدنيا ، ولزم بيته"!!(٣)، ومنهم من يتورع عن أخذ الراتب المخصص للنظار كقوله "ويتعانى أصناف المتجر ، ولايتناول من أوقاف الشافعية شيئًا"(٤).

ويبدو أن ذلك الفساد أيضا هو الذي جعل النجم أحياناً يشير إلى ثروة المترجم السريعة ، وكأنه يقول : من أين لك هذا؟! فعلى سبيل المثال يقول عن أحد المترجمين : "وتكسب بالشهادة ، وناب في القضاء ظناً ، وولى خزانة كتب الغرابية مات ... وخلف أكثر من ستة آلاف دينار ، واستكثر عليه ذلك"(٥)، وقوله عن آخر : "ولازم صحبة ناظر الجيوش فتمول ، وحصل وظائف واقطاعات ورزقاً ، وصار كثير المال جداً في مدة يسيرة"(٦).

وبجانب الوظائف السابقة نجد في المخطوط الإشارة إلى العديد من الوظائف والمهن التي قد يكتفى فيها مؤرخنا بمجرد الإشارة دون تفصيل أو ابراز لأوجه النشاط فيها ، ومن ذلك قوله : "كتب في ديوان الإنشاء بالقاهرة

---

(١) ق١٨٦ب .
(١٢) ق١٩٥ب .
(٣) ق٢١٠أ .
(٤) ق٢٤٦أ .
(٥) ق٢٥٠أ .
(٦) ق٢٤٩ب .

المحـــروسة ، وولى في سنــــة ثلاث وثلاثين حمـــايات [١] الـــذخيرة ، والمفرد [٢] بالوجه البحري" [٣]، أو "عـانى بمكة كتـابة الوثائق والسجلات ؛ على القـاضي محب الـدين النـويري" [٤]، أو "كـان يتكلم في الحسبـــة" [٥]، و"كان اماماً وخطيباً بسوله من وادي نخلة اليمـانية من أعمال مكة" [٦]، أو "كـان يتكسـب مـن صنـاعة الـذهب" [٧]، أو "كــان يتكســب بحانوت بالصحراء" [٨]، أو "وتولى عقـد الأنكحة بالمحلة ، وشهـد في الحمايات" [٩]، أو "كـان قيمـاً معـالجاً مصارعاً يرمــي بالنشـاب" [١٠]، أو "وتكسـب بحرفـه الفولاذ" [١١]، أو "وارتزق من بيع القطـن" [١٢]، وقـد يبين مدى مهارته في صنعتـه نحو : "وتكسـب في الكتـب ، وبرع في ذلـك جدًا" [١٣]، أو "كـان أستـاذاً في صناعة التجليد ، نصـوحاً فيها" [١٤]، أو "ولازم بيع الكتـب عدة

---

(١) الحمـايات : مفـردها الحمـاية ، وهـي المكـوس التي تفـرض على بعـض الأراضـي والمتاجر ، والمراكب والأرزاق مقابل حماية دافعها .
(انظـر السلوك ، ج١ ، ص٨٧٥ ، هـ٣ ؛ سعيـد عاشور : العصـر المماليكى ، ص٤٣١) .

(٢) المفرد : هو ديوان نفقة المماليك السلطانية من أموال وعليق وكسوة.
(انظـر خليـل بن شاهين : زبدة كشـف الممالك ، ص١٠٧ ؛ سعيـد عـاشور : نفس المرجع ، ص٤٧٣) .

(٣) ق٢١١ب .

(٤) ق١٨٨ب .

(٥) ق١١٠أ .

(٦) ق٥٠ب .

(٧) ق١٨٢أ .

(٨) ق١١٢ب .

(٩) ق٢١١ب .

(١٠) ق٢١٩ب .

(١١) ق٤٥أ .

(١٢) ق٥١أ .

(١٣) ق٢٧٦ب .

(١٤) ق١٩٢ب .

سنين ، وعرف بالخبرة التامة فيها ، وكان آخر من بقي بالكتبيين ممن عاصر القدماء"(١)، وقد يتحدث عن أمانته في عمله كقوله : "خازن كتب الخانقاه الصلاحية ، ضابطاً لكتبها أتم ضبط"(٢).

خامسا : المصنفات العلمية :

من الخصائص المميزة لمنهج النجم في هذا الكتاب خاصية الاستقصاء والشمول ، فالدارس للتراجم يلاحظ النظرة الشمولية التي خص بها النجم تراجمه ، فهو يتناول جميع جوانب شخصية المترجم ، ويورد جميع الآراء والأقوال التي تدور حول أي ركن فيها ، ولايكتفي بمجرد العرض ، بل كثيرًا مايشارك بآرائه وأحكامه المبنية على ملاحظاته الشخصية ، وهو بلاشك مستوى عال من الدقة تأتي من احتكاكه المباشر بالمترجمين ومعاصريهم ، واطلاعه على إسهاماتهم الفكرية .

ومن الأركان المهمة التي أولاها النجم عناية فائقة الإنتاج العلمي للمترجم . فقد ركز على إبراز جهوده في مجال التأليف ، وعدد أسماء المؤلفات سواء كانت مجلدات موسوعية أم رسائل صغيرة ، وبين العلوم التي صنفت فيها . وإذا كانت المؤلفات كثيرة ، وفي علم واحد ، اكتفى بالإشارة إلى ذلك كقوله : "وكتب في الميقات مقدمات تزيد على المائتين وهو علمه الذي طار به"(٣)، وقوله : "وصنف تفسيرًا في عشرين مجلدة"(٤).

وتجدر الإشارة أن النجم قد حاول استقصاء أغلب مؤلفات المترجم كما في ترجمة والده ، وكبار شيوخه حيث كان يفرد لمصنفاتهم أوراقا

---

(١) ق٢٧١ب .
(٢) ق٢٥٢أ .
(٣) ق٢٣٢أ .
(٤) ق٢٢٩أ .

عديدة لامجال لحصرها هنا . ومن أمثلة استيعابه لبعض المؤلفات قوله في ترجمة العلامة شمس الدين ابن ذغرى المتوفى عام (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) : "شرح التنبيه في أربع مجلدات احترق في الفتنة ، وتفسيرًا في نحو عشر مجلدات سماه فتح المنان في تفسير القرآن ، وتعليقاً على الشرح والروضة في ثمان مجلدات ، وشرح على التبريزي في ثلاث مجلدات وفيه فوائد ، وله تعليقة في مجلد كبير كالتذكرة يشتمل على تفسير وحديث وفقه وعربية ووعظ وغير ذلك"(١).

ويبين في ترجمة العلامة الرحال محمد بن الشماع المتوفى عام (٨٦٣هـ ١٤٥٨م) السبب الذي صنف من أجله مؤلفاته فيقول : "وشرح قطعة من الحاوى الصغير ، ومن الإرشاد للقاضي أبى بكر الباقلاني في الأصول ، وأعرب جميع ألفية ابن مالك لأجل ولده أبى الطاهر ، وعمل كتاباً في مصطلح الصوفية سماه : منشأ الأغاليط ، وأفرد رحلته في مجلد ، وعقيدته بالتأليف ، وتبرأ فيهما من كل مايخالف السنة والجماعة"(٢).

وإن لم يستوعب النجم مؤلفات المترجم أشار إلى ذلك ، مركزًا حديثه على أبرزها نحو قوله في ترجمة القاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية المتوفى عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) : "وله مؤلفات حسنة منها : الطيبة الرابحة في تفسير الفاتحة ، وذيل على تاريخ الكمال ابن العديم ذيلاً حافلاً ، وجمع للمؤيد سيرة . "وعن براعته في كتابة الفتاوى" يقول : وإذا قدمت إليه الفتوى يكتب عليها من رأس القلم من غير مراجعة فيصيب"(٣).

ويشير النجم أحياناً إلى عدد المصنفات جملة ، ثم يتناول بعضها محللاً محتوياتها باختصار كقوله : "وصنف التصانيف الغريبة النافعة ، مايزيد على

---

(١) ق٢٦٧ب .
(٢) ق٢٤٦أ .
(٣) ق١٣٨أ .

خمسين مصنفاً نظماً ونثراً" ثم يذكر عشرين مؤلفاً منها في مختلف العلوم والفنون . ذاكراً بعض المعلومات المتصلة ببدء التأليف ، وحجم الكتاب ، ومقدار ماأنجز منه ، وأهميته ...الخ(١)

وبنظرة فاحصة لجملة كبيرة من المؤلفات التي أوردها النجم في العديد من التراجم نلاحظ حرصه على اصدار أحكامه من خلال تحليله المبسط لمحتوياتها . يقول في ترجمة العلامة عز الدين الحسني اليمني المتوفى عام (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) : "وألف مؤلفات مفيدة ؛ تؤذن بكثرة فضله وتضلعه من العلوم منها : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم في أربع مجلدات ، أكثر فيه من الرد على الزيدية والمعتزلة ؛ لكنه غير مرتب ، ومن طالعه عرف خروج الزيدية عن طريق السنة ، وضعف علومهم وعقولهم ، وبين أن أهل البيت كانوا سالمين من البدع إلى نحو ثلثمائة سنة على طريق مذهب أهل السنة ، كما نقله صاحب الجامع الكافي من أئمتهم ، والحمد لله على وجود ذلك في كتبهم . واختصره وسماه : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم ، وأكثر فيه من الرد على الزيدية الذين نقموا منه اتباع مذهب أهل السنة"(٢).

ويعطي وميضاً يشعر بأهمية وجدة مؤلفات العلامة الأديب شرف الدين ابن المقريء ، وانبهاره بجودة اتقانها فيقول : "عمل كتاباً في الفقه ، والتزم أن يخرج من أوائل كل سطوره وأواخرها ووسطها أربعة علوم غير العلم الذي وضع الكتاب له ، وسماه : "عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي" وهو : كتاب حسن ، عجيب الوضع، لم يسبق إلى مثاله ، ولما وقف عليه علماء مصر أعجبوا به . وله مصنفات غير ذلك حسنة نافعة منها : مختصر الروضة للنواوي ، سماه : "الروض" ،

---

(١) ق٦أ،ب .
(٢) ق١٥٩أ .

وهو : اختصار عجيب . واختصر الحاوي الصغير ، وسماه : "ارشاد الغاوي في مسالك الحاوي" وفيه : زيادة قيود وألفاظ مفيدة مدرجة ، وشرحه شرحًا متوسطاً متقناً في مجلدين ، وضمنه شرح الكتابين ، وتحقيقات حسنة ، وسماه اخلاص الناوي بشرح إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي ... وله النظم الفائق والنثر الرائق مع كثرة التجنيس ، وحسن الترتيب والترصيع في أسلوب حسن . ونظم بديعية على نمط بديعية العز الموصلي ؛ التزم أن يكون في كل بيت تورية من التورية باسم النوع البديعي ، وشرحها أيضاً . ونظم قصيدة استنبط فيها معان كثيرة تأتي على ألف معنى!! الخ (١)

ويشير إلى اهتمام الأئمة بالإعداد لخطبة الجمعة ، وحرصهم على أن تكون مواكبة لحوادث العصر ، وذات تأثير بالغ حتى أن بعض الفضلاء اعتنوا بتسجيلها لأهميتها . وفي هذا الميدان أثنىٰ النجم على براعة الشيخ شمس الدين الرشيد المتوفى عام (٨٥٤هـ/١٤٤١م) في انشاء خطبة والقائها فقال : "وكان غاية في أداء الخطبة ، قادراً على انشاء الخطب ؛ بحيث ينشيء في كل جمعة خطبة مناسبة للوقائع ، وارتفع ذكره بذلك ، وكتب عنه بعض الفضلاء خطبًا ثم أفردها هو بتصنيف . ولو اعتنىٰ هو بذلك لجاء في عشرة أسفار"!!(٢)

ويبدي اعجابه الشديد بكتاب التغليق لما في صحيح البخاري من التعليق لشيخه ابن حجر ، ويذكر أنه من الكتب النفيسة والرائدة في علوم الحديث ، وأن العلماء السابقين قد حجزوا عن التأليف رغم افتقارهم إليه فيقول : "مجلد ضخم قصد فيه وصل الأحاديث الموقوفة الواقعة في صحيح البخارى بأسانيده في كل منها ، وهو قدر المقدمة(٣)، وهو : كتاب لم يسبق

---

(١) ق٥٤ب .

(٢) ق٢٠٩أ .

(٣) يقصد مقدمة كتاب : فتح البارى بشرح البخاري ، المسماه : هدىٰ الساري في فتح الباري ، وهي في مجلد ضخم ، وتشتمل على جميع مقاصد الشرح سوىٰ الاستنباط .
(انظر ترجمة ابن حجر : ق٣٣أ) .

إلى مثاله ، ولم يتقدم أحد من هذا الفن إليه ، ولاتخرج نحوه لغلبة ظنه أنه لايطيقه ولايخضع لديه ، وهو له مفخرة . وقد كمل في حياة كبار المشائخ ، وشهدوا بأنه لم يسبق إلى مثاله ، ووجدوا شاهد ذلك في كلام الحافظ أبى عبد اللّٰه بن رشيد السبتي أحد تلاميذ العلامة تقي الدين ابن دقيق العيد في مقدمة كتابه : ترجمان التراجم . ولفظه : والتعاليق المذكورة في صحيح البخاري مقتصرة إلى أن يصنف فيها كتاب يخصها ؛ تسند فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة كلها مع سيق درجاتها من الصحة والحسن ، وماعلمت أحداً تعرض لتصنيف في ذلك ، وإنه لمهم لاسيما لمن له عناية بكتاب البخاري . "ثم يتابع النجم كلامه عن الكتاب مشيرًا إلى مختصراته فيقول : واختصر هذا الكتاب في مختصرين أحدهما : سماه التشويق إلى وصل المهم من التعليق . والآخر : سماه التوفيق لتعليق التغليق ، واقتصر في الآخر على ذكر الأحاديث التي لم تقع في الأصل إلا معلقة ، ولم توصل في مكان آخر منه"(١).

وتبلغ نظرته الفاحصة مداها حين نرىٰ تعليقاته تتجاوز المحتوىٰ والمضمون إلى طريقة الإخراج الفني للمؤلفات . يقول معلقاً على كتاب برهان الدين البقاعي المتوفى عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) : "وشرع في شرح بهجة الحاوي شرحًا لم ينسج على منواله ، ولم يسبق إليه ، جعل المتن بالأحمر ، والشرح بالأسود من غير تقديم ولاتأخير ؛ بحيث أنه إذا قريء الجميع جزم بأنه كلام شخص واحد ، مع الضرورات التي لايخلو نظم عنها ، وصل فيه إلى التيمم سماه : جامع الفتاوى في شرح بهجة الحاوي"(٢).

ونجد لدىٰ النجم أحياناً اهتماماً بذكر مصادر الكتب المهمة كقوله في ترجمة العلامة جمال الدين الطيب الناشري المتوفى عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) :

---

(١) ق٣٣أ .

(٢) ق٦ب .

وألف نكتاً مفيدة على الحاوى الصغير في الفقه على مذهب الإمام الشافعى في ثلاث مجلدات سماها : "ايضاح الفتاوى في النكت المتعلقة بالحاوي جمع فيه مايقصر الوصف عن عده . اعتمد فيه على الروضة ، وشرح المنهاج للأذرعي ، وتخريج الفتاوى للشيخ ولى الدين العراق ، وأكثر شروح ابن الملقن ، وشرح التنبيه للشيخ جمال الدين الريمي ، والترشيح والتوشيح ، وشرح المنهاج للشيخ تقي الدين السبكي ، ونقل فيه عن الشيخ سراج الدين البلقيني ، ويشير إلى أهمية الكتاب المذكور فيقول : "وجمع كثير من أهل اليمن لايعرف فضل هذا الكتاب ، ولاماأودع فيه إلا من أدمن النظر"(١).

ولايكتفي النجم بإصدار آرائه الخاصة والأحكام العامة على مصنفات العلماء ، بل يذكر العلماء الذين قرظوا هذه المصنفات ، وأحيانا يورد بعض النصوص التي قالها كبار العلماء في هذا الصدد"(٢).

ومن شغف النجم بالحديث عن الكتب ، اهتم بذكر العديد من الأخبار المتعلقة بها ، كحديثه عن مدى الانتفاع بها عن طريق الإعارة. من ذلك قوله "وجمع أشياء ، واختصر وأفاد ... وهو سهل العارية بالكتب والأجزاء"(٣)، و"وكتب بخطه الكثير من الأجزاء والتعاليق والطباق ، ويفيد الطلبةبإعارته لذلك ، وبغيره من كتبه"(٤)، و"وملك كتبًا ، وكان محسناً بعاريتها"(٥).

كما تحدث عن تولع العلماء بالكتب واقتنائها ، وحرص بعضهم على حملها معهم حتى في السفر نحو قوله : "وكان مغري بالكتب ومطالعتها ،

---

(١) ق١٦٢أ .
(٢) ق٦٥ب .
(٣) ق٢١٤ب .
(٤) ق٨٤أ .
(٥) ق١٨٨أ .

وتحصيلها . جمع منها من النفائس مايجل وصفه ، وكان لايسافر إلا وهي صحبته مع كثرتها في عدة أحمال على عدة جمال ، ويخرج أكثرها في كل منزلة ينظر فيها ويعيدها إذا رحل"(١).

وتحدث عن وقف العلماء والأعيان لكتبهم ومكتباتهم كقوله : "وحصل كثيرًا بخطه ... أوقفه بمدرسته"(٢)، أو "ابتنىٰ تربة هائلة ... ووقف كتبه وتصانيفه بها"(٣). ويقول عن أحد الشيوخ المجاورين بمكة : "ويذكر أنباء حسنة عن أخبار المغول ؛ ولاة العراق المتأخرين . وأوقف كتبه بمكة المشرفة"(٤).

وتحدث عن رواج تجارة الكتب ، وعن خبرة بعض الكتبيين بخطوط العلماء فقال : "وتعانى التجارة في الكتب ، وصار ذا براعة زائدة في معرفتها وخبرة تامة بخطوط العلماء والمصنفين ، واقتنى جملة من الكتب مما لم يكن الظن بها كلها . وذلك نحو خمسة آلاف مجلد ، وكان ضنيناً بها ، ولم يعلم بها إلا بعد موته ، ومن العجيب أنه كان يؤجرها ، ويوهم أنها لغيره!! وربما تكون الأجرة موازية للثمن!!!"(٥).

وفي المقابل كان يشير إلى ضياع بعض المؤلفات بعد موت مؤلفيها أو جامعيها كقوله : "وحاش من الكتب والأجزاء أشياء كثيرة ذهبت بعد موته شذر مذر"(٦)، و"صنف التصانيف المفيدة... ولما مات تفرقت كتبه وتصانيفه شذر مذر"(٧)، أو بسبب السرقة كقوله : "وكان يعلق الفوائد التي يسمعها

---

(١) ق٢٧٠أ .
(٢) ق٢٢٩أ .
(٣) ق٢٨٤أ .
(٤) ق١٢٣أ،ب .
(٥) ق٢٤٨أ .
(٦) ق١٩١أ .
(٧) ق٢٠٠أ .

في مجالس المشائخ والأئمة حتى حصل من ذلك جملة كثيرة ، ثم تسلط عليه بعض أهله ؛ فمزقوا كتبه بالبيع تمزيقاً فاحشاً لأنهم كانوا يسرقون المجلدات مفرقة من عدة كتب - قد أتقنها وحررها - فيبيعونها تفاريق ،وكذلك الكتب التي لم تجلد يبيعونها كراريس بالرطل ، وضاعت كراريسه وفوائده"(١)، أو بسبب الحروب كقوله : "فلما غارت أصحاب تمر - يقصد تيمور لنك - على العراق أخذت كتبه جميعها مع مقروءاته ومسموعاته وإجازاته ، ولم يبق له شيء من الكتب"(٢).

وحظي خط المترجم باهتمام مؤرخنا ، وهناك الكثير من الإشارات المتناثرة بهذا الخصوص نحو قوله : "وثبته بخطه الحسن"(٣)، "وكتب الخط الحسن"(٤)، "وكتب بخطه الحسن المليح"(٥)، "وخطه حسن حلو"(٦)، "ويكتب خطاً حسناً"(٧)، "حسن الخط"(٨)، "وكتب بخطه الكبير الحسن المتقن"(٩)، "وله كتابة مليحة"(١٠).

وقد يضيف إلى جمال الخط سرعته فيقول : "كان مليح الكتابة سريعها"(١١)، "ذا كتابة حسنة سريعة"(١٢)، "وكتب بخطه السريع"(١٣).

---

(١) ق٢٢٦ب-٢٢٧أ .
(٢) ق٢٠٥أ .
(٣) ق٨٧أ .
(٤) ق٩٩أ .
(٥) ق٨ب .
(٦) ق٤٧ب .
(٧) ق٢٧٤ب .
(٨) ق٩١أ .
(٩) ق١٨٢ب .
(١٠) ق١٦٣أ .
(١١) ق١٨٨ب .
(١٢) ق٢٦٣أ .
(١٣) ق٢٤٩أ .

كما يشير إلى من يكتب الخط بدقة ومنهجية كقوله : "وكتب الخط المنسوب"(١)، "وحصل كثيرًا بخطه المنسوب"(٢). ويذكر محاكاة المترجم لخطوط كبار العلماء المشهورين كقوله : "وجود الخط ، على طريقة الحافظ الذهبي ؛ بحيث صار يحاكي خطه غالبًا ، وكتب به كثيرًا"(٣)، ويشير إلى المهارة في الكتابة بأكثر من نوع من الخطوط فيقول : "جيد الخط ، ذا قدرة على تنويع الخطوط ، مع خبرة تامة بالاحكام ، وصناعة التوثيق"(٤).

وقد يستلفت انتباهه أمور إلى جانب خط المترجم فيذكرها كقوله : "كان حسن الخط مع كونه أعور، ثم قارب أن يكف"(٥)، "وكان يكتب الخط الدقيق إلى آخر عمره"(٦)، "وكتب الخط الحسن ... وخطه أجود من انشائه"(٦).

سادسا : تاريخ الوفاة ومكانها :

وهو من الأركان المهمة في التراجم التي اعتنى بها النجم عناية شديدة والملاحظ أن أغلب التراجم بها معلومات وافية ، تحتوي على كثير من التفصيلات الدقيقة الخاصة بهذا الركن ، وإن كنا نجد العديد من التراجم

---

(١) ق٧٠ب .
"الخط المنسوب : يعنى الموزون بنسب معينة في أبعاد الحروف ، حسب القواعد المقررة والأصول المحررة" .
(بشار عواد معروف : الذهبي ومنهجه ، ص٣٨١) .
(٢) ق٢٢٩أ .
(٣) ق٢٠٩ب .
(٤) ق٢٣١ب .
(٥) ق١٨٠ب .
(٦) ق٢٥٦ب .
(٧) ق١٩٣ب .
"وردت هذه العبارة فى ترجمة كبير الموقعين بديوان الانشاء" .

لايتـوفر فيها التحديد الدقيـق ، وبعضها ينعدم فيها هـذا الـركن . وعلى أى حال فإن أبرز مايمكن ملاحظته في تاريخ الوفاة مايلى :

- هناك تراجم حدد فيها تاريخ وفاة المترجم تحديدًا بالغ الدقة بالوقت واليوم والشهر والسنة كقوله : "توفى قريباً من نصف ليلة السبت ثامن عشر رجب سنـــة ثمانين وثمانمائة"(١)، "وكـانت وفـاته في سحـر يوم الأحد سـابع عشـرى صفـر سنة سبـع وثلاثين وثمانمائة"(٢)، "مـات في ضحى يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة"(٣)، "مات في ظهر يوم الاثنين خامـس ذي الحجة سنـة سبع وثلاثين وثمانمائة"(٤)، "مات قريب العصـر من يوم الأحد سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة"(٥).

- تراجم حدد فيها تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنـة كقوله : "مات في يوم الاثنين خامـــس عشـــر جمـــادى الأول سنـــة خمسين وثمانمائة"(٦)، "وكـــانت وفـــاته في ليلـة السبـــت ســـادس عشـر ربيـع الآخر سنـــة أربعين وثمانمائة"(٧). وهي كثيرة جدًا .

- تراجم حدد فيهـا تاريخ الـوفاة بالشهـر والسنـة كقـوله : "مـات في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة"(٨)، "مات في ذى القعدة سنة ست وسبعين وثمانمائة"(٩).

---

(١) ق٢أ .
(٢) ق٥٥أ .
(٣) ق٦٧أ .
(٤) ق١٥٨ب .
(٥) ق١أ .
(٦) ق٦٨ب .
(٧) ق٤٨أ .
(٨) ق٤٧ب .
(٩) ق٦١ب .

- تراجم حدد فيها تاريخ الوفاة بالسنة فقط نحو قوله : "مات سنة تسع عشر وثمانمائة"(١)، "مات سنة احدى وسبعين وثمانمائة"(٢).

- تراجم لايتسنى له ضبط تاريخ الوفاة ، فيذكرها بصورة تقريبية نحو "مات في حدود العشرين وثمانمائة"(٣)، و"قدم مكة في موسم سنة أربع وعشرين ، فأقام بمكة ، ومات في أثناء السنة التى بعدها"(٤)، و"مات في أوائل شهر ربيع الأول سنة احدى وخمسين وثمانمائة"(٥)، و"مات في أواخر سنة ست وثلاثين وثمانمائة أو أوائل التي بعدها"(٦)، و"مات في العشر الأوسط من شوال سنة ثلاثين وثمانمائة"(٧)، و"مات في رجب ظنا سنة احدى وثمانمائة"(٨)، و"مات ظناً بعد الخمسين وثمانمائة"(٩).

- قد يكتفي بذكر السنة التقريبية دون تحديد القرن كقوله : "مات قبل الستين ظناً"(١٠)، "مات في حدود سنة ستين ظناً"(١١). والنجم هنا يفترض في القاريء معرفة ذلك ، فهم شيوخه الذين عاصرهم ، وعليه فالوفيات جميعها في القرن التاسع .

---

(١) ق٢٦٣أ .
(٢) ق٢٥٠أ .
(٣) ق١أ .
(٤) ق٦٧أ .
(٥) ق٦٦أ .
(٦) ق٦ب .
(٧) ق١٨١ب .
(٨) ق١أ .
(٩) ق٤ب .
(١٠) ق٣٩ب .
(١١) ق٤١أ .

- تراجم لم يظفر فيها النجم بوفاة المترجم ؛ وهذه إما أن يشير إلى جهله بذلك كقوله : "مات ولاأعلم متى كان"(١)، "مات ولاأعلم تاريخ ذلك"(٢)، "ولم أر لها وفاة"(٣)، "وماعرفت له وفاة"(٤)، "وماعرفت تاريخ موته"(٥)، "مات وماعرفت وقته"(٦)، "ولاأعلم متى مات"(٧).

- وقد يشير إلى أقرب تاريخ لحياة المترجم نحو : "ولاأعرف متى مات ؛ الا أنه كان حيًا في سنة سبعين وثمانمائة"(٨)، "كان حيًّا سنة اثنين وأربعين "وثمانمائة" ولاأعلم متى مات"(٩)، "ولاأعلم متى مات إلا أنه كان يعيش في سنة تسع وأربعين "وثمانمائة"(١٠).

- وقد يكتب لفظ مات ثم يترك بياضًا ، ولايسجل شيئًا(١١). وعلى كل فالتراجم التي لم يظفر فيها بوفاة المترجم قليلة نسبة إلى عدد تراجم المخطوط .

تراجم لم يدون فيها تاريخ وفاة أصحابها لأن المترجمين بقوا أحياء بعد وفاته . وهؤلاء سجل تاريخ وفياتهم ابنه العز مصدرًا تدوينه بلفظ

---

(١) ق٥ب .
(٢) ق٦٥ب .
(٣) ق٢٧٩أ .
(٤) ق٢٨٥ب .
(٥) ق٢٧٩ب .
(٦) ق٢٨٢أ .
(٧) ق٦١ب .
(٨) ق٤٣أ .
(٩) ق٢٥أ .
(١٠) ق٥٥ب .
(١١) ق٢٧ب ، ٣٦أ ، ٥٣ب ، ٥٤أ ، ٦٠ب ، ١١٣ب ، ١٧٤ب ، ١٨٢أ ، ١٩٥ب ، ٢١٩أ .

"أقـول" نحو : "أقـول : مات في ربيـع الثاني سنة أربع وتسعين وثمانمائة"(١)، أقـول : "مات سنة بضع وتسعين وثمانمائة"(٢)، "أقول : وهو موجود في سنة ثلاث وتسعين "وثمانمائة"(٣).

ويلى تاريخ الوفاة ذكر مكانها ويحدد غالباً باسم المدينـة التي توفى فيها صاحب الترجمة مثـل : "بالمدينـة النبـوية"(٤)، "بالقـدس الشـريف"(٥)، "بالقاهرة"(٦)، "بحماه"(٧)، "بزبيد"(٨)، "بجدة ساحل مكة"(٩). وقد يكتفي بذكر تاريخ الوفاة فقط .

ويلاحظ في كثير مـن التراجم أن هنـاك إشارات لأمـور عديدة تتصل بالـوفاة متناثرة بحسب كل ترجمة يشير إليها كلما وجد ذلـك ضرورياً ، ومن ذلك سبب الوفاة مثل : "مات بطاعون كـان ببلاد اليمن"(١٠)، أو "فى الوباء الحادث بها"(١١)، و"يقال : مات مسمـوماً"(١٢)، أو "أصابه فالج قبـل موته من نحو خمس سنين أو أكثر ، ودام به نحو العام ثم عوفى منه ، ثم صارت الأمـراض تعتاده إلى أن مات باسهـال أصابه"(١٣)، "مات بعد أن عجـز عن

---

(١) ق٢٤٣ب .
(٢) ق٢٣٣أ .
(٣) ق٢٧أ .
(٤) ق١٥أ .
(٥) ق١أ .
(٦) ق١٨١ب .
(٧) ق٦٥ب .
(٨) ق٥٥أ .
(٩) ق٤١أ .
(١٠) ق١٥٩أ .
(١١) ق٦٨ب .
(١٢) ق٢٨٢أ .
(١٣) ق١٥٨ب .

الحركة والمشى لسقوطه من سرير مرتفع عن الأرض فانفك بعض أعضائه ، وتألم كثيرًا لذلك نحو شهرين"(١)، "وضعف في آخر عمره بالدرن ، واختل عقله جداً ، وسئم منه جيرانه ، فنقلوه إلى المارستان المنصوري ، فأقام به نحو شهرين ومات"(٢).

ومن الإشارات الواردة في بعض التراجم تحديد وقت الصلاة على الميت ومكانه نحو : "صلى عليه بعد الصبح عند باب الكعبة ، ونودى للصلاة عليه فوق ظلة زمزم"(٣)، "وصلى عليه بعد صلاة العصر ، خلف مقام الحنابلة بوصية منه"(٤)، "وصلى عليه ضحى بجامعها ـ جامع حلب ـ"(٥)، "فصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى"(٦).

وقد يشير إلى من حضر الصلاة عليه من كبار رجال الدولة نحو : "وأمر السلطان أن يصلى عليه في سبيل المومني تحت القلعة بالرميلة ؛ ليصلى هو عليه ، فحمل تابوته إلى هناك ، فتقدم في الصلاة عليه الخليفة"(٧)، و"وصلى عليه بسبيل المومني الخليفة ، وحضر الصلاة عليه السلطان والقضاة والأمراء وغيرهم"(٨).

وفي هذا الموضوع كان يشير أحياناً إلى الجموع التي شيعت الميت كقوله : "وصلى عليه بجامع الأزهر ، وكان الجمع كثيرًا ، ثم مشوا إلى

(١) ق٤٧أ .
(٢) ق٦٢أ .
(٣) ق٢٣٢أ .
(٤) ق١١٥ب .
(٥) ق١٩٧ب .
(٦) ق٢٠٠ب .
(٧) ق٢٢٤ب .
(٨) ق٢٥٥ب .

مصلى باب النصر فصلى عليه ، وحضر جميع مباشرى الدولة ، وناظر الجيش فمن دونه"[(١)]، أو "وشيعه أمم ، وتأسفوا عليه ، وهو جدير بذلك"[(٢)]، أو "وكانت جنازته مشهودة جدًا لم يعهد بعد جنازة شيخنا ابن حجر إلى هذا الحد مثلها"[(٣)]، أو "وماقدر أحد إلى الوصول إلى حمل جنازته لكثرة الازدحام على حملها إلا بمشقة فادحة"[(٤)]، أو "واجتمع في جنازته خلق لايحصون ، وكثر الأسف عليه"[(٥)]...الخ .

وقد يشير إلى مكان الدفن نحو : "دفن بحوش أعده لنفسه جوار حوش التربة الأشرفية"[(٦)]، "دفن تجاه شباك الإمام الشافعي بالقرافة"[(٧)]، "دفن بمقبرة صوفية سعيد السعداء"[(٨)]، "دفن بالروضة من السفح - يقصد سفح جبل قاسيون بالشام"[(٩)]. وقد يخصص فيقول : "دفن بمقبرة ماملا - بالقدس - إلى جوار سيد الشيخ أبي عبد الله القرشي" [(١٠)]، "دفن بالمعلاة على والده"[(١١)]، "دفن بالمعلاة عند أبيه وجده ؛ بجوار قبر جده مقريء مكة "فلان""[(١٢)]، "دفن بقبر والده وأخيه في مدرستهم التي أنشأها والده جوار منزله بحارة بهاء الدين بالقاهرة"[(١٣)].

---

(١) ق٢٦٧أ .
(٢) ق٢٠٠ب .
(٣) ق١٧٢ب .
(٤) ق٢٧٧أ .
(٥) ق٢٢٤ب .
(٦) ق١٩٨ب .
(٧) ق٢٥٥ب .
(٨) ق٦٥أ .
(٩) ق١٥٨ب .
(١٠) ق٢٠٠ب .
(١١) ق٤٧أ .
(١٢) ق٤٢ب .
(١٣) ق١٠١أ .

ويختم الوفاة بالدعاء للميت بصيغ عدة نحو : "رحمه الله ورضى عنه"(١)، "رحمه الله وايانا آمين"(٢)، "رحمة الله عليها"(٣)، "رحمه الله تعالى وايانا"(٤)، "رحمه الله وايانا والمسلمين"(٥)، "رحمه الله ونفعنا به"(٦)، "رحمه الله وسامحه"(٧)، "سامحه الله ، وغفر له"(٨)، "عفا الله عنه"(٩)، "عفا الله عنه وسامحه"(١٠)، "عوضه الله الجنة"(١١).

وقد يضيف أمورا أخرى متفرقة ؛ كأن يشير إلى علو مكانته العلمية والأدبية نحو : "ولم يخلف بعده مثله كرمًا ورئاسةً وسؤدداً وفضلاً"(١٢)، أو "فنعم الرجل كان"(١٣)، أو "ولم يخلف في مجموعه مثله"(١٤)، أو "ولم يخلف في فنونه بعده مثله"(١٥)، "ولم يخلف بعده مثله في كثرة علمه بالفقه وأصوله والتفسير والعربية"(١٦)، أو "ماذا فقدنا من فوائده"(١٧).

---

(١) ق٢٠٠ب .
(٢) ق١٩٨ب .
(٣) ق٦٩أ .
(٤) ق١ب .
(٥) ق٤٨أ .
(٦) ق٢أ .
(٧) ق١٦٧أ .
(٨) ق٦٨ب .
(٩) ق٢٤٩أ .
(١٠) ق٢٨٦ب .
(١١) ق١٨٦أ .
(١٢) ق٢٥٥ب .
(١٣) ق٦٥ب .
(١٤) ق٤٦أ .
(١٥) ق١٨٦أ .
(١٦) ق١٠١أ .
(١٧) ق٨٤ب .

وقد يشير إلى ثروته كقوله : "وخلف مالاً جزيلاً"(١)، أو "وخلف دنيا طائلة"(٢). أو يشير إلى وصيته نحو : "وأوصى بثلثه ؛ وأن يفرق نصفاً نصفاً ، فامتنع شيخنا عن تنفيذ ذلك ، وفرقها دينارا دينارا"(٣).

وقد يذكر بعض أبنائه أو أقاربه نحو قوله : "وخلف أربعة أولاد ذكور نجبا"(٤)، أو "وأنجب عدة أولاد أمثلهم طريقة شيخنا "فلان" ، وصاحبنا "فلان"(٥)، أو "وهي والدة والدى خديجة ابنة عبد الرحمن بن فهد ، وأختها صفية ابنة ياقوت الفهدى"(٦).

وقد يشير إلى عمر المتوفى نحو : "وقد قارب الثمانين أو جاوزها"(٧)، أو "وله مائة سنة وسنتان"(٨)، أو "وقد بلغ التسعين إلا قليلاً"(٩)، أو "بعد أن جاوزت التسعين"(١٠)، أو "وقد جاوز الثمانين"(١١)، أو "وقد قارب السبعين أو جاوزها"(١٢)، أو "وقد قارب السبعين أو بلغها"(١٣)، أو "وماأظنه أكمل الثلاثين"(١٤).

---

(١) ق٤١ب .
(٢) ق٤٨أ .
(٣) ق١٥٨ب .
(٤) ق١٦٥أ .
(٥) ق١٦ب .
(٦) ق٩٦أ .
(٧) ق٦٧أ .
(٨) ق٤٢ب .
(٩) ق١٠١ب .
(١٠) ق٥٨أ .
(١١) ق١٣٥أ .
(١٢) ق١٣٥ب .
(١٣) ق٢٢٠أ .
(١٤) ق١٣٥أ .

ونادراً مايختم خبر الوفاة بأثر معنوي كان يؤثر عن صاحب الترجمة ، ففي ترجمة مباشر ديوان الإنشاء في القاهرة شمس الدين السويدي المتوفى عام (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) قال : "كان يكثر من إنشاد القائل :

صُمٌ إذَا سَمِعُوا خَيراً ذُكِرتُ بِهِ … وَإن ذُكِرتُ بِشَرٍ عِندَهُم أَذِنُوا

ثم علق قائلا :

وقوله لاينطبق على طائفة الموقعين[١].

سابعا : المادة العلمية التي تلقاها النجم عن شيوخه :

هذا الركن هو درة أركان المخطوط ، وهو الركن الأخير في الهيكل التنظيمي لعناصر الترجمة . ومن خلاله ، وفيما بين سطوره يمكن رسم الأبعاد العريضة لثقافة مؤرخنا ، وهي ثقافة موسوعية في شتى العلوم والفنون ، وإن غلبت عليها الصبغة الدينية الأدبية التاريخية . وهو جزء نفيس في التراجم أفرده النجم لذكر خلاصة مناهله العلمية التي شكلت فيما بعد نظراته الفاحصة ، ووعيه بالحركة الثقافية الجارية في عصره . وولعه بالطلب حتى الشيخوخة .

والحق أن العصر الذي عاش فيه مؤرخنا كان ميداناً لنشاطٍ علمي واسع ، وكان العلماء ، وطلاب العلم مؤسسات علمية مستقرة ومتنقلة ، وكانت حافظتهم ومؤلفاتهم مخزناً للمعلومات والإرث الثقافي العظيم .

وهذا المعجم هو الجامعة التي تخرج منها النجم فهو يضم بين دفتيه تراجم لعدد ضخم من الأعلام والعلماء الذين اتصل بهم عبر تطوافه في العديد من المدن الإسلامية ، ثم أن هذا الركن الفريد في التراجم هو السجل العلمي لمستوى النجم وتخصصه . فقد دون فيه المواد التي أخذها عن شيوخه وأقرانه ، سواء كانت روايات شفوية أم أجزاء أم مجاميع أم رسائل

---

(١) ق١٥٨أ .

أم كتب ، والإجازات التي حصل عليها ، ونوعها ، فصار هذا الركن في مجمله نموذجًا رائعاً لتأريخ التاريخ الفكري لنجمنا .

وقد كشف لنا هذا الركن أيضا أن النجم كان دؤوبًا على السماع من الشيوخ والأقران ، وحيثما حل ، كان هدفه في الغالب الوصول إلى الإسناد العالي ، وضبط المتون ، ويتضح هذا عند تتبع الأغلب الأعم من التراجم .

ويلاحظ الدارس لهذا الركن أن النجم يذكر جميع ماسمعه وقرأه على المترجم ، وقد تطول هذه الجزئية أو تقصر حسب أهمية الشيخ وقيمته العلمية وملازمة النجم له ، ففي حين تبلغ الدروس والإجازات عدة أوراق في بعض التراجم(١)، نراها في تراجم أخرى لاتتعدى سطراً أو بضعة أسطر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن النجم كان شديد العناية بالألفاظ التي استخدمها للدلالة على اتصاله العلمي بصاحب الترجمة ، أو تتلمذه على يديه ؛ ففي الفترة الأولى من طفولته قبل سن التمييز استخدم لفظ : (حضرت عليه) كقوله : "حضرت عليه في الأولى"(٢)، "حضرت عليه في الثانية"(٣)..!!!الخ .

ويبدو واضحاً أن الطفل في هذه السن لايستطيع التمييز ، ولكننا نلاحظه هنا ، كما نلاحظه في عدد من تراجم شيوخه(٤). وغالباً مايكون

---

(١) انظر على سبيل المثال ترجمة والده : ق٢٥٨أ-٢٦٣أ ؛ وابن حجر ، ٣١ب-٣٥ب وأبو الفتح المراغي ، ١٨٢أ-١٨٤ب ؛ وابن ناصر الدين الدمشقي ، ٢٠٩ب-٢١١أ ؛ وابن المرجانى ، ٢٣٤ب-٢٣٦أ ؛ والشوائطي ، ٢٩أ-٣٠ب ؛ وبرهان الدين الطرابلسي ، ٧ب-١٠أ .

(٢) ق٩٩ب .

(٣) ق٦٣أ .

(٤) انظر ق١١٧ب ، ١١٨أ ، ٢٠٢ب-٢٠٣أ، ٢١٩ب ، ٢٢٩ب-٢٣٠أ .

ضبط هذا الحضور عند ذوي البيوتات العلمية ، فالآباء يعتنون بتقييد ذلك أملاً في أن يكون أبناؤهم من أهل العلم والنجابة مستقبلاً . بل نجدهم يذهبون إلى أبعد من هذا عندما يسألون العلماء الإجازة لأبنائهم قبل أن يولدوا ، كما فعل التقي والد مؤرخنا حين استجاز لابنه النجم وهو حمل في استدعاء مؤرخ بثالث ذي الحجة سنة احدىٰ عشر وثمانمائة(١).

أما في سن التمييز فنجد النجم يصدر قائمة علومه باستخدام اللفظ السابق مع شيء من الخصوصية التي تفيد بداية الطلب نحو : "حضرت دروسه"(٢)، "حضرت دروسه مرارًا"(٣). كما يذكر العديد من الألفاظ الدالة على التلقىٰ والأخذ عن الشيوخ نحو : "سمعت عليه"(٤)، و"قرأت عليه"(٥)، و"عرضت عليه بعض محفوظاتي"(٦)، و"عرضت عليه محفوظاتي"(٧)، و"أنشدني"(٨).

ويمتاز الركن الخاص بدراسة النجم بدقة منهجه ، وتحديد ألفاظه ، ومن الأمثلة التي تذكر في هذا المجال : توضيح صفة السماع والقراءة هل هي بلفظ شيخه؟ أو بلفظ غيره؟ أو بلفظه هو؟ كقوله : "سمعت من لفظه"(٩)، "سمعت من لفظه وحفظه"(١٠)، "سمعت عليه ... أكثرها من لفظه"(١١)، "سمعت عليه بقراءة والدي ... وسمعت عليه بقراءة عبد الغني

(١) ق٦٣ب .
(٢) ق١٠٣أ .
(٣) نفس الورقة .
(٤) ق٤أ ، ١١أ ، ١٢ب ، ١٦ب ، ١٧أ .
(٥) ق٢أ ، ١٥أ ، ١٧أ .
(٦) ق١٠٣أ ، ١١٧ب ، ١٢٥أ ، ١٣٠ب .
(٧) ق٣٥ب .
(٨) ق٢٤٠أ ، ٢٤١ب ، ٢٦٥أ ، ٢٧٥أ .
(٩) ق٨٣ب .
(١٠) ق٢١١أ .
(١١) ق٥٦أ .

المرشدي ... وسمعت عليه بقراءة نور الدين الإبِّي ... وسمعت عليه بقراءة أخي أبي زرعة محمد"(١). وعندما يسمع من شيخه أكثر من مرة يذكر ذلك بدقة قائلاً : "سمعت عليه ... مرتين الثانية من لفظه"(٢)، "سمعت عليه مرتين الثانية بقراءتي"(٣)، "سمعت من لفظه ... ثم قرأت عليه ... مرتين ...الخ"(٤)، ويشير إلى الأجزاء التي لم يحضرها بلفظ "فوت" مثل : "سمعت عليه ... ومسند أبي هريرة بفوت"(٥)، "سمعت عليه جميع مسند الإمام أحمد ، ومسند الامام أبي حنيفة لابن خسرو بفوت و.... والمئة المنتقاه انتقاء العلاء مرتين ، الثانية بفوت ..."(٦).

واعتنىٰ النجم أحياناً بتحديد مكان وزمان الدراسة عن الشيخ إذا تعدد الأخذ منه نحو : "سمعت عليه بالمدينة النبوية ... ثم بمكة المشرفة ...الخ"(٧) "سمعت عليه بمكة المشرفة ... ثم سمعت عليه بالقاهرة ... ثم قرأت عليه ... إملاؤه بحلب ... ثم سمعت عليه في قدمتي الثانية إلى القاهرة ..."(٨)، "سمعت عليه بمكة في سنة أربع وثلاثين ... ثم بالقاهرة في سنة ست وثلاثين ... ثم سمعت عليه بمكة في سنة تسع وثلاثين ...الخ"(٩)، "قرأت عليه في رحلتي الأولى إلى القاهرة ... ثم سمعت عليه في رحلتي الثانية ...الخ"(١٠)، "سمعت عليه في الرحلة الأولى ... وقرأت عليه في الرحلة الثانية ...الخ"(١١)

---

(١) ق١٦٣ب-١٦٤ب .
(٢) ق٥٢أ .
(٣) ق٤٩أ .
(٤) ق٤٨أ .
(٥) ق٧٨أ .
(٦) ق٢٥٧أ،ب .
(٧) ق١٢ب .
(٨) ق٣٤ب-٣٥ب .
(٩) ق٢٩أ .
(١٠) ق١١١أ .
(١١) ق٩أ-١٠أ .

"أنشدني من لفظه ... بحلب ثم ... سمعت عليه بمكة ...الخ"(١).

وفي أحيان أخرىٰ تبلغ دقة النجم مداها بحيث يذكر عدد المجالس التي استغرقها دراسة الكتاب ، وقد يذكر التاريخ بالوقت واليوم والشهر ، ويحدد أيضا المكان تحديداً دقيقاً كقوله : "قرأت عليه كتاب ... في ستة مجالس آخرها يوم الأحد ثالث عشري القعدة ، سنة سبع وستين بزيادة دار الندوة"(٢)، "سمعت من لفظه بالمدينة الشريفة في سنة عشرين وثمانمائة كتاب ... في مجالس آخرها ثالث ربيع الآخر ، وكتاب ... في رابع الشهر من السنة وكتاب ... في سادس الشهر ، وكتاب ... في تاسع الشهر ...الخ"(٣)، "ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بعدة قصائد أنشدني بعضها في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بمنزله بمحلة أبي الهيثم بمصر"(٤).

والنجم مولع بذكر إجازاته فهي دليل مستواه العلمي ، وثراؤه المعرفي ، وفي هذا الركن كم هائل من الإجازات التي منحها الشيوخ له ، ومنهج النجم في الإشارة إلى ذلك واضح ودقيق ، سواء كانت الإجازة خاصة أم عامة ، وسواء كانت بالمشافهة أو بالمكاتبة أو الصحبة أو بالاستدعاء . ومن أمثلة ذلك : قوله : "وأجاز لي مروياته"(٥)، "كتب لي خطه بالإجازة"(٦)، "وأجاز لي مايجوز له وعنه روايته"(٧)، "أجاز لي مايجوز له روايته بسؤال شيخنا رضوان بالقاهرة"(٨)، "أجاز لي جميع نظمه

(١) ق٢٦٣ب .
(٢) ق١٦٨أ .
(٣) ق٢٥٩ب-٢٦٣أ .
(٤) ق٢١٩أ .
(٥) ق١١ب .
(٦) ق١٠ب .
(٧) ق٥ب .
(٨) ق١٣٠ب .

بسؤالي"(١)، "أجاز لنا وللطلبة"(٢).

وقد يحدد تاريخ الإجازة كقوله : "أجاز لي مروياته بسؤالي في يوم الأربعاء ثالث شوال سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، ثم أجاز في الإستدعاءات"(٣)، "أجاز في بعض استدعاءات الأولاد سنة ثلاث وستين ، وفيه الاستجازة لأهل مكة"(٤). وقد يحدد الزمان والمكان كقوله : "أجاز لي ولاخوتى ولأولاد كل منا مايجوز له روايته متلفظ بذلك بسؤالي في ليلة الأربعاء رابع عشر الحجة سنة احدى وسبعين وثمانمائة بمكة"(٥).

وقد يجمع بين الإجازة الشفوية والكتابية لأكثر من مرة مثل : "أجاز لي مايجوز له وعنه روايته مشافهة غير مرة ، وكتب لي خطه بذلك مرارًا"(٦)، أو "وكتب لي خطه بالإجازة غير مرة ، وشافهني بها مرارًا عدة"(٧)، أو "اجتمعت به بالمسجد الحرام ، وبمنى واستجزته ، وأخذت خطه على بعض الإستدعاءات"(٨).

وحرص النجم على بيان ماتحمله عن شيوخه مناولة ، وكان منهجه هنا غاية في الدقة والأمانة ، وألفاظ الأداء التي ذكرها نوعان :

نوع مجرد من الاجازة مثل : "حضرت عليه ... وتناولت جميعها"(٩)،

---

(١) ق١٣أ .
(٢) ق٦٠أ .
(٣) ق١٢٨ب .
(٤) ق٨١أ .
(٥) ق١٥أ .
(٦) ق١٠أ .
(٧) ق٣٥ب .
(٨) ق٢١٦أ .
(٩) ق٦٣أ .

"سمعت عليه من أول كتاب ... الى قوله ... ومن قوله ... الى آخر الكتاب وتناولت منه جميعه"(١).

أما النوع الثانى فهو مقرون بالإجازة : وهو أعلى أنواع الإجازة مطلقاً(٢). والإشارات إليه كثيرة كقوله : "سمعت عليه ... وناولنيه من يده وأجازني روايته"(٣)، و"قرأت عليه كتاب ... من أول كتاب ... ومن أول كتاب ... وتناولت جميع الكتب الثلاثة، مناولة مقرونة بالإجازة"(٤). وقد يحدد بدقة تاريخها ومكانها نحو : "ناولني في يوم السبت تاسع عشري شوال سنة ثمان وسبعين وثمانمائة بمنزله بدار السلسلة بباب العمرة بمكة المشرفة جميع كتابه ... مناولة مقرونة بالإجازة ...الخ"(٥)، و"ناولني في يوم الأربعاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعين وثمانمائة بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام من مؤلفاته كتاب ... وكتاب ... وكتاب ... مناولة مقرونة بالإجازة لها ولجميع مؤلفاته"(٦).

ونجد لدى النجم هنا الكثير من الإشارات لبعض سماعاته التي فيها موافقات(٧)، ومصافحات(٨)، وأبدال(٩)،

---

(١) ق١١٦ب .

(٢) انظر محمود الطحان : تفسير مصطلح الحديث ، ص١٦١ .

(٣) ق١٢٠أ،ب .

(٤) ق٧٧ب .

(٥) ق٢٥٢ب .

(٦) ق٢٧٦أ .

(٧) موافقات : مفردها موافقة ؛ وهي الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه بعدد أقل مما لو روى من طريقه عنه .

(٨) مصافحات : مفردها مصافحة ؛ وهي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع اسناد تلميذ أحد المصنفين ، وسميت بهذا الاسم ؛ لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقيا .

(٩) ابدال : مفردها بدل ؛ وهي الوصول إلى شيخ شيخ أحد المصنفين من غير طريقه بعدد أقل مما روى من طريقه عنه .

وعوالى [١] ونحوها . وهي من أقسام العلو في الاسناد ، والمعروف أن المحدثين يستحبون الرحلة في طلب الاسناد العالي ويقولون : أنه سنةممن سلف . ولهذا فلاريب أن نرى مؤرخنا وهو المحدث الحافظ يعتني بهذا الجانب من مسموعاته ، ويحرص على الإشارة إليه كقوله : "سمعت عليه جزءاً فيه عوال منتخبة ...الخ" [٢]، و"سمعت عليه أحاديث الأول من موافقات القاضي سليمان ... ثم موافقات زنيب بنت الكمال ...الخ" [٣]، و"سمعت عليه ... ثم الأربعين الموافقات والابدال ...الخ" [٤]، و"قرأت عليه جزءًا فيه أحاديث عوالي من مسموعات ..." [٥]

والملاحظة المنهجية التي يمكن أن تقال في هذا الركن هي كثرة تكرار أسماء بعض الكتب أو المتون أو الأجزاء التي أخذها سماعًا أو قراءةً على شيوخه ؛ فالنجم يذكر في ترجمة كل شيخ جميع ماسمعه منه أو قرأه . وسواء كانت المادة المأخوذة عن الشيخ طويلة أم قصيرة فالتكرار وارد . ولم يكن في استطاعته منع ذلك ؛ بسبب حرصه على الإسناد ، وبيان الطرق التي وقع له بواسطتها الراوية من ناحية ، وبسبب كثرة شيوخه من ناحية أخرى .

---

(١) عوالي : العلو يكون بطريقتين : أحدهما بتقدم وفاة الراوي ، والآخر بتقدم السماع .
(انظر عن هذه الأقسام محمود الطحان : نفس المرجع ، ص١٨١-١٨٢) .

(٢) ق٢٤٧أ .

(٣) ق٢٨٤ب .

(٤) ق٢١٧ب .

(٥) ق٢١ب .

هـذا مجمـل مختصـر للطابع العـام لكتـاب معجم الشيـوخ المخطـوط ، ولاشك أن النجم قد قدم لنا من خلاله مادةغنية منتقاه لتاريخ ثلة من علماء القـرن التـاسع الهجري ، وتاريخ الحيـاة العلميـة والثقـافية في تلـك الحقبـة التـاريخية التي عاشها ، كما تضمن ذكرًا ممتازًا للجوانب السيـاسية والإدارية من خلال عرض أصحاب التراجم الذين لقيهم وأخذ عنهم .



الفصل الثالث

مــــوارده

* النقوش والمخلفات الأثرية .
* الوثائق والمستندات .
  * المراسيم السلطانية .
  * سجلات المحاكم .
  * المراسلات الشخصية .
  * الإجازات .
  * الطباق والسماعات .
* النقل من الخطوط .
* المشاهدة .
* المشافهة .
* المؤلفات السابقة .

في وسع الباحث المتمعن أن يلمح خلال رحلته مع النجم الدعائم الأساسية التي تستند عليها مؤلفاته .

* النقل من المصادر السابقة .
* المشاهدة الحسية للأحداث .
* الأخذ المباشر عن المعاصرين .

وقد خرجت من رحلتي مع بعض مؤلفاته أني أمام مؤرخ عميق الثقافة واسع الاطلاع ، استطاع أن يخوض في بطون الكتب المتنوعة ،و أن يطوف عبر المشارب المختلفة، ليستخرج نصوص مادته ، ويجمع أخبارها ، ويضبط معلوماتها ، ثم يسكبها في قالب واحد ، متعدد الألوان ، متناسق الأشكال ، مثبت المظان ، يصور فيه عصره ، وحياة الانسان في بلده عبر الأجيال المتعددة ، في أطواره المختلفة في استقامته وانحرافه ، وفي تعامله مع المبادىء والآراء ، والمطامع والأهواء .

وقد لمست بصورة واضحة عنايته الشديدة في الإشارة إلى الموارد منقولة كانت أم محسوسة ، تلك العناية التي كان منبعها فيما يبدو علم الحديث . فقد تربىٰ بين أحضان حامليه ، وتطلبه وتميز فيه . وكان لهذه البيئة والدراسة أثرها الواضح في منهجيته التاريخية ، فاتسمت مؤلفاته بالأمانة في النقل ، واعتماد المصادر الموثوق بها ، وعزوها إلى أصحابها بشكل دقيق .

وفي بحثنا هنا نحاول أن نتعرف على أنواع موارده ، وفرزها حسب وحدة الموضوع إلى مجموعات متجانسة ، وتسليط الأضواء على بعض مواضع النقول فيها لبيان معالم منهجه .

النقوش والمخلفات الأثرية :

لاشك أن الآثار من المصادر القيمة جدًا في تأصيل التاريخ ، وقد أصبحت في عصرنا الحاضر علما قائما بذاته له أهميته وخطورته في قبول أو رفض كثير من الفرضيات السائدة حول مسألة التطور التاريخي للحضارات في العالم القديم . وهي تعد من أهم العلوم المساعدة للمؤرخ في فهم التاريخ .

وقد خص مؤرخنا الآثار بملاحظة واعية منه ، وتتبع في تقصيه عن مصادر معلوماته النقوش المكتوبة على المباني والمرافق العامة ، نحو قوله في ترجمة الأمير شجاع الدين أبي بكر الطغشكين المتوفى عام (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) : "أوقف في سنة ثمان وعشرين وستمائة رباطًا على فقراء المسلمين الغرباء ، طلبا لثواب الله ، لاتؤجر بيوته ، ولاتعار لغير أهله المشروط لهم سكناه ، ولاينزل فيها نزل ولايسكن فيها إلا على الوجه المشروط في كتاب الوقف . هكذا وجدت ذلك في حجر مكتوب على باب الرباط المذكور"(١).

ونبه مؤرخنا لتلك الآثار المندثرة التي أهملت ؛ وتناثرت معالمها ، وتعامل معها بوعيٍ في اقتباس مادته . فنراه مثلا : ينقل من حجر مُلقى معلومة أخرى عن وقف لمنشأة حضارية اندثرت . يقول في ترجمة الملك العادل محمود زنكي المتوفى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) : "أوقف في سنة أربع وستين وخمسمائة الميضأة بأسفل مكة ، المقابلة لباب المسجد الحرام باب حزورة، وتصدق بها على كافة المسلمين الحجاج والقاطنين ، ووقف علوه على الناظر في مصالحها ، وذلك في أيام أمير الحرمين عيسى بن فليته على يدى ابراهيم ابن حماد سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) . نقلت ذلك من حجر مُلقىٰ ببيت شيخ الفراشين بيسق بأسفل مكة"(٢).

---

(١) الدر الكمين ، ق١٩٧ب .

(٢) نفس المصدر ، ق١٦٦ب .

واستعانة النجم بهذا الأثر المهمل دليل على دقة ملاحظته ، وتقديره لأهمية الأخذ من هذا المصدر الحيادي الموثوق به .

وبرهافة حس المؤرخ يسجل مانقش على رفرف صنعه أحد الأعيان على مقعد بداره بساحل جدة المعمورة . ويستدل من تلك الكتابة المنقوشة ترف بعض البيوتات في جدة ونوعية الأثاث المستخدم فيها(١).

ومن النقوش التي استمد منها مادته لوحات القبور ، وقد نقل عنها تواريخ بعض الوفيات ممن لاذكر لهم في كتب التراجم والمؤلفات التاريخية . ومن الطبيعي أن المعلومات هنا تكون مقتضبة ؛ غير أنها دقيقة فهي تحدد الاسم ، وتاريخ الوفاة في الغالب . وقد كانت نقولاته تلك تنتهي بعبارة "هكذا رأيت ذلك بحجر قبره بالمعلاة"(٢)، أو "هكذا وجدته في حجر مكتوب بالكوفي بمقبرة المعلاة"(٣)، أو "هكذا رأيت مكتوباً بحجر قبره بالمعلاة"(٤)، أو "كما نقلته من حجر قبره بالمعلاة"(٥).

وإذا كانت تلك المعلومة قاصرة على عنصر دون آخر . أشار إلى ذلك نحو قوله : "هكذا رأيت مكتوباً بالكوفي بحجر مقبرة بالمعلاة ، ولم أظفر فيه بتاريخ"(٦). وقد يستخدم النقش على القبور في التوصل إلى المعلومة التاريخية كقوله : "سليمان بن المنصور بن داود بن عيسى بن فليته ، كان موجودا سنة عشرين وستمائة ، لعل المنصور اسمه أحمد ؛ فإنه كان لداود ابن فليته ولد اسمه أحمد مكتوب على حجر قبره بالمعلاة الشاب الشريف

---

(١) نفس المصدر ، ق٨١أ .
(٢) نفس المصدر ، ق٦٩ب .
(٣) نفس المصدر ، ق٦٨ب .
(٤) نفس المصدر ، ق٧٤أ .
(٥) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٣١ .
(٦) نفس المصدر ، ق١٠١ب .

الأمير السعيد ؛ فلعله هو والله أعلم"(١).

وإلى جانب النقوش المكتوبة حرص النجم على تقييد المخلفات الأثرية الصامتة ، ومثال ذلك حديثه عن تجديد عمارة عين عرفة ، والتنقيب عن أصل العين عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) ، فقد أخبر أنه أثناء الحفر وجدوا فساقي خافية ، فحفروها ثم أهملت وألحق ذلك بقوله : "وهذه العين لانعلم لها خبراً من مدة مائة وخمسين سنة"(٢).

الوثائق "المستندات" :

وهذه في الواقع من أوثق المصادر ، وأهميتها العظمى تأتي من كونها مادة خاماً يتصل بها المؤرخ مباشرة ، وهي تحوي من الجو السياسي والاجتماعي الدقيق مالاتحويه كتب التاريخ نفسها . وقد أدرك النجم أهمية هذا الرافد ، فاستقى من مشاربه المتنوعة مادة ضخمة تعد حلية في جيد مؤلفاته . ومن أبرز الوثائق التي رجع إليها :

المراسيم السلطانية :

ونقصد بها الأوامر والتعليمات الصادرة من القيادة المركزية العليا إلى المراكز الاقليمية التابعة لها . وفي عصر مؤرخنا وبحكم المكانة الاقتصادية العالية التي تبوأها الحجاز بعد ازدهار مرفأ جدة ؛ أحكم المماليك سيطرتهم عليه ، وربطوه مباشرة بمصر . ولهذا كثرت المراسيم التنظيمية الصادرةمن الدولة المملوكية إلى إمارة مكة ، وامتلأ بها الديوان الأميري ، وقل أن نجد عاما لايصل فيه إلى مكة مرسوم أو أكثر بهذا الخصوص .

---

(١) نفس المصدر ، ق١٦٥أ .

(٢) اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٢٧٦ .

وقد امتازت تلك المراسيم بالعلنية ، فكانت تقرأ في المسجد الحرام ، وكان يُجرىٰ لحاملها - وهو بمثابة السفير أو المبعوث الخاص في وقتنا الحاضر - استقبال رسمي قبل قراءة المرسوم(١). وهذا التطوير الإداري في الاستقبالات لم يكن معروفاً من قبل في مكة قبل هذا العصر ، فقد كانت إمارتها امرة أعرابية ، ولم يكن لها عادة الملوك في المواكب وغيرها(٢).

وتعتني المراسيم بأخبار التولية والعزل لأمراء مكة(٣)، وقضاتها وخطبائها(٤)، وباش المماليك المرابطين فيها(٥)، ومشد جدة المسئول عن تحصيل الضرائب(٦). كما تشمل المراسيم عشور التجارة والمواريث وتنظيماتها ، والتوصية على كبار التجار(٧)، وغيرها من الأمور التنظيمية(٨)، علاوة على الاعلام عمن توفى من سلاطين المماليك ، ومن اعتلى عرش السلطنة ، ومن خلع ...الخ(٩)

ومن خلال تلك المراسيم يمكن معرفة النظم الإدارية في مكة ؛ وكيف أن الوظائف الكبرىٰ في الحجاز صارت بيد المماليك(١٠). والأدوار غير الصحيحة التي يلعبها المماليك المجردين إلى مكة لحمايتها ، أو بالأصح لحماية التجارة السلطانية . وتأثيرهم السلبي على الأوضاع فى الحجاز(١١).

---

(١) عن قواعد الاستقبال الرسمي للمبعوث الخاص انظر ص٢٨٧ من هذه الدراسة .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٧٦ .

(٣) اتحاف الورى ، ج٤ ، ص١٧١،١٨٦-١٨٨،٢٢٥،٤٨٢-٤٨٣ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص١٤٠،١٤١،٢٤٠،٢٤٧،٣٦٠،٣٨١-٣٨٢،٣٩٥-٣٩٦،٣٩٦-٣٩٧،٤٥٢-٤٥٣،٤٥٤،٥٣٨،٥٣٩،٥٦٤،٥٦٥،٥٧٠،٥٩٢-٥٩٣،٦٠٢-٦٠٣ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص٤١٨،٤٧٠،٤٨٥،٦٣٨ .

(٦) نفس المصدر والجزء ، ص٣٥٩،٤٨٣،٥٠٥-٥٠٨ .

(٧) نفس المصدر والجزء ، ص٣١،٨٠-٨١،١٠١،١٤٣ .

(٨) نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٥،٤١٣،٤٩٢،٥٠٩ .

(٩) نفس المصدر والجزء ، ص٣٢٣-٣٢٤،٤١٦-٤١٨ .

(١٠) نفس المصدر والجزء ، ص٢٩٧،٣٠٤،٣٢٥،٣٨٢-٣٩٥،٥٧٩،٥٩١،٦٠٤،٦٢٢ .

(١١) نفس المصدر والجزء ، ص١٤٥،٢٧٤-٢٧٥،٤٢٩،٢٧٠،٤٢٩،٤٣٠،٤٨٣،٥٣٩،٦٠٤،٦٣٨

وعلى كل فمن الملاحظ شدة اعتناء النجم بنقل كل مايرد في تلك المراسيم ، والغالب عند تسجيله لها أن يذكر المضمون أولا ثم تاريخه . غير أنه أحيانا يقدم تاريخ المرسوم ثم يذكر ماجاء فيه من أخبار[١]. كما يحرص على تحديد تاريخ اعلانه باليوم والشهر ، وإذا لم يكن للمرسوم تاريخ أشار إلى ذلك[٢]. وإذا كانت هناك عدةمراسيم متشابهة في مضامينها وتواريخها أشار إلى ذكر مع ذكر مرسوم واحد اختصارا[٣].

وبلغت دقة النجم في متابعة تلك المراسيم أنه في حالة وصولها وعدم قراءتها يشير إلى ذلك ، ويذكر السبب[٤]. بل وصلت متابعته الدقيقة إلى حد الإشارة إلى مايجرى على بعضها من تحريف في النص أو تحريف في التواريخ . ووصلت الدقةمنتهاها في بيان هيئة القارىء أثناء قراءة المرسوم كقوله : "قرأ المرسوم وهو جالس" أو "وهو واقف على قدميه"[٥]. ولجميع ذلك دلالات واضحة يمكن أن يستشفها المتابع المتعمق لتاريخ تلك الفترة.

وبالجملة فالمراسيم في حد ذاتها تمثل مادة دسمة لدراسة النظم الإدارية والمالية في الحجاز من جهة،والعلاقات بينه وبين مصر من جهة أخرى . وقد تابع النجم تفاصيلها ببراعة فائقة .

سجلات المحاكم :

هي الوثائق القضائية التي تصدر عن القضاة، وتتضمن العقود والمحاضر الخاصة بالبيوع والإيجارات والوكالات والأوقاف والقضايا الاجتماعية والشكاوى والتحقيقات ...الخ .

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٥٠٦،٥٠٩،٥٦٧-٥٦٨،٥٧٩ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٥٦٩ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٤١٧-٤١٨،٥٠٩،٦١٩-٦٢٠ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٥٣٩،٦١٦-٦١٧ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص٥٠٩ .

وقد استفاد النجم من سجلات المحاكم في تتبعه لتراجم المكيين الذين أغفلهم الفاسي في عقده . ومن أمثلة ذلك :

ربطه للمعلومات الاجتماعية الخاصة ببعض أصحاب التراجم فبعد أن ترجم للحسن بن عمر القرشي المتوفى عام (٦١٥هـ/١٢١٨م) من واقع ثبت على أحد الكتب قال في نهاية الترجمة :"وله أربعة أولاد هم : على ومحمد وعبدالكريم وعبد الرحيم ؛ كانوا موجودين في سنة سبع وستمائة لأنه وجد خطهم مع خط والدهم في مكتتب مؤرخ بهذا التاريخ"(١).

كما حاول ربط معلوماتها بما ذكره الفاسي ، يقول في أحد التراجم : "أبو القاسم بن عمر بن خليل ، وجد خطه في شهادة على القاضى عبدالكريم الشيبانى سنة سبع وثلاثين وستمائة ؛ لعله ابن عمر بن حسين بن خليل المذكور في أصل هذا الكتاب ، لأنه شاهد معه في هذا المكتتب"(٢).

واستفاد من السجلات في ذكر الأوقاف التي لم يذكرها صاحب الأصل كقوله في ترجمة : ربيع بن عبد الله المارديني المتوفى عام (٦٠٢هـ/١٢٠٥م)(٣) "أوقف في العشر الأول من العقدة سنة احدى وستمائة عن الشريف ابن عزيز قتادة بن ادريس الحسني داراً بأسفل مكة على الفقراء الغرباء المتأهلين من العرب دون العجم ، فإذا انقرضوا ولم يبق أحد فعلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل من المسلمين ، وجعل النظر في أمر ذلك إلى وكيله الواقف ، وجعل له أن يولى من يشاء ويعزل من يشاء في حياته وبعد موته . هكذا وجدت ذلك في مكتتب"(٤).

---

(١) الدر الكمين ، ق١٠٣أ .

(٢) نفس المصدر ، ق١٨٥ب .

(٣) هو الذي ينسب إليه اسما رباط ربيع بمكة الذى أنشأه الملك الأفضل على بن يوسف الأيوبى عام ٥٩٤هـ . وهو ممن اتسم بالصلاح والتقوىٰ وله مآثر وأفضال. (انظر ترجمته فى الدر الكمين ، ق١٠٧ب) .

(٤) نفس المصدر ، ق١٠٧ب .

وتبرز حاسة النجم التاريخية في تعليقاته على بعض تلك الوثائق نحو قوله : "يحيى بن عبد الرحمن بن على بن الحسين الشيباني الطبري ، أخو موسى السابق ، وجد خطه في شهادة على القاضي عز الدين أبى المعالي يحيى ابن عبد الرحمن بن على بن الحسين ، ولم أجد تاريخها ؛ وبينه وبين القاضي أبى المعالي موافقة في الاسم واسم الأب والجد وجد الجد للأب"(١). وقوله : "يحيى بن اسماعيل بن محمد الشيباني ، وجدت خطه في شهادة في مكتتب مؤرخ بربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ؛ ولعله أخو يعقوب والد شيخنا محمد بن زبرق"(٢).

واستعان النجم بالسجلات في كتابه سلسلةالنسب لبعض أصحاب التراجم ، فعندما ترجم لأحمد بن يوسف الحسني المتوفى عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م) أوصل نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب رضى اللّٰه عنهما ثم قال : "هكذا وجدت نسبه في محضر لجده"(٣).

كما استعان بالوثائق القضائية في الترجمة لعدد كبير من الأشخاص الذين عاشوا في مكة في القرنين السابع أو الثامن الهجريين ، وقد تخللت بعضها معلومات عن مخاليف مكة وأوضاعها ، وأنواع العقود ، وعن أمراء لم تترجم لهم المصادر التاريخية والمكية على وجه الخصوص كقوله : "يوسف بن على بن مالك بن فليته الأمير ابن الأمير كان موجودًا سنة عشرين وستمائة على ماوجدت في مكتوب يتعلق به ، وبجماعة من بني مكثر بن عيسى بن فليته ؛ لإجارة بعضهم لحصة له من أرض بالحميرة - من وادي الهدة - ثلاث وسبعين سنة"(٤). وأشار من خلالها إلى بعض الوظائف في المسجد الحرام

---

(١) نفس المصدر ، ق١٧٣ب .

(٢) نفس المصدر والورقة .

(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٣أ . (وفى الدر الكمين ق٨٨ب فى مختصر لجده ، والمعجم أوثق لأنه بخط العز ابن مؤرخنا) .

(٤) الدر الكمين ، ق١٧٦أ .

نحو قوله : "غانم بن مفرج الشيبي ، فاتح بيت الله الحرام ، وجد خطه في شهادة في مكتتب مؤرخ بسنة ثمان وعشرين وستمائة ، وفي آخر مؤرخ بسنة ثمان وثلاثين وستمائة ؛ ووصف نفسه في هذا الأخير بفاتح بيت اللّه الحرام"(١). وقوله : "عمر بن حسين القزويني القناديلي بالحرم الشريف ، كان موجودا سنة ست وأربعين وستمائة ؛ لأنى رأيت خطه في شهادة على قاضي قوص عبد القادر بن عبد الهادي بن اسحاق التميمي الهمذاني ، مؤرخة بهذه السنة"(٢).

واستعان بمحاضر التحقيقات في متابعته لأخبار القضايا والفتن التي كانت تحدث في مكة ، وتطور بعضها ، وانحرافه عن مساره الطبيعي ، واستغلال النفوذ للتمويه والضغط(٣).

المراسلات الشخصية :

وهي من الوثائق الهامة ، ولكنها أقل درجة من تلك التي تحمل الصفة الرسمية ، وتأتي أهميتها من تلقائيتها ، ودرجة الصراحة والصدق الذي تحمله ، وكون مرسلها لايعلم أنها قد تكون وثيقة هامة للتدليل على أمر ما فيما بعد ..!! وتحمل هذه الوثائق الكثير من الطرائف والأخبار التي قد تعين الباحث الاقتصادي والاجتماعي على وجه الخصوص(٤).

ومما نقله النجم في هذا الصدد أبيات من الشعر للأمير العالم الناظم بركات بن حسن بن عجلان ـ أمير مكة ـ وكان قد كتبها على ظهر كتاب

---

(١) نفس المصدر ، ق١٦٤ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٥٦أ .
(٣) اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٤٧٩،٥٢٨-٥٣٢،٥٤٧-٥٥٥ .
(٤) حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص١٣١ ؛ عبد الرحمن عبد الله الشيخ : المدخل الى علم التاريخ ، ص٢٥ .

"وهو معزوله"(١). وأخرى كتبها أحد الأعيان يدعو فيها رئيس القضاه لحضور مأدبة أقامها فى منزله - وكان قد تأخر والجمع ينتظر مقدمه -(٢)، وأورد بعضا مما جاء فى رسالة كتبها أحد شعراء مكة لابنه عبد العزيز "العز" أثناء سفره خارج مكة(٣).

وأورد نصوصًا من رسالة كتبها أحد أصدقائه - في القاهرة - إليه وأخرى لشقيقه يعزيهما بعبد الرحمن ابن فهد المتوفى في القاهرة أثناء رحلته العلمية(٤). كما نقل نص مكاتبة ظريفة حسنة بين أحد أصحاب تراجمه ومسئول في الدولة المملوكية(٥).

ومن العجيب أن نجد النجم يترجم لأحد المكيين من واقع مكاتبة شخصية قديمة فقال : "رأيت في رسالة كتبها "فلان" إلى "فلان" ماصورته ... وأثبت نصها الذي يفيد تلك الترجمة"(٦).

---

(١) الدر الكمين ، ق٩٩ب .

يقول فيها :

وقائلة لم تمت ليلة وصلنا — فقلت لها لاعلم لى بسواك
ومانمت عن كره ولاعن ملالة — ولكن لعلى فى المنام أراك
فبعز عزك ياسعاد بذلتي — بنحول جسمي الذي عافاك
لاتجعليني عرضة لذيو الهوئ — وترفقي ياهذه بفتاك
وترقبي فرص الزمان وحاذري — أنا ياسعاد وماملكت فداك

(٢) نفس المصدر ، ق٨١أ .

جاء فيها :

قاضى قضاة الشرع ياأعلى الورى — قدراً وأعلى رتبة وكمالا
إنـا اجتمعنا عارين فأكسنا — بجمال مقدمك السعيد جلالا

(٣) نفس المصدر ، ق١٦٩ب .

بها أبيات من النظم يقول فيها :

ياعز دين الله انى الى لقيا — ك والله شديد الهيام
ولم أزل ياسيدى أدعو لكم — مخلصاً حيث جار الأنام
أن تقدموا ياسيدى عاجلا — وتبلغوا القصد وأقصى المرام

(٤) نفس المصدر ، ق١١٥أ .

(٥) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٩١أ .

(٦) ق١٨٣أ .

الإجازات :

الإجازات من طرق التحمل عند المحدثين ، وهي : اذن من الشيخ لتلميذه مشافهة أو كتابة بأن يروي عنه جميع مروياته أو بعضاً منها(١). أي أنها بمثابة المؤهلات ، والدرجات العلمية ، التي تسمح للطالب بنشر علمه ، وتثبت أهليته لذلك .

والإجازات المكتوبة تعد وثيقة مادية يحتفظ بها صاحبها للتدليل على صحة روايته ، وإبرازها عند الحاجة ، وتمتاز بدقة معلوماتها عن المجيز والمجاز له ، والمادة المجازة(٢).

والإجازات من الموارد الأساسية التي اعتمدها النجم في معاجم الشيوخ والمشيخات ، ويلاحظ المتتبع لهذه المؤلفات تنوع هذا المورد . فهناك الإجازات التي تحصل عليها من طريق التلقي المباشر عن الشيوخ ، نحو قوله : "أجاز لي مروياته"(٣)، "أجاز لي مايجوز له وعنه روايته مشافهة غير مرة ، وكتب لي خطه بذلك مراراً"(٤)، "واستجزناه في الرحلة الأولى"(٥).

وفي ترجمة شيخه محمد بن أبى بكر المراغي المتوفى عام (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) يذكر قائمة طويلة من مسموعاته ، وبعد كل مجموعة مصنفه على حده يذكر نوع الإجازة التي أخذها منه كقوله : "تناولت منه جميع الكتب الستة ؛ مناولة مقرونة بالإجازة" ، ثم يذكر أحد عشر كتاباً ويلحقها بقوله : "وتناولت جميع الكتب الأحد عشر المذكورة مناولة مقرونة بالإجازة" ثم يذكر ثمانية كتب ويقول : "وتناولت جميع الكتب الثمانية مناولة مقرونة بالإجازة"(٦).

---

(١) انظر ابن الصلاح : المقدمة ، ص٦٠ ؛ الخطيب البغدادى : الكفاية ، ص٣١١-٣١٢
(٢) بشار عواد معروف : الذهبي ومنهجه ، ص٣٨٩ .
(٣) معجم شيوخه المخطوط ، ق٥أ ، ١١ب ، ١٣ب .
(٤) نفس المصدر ، ق١٠أ .
(٥) نفس المصدر ، ق١٨٣أ،ب .
(٦) نفس المصدر ، ق٨٨أ .

وهناك نوع من الإجازات حصل عليها النجم عن طريق الاستدعاءات، وقد ترجم للعلماء الذين أجازوه في الاستدعاءات ضمن معجم شيوخه ، والحق في نهاية المعجم المخطوط قائمة بالاستدعاءات المجاز له فيها ، وعددها ثمان وتسعون استدعاء منها : واحد وثمانون استدعاء مصرح فيها بأسماء المجاز لهم . وتسع لمن أجاز النجم باستدعاء أولاده ، ولم يصرح فيها باسمه وثمان للمشائخ الذين أجازوا لأهل مكة .

والجدير بالملاحظة أن حفيد النجم قد سهل الكشف عن تراجم أولئك الشيوخ الذين أجازواجده في الاستدعاءات وذلك بوضع علامات بالقلم الهندى في بداية الترجمة ، وبالتحديد فوق اسم الشيخ ليعلم ذلك فلايحدث الخلط .

وأحياناً يتلفظ النجم بهذا النوع من الإجازات في ثنايا الترجمة كقوله "أجاز لي ولاخوتي بسؤال والدي"(١)، و"أجاز لي مايجوز له روايته بسؤال شيخنا رضوان بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وثمانمائة"(٢)، و"أجاز لي ولوالدي واخوتنا وأولاد كل منا مايجوز له وعنه روايته ، وكذلك أجاز لنا تخميس البرده له ؛ وكان ذلك بسؤالي في يوم الخميس ثاني عشر الحجة سنة ست وستين وثمانمائة بمنزلنا بوادي منى"(٣)، و"أجازت في بعض استدعاءات الأولاد سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، وفيه الإستجازة لأهل مكة"(٤)، و"سمع منه صاحبنا الشمس ابن عزم ، وأجاز له ولأولاده الخمسة ، ولمن ذكر معهم في استدعائهم وسائر المسلمين ممن أدرك حياته"(٥). وابن عزم هو أحد الذين تقدموا بطلب الإجازة لآل فهد في استدعاءاته كما ورد في الالحاقات "الاستدعاءات الملحقة بنهاية معجم الشيوخ" . ومن أمثلة ذلك أيضا قوله :

---

(١) نفس المصدر ، ق١٣٠أ .
(٢) نفس المصدر ، ق١٣٠ب .
(٣) نفس المصدر ، ق١٨٠ت .
(٤) نفس المصدر ، ق٨١أ .
(٥) نفس المصدر ، ق٢٧٥أ .

"وكتب على استدعاء فيه اسمي مؤرخ بثامن رجب سنة احدى وخمسين وثمانمائة ؛ وهو بخط صاحبنا الحافظ شمس الدين السخاوي"(١).

وعلى كل فإن إجازة الشيخ أو الشيخة المقدم لهما الاستدعاء تكون أشبه بالسيرة الذاتية لهما ، أو لطالب الاستدعاء ، يكتب فيها الاسم والنسب والمولد ، ومايجيزه للمستجيز ، وقد يتجاوزها بذكر أسماء شيوخه أو الصفات المادحة ...الخ .

وقد سجل النجم في كتابه الدر الكمين نصوصاً عدة للإجازة المكتوبة باستدعائه ويلاحظ أن بعض هذه الإجازات نظمت شعراً . وسنعرض لنصين من هذه الإجازة أحدهما : إجازة عامة لأهل الأقاليم وآل فهد بدءاً من أبى بكر شقيق مؤرخنا . والأخرىٰ : خاصة بالنجم فقط ؛ وكلاهما كتبتا شعراً .

ففي الأولى وهي اجازة الأديب المكي اسماعيل بن على الزمزمي المتوفى عام (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) ويقول فيها(٢):

أَجَزتُ لَهمْ مَاقدَ روَيتُ بِشرَطِهِ	كَـذَلكَ نثري وَسَجعَـي وَمنظومِـي
أَبوَ بكرِ المذكورَ أوَلُ مَنَ أَجزَ	تُ وَآخرهُ فِيـهِ أَهْـلُ الأَقاليـم
عَلىٰ أنَ فِي مَكةَ كَانَ مَولِـدي	بِزاءٍ وَسينٍ ثُمَ ذَالٍ لَهـا أُومِـي(٣)
وَاسِمي إِسمَاعِيلُ جَدَي مُحمَدٌ	وَأُعَرفُ بِابنِ الزَمزَمي فِي مَخاتِيمي

أما الإجازة الخاصة بالنجم وحده فهي من نظم الشاعر المكي معمر ابن يحيى المتوفى عام (٨٩٧هـ/١٤٩١م) ويقول فيها(٤):

قال : فقيرُ ربـهِ معمـرٌ	أحمدُ ربِي ذَا العُلا وأَشكر
وبعدُ.فَالعلمُ أولىٰ ماقتضىٰ	وخيرُ ماعمرُ الفتىٰ فيه فنىٰ
حاملهُ بين الورىٰ عظيـمُ	وقـدرهُ مبجـلٌ جسيـمُ

---

(١) الدر الكمين ، ق١٤أ .

(٢) نفس المصدر ، ق٩٦أ .

(٣) من حساب الجمل تعنى هذه الأحرف عام ٧٦٧هـ .

(٤) نفس المصدر ، ق١٩٦أ .

بـه ينـالُ أرفـعُ المراتـبْ ... وأحسنُ الأوصـافِ والمناقـب

أثنىٰ عليه اللّـه فـي كتابـهِ ... وخصهُ بالقـربِ مـن جنابـه

وكانَ ممن حَصّـلَ العلـومَ ... وحقـقَ المنطـوقَ والمفهـوم

وشهرَ اللسانَ بعـزمٍ صـادقٍ ... في نيله رجـاءَ ثـوابَ الخالـق

شيخُ العلومِ الحبرُ نجمُ الدينِ ... ابـنُ الامـامِ تقـي الـديـن

شيخُ الحديثِ الحافظُ ابن فهدِ ... ذو النسب السامي عريق المحتد

لازال نجمـهُ مضيئـاً أبـداً ... وسعـدهُ مقارنـاً طـول المـدىٰ

واللّه يبقيـهِ لنشـرِ العلـمِ ... ويحفـظُ الفـرعَ لـه وينمـي

للّـه درهُ إمـام مـالـهُ ... شبيهٌ يدانىٰ فـي العُـلا كمالـه

قد جُبلت أخلاقهُ على الكرمِ ... واجتمعتْ فيه محاسـنُ الشيـم

أفعالـهُ جميعهـا حميـدهٌ ... جميلـةٌ أقـوالـهُ سـديـدة

انصافهُ عـمَ لكـلِ النـاسِ ... فما يَرىٰ جَليسـهُ مـن بـأس

يكبـرُ الكبيـرَ والصغيـرَ ... ويـرفـعُ الجليـلَ والحقيـر

ويُحسنُ الظـنَ بكـلِ شخـصٍ ... مكملٌ في العلـمِ أو ذي نقـص

لأجلِ ذَا واجهنـي بالأمـرِ ... ليكتبَ شيء قلتـهُ مـن شعـر

وكـررَ السـؤالَ والمراجعـة ... بعد اعتـذاري منـهُ والمدافعـة

علماً بأني لستُ ممن يَـروي ... قريضـهُ عنـه وليـس يهـدى

لكننـي لمـا رأيـتُ أمـرهَ ... محتـمـاً لاأستـطيـع رده

أجبتـهُ معتـرفـاً بأنـي ... مقصـرٌ ومـاالقـريـضُ فنـي

وكانَ مما قلتُ فـي البيـانِ ... ممتدحـاً بـه عظيـمَ الشـأن

محمدٌ أزكىٰ الورىٰ وأكـرم ... أجلَ من يُبدىٰ به ويُختـم!![1]

وكمـا استفاد مؤرخنا من الإجازات الممنوحة له استفـاد من الإجازات المكتوبة لأصحاب التراجم ، فقد كان حريصًا على مطالعتها ، واختصار ماجاء

(١) يلاحظ أن هناك اضطراب في الأبيات ، وسقم في الوزن . وقـد أوردناها هنا لأنها جيدة في معناها ولتوفر عناصر الإجازة من ذكر للمجيز والمجاز له ومادة الإجازة .

فيها إن كانت طويلة ، يقول في ترجمة القاضي عمر بن موسى الحمصي المتوفى عام (٨٦١هـ/١٤٥٦م) : "وقفت له على اجازة كتبها الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي لما قدم عليهم بلاد اليمن سنة ثلاث وعشرين "وثمانمائة" ذكر فيها أن جده بدر الدين حسن أجاز له ، وأنه رحل مع والده وجده ، وسنه نحو العشرين ، وكان قد صلى التراويح إماماً تالياً لكتاب الله تعالى ... ثم يذكر رحلاته العلمية في الشام ومصر وشيوخه وسماعاته ومن أجازه منهم ، ومؤلفاته من واقع تلك الإجازة . ويختمها بقوله : "هذا مالخصته من الإجازة المذكورة"(١).

وأحياناً يذكر تعليقات بعض الشيوخ على الإجازات الممنوحة لصاحب الترجمة كقوله في ترجمة محمد بن ابراهيم السويدي المتوفى عام ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) : "وحضر مع والده دروس ... فلان ... وأثنىٰ عليه في الإجازة جداً وكتب خطه بذلك في سنة ثمان وتسعين "وسبعمائة" . وكذا أثنىٰ عليه فلان في اجازته لوالده ، وإذن لهما بالإفادة ، وقال : إنه حضر عنده بقراءة أبيه الكثير من المنهاج ، ومن الروضة ، وغيرهما من التفسير والأصول والعربية وغيرها في جمادى الأول سنة ثمانمائة . وكتب ابن فلان تحت خطه كذلك يقول فلان"!!(٢)

وقد ينقل مقتطفات من الشعر الذى ورد فى الاجازة نحو قوله في ترجمة محب الدين بن الشحنة المتوفى عام (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) : "كتب له ابن سلامة لما أذن له بالتدريس سنة ست وعشرين "وثمانمائة""(٣):

سَمَحَ الزَمَانُ بِمِثلِهِ فَأْعجبْ له ... إنَ الزمَـانَ بِمِثلِـهِ لشَحِيَـحُ
فَالأَصلُ زَاكٍ وَالخِلَالُ حَمِيدَةٌ ... والذِهنُ صَافٍ وَاللِسَانُ فَصِيحُ

وكتب له لما أذن له بالافتاء(٤):

---

(١) معجم الشيوخ المطبوع ، ص١٩٥ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٤٩أ .
(٢) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٥٨أ .
(٣) نفس المصدر ، ق٢٦٣أ .
(٤) نفس المصدر والورقة .

أَقسَمتُ إِنْ جَدَّ وَطَالَ المَدَىٰ رَوَىٰ الوَرَىٰ مِنْ بَحرِهِ الزَاخرِ
فَقُلْ لِمنْ بالسَبقِ قَد فَضَلُوا كَمْ تَرَكَ الأَوَلُ لِلآخِرِ

وقد يستفيد من الإجازة في معرفة مؤلفات المجيز ، يقول في ترجمة عزالدين ابن جماعة المتوفى عام (٨١٩هـ/١٤١٦م) : "وقفت له على أسماء مصنفاته في اجازة بخطه لشيخنا الشيخ جلال الدين عبد الواحد المرشدي في فنون شتىٰ تنيف على المائة والعشرين"(١).

ويبدو أن النجم كان حريصاً على الاطلاع على إجازات الشيوخ ، يقول في ترجمة شيخه ابن الجزري المتوفى عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) : "ذكر أن له اجازة عن العز ابن جماعة ، والكمال أبى بكر ابن نباته ، ومحمد بن اسماعيل بن الخباز ، ولم نقف على شيء من ذلك"(٢).

الطباق والسماعات :

الطباق : هو مايدون على بعض صفحات الكتب ، من أسماء السامعين الذين تلقوا الكتاب عن الشيخ ، وهذه الكتابة دقيقة جداً ، يسجل الشيخ فيها الأبواب أو الأجزاء التي تغيب عنها الطالب ، فيكتب أمام اسمه : وفاته من باب كذا إلى باب كذا ، أو مع فوت ، ويوقع عليها .. كما يذكر المكان الذي قرئت فيه(٣).

والسماعات كذلك ، إلا أنها تخص السامع ، وتفيد التحقق من سماع الكتاب على الشيخ . وهي بمثابة الوثيقة التي تعطي الحق للسامع بالرواية(٤).

---

(١) نفس المصدر ، ق١٨٩أ .
(٢) نفس المصدر ، ق٢٥٦ب .
(٣) أحمد محمد نور سيف : عناية المحدثين بتوثيق المرويات ، ص١٧-١٩ .
(٤) نفس المرجع والصفحة .

ويستفـاد من هذا المورد في معرفة سماعات المترجم ، وأسمـاء الشيوخ والأقران مثل قوله في ترجمة ابراهيم بن عيسى بن غانم المتـوفى عام (٨٣٦هـ ١٤٣٢م) : "رأيت له سماعا من ابراهيم الزفتاوي في السنن لابن ماجه بنابلس في سنة ثمان وستين وسبعمائة"(١).

والأخذ مـن هـذه الوثيقة يحتـاج إلى دقـة وتحر شـديد ؛ للتحقـق من صحـة السماعات والتأكد منها ، لأنها عرضة للتزوير ، وحين يدعـي شخص سماع كتاب أو غيره يطالب بإبراز نص الطبقة التي كتبهـا الشيخ على نسخته أو تحديد المكـان الذي حفظت فيه النسخة التي عليها الطبـاق ، فإن لم يفعل فانه يكون عرضة للتجريح . يقـول في ترجمـة محمد السـويدي المتـوفى عـام (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) : "ذكـر لي أنه سمـع مـن شمس الدين ابن سنـد الـدمشقي صحيح البخاري ، بل رؤى بخطه أنه قرأ عليه كثيرًا مـن الكتب الكبار ومن جملتهـا مسند أحمد ، فسئل عن رؤية ثبته فوعد باخراجه ثم ذكـر أنه سبق منـه الحلف بالطلاق في عدم اظهـاره ، واختلط في كلامـه ، وذكر أن شيخنا ابن حجر وقف على ذلك ؛ فسئل شيخنا فأنكر ، فظهر كذبه"(٢)!!

ويقول في ترجمة محمد الحريري الشهير بابن مطيع المتـوفى عام (٨٤٤هـ ١٤٤٠م) : "يذكـر أنه سمع مـن الزفتاوي ببيت المقدس سنن ابن مـاجه ، ولم يكـن لـه ثبـت ، ولاوجد اسمـه في الطبـاق التى فيهـا أسمـاء مـن أخذ عن الزفتاوي "!!(٣).

ومـن يدعى ضياع اثباته يشير إلى مقـولته بهذا الخصـوص مثلاً عندما ترجم لمحمـد بن على البعلبكـي قـال : "ذكر أنه سمع من ابن أميلـه ، سنن

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٦ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٥٨أ .
(٣) نفس المصدر ، ق١٥٨ب .

أبى داود وغيره بجامع المزه ، ومن العماد بن بردس ، والقاضي تقي الدين ابن المجد ؛ الكثير . وأنه كان معه ثبت بخط مؤدبه شمس الدين ابن الشيخ عيسى ذهب منه في أيام تمر"(١). يقصد أيام غزو تيمور لنك لبلاد الشام .
ويقول في ترجمة أحمد بن محمد الكوتاني المتوفى بعد عام (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) : "ذكر أنه سمع بالقاهرة من غير واحد ؛ فضاعت اثباته بذلك"!!(٢)

النقل من الخطوط :

ويعد هذا المورد رافدًا جيدًا من جملة الروافد التي استقىٰ النجم منها معلوماته ؛ خاصة تلك المتعلقة بالأنساب ، فقد اجتهد النجم في بيان أوجه الاختلاف بين المصادر في نسب بعض المترجمين نحو قوله : "أحمد بن محمد ابن عبد المعطى بن أحمد بن عبد المعطي أبى مكي بن طراد بن أبى الفوارس ابن سيف الاسلام ؛ هكذا رأيت نسبه بخط جده الشيخ أبى العباس . ورأيت بخط قريبه الجمال محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المعطي سباق نسبه هذا إلى أن قال : "أبى مكي بن طراد بن حسين بن مخلوف بن أبى الفوارس ابن سيف الإسلام ابن قيس بن سعد بن عبادة . ورأيت بخط ابن عمه قاضي القضاة محي الدين عبد القادر بن أبى القاسم بن أبى العباس ، سياق نسبه هذا إلى أن قال : ابن مكى بن طراد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن على بن نادر بن أبى بكر بن أوس بن سليمان بن طراد بن ابراهيم بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي المكي"(٣).

ويقول في ترجمة أخرى : "على بن عبد المحسن بن عبد الله بن عبدالمحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الغفار البغدادي القطيعي ثم الصالحي

---

(١) نفس المصدر ، ق٢٢٠ب .
(٢) نفس المصدر ، ق٤١ب .
(٣) نفس المصدر ، ق٣٩أ .

الحنبلي ، الشهير بابن الدواليبي ، عفيف الدين أبو المعالي . هكذا أملاني نسبه ورأيت بخط ولـدي عبـد العـزيز عـن خط صـاحبنا أبي ذر أن والـده : عبدالمحسن بن نجم الدين عبد الدائم بن عبد المحسـن بن محمد بن حسن بن عبد المحسن بن عبد الغفار"(١).

وعنـدما يلاحظ اختلاف الترجمة في المورد الواحد ينبـه إليه ، ويشير الى الموافقة أو الاختلاف بينه وبين الموارد الأخرى ، يقول في ترجمة احدى شيخـاته : "خديجة ابنة عمر بن محمد بن عمر بن الضيـاء محمد بن عثمان بن عبـد اللـه بن عمر ابن الشيخ أبي صـالح عبد الرحيم بن عبـد الـرحمن بن الحسـن بن عبد الرحمن بن ظاهر بن محمد بن محمد بن الحسـن بن الحسن بن على بن زيد . هكذا هذا النسب بخط الحافظ شرف الـدين الدمياطي ؛ وقال في ترجمة أخرى : ابن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين بن على الكرابسي صاحب الشافعي . وقال الشريف عز الدين أحمـد في ترجمـة بعض أقاربه : طاهر بن محمد بن محمد بن على بن ابى على الحسـن - انتهـىٰ - وبخط الحافظ أبى الحجاج المزي : طـاهر بن محمد بن الحسـن بن زيد بن عبـد الرحمن بن على بن ابان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي الحلبي"(٢).

وفي أحيـان أخرى يوضـح رأي علمـاء الجرح والتعـديل في بعض الأنسـاب المزورة ، يقول في احدىٰ التراجم : "أبو بكـر بن عمـر بن عرفات بن عـوض بن أبى السعادات بن أبى الطاهر محمد بن أبى بكـر بن أبى العباس أحمـد بن فخر الدين موسى بن رشيد الدين عبد المنعـم بن تقي الدين على ابن ضيـاء الدين أبى القاسم عبـد الرحمن بن أبى المعـالي سالم بن نور الدين الحسـن على بن ضياء الدين أبى القـاسم عبد الرحمن بن أبى المعـالي سالم بن الأمير المجـاهد عـز العـرب وهـب بن مـالك النـاقل مـن أرض الحجـاز بن

---

(١) نفس المصدر ، ١٣٥ب .

(٢) نفس المصدر ، ق٨١أ .

عبدالرحمن بن بلال بن زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى البخاري المصري الشافعي الشهير بالقمني نسبة إلى قمن الإمام زين الدين أبو المناقب . هكذا كتبت نسبه من خطه . ورأيت في كتاب انباء الغمر لشيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى نسبه هكذا من غير أن يذكر ألقاباً وقال : هكذا قرأت نسبه بخطه وأملاه على بعض الموقعين ؛ ولاشك أنه مركبٌ ومفترىً ، ولايشك من له أدنى معرفة بالأخبار أنه كذب وليس لزيد بن ثابت ولد يسمى مالكاً ، وتلقيب عبد الرحمن بن سالم ضياء الدين من أسمج الكذب ، فإن ذلك العصر لم يكن فيه التلقب بالإضافة للدين"!!(١)

واستفاد النجم من الخطوط في تحديد مولد صاحب الترجمة كقوله في ترجمة محمد بن أحمد الشهير بابن المهندس المتوفى عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م) : "ولد كما كتبه بخطه في سنة احدى وسبعين وسبعمائة ، وقيل غير ذلك"(٢)، وقوله : "ادريس بن عبد الكريم بن أبى المعالى يحي بن عبد الرحمن الشيبانى الطبرى رأيت بخطه في مجموع من مجاميع الشيخ أبى العباس الميورقى وفاة والده ، ثم قال : ومولدي في السنة التي قتل فيها أمير مكة الشريف أبو سعد" ، ويعلق النجم فيقول : "يعني بالشريف أبى سعد الحسن بن على بن قتادة بن ادريس ابن مطاعن ، والسنة التي قتل فيها هي : سنة احدى وخمسين وستمائة"(٣).

واستفاد من الخطوط في تتبع تراجم المكيين الذين سبقوا عصره ، وكان يختمها أو يشير في أثنائها إلى مورده مثل قوله : "نقلت جميع ذلك من خط السلفي"(٤)، أو "نقلت هذه الترجمة من خط المحدث شمس الدين بن

---

(١) نفس المصدر ، ق٦٦ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٧٥ب .
(٣) الدر الكمين ، ق٩٥ب .
(٤) نفس المصدر ، ق٦٧ب .

سكر"[١]، أو "نقلت هذه الترجمة من خط الاقشهري"[٢]، أو "هكذا رأيت بخط أبي العباس الميورقي"[٣]، أو "هكذا رأيت في بعض مجاميع الميورقي"[٤]، أو "نقلت ذلك من خط الميورقي"[٥]، أو "نقلت هذه الترجمة من خط شيخنا الحافظ جمال الدين بن محمد بن موسي المراكشي في تعاليقه"[٦]، أو "رأيت بخط الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي في تعاليقه"[٧]، أو يذكره مختصرًا نحو : "هكذا نقلت ذلك من خط المراكشي في تعاليقه"[٨]، أو "نقلته من خط ابن موسى"[٩].

وقد يستفيد من الخطوط في معرفة مؤلفات المترجم نحو قوله : "وله مؤلفات منها على مارأيت أسماءها بخطه ..."[١٠].

المشاهدة :

كانت المعاصرة مصدرًا أصيلاً ، ومنبعاً محسوساً لمادة الجزء الرابع من إتحاف الورىٰ ، فقد أودع النجم هذا الجزء مشاهداته وملاحظاته الدقيقة ، ومانقل إليه من الأخبار عن طريق شهود العيان المطلعين على الأحداث الواقفين عليها ، ولم نجد في هذا الجزء استعانة بالمؤلفات السابقة ؛ اللهم إلا في ثلاثة مواضع استخدم فيهاالكتب التاريخية للبرهنة والاستدلال على الجذور التاريخية لبعض مادته[١١]. ولهذا جاء هذا الجزء غاية في الإبداع من

(١) نفس المصدر ، ق٦٦ب .

(٢) نفس المصدر ، ق٨٧أ،ب .

(٣) نفس المصدر ، ق١٥٠ب .

(٤) نفس المصدر ، ق١٠٦ب .

(٥) نفس المصدر ، ق١٦٧ب .

(٦) نفس المصدر ، ق١١١ب .

(٧) نفس المصدر ، ق١٧١ب .

(٨) نفس المصدر ، ق١٤٩ب .

(١٠) نفس المصدر ، ق١٤٠ب .

(١١) انظر ص٦٤، ٥٢٦، ٥٢٨ .

النواحي العلمية والعملية ، وقد وفق في الوصف والشرح والنقد والتحليل حتى بات من السهولة للقاريء تصور ذلك العصر ، ورسم الملامح العريضة لحياة الناس فيه .

ويلحظ المتابع مبلغ دقة النجم في وصفه المتقن لحوادث عصره بالشهر واليوم وربما بالساعة(١)، وتظهر دقته أيضا عند ذكره لأخبار الحوادث ، فهو يقدم لها بتمهيد مختصر ، ثم يذكر الأسباب إن وجدت ثم يسرد الحادثة ، ويختمها بالنتيجة . وقد يطول الخبر أو يقصر حسب تأثيره وأهميته(٢).

وفي هذا الجزء تتبع باهتمام شديد أعمال التوسعة والصيانة للمسجد الحرام(٣). وتابع بدقة متناهية تجديد عمارة مسجد الخيف بمنى ، ومسجد نمرة بعرفات . وزودنا بوصف دقيق للزخارف والعناصر المعمارية التي أدخلت على بنائها ، ومواد البناء ومدته وتكاليفه(٤). كما أظهر لنا معالم من الطراز المعماري للمباني التعليمية(٥). وأشار عرضاً بدون تفصيل لجانب من التراث المعمارى للمباني ، والاستراحات الخاصة ؛ التي تدلل على المستوى الاجتماعي لبعض فئات المتجمع(٦).

وأولى الجانب الاقتصادي وأخبار التجار والمراسيم الخاصة بهم ، وبالتنظيمات الاقتصادية كامل عنايته . واعتنى بالأوقاف ، فكتب عن اهمال بعضها وتضييعها(٧)، وكتب عن الجريمة ، ومصير المجرمين(٨)، علاوة على

---

(١) انظر على سبيل المثال ص٢٩،١٣١،١٤٠-١٤١،٢٥٥،٢٥٦،٥٧١ .
(٢) انظر على سبيل المثال ص٩٠-٩٢،٩٤،١٠٣-١٠٤،١١٣-١١٤،١١٧-١١٨،١٤٨ .
(٣) انظر على سبيل المثال ص١٤٨-١٥٠،٢٢٠-٢٢١ .
(٤) ص٥٠٩-٥١٠ .
(٥) انظر ص٥٨-٥٩ من هذه الدراسة .
(٦) انظر على سبيل المثال : الدر الكمين ، ق٤٨أ ، ٩٩ب ، ١٠٠أ ، ١١٠أ .
(٧) انظر ص٣٠٥-٣١١ من هذه الدراسة .
(٨) انظر ص٢٩١-٢٩٤ من هذه الدراسة .

أخبار الصراع على السلطة[١].

وبالجملة فقد كان عيناً فاحصة دقيقة النظر في كل ماحولها ، ولساناً لايني عن قول الحقيقة ، فجاءت ملاحظاته وأحكامه على مجتمعه سديدة صائبة في أغلب الأحيان . إذ ليس من رأىٰ كمن سمع!!

ولانبالغ إذا قلنا أن معظم مؤلفات النجم مبنية على المشاهدة والمعاينة الملموسة . فتراجم الدر الكمين جلها لأناس عاصرهم ، وتعايش معهم ، ومؤلفاته في المعاجم والمشيخات ترتكز أغلب مادتها على اتصاله بالعلماء من ذوي الاهتمامات المتنوعة . وإن كانت السمة الأساسية التي تجمعهم هي الاهتمام بالحديث النبوي وعلومه .

وقد تظهر ذاتية النجم في بعض كتاباته هنا نحو قوله : "رأيته وأنا صغير بعد العشرين وثمانمائة"[٢]، أو "قدم علينا مكة في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثمانمائة"[٣]، أو "مر على في بعض الأيام ... وأنا في سكن لي برأس حارة الشيبيين بالسويقة"[٤]، أو "اجتمعت به بالمسجد الحرام وبمنى"[٥]، أو "لقيته بحلب"[٦]، أو "تزوج أختي أم ريم واستولدها ومات معها ... وجعلني وصيّاً على ولده"[٧]، أو "وماعلمته حدث ، ولكنه أجاز لي بالقاهرة"[٨]، أو "ولم يحدث ، ولم يجز لأحد فيما أعلم"[٩]، أو

(١) انظر ص٢٧٢-٢٧٤ من هذه الدراسة .
(٢) الدر الكمين ، ق١٣١أ .
(٣) نفس المصدر ، ق١٧٠أ .
(٤) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٥٣أ .
(٥) نفس المصدر ، ق٢١٦أ .
(٦) نفس المصدر ، ق٧٢ب .
(٧) الدر الكمين ، ق١٥٦أ .
(٨) نفس المصدر ، ق١٤٧أ .
(٩) نفس المصدر ، ق٤٠أ .

"اجتمعت به مع صاحبنا الإمام برهان الدين البقاعي من سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بمنزله بحارة القصر بالقاهرة"(١)، أو "حضرت الصلاة عليه ودفنه"(٢)، أو "ودفن بالمعلاة بمقبرتنا"(٣).

المشافهة :

من أعلى أقسام طرق التحمل عند أهل الحديث(٤)، ومن أهم موارد النجم ، ونستطيع أن نقول : إنها المورد الرئيسي لبعض مؤلفاته . ونجد تفسير اعتماده عليها:في الجو التعليمي والاجتماعي الذي عاشه مع معاصريه ، فهو محدث حافظ رحاله ، أخذ الحديث عن أكثر من ألفي شيخ مابين سماع واجازة . وكان له بجانب الحفظ للحديث ؛ أنس بالأدب ، وتولع بالتواريخ والسير وكتب الرجال . ولعل من الطبيعي ـ لرجل مثل مؤرخنا يمتلك تلك الاهتمامات مع قوة الحافظة ـ أن تكون الرواية الشفهية في مقدمة موارده دوماً ، لأنها تتميز بالدقة والضبط والأخذ المباشر عن الثقات .

وقد اعتمد في معجم شيوخه المخطوط على مصدر اللقاء المباشر ، والتلقي من أصحاب التراجم أنفسهم ، وشخصيته هنا جد ظاهره ، فمعجمه ملىء بعبارات المشافهة نحو قوله : "سمعت عليه تاريخ مكة للأزرقي"(٥)، أو "سمعت عليه تحصيل المرام من أخبار البلد الحرام تأليفه"(٦)، أو "سمعت عليه من لفظه تاريخ المدينة للمطري ، ثم قرأت عليه بعض كتاب إتحاف الزائر لابن عساكر"(٧)، أو "قرأت عليه المستجاد من تاريخ بغداد للخطيب ،

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨٠أ .
(٢) الدر الكمين ، ق١٢ب .
(٣) نفس المصدر ، ق١٧أ .
(٤) السيوطي : تدريب الراوي ، ج٢ ، ص٩ .
(٥) ق١٢٠ب .
(٦) ق١٦٩أ .
(٧) ق١٨٢ب .

انتقاء ابن الجعابي"(١)، أو "سمعت عليها مشيختها تخريجي ، ثم قرأت عليها الحديث المسلسل بالأولية ، بجميع طرقه من أول مشيختها ...الخ"(٢)، أو "ذكر لي والدي أنه ...الخ"(٣)، أو "أخبرني والدي أنه ...الخ"(٤)، أو "هكذا أخبرني"(٥).

وبرز هذا المورد في الدر الكمين حيث كان حريصاً على ذكر اتصاله بالمترجم علميا ، وكان يختم الكثير من تراجمه برواية حديث أو أكثر أخذه عن صاحب الترجمة ، ويسنده اسناداً عالياً في الغالب مستعملاً ألفاظ المشافهة نحو قوله : "أخبرنا "فلان" شفاها"(٦)، و"أخبرنا "فلان" أذناً ، وغير واحد منهم والدى الحافظ ... سماعًا"(٧)، و"أخبرنا فلان سماعاً عليه بالمسجد الحرام ... وأخبرنا عالياً بدرجة ... وأخبرنا عالياً بدرجة أخرى ...الخ"(٨)، و"أخبرنا "فلان وشقيقه فلان" سماعاً عليهما مجتمعين بمنزل الأول بمكة المشرفة ، وسيدي والدي سماعاً عليه خمس مرات ، والقاضي "فلان" بقراءتي عليه ... وأنبأنا عالياً بدرجة "فلان" ...الخ"(٩)، و"أنبأنا "فلان" شفاهًا"(١٠)، و"وأخبرنا فلان سماعاً عليه مرتين بالمسجد الحرام وأنبأنا عالياً بدرجة "فلان" بقراءتي عليه"(١١).

---

(١) ق١١١أ .
(٢) ق٨٧ب .
(٣) ق٢٧٩أ .
(٤) ق٢٧٧أ .
(٥) ق٣٨أ .
(٦) ق٦ب .
(٧) ق٥أ .
(٨) ق٦أ .
(٩) ق١١ب .
(١٠) ق١٢أ .
(١١) ق١٦ب .

واستفاد من المشافهة في بيان طريقة التدريس عند بعض شيوخه ، نحو قوله : "سمعت عليه ؛ ولايوجد في زماننا هذا بل وقبله من مدة طويلة من يحدث على طريقته ، فإنه كان عنده تحر شديد في الرواية بحيث لايدع القارىء يتجاوز لفظاً ولاحرفاً إلا بينه وأعربه!!"(١)، وقوله : "سمعت منه ؛ وكان فكهاً ، حلو المحاضرة ، كثير النوادر والحكايات"(٢).

هذا وقد اجتهد النجم في نسبة العديد من الأخبار والقصص التي يرويها في كتبه إلى رواتها ، وحرص في أغلب الأحيان على أن يورد اسنادها كاملاً . ففي إتحاف الورىٰ : يذكر قصة تجاهل هشام بن عبد الملك بن مروان لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنهم أثناء طوافه بالكعبة ؛ وقصيدة الفرزدق في هذا الشأن والتي مطلعها :

هَذَا الذَي تَعرِفُ البَطحَاءُ وَطأتَهُ ... وَالبَيتَ يَعرِفُهُ وَالحِلُ وَالحَرَمُ

وبعد سرده لها ، وبيان ماآل إليه أمر الفرزدق يقول : "أنبأتني بهذه القصيدة مع حكايتها ، المسندة الأصيلة أم محمد عائشة بنت محمد بن عبدالهادي الصالحي ... ويذكر بقية السند متواترًا إلى أن يصل إلى بداية القصة(٣).

ويذكر خبرًا عن مراسلة من أهل المدينة لأمير مكة عام (١٩٤هـ/٨٠٩م) يسألونه التحول إليهم ، ويهدونه أشعاراً في فضل المدينة ترغيباً له في سكناها ، وعند إعلان هذا الخبر في مكة ، رد شاعر مكي بقصيدة يذكر فيها فضل مكة ، وماخصها الله به من الكرامة ، ثم يحكم بين الطرفين ناسك

---

(١) ق١٦أ ؛ معجم الشيوخ المطبوع ، ص٢٢١ ؛ معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٨٢ب .
(٢) ق٧٦أ .
(٣) ج٢ ، ص١٤١-١٤٥ .

مرابط في جدة بقصيدة ثالثة . وبعد اشارته لتلك الرسالة والقصائد المتبادلة يقول : "أخبرني بهذا الكتاب والجوابين سيدي والدي العلامة الحافظ ... سماعا . ثم يذكر سنده متواتراً حتى يصل إلى بداية الخبر الذي ذكره(١).

ويذكر أيضا قصة حدثت للمؤرخ محمد بن جرير الطبري أثناء مجاورته في مكة عام (٢٤٠هـ/٨٥٤م) ثم يقول : "قرأت هذه الحكاية على المسند المعمر الأصيل شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الدميري الخليلي بمنزله جوار حرم الخليل ، ببلاد جيرون ، في يوم الأربعاء سادس عشر رمضان عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م)" ... ثم يذكر سنده متواترا(٢).

ومن مصادره في الروايات الشفهية بالتراجم أقوال صاحب الترجمة ، مثل : "هكذا أملاني نسبه"(٣)، و"قال : ولاأعرف لنسبنا إلى "كذا" سنداً"(٤)، وقال : "إن الأطباء في بلادنا يحكمون على قضاة القضاة ، لأن كاتب السر لايكون إلا طبيباً!!"(٥). وقد يعتمد على أقوال أقارب ومعارف صاحب الترجمة نحو قوله : "قال : ولده"(٦)، و"قال : شيخنا فلان"(٧)، و"قال : فلان رفيقه"(٨)، و"قال : الشيخ فلان جاره"(٩)، و"وقال : أخوه شيخنا فلان"(١٠).

---

(١) نفس الجزء ، ص٢٥٠-٢٥٦ .
(٢) نفس الجزء ، ص٣٠٨-٣١٤ .
(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٧٢أ .
(٤) نفس المصدر ، ق٢٢٩أ .
(٥) الدر الكمين ، ق٣١أ .
(٦) نفس المصدر ، ق٤٢أ .
(٧) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٧ب .
(٨) نفس المصدر ، ق٢٠ب .
(٩) نفس المصدر والورقة .
(١٠) نفس المصدر والورقة .

وقد ينسب مصدره إلى أقوال مجهولة نحو : "وقال : ..."(١)، أو "كذا قال"(٢)ويترك بياضاً دون ذكر المورد . وقد يصف مصدره بأوصاف عامة شبه مجهولة نحو قوله : "على ماحكاه بعض المكيين"(٣)، أو "زعم الكبار من أهل مكة والمجاورين"(٤)، و"كما ذكر بعض العصريين"(٥).

وبالرغم من دقة النجم في الإشارة إلى مصادر رواياته الشفهية إلا أن ثمة مصادر من هذا القبيل لايأبه لايراد سندها ، ويكتفي بأن يذكر في مطلع الخبر ، أو في ثناياه أو نهايته أقوالاً غير منسوبة لشخص بعينه ، ولعل ذلك راجع إلى شيوع الخبر المنقول ، أو جهله أصلاً بالقائل نحو : "ويقال : أنه وصل أيضا خلعة ومرسوم للقاضي الشافعي ، فلم يلبس ، ولم يقرأ المرسوم"(٦)، وقوله : "ولم يتحقق السبب ؛ لكن يقال : ..."(٧)، أو "ولم يقرأ مرسوم وسببه فيما قال : أن فى المرسوم أن يؤخذ للسلطان نصف العدني ، ...الخ"(٨).

ويذكر سبب نفي أمير مكة لمحتسبها ، ونائب البلد فيها فيقول : "وذلك لمواطأتهما أخاه علياً على مايقال"(٩). ويشير إلى الغنيمة التي غنمها بعض قطاع الطرق بعد هزيمتهم لجيش صاحب مكة الذي خرج لتأديبهم فيقول : "وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً ، وعشرين درعاً ، ومن

---

(١) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٤٨،٣٦٧،٣٧٢،٤١١ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٢٣١،٢٣٤،٢٤٧،٢٩٣،٢٩٤،٣٣٣،٣٤٧،٣٥٦،٣٦٩،٣٧٣، ٣٨٨ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٤٩٨ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٥٥٠ .
(٥) نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٧ .
(٦) نفس المصدر ، ج٤ ، ص٤٨٤ .
(٧) نفس المصدر والجزء ، ص٥٤٠ .
(٨) نفس المصدر والجزء ، ص٦١٧ .
(٩) نفس المصدر والجزء ، ص٤٨١ .

السيوف والرماح والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة ، ومن الأسلاب والأمتعة ماقيل : أنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار أو أكثر"(١). ويشير إلى النهب الذي تعرضت له أحد ركوب الحجيج بقوله : "فيقول المكثر : أنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ، وماعليها من المال مابين ذهب وفضة وبضائع وازودة الحاج مالايقدر قدره كثرة"(٢).

ومن موارده في الروايات الشفهية المساءلة مثل قوله : "سألته عن مولده ، فقال :"(٣)، أو "فسألناه عن اسمه واسم أبيه وجده ، فأخبرنا بأسمائهم المعروفة"(٤)، أو "سألت "فلان" أين وجد هذا النسب ، فقال :"(٥).

ومن موارده الشفهية ـ الأشعار ، ويلاحظ أنه كان شغوفاً بها ففي إتحاف الورى كان يعزز الكثير من الأخبار التاريخية بأقوال الشعراء المعاصرين للأحداث(٦)، وفي تراجم الدر الكمين أورد نماذج كثيرة جداً من الأشعار التي سمعها من صاحب الترجمة لنفسه أو لغيره . وهي في مجموعها تتناول أغراض الشعر المختلفة ، حيث أودعه لقاح عقول أولئك الشعراء الذين اتصل بهم(٧).

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٩١ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١١٨ .

(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٤٤أ .

(٤) نفس المصدر ، ق٩٨أ .

(٥) الدر الكمين ، ق٢٤ب .

(٦) انظر على سبيل المثال ج١ ، ص٣١-٣٣،٤٣-٤٤ ؛ ج٢ ، ص١٠٥،١٨٨ ؛ ج٣ ، ص١٥،٤٤٤-٤٤٦،٤٧٣-٤٧٧ ؛ ج٤ ، ص١٠٢،١٠٨-١١٢ .

(٧) انظر على سبيل المثال : ق٦٣ب ، ٧٩أ ، ٨١أ ، ٩٩ب ، ١٠٨ب ، ١٢٧ب ، ١٥٢أ ، ١٥٩أ ، ١٦٩أ،ب ، ٢١٢أ .

والنجم في الغالب دقيق في تحديد زمان ومكان سماعه ، وقد يذكر غرض الشعر . نحو قوله : "أنشدني في يوم الأحد ثامن عشري شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، بمنزله بمدرسة شيخ الشيوخ نظام الدين ، بالصحراء بالقرب من قلعة الجبل بالقاهرة المحروسة قوله في أدب السواك وسنته : ..."(١)، وقوله : "أنشدنا القاضي "فلان" في يوم الأحد رابع المحرم سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، بمنزله بمكة المشرفة قوله في دماء الحج ..."(٢). وقوله : "أنشدني في يوم الاثنين ثاني صفر من السنة - يقصد سنة احدى وأربعين وثمانمائة - بساحل جدة ؛ من أعمال مكة المشرفة قوله في عمارة ميازب الدار التي يسكنها"(٣).

وإذا سمع أبياتاً بعينها عدة مرات يشير إلى تأكيد سماعه كقوله : "أنشدني في يوم الثلاثاء المذكور - يقصد الموافق للثاني عشر ربيع الآخر - سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة بالمسجد الحرام ، ومرةثانية في يوم الجمعة ، ثاني عشر ربيع الأول ، سنة تسع وأربعين بالمسجد الحرام ، ومرة ثالثة بقراءتي في يوم الثلاثاء ؛ حادي عشر شوال ، سنة أربع وخمسين بالمسجد الحرام قوله ..." والقصيدة التي يذكرها هنا في فقه التكليف(٤).

وإذا كانت القصيدة التي سمعها طويلة ، اختار أبياتاً منها ، وأشار إلى ذلك بقوله : "أنشدني أمير مكة السيد زين الدين بركات بن حسن الحسني - رحمه اللّه تعالى - قصيدة طويلة نظمها ، هذا مختارها ..."(٥).

وإذا كانت الأشعار التي سمعها لغير منشدها بين ذلك كقوله : "أنشدني في يوم السبت سابع عشري جمادي الآخرة سنة أربع وستين وثمانمائة بساحل

---

(١) الدر الكمين ، ق٤٣أ .
(٢) نفس المصدر ، ق٥٥أ .
(٣) نفس المصدر ، ق٩٢أ .
(٤) نفس المصدر ، ق١٠٥ب .
(٥) نفس المصدر ، ق٩٩أ،ب .

جدة ؛ للشيخ "فلان" ... وأنشدنا في هذا التاريخ لبعضهم ... ولآخر ..."(١).

أما في معجم شيوخه فقد اكتفى في الغالب بالإشارة إلى نظم صاحب الترجمة ، وسماعه منه ، دون رواية تلك الأشعار نحو قوله : "أنشدني كثيرًا من نظمه في شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بثغر دمياط"(٢)، و"أنشدني من نظمه في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، بسفح قاسيون"(٣)، و"نظم الشعر الحسن ... أنشدني كثيرًا من شعره"(٤)، و"نظم الشعر ، ومدح به وهجا ، أنشدني منه"(٥)، أو "سمعت منه بعض نظمه"(٦)، أو "أنشدني كثيرًا من نظمه"(٧)، أو "له نظم ، أنشدني منه"(٨)، أو "أنشدني بعض نظمه"(٩)، أو "أنشدني بعضه" (١٠)، أو "أنشدني منه ، ومن غيره" (١١)، أو "أنشدني لغيره"(١٢)، أو "أنشدني لشيخه فلان"(١٣).

المؤلفات السابقة :

شكلت الكتب المصنفة موردًا كبيرًا ومهما من موارد النجم ، واعتمد عليها اعتمادًا أساسيًا في الفترة التي سبقت عصره ، خاصة في القسم المبكر

---

(١) الدر الكمين ، ق٥٨ب .
(٢) ق١٩٨أ .
(٣) ق٢٥٠ب .
(٤) ق٢٧٥أ .
(٥) ق٢٨٤ب .
(٦) ق٢٨٠أ .
(٧) ق٢٦٥أ .
(٨) ق٢٧١ب .
(٩) ق٢٤٧أ .
(١٠) ق٢٨٤ب .
(١١) ق١٥٩أ .
(١٢) ق١٤٠أ .
(١٣) ق٢٧١ب .

من إتحاف الورىٰ ، وبالتحديد في الجزء الثانى ، وكذلك في الدر الكمين ، عند إيراده للتراجم التي لم يستوفها الفاسي أو سهىٰ عنها .

أما في معجم شيوخه فقد استعان بعدد قليل من المؤلفات لاعتماده على المورد الأصلى وهو المشاهدة والتلقي الفاعل المثمر بينه وبين أولئك الشيوخ ومااستعانته في المعجم ببعض المؤلفات إلا لإيفاء تراجم شيوخه حقها من الشمول والوضوح ، فهو عندما يكتب عن شيخ يمني يرجع إلى علماء اليمن لإثراء معلوماته ، وكذلك الحال عندما يترجم لعالم مصري أو شامي فإنه يرجع لمؤلفات أعلام تلك الديار . وهي على كل حال مؤلفات تمتاز أيضا بالأصالة والمعاصرة ؛ لأن مؤلفيها اتصلوا بالأعلام ، وعرفوهم عن قرب .

وإن القاء نظرة فاحصة على مؤلفات مؤرخنا لتبين لنا ضخامة الجهد الذي بذله في جمع مادته ، أو إعادة ترتيب بعضها ، واستيعاب مواردها ، ولاشك أنه قد استفاد من خزانة الكتب الضخمة التي في دار آل فهد ، وأنها قد مهدت الطريق أمامه ، ودعمت جهوده في البحث والتأليف .

وإذا مادققنا النظر في عدد المؤلفات التي رجع إليها في تضاعيف مصنفاته وجدنا أنها تنيف على المئة مصدر في فنون متنوعة ومختلفة بعضها في التاريخ ، وبعضها في الأنساب ، وبعضها في الفضائل ، وبعضها في الحديث ، وبعضها في الفقه ، وبعضها في الأدب ، وفي الجغرافيا والرحلات وغيرها .

وكان مؤرخنا بين الحين والحين يقف على بعض الأخبار التي ينقلها ؛ فيذكر ماعلق عليها إما تفسيرًا أو تأويلاً أو تصحيحاً ، ومن أمثلة ذلك ماجاء في أخبار عام (١٢هـ/٦٣٣م) : "وفيها حج بالناس خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كذا ذكر ابن جرير وأبو الفرج ابن الجوزي . وقال ابن الأثير : إن الذي حج بالناس هذه

السنة عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - قال[(١)]: في أول سنة ثلاث عشرة أن أبا بكر وجه الجنود إلى الشام بعد عودة الحج!! فهذا مؤكد للأول ، ومضعف لما قاله . والله أعلم"[(٢)].

وفي أخبار السنة الثالثة عشرة للهجرة يقول : "وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو عبد الرحمن بن عوف على ماذكر ابن الأثير . وقال ابن الجوزي وابن جرير : الثاني وهو أصح ، وجزم به المسعودي في مروجه ، وفي الزهر الباسم"[(٣)].

ويقول في أخبار سنة ثلاث وتسعين ومائتين : "وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك . كذا قال ابن جرير ، وابن الجوزي . وقال ابن الأثير : الذي حج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك الهاشمي ؛ ولعله غلط من الناسخ"[(٤)].

وعناية مؤرخنا في استيعاب مادته دفعته إلى تتبع الموارد المعاصرة أيضا وتمحيصها والاستدراك عليها . يقول في ترجمة النحوى محمد الغمارى المتوفى عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) : "وأغفل في الأصل - يعني كتاب العقد الثمين - مع أنه جاور سنين بمكة ، وذكره شيخنا المقريزي في عقوده ...الخ"[(٥)]. وفي ترجمة عبدالكريم بن محمد بن على بن محمد بن جوشن اعتمد على صلته المباشرة بصاحب الترجمة في تصويب اسم جده الذي ذكره العقد الثمين محرفا فقال : "وجعل الفاسي والد على حسين ، ثم أشار إلى صلته هو بالمترجم فقال : "وأجاز له مع أخويه باستدعائى في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ...الخ"[(٦)]. وعندما ترجم لمحمد بن ابراهيم بن عبد الله الكردي اعتمد في

---

(١) يقصد ابن الأثير .

(٢) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٤ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٣٥٨ .

(٥) الدر الكمين ، ق٥٣ب .

(٦) نفس المصدر ، ق١٣٤ب .

نقلـه على ترجمـة شيخـه ابن حجـر لقـربه مـن صـاحب الترجمــة ، ثم بين الاختلاف الـوارد في اسـم جده في الموارد الأخرى التي اطلـع عليهـا فقال : "نقلـت هذه الترجمة من كتـاب انباء الغمر لشيخنا أبي الفضـل ابن حجـر ، وذكـره المقريزى في عقوده ؛ وسمىٰ جده أحمد ، وفي معجـم الوالد : محمد بن ابراهيم بن على ابن ابراهيم الكردي"(١).

وكمـا يتضـح من النماذج السـابقة نلاحظ أن النجـم لم يتبـع أسلـوباً علميـاً واضحاً في ذكر المؤلفـات التي رجع إليها قياسـاً بمنهـج البحث العلمي الحديث ، فـأحياناً يذكـر المؤلـف ولايشير إلى كتـابه ، والأغلـب الأعـم من مصـادره في إتحاف الـورىٰ بهـذه الصـورة . كما أنه لايذكـر المؤلـف بطريقة موحدة فمرة يذكره بكنيته ، وأخرى بلقبـه ، وفي ثالثـة بهمـا معـاً ، وأحيانـاً باسـم أبيه ...الخ . ومثلا ذلك قـوله "الطبري"(٢)، أو "ابن جرير"(٣)، أو "ابن جرير الطبري"(٤). و"أبو الفـــرج ابن الجوزي"(٥)، أو "ابن الجوزي"(٦)، وكذلك الحال بالنسبة للمؤلفات ، فأحياناً يذكرها دون الإشارة إلى اسم المؤلف مثل قوله : "قال صاحب مرآة الزمان"(٧).

والملاحظ أيضـا أنه لايعتني بذكـر الكتاب كما وضعـه مؤلفه إذ ينسبه إلى العلم الـذي ألـف فيـه نحو : "قـال أبو عبـد الـرحمن السلمــي في

(١) الدر الكمين ، ق١٤ب .
(٢) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٠٨ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٩ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٣١٣ .
(٥) نفس المصدر والجزء ، ص٥١٩ .
(٦) نفس المصدر والجزء ، ص١٠ .
(٧) نفس المصدر والجزء ، ص٥٠٩ .

التاريخ"(١)، أو "قال السلمي في تاريخه"(٢)، و"ذكره حمزة السهمي في تاريخه"(٣)، و"جزم به ابن النجار في تاريخه"(٤)، و"ذكر ابن الأثير في تاريخه"(٥)، و"نقلت هذه الترجمة من تاريخ الكتبي"(٦)، و"ذكره الخزرجي في تاريخه"(٧)، و"نقلت هذه الترجمة من تاريخ لشيخنا حسين الأهدل"(٨) ...الخ

والواقع أن عدم الإفصاح عن اسم الكتاب يوقع الباحث في الحيرة ، ويسبب له ارباكاً ، وتظهر صعوبة هذا الأمر أكثر إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب تاريخي ، إذ لانستطيع أن نجزم بنقله من أى منها مالم تكن جميع تلك الكتب أمامنا ، ونطالعها جميعا بدون استثناء .

وثمة ملاحظة : وهي أن مؤرخنا قد يشير إلى اسم الكتاب مختصراً وهي طريقة منهجية لاغبار عليها في زمنه لأنها تقوم على شهرة تلك المصنفات ، ومن أمثلة ذلك قوله : "ذكره أبو نعيم في الحلية"(٩)، "ذكره ابن الجوزى في كتابه المنتظم"(١٠)، و"ذكره ابن الأثير في أنسابه"(١٠)، و"قال سبط ابن الجوزى في المرآة"(١١)، و"ذكره المقريزي في عقوده"(١٢)، و"ذكره

---

(١) الدر الكمين ، ق١٨٣ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٨٢ب .
(٣) نفس المصدر ، ق٧٥ب .
(٤) اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٣٣ .
(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٢٤-٣٢٥ .
(٦) الدر الكمين ، ق١١٠ب .
(٧) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٧٠ب .
(٨) الدر الكمين ، ق١٥٥أ .
(٩) نفس المصدر ، ق١٧١ب .
(١٠) نفس المصدر ، ق١١٠ب .
(١١) نفس المصدر ، ق١٦٥ب .
(١٢) نفس المصدر ، ق١٤ب .

شيخنـا ابن حجر في انبـائه"(١)، و"ذكـره شيخنـا ابن حجر في معجمـه"(٢).

ورغبة مؤرخنا في الاختصار إلى جانب شهرة تلك الكتب في عصره هي التي حدته إلى ذلـك ، كما أن رغبته في الاختصار ، وعـدم التكرار هي التي جعلتـه يلجأ إلى ذكر المصدر مرة واحدة في التراجم المتتـالية التي ينقلها عن مصدر واحد دون أن يفصل بينهما مورد آخر ، فهو على سبيل المثال يترجم لثلاث أعلام متتابعين ثم يقول في آخر الترجمة الثالثة : "نقلت هذه الثلاثة التراجم من طبقات الصوفية للشيـخ القادري"(٣). وفي التاريخ الحولي الذي ألفـه ينقـل خبراً ثم يحيلنا على مصـادر سابقة مثل : "على مـاذكره الثلاثة في السنة التي قبلها"(٤).

ومؤرخنا دقيق في الإشارة إلى بداية نقله من المصدر نحو قوله : "رأيت في كتاب كذا مانصه"(٥)، أو "قال فلان"(٦)، أو "ذكره فلان فقال"(٧). أما نهـايته فيشير إليـه في الغـالب بكلمـة "انتهـى"(٨)وحدهـا دون أى زيادة . وأحياناً يستعمل عبارة : "قال جامعه"(٩). أو يشير إلى المورد بعد ذكر الخبر

---

(١) الدر الكمين ، ق١٢٠ب .
(٢) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٤٨أ .
(٣) الدر الكمين ، ق١٨٢أ .
(٤) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص١٠-١١ .
(٥) الدر الكمين ، ق١٦٦أ .
(٦) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٥أ .
(٧) نفس المصدر ، ق٢٤٨أ .
(٨) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٤٠ ؛ الدر الكمين ، ق١١٠ب ؛ معجم الشيوخ المخطوط ق٦٦ب .
(٩) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٨٠ .

نحو : "كذا قال فلان"(١)، أو "من كتاب كذا لفلان"(٢)، أو "هكذا نقلت ذلك من كتاب كذا"(٣).

أما بالنسبة لمواضع نقوله فأحياناً يصرح بها في دقة كبيرة وفق تنظيم الكتب التي يرجع إليها ، فيبين مواضع النقل حسب الأبواب أو الحروف مثال : "ذكر ذلك الصاحب كمال الدين بن العديم في تاريخه لحلب بغية الطلب ، في باب ذكر مدينة طرسوس ، ونص ماذكر ..."(٤)، وقوله : "ذكره شيخنا أبو الفضل في كتابه : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، في حرف الميم ، في مادة السوبيني فقال : ..."(٥)، وقوله : "نقلت هذه الترجمة من الأنساب للسمعاني من حرف القاف في القيروان"(٦).

وإذا استنبط الترجمة من خلال ترجمة أخرى أشار إلى ذلك بدقة كقوله : "عبد المؤمن أبو القاسم المكي المتكلم ، حدث عن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائى المالكي المتكلم ، استفدنا ذلك من ترجمة أبي عبد الله المذكور في المدارك في طبقات فقهاء مذهب الإمام مالك للقاضي عياض ، وماعلمت غير ذلك"(٧).

وكان مؤرخنا واضحاً في الإشارة إلى طرق نقله ، فإن نقل النص حرفياً بين ذلك كقوله : "قال ابن الأثير : واللفظ له"(٨)، أو "كتب شيخنا

---

(١) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٧ .
(٢) الدر الكمين ، ق١٤١أ .
(٣) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٤٣١ .
(٤) الدر الكمين ، ق١٧٢أ .
(٥) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣ب .
(٦) الدر الكمين ، ق١٨٣ب .
(٧) نفس المصدر ، ق١٤١أ .
(٨) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢١٦ .

فلان ... مالفظه"(١). وإذا انتقى ولخص ذكر ذلك مثل قوله : "انتهى ماخلصته من كذا"(٢)، وإذا نسبت المعلومة لمورد لم يطلع عليه يثبت ذلك كقوله : "على مانسب إلى المرآة"(٣)، وإذا اطلع على عدد من المؤلفات ، ووقف على أوجه الخلاف والتوافيق فيما بينها أشار إلى ذلك ، وبين الأسلوب الذي اتبعه في الأخذ منها . مثلاً : في خبر إعلان أبي الفتوح الخلافة بمكة ، رجع إلى ست مصادر تاريخية ، وذكر اختلافها في تحديد السنة التي أعلن فيها هذا الخبر ، وأخذ بأقوال المؤرخين الذين قالوا أنه حدث في عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) أو قريباً منها ، واستبعد الأقوال التي ذهبت بعيدا في تحديد هذا التاريخ . أما المضمون فقد تصرف فيه بما يخدم إبراز الخبر بصورة متكاملة من واقع ماجاء في تلك المراجع مجتمعه فقال : "وكل منهم مخالف للآخر في بعض الألفاظ مع زيادة ، ونقصان ، فجمعت من ذلك هذا ..."(٤).

وعندما ترجم للهيثم بن عدي الطائي - وهو اخباري وراو للحديث ، سكن مكة مدة ، استعان في ترجمته بعدد من المصادر ، وحرص على بيان أحكام أئمة الحديث المتقدمين والمتأخرين في توثيقه ، وتصنيفهم له ضمن قائمة الاخباريين ، وتجريحهم له كمحدث . وبعد أن ذكر جميع الأقوال ، وتسهيلاً للقاريء أشار إلى المصدر الذي يجمع أغلبها فقال : "قاله الذهبي مع غالب ماتقدم في كتابه الميزان"(٥).

وإذا كان اعتماده في النقل على المورد المتأخر زمنياً الذي ينقل عن مورد آخر متقدم نبه إلى ذلك نحو قوله : "وقال المحب الطبري عن

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢١٥ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٤٩أ .
(٣) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٠٦ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٤٣٥-٤٤٠ .
(٥) الدر الكمين ، ق١٧٣أ .

ابن اليقظان"(١)، أو "على ماذكره الميورقي نقلاً عن القاضي فخر الدين بن عثمان بن عبد الواحد العسقلاني"(٢).

وعلى كل فقد حاول النجم جاهدًا أن يأخذ قدر الإمكان من الموارد القريبة من الأحداث ، وكان أميناً في توثيقه .. أميناً في نقله!!

---

(١) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص١٠٢ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٥٦٦ .

الفصل الرابع

منهجه النقدي وأخطاؤه

- منهجه في النقد والتقييم .
- أخطاء النجم المآخذ عليه .

منهجه في النقد :

لاشك أن روح النقد ميزة أساسية في الحقل التاريخي ، وقد تفاوتت مناهج المؤرخين المسلمين في العناية بهذا الجانب أو اهماله .

أما مؤرخنا فقد وفق في ممارسة النقد التاريخي لكثير من القضايا والأخبار ، ولانجد صعوبة أو احراج في الإشادة بأهمية المنهج النقدي الذي طبقه على قضايا عصره خاصة ؛ فهي تمثل في نفس الوقت تفاعله معها ، هذا التفاعل الذي تكونت جذوره من مدرسة الحديث التي تربىٰ فيها ، وصقلت فيه فكر المؤرخ .

وزاد من عمق هذا الجانب سعد الطالع الذي حباه اللّٰه به ، فهو من ساكني مكة المكرمة ، مهوىٰ أفئدة المسلمين شرقًا وغربًا ، شمالاً وجنوبًا ، ورحلاتهم إليها دائمة غير مقطوعة ؛ وعليه فقد عاش حياة لقاء دائم مع العلم والعلماء ، والثقافات المختلفة ، فلم ينعزل لحظة عن عالمهم . حتى رحلاته المتعددة لمصر وبلاد الشام كانت سياحات علمية، تركت انعكاساتها على نفسيته ، وبلورت أفكاره ، فسطر صفحات نابضة بالحسياسية الصادقة .

والشيء الجدير بالذكر هنا هو : أنه كتب تاريخه المعاصر بصوت عال وانبرىٰ لقول الحق ، فكان قلمه سيفاً مسلطاً على الظالمين مهما تباينت مناصبهم ومستويات نفوذهم ، وتميزت أحكامه بالدقة والضبط لأنه يروي مايشاهده عياناً ، ويعبر عن أغوار مجتمعه الذي داخله الفساد من جهات عدة.

وكان الدافع القوي لسطوته اعراضه عن بني الدنيا ، وبعده عن المناصب والوظائف ، فهو لايخشىٰ الوقوف أمام السلطة أو الإساءة إلى نفسه باستنتاجه وأحكامه ، ومع ذلك فاستقلاله محكوم بأخلاقيات ومثل دينية عليا فهو "لايجامل في الحق ، أو ينسب المآثر لغير أصحابها ، أو يجرد الأفاضل

من أسباب فضلهم"(١).

والواقع أن التطرق لكل الأدلة والنماذج التي توضح ممارسات النجم للنقد التاريخي تستدعي حيزًا أوسع ومقالاً منفردًا ، غير أننا سنعمد إلى انتقاء بعض الملامح البارزة لأحكامه على حوادث عصره ومعاصريه ، لأنها أكثر دلالة للحكم على منهجه النقدي ، أما أحكامه على غير زمانه فهي أحكام منقولة في غالبها .

والحق أن المسائل التجارية وقضايا التجار قد كشفت موهبة النقد لدى مؤرخنا . ومن الأمثلة على ذلك نقده اللاذع لسياسة السلاطين المماليك التجارية ، وتدخلهم في تجارة الحجاز ، وفرضهم الرسوم المضافة على التجار القادمين من مكة عام (٨٢٨هـ/١٤٢٤م) يقول في هذا الصدد : "وصار نظر جدة وظيفة سلطانية ، يخلع على متوليها ، ويتوجه في كل سنة إلى مكة في أوان ورود مراكب الهند إلى جدة ، ويأخذ ماعلى التجار من العشور ، ويحضر إلى القاهرة به ، وبلغ ماحمل إلى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار ، سوى مالم يحمل ، فجاء للناس مالاعهد لهم قبله ، فإن العادة لم تزل من قديم الدهر في الجاهلية والإسلام ، أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق في أشرافها ومجاوريها ، فانعكست الحقائق ، وصار المال يحمل من مكة ويلزم أشرافها بحمله ، ومع ذلك يمنع التجار أن يسيروا في الأرض يبتغون من فضل الله ، وكلفوا أن يأتوا إلى القاهرة حتى تؤخذ منهم المكوس على أموالهم ، فإن في هذه السنة في أيام الموسم ، منع التجار أن يتوجهوا من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند ، وألزموا أن يسيروا مع الركب الى مصر ، حتى يؤخذ منهم مكوس مامعهم ؛ فتوجهوا مع الحاج . فلما نزل الحاج بركة الحاج خارج القاهرة خرج مباشروا الخاص وأعوانهم ، واستقصوا تفتيش محاير القادمين من الحجاج

---

(١) مقدمة اتحاف الورى ، ج٤ ، ص٨-٩ .

والتجار وأحمالهم وأخرجوا سائر مامعهم من الهدية ، وأخذوا مكسها ، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع الصغير عشرة دراهم فلوساً"(١).

وانتقد النجم الضرائب المتعددة التي أثقلت كاهل التجار ، والأسلوب الذي اختاره السلطان في الاعلان عن سياسته الاقتصادية المتشددة عام (٨٣٠هـ ١٤٢٦م)بقوله : "وفيها ... في يوم عرفة ، قام مشاعلي(٢)ـ والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرة ذنوبهم ـ فنادى معاشر الناس كافة ، من اشترى بضاعة من بضائع التجار ، وسافر بها إلى غير القاهرة ، حل دمه وماله للسلطان ، فسافر التجار القادمون من الأقطار مع الركب المصري ، لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم ، ثم إذا ساروا من القاهرة إلى بلادهم من البصرة والكوفة والعراق ؛ أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها"(٣).

واستمرت معاناة التجار ، وشددت المراقبة عليهم ، وألزم صاحب مكة باجبارهم على الذهاب صحبة الركب المصري عام (٨٣٢هـ/١٤٢٨م) "فأمرهم بذلك وتتبعوا بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ، ولايعود إلى الشام ، بل سافروا بأجمعهم إلى القاهرة ، وأقيمت عليهم الأعوان طول الطريق يعدونهم ، ويعدون أحمالهم حتى قدموا القاهرة صحبة الحاج ، فحل بهم من البلاء مالايوصف"(٤).

وبين النجم حال الفتوى في عصره ، وفساد ذمم من جوز للسلطان المملوكي أخذ المكوس بعد استصداره فتوى شرعية من بعض القضاة تعينه

---

(١) نفس المصدر ، ج٣ ، ص٦٢١-٦٢٢ .

(٢) المشاعلي : هو المعلن لأوامر السلطان على الناس كافة ، وسمي بذلك لأنه يحمل مشعلاً وقت أدائه للإعلان .

(انظر هامش النجوم الزاهرة : ج١٣ ، ص٤٠) .

(٣) اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٦٤٧ .

(٤) نفس المصدر ، ج٤ ، ص٤٣ .

في تنفيذ سياسته الضرائبية . وفي شدة وغلظة ينتقد هذا العمل ، ويسجل ردة الفعل تجاهه بقوله : "فقرئت الفتوى بالحرم الشريف ؛ بحضور القضاة والأعيان على رؤوس الأشهاد ، فانطلقت الألسنة بالوقيعة في القضاة ، وأنهم اعتادوا اتباع أهواء الملوك خوفا على مناصبهم ، أن يعزلوا منها ، وأى فرق بين مايؤخذ من أموال التجار الواردين الى جدة ، وبين مايؤخذ بالاسكندرية من التجار ، ومايؤخذ بالقاهرة ، ومصر ودمشق ، وسائر بلاد الشام ، من الناس عند بيعهم العبيد والاماء ، والخيل والبغال ، والحمير والجمال ، ومايؤخذ بقطيا[1] من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق ، فكل أحد يعلم أن هذا مكس لايحل تناوله ولاالأكل منه ، وأن الآكل منه فاسق لاتقبل شهادته ، لسقوط عدالته ، ولكن الهوىٰ يعُمي ويصَم ، وماكفتهم ولاأغنتهم هذه الفتاوى . حتى بعثوا بها فقرئت بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد . ليقضى الله أمرا كان مفعولاً" .

ثم يتابع حديثه في تعجب فيقول : "والعجب من الظاهر كيف أحدث هذا الحدث!! وهو يريد أن تكون تصرفاته على مقتضىٰ فتاوى أهل العلم ، وهو يعلم أن شاه رخ ملك الشرق ، كان يبعث بالانكار على الأشرف برسباى لأخذه العشور بساحل جدة"[2].

واحتج النجم على الظلم الشديد الواقع على فئة من التجار عام (٨٥١هـ ١٤٤٧م) فقد يئسوا من بقاء شيء في أيديهم إذا مروا بجدة ؛ فآثروا البقاء بمكة . وعندما علم مشد جدة بذلك أمر نائب البلد بمكة أن يمسكهم ، ويجبرهم بالنزول إلى جدة ، فاعتصم بعضهم بالمسجد الحرام ، وكان لهم مع الباطل موقف تقعشر منه الأبدان ، وتفاعل مؤرخنا مع مايشاهد ، وصور حال التجار تصويراً دقيقاً مؤلماً في أكثر من خمس صفحات ، وانتقد جميع

---

(١) قرية فى الطريق بين مصر والشام . نفس المصدر والجزء ، ص١٤٦ ، هـ(٢) .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١٤٦-١٤٧ .

الجهات الرسمية السياسية والدينية . ومن الفقرات التي سجلها في بيان حالهم بعد أن علموا بأمر القبض عليهم قوله : "فاختفى بعضهم ، وأقام باقيهم بالطواف ، فأقاموا ليلتهم بكمالها إلى الصبح في الطواف ، وهم ملازمون باب الكعبة الشريفة ، والأعوان محيطون بهم من جوانب الحرم ، ولم يجد التجار المذكورون لهم ناصراً من الخلق ، فلاحول ولاقوة الا بالله العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون"(١).

ثم يتابع تصوير وضعهم بعد أن تحققوا من عدم النصرة فيقول أنهم تركوا الخطيب يقترب من المنبر يوم الجمعة "فمسكوه وصاحوا : ياللإسلام ، فارتج المسجد لذلك ... فلما كان العصر رفع التجار المصاحف على رؤوسهم وطافوا بالبيت"(٢).

ثم ذكر اجتماع القضاة بالتجار للنظر في أمرهم ، وانفضاض المجلس بدون حل ، وسخط العامة وتذمرهم مما وصل إليه حال القضاء ، فكرر تعليقه : "فلاحول ولاقوة ، إلا بالله العلى العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون"(٣).

وبمرارة يتابع المجلس الثاني الذي عقد بخصوصهم برئاسة أمير مكة وحضور القضاة ، وقائد القوات المملوكية في الحجاز ، وانتهاء المجلس باسقاط عدالة من شهد مع التجار ، وتسليم التجار لشاد جدة وهم في حالة يرثى لها ، "وعذبوا بأشد أنواع العذاب" ، وللمرة الثالثة ولهول ماوقع يكرر : "فلاحول ولاقوة إلا بالله العظيم"(٤).

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٢٦٦ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٢٦٧-٢٦٨ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٢٦٨-٢٦٩ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٢٧٠-٢٧١ .

والمواقع التي انتقد فيها حال القضاء والقضاة كثيرة منها على سبيل المثال : امتناعهم من الفتوى في قتل مفسدين في مكة رغم فداحة جرمهما(١). ومنها : حفظ التحقيق في قضية اجتماعية جنائية ، ونسب الجاني فيها إلى الجان!!! حتى لايطال التحقيق أحد أعيان التجار(٢)!! . ومنها : أن بعض القضاة كانوا يقدمون الرشاوي لكبار موظفي الدولة المملوكية لتمكينهم من توارث منصب القضاء(٣). وهذا دليل على فساد الأوضاع الإدارية في الدولة المملوكية ، ولعله سبب من أسباب تردي أحوال القضاء فهذا المنصب يجب ألا يعين فيه إلا من هو أهل له علماً وعملاً" .

ومادام الأمر كذلك فلاعجب أن نرى اختلاف الأحكام بخصوص قضايا التعديات على الطريق العام للمسلمين ، فمنهم من يفتي بحرمة ذلك ، ومنه من يفتي بجوازه . ومن القضايا التي عرضها النجم في هذا الشأن : اقتطاع أجزاء من المسعى لعمارة ابن الزمن . فبعد أن توسع في بيان الموضوع وتطوراته قال : "والله يقابل كل واحد على صنيعه ... كانت الطريق تسع قطارين ، والآن لاتسع إلا قطاراً واحداً ، والله تعالى بين المسلمين وبينه"(٤)يقصد صاحب البناء ، الذي أصر على اقامته ، ولم يلتفت لضيق الطريق المؤدية إلى المسجد الحرام .

وقد حرص النجم على بيان رأي الفقهاء في هذا العمل ، وذكر أن سخطهم كان كبيراً ، وأنهم أنكروا ذلك بحضرة كثير من الناس والبناة والعمال ، وقالوا : بأنه خروج في طريق المسلمين . ثم علق بقوله : "وهو والله صحيح ؛ فإنهم خرجوا بالجدار الذي جانب بيت "فلان" حتى سامتوه ،

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص١١٥ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٤٧٩ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٣٧١-٣٧٢ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٥٣٠ .

فإنه كان بعيدًا عنه كثير جدًا ، بل تقدم بنيانهم أيضا الجدار"(١).

ثم استعان بقول أحد المهندسين الذي أكد خروج العمارة عن أصل البناء ، وقال إن شهادته تلك كادت تسقط عدالته بحسب موازينهم ؛ لأن القضاه والمسئولين عن التحقيق في هذا الفعل : "سألوا الفعلة والبناة في الشهادة على القائل ؛ فما تقدم أحد على ذلك ، بل رد اللّه كيدهم في نحرهم" ، ثم علق على تزوير أحد القضاة للحقائق بقوله : "وسيعلمون ماشهدوا به يوم لاينفع مال ولاجاه"(٢).

وانتقد النجم بعض الساسة الذين تولوا حكم العراق في عصره ، ونشروا الرعب في البلاد ، ومنعوا الناس من الحج سنين عديدة ـ وذلك بعد عودة المحمل العراقى عام (٨٣١هـ/١٤٢٧م) بعد انقطاعه ، مبينًا سبب الانقطاع ـ فقال : "حج محمل من العراق ومعه ركب قليل أربعمائة جمل ... والمجهز له حسين بن على ابن السلطان أحمد بن أويس بعد أن انقطع محمل العراق قبل هذه السنة مدة تزيد على عشر سنين ؛ منذ مقتل أحمد بن أويس سلطان بغداد ، وولي بعده الظالم ابن قرا يوسف . وخربت بغداد بعد ابن أويس وتزايد عليها الظلم ، وتفرقوا في البلدان ، وانتقلوا من أوطانهم ؛ واستوطنوا بلدانًا شتى"(٣).

وقد سجل النجم سخطه العميق بسبب غارات بعض الأعراب ، وهجوم الأشراف ـ المنشقين عن طاعة الأمراء ـ على الحجاج والمعتمرين ، وهم في طريقهم إلى مكة أو عودتهم منها ؛ فعاديات الزمان أقل قسوة من بطشهم ، وفي أحد هذه المواطن وبعد أن شرح ماتعرض له الركب قال :

---

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٥٦٣ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٢٣ .

"وبات الركب بأنكد ليلة من شدة الخوف ، والمال يجئ من كل أحد بحسب حاله ، فمنهم من جبي منه مائة دينار ، ومنهم من أخذ منه دينار واحد"(١).

ويقول في موقع آخر : "ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون ، فما عفوا ولاكفوا!! ؛ فيقول المكثر : أنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ؛ وعليها من المال مابين ذهب وفضة وبضائع وأزودة الحاج مالايقدر قدره كثرة وخلص من تفلت من الركب وهم حفاة عراة يريدون اللحاق بالمحمل ، فمات منهم عدة ، ولحق بالمحمل عدة ، وتأخر بالبرية منهم عدة ، ووصل منهم في البر والبحر إلى القاهرة من تأخرت منيته فيما بعد بأسوء حال ، وفقد من الناس ، من الرجال والشباب عدة كثيرة" ثم وجه نقده لأرباب الدولة بعد أن أفقدته هذه الحادثة صبره فقال : "كانت هذه الحادثة من أشنع ماأدركناه ، ولم يمتعض لها أحد لاهمال أهل الدولة الأمور ، وإعراضهم عن عمل الصالح ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم"(٢).

ويوجه النجم نقدًا مبطنًا لبعض المراكب الفخمة لأبناء وزوجات سلاطين المماليك أثناء الحج ، ومبالغتهم في أن تكون محفوفة بمظاهر الفخار ، وكامل الزينة ، في الوقت الذي تعاني مكة المكرمة من شظف العيش ، وشدة الحياة ، ولايحظئ أهل مكة وفقراء الحرم إلا بالقليل من الصدقات ، ويصف تلك الركوب بقوله : "في تجمل زائد عن الحد"(٣).

ويتناول النجم في نقده الموضوعات الاجتماعية : كالاسراف في مظاهر الزواج للقضاة وأبنائهم ، ولعل في نقله لأخبار مظاهر أفراح هؤلاء دون

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٥٧-٥٨ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١١٧-١١٨ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص٥٨٢،٤٥٤،٣٧٢ .

سواهم من فئات المجتمع المكي ، ليس مجرد التسجيل ، وإنما لهدف يرمي إليه وهو : أن القضاه يمثلون أعلى سلطة دينية في البلاد ، وأن تصرفاتهم يجب أن تكون قدوة لغيرهم من العامة والخاصة ؛ وعلى كل فالنجم هنا يلمح ولايصرح ، وتلميحاته أساسية تتعلق بالماديات ، واستخدام المغنين والمغنيات ومايلحق بها من أمور منكره(١).

وتتضح سعة أفق النجم وحصافة رأيه في تناوله لوضع اجتماعي يمس العقيدة ؛ وهو مايعرف عند المكيين بعمرة رجب ، وبين أن الأصل فيها : هو مافعله الصحابى الجليل عبد الله بن الزبير رضي اللّه عنهما ، بعد فراغه من إعادة بناء الكعبة في السابع والعشرين من شهر رجب عام (٦٤هـ/٦٨٤م) ، بعد أن تهدمت وتضعضع بنيانها أثناء هتك حرمتها وضربها بالمنجنيق من قبل جيش يزيد بن معاوية في ربيع الأول من العام نفسه(٢). غير أنه جدت في عصر النجم بدع استوجبت منه التنبيه إليها فقال : "وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة ، في هذا العام يعتمرون في كل سنة من هذه الأكمة(٣)، وتقصد من ينبع فما دونها ولابأس بذلك إذا سلم من البدع التي أحدثوها في هذا الزمان من اجتماع هناك على وجه التنزه ، وخروج النساء متزينات باللباس والحلي واختلاف الأثواب"(٤).

وبتفكير النجم السليم ، وملاحظته الشخصية الدقيقة أدرك العلة التي تكمن في تردي الأوضاع السياسية في الحجاز ، وكان نقده لها يتخلله بعض الحكم والأمثال ؛ فالنزاع على السلطة لم يمكنهم من توحيد صفوفهم في

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٥٢٤،٤٢٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٦١-٦٣ .

(٣) يذكر النجم أنها تقع أمام مسجد عائشة بمقدار غلوه ، وهو على مقربة من المسجد المنسوب لعلى .
(نفس المصدر والجزء ، ص٧٦) .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

الـداخل ، ودفـع بهم في النهـاية إلى نتـائج وخيمة أفقـدتهم هيبتهـم . فعلى سبيـل المثال : نراه يعلق على قبض المماليك على أميري مكـة - على وابراهيم ابنى حسـن بن عجلان - ووضـع الأغلال في أعناقهمـا عـام (٨٤٦هـ/١٤٤٣م) بقـوله : "فتفـرق أصحاب الشـريفين الـذين كانوا صحبتهمـا بمكـة المشـرفة ، وذهبـوا كـل مذهب ، وكان في أيديهـم النجـدة!! لكـن فـرقهم عـدم التئام قلوبهم وضعفها ، ولم ينتطح في مسكهما عنزان ، ولاتحرك لهما اثنان ، فكان ذلك من الحوادث العجيبة ، فسبحان الفعال لما يريد"(١).

والكثرة لهـا ميزانان في تقـويم النجـم للشئون السيـاسية في الحجـاز ، ففـي الوقت الذي ترجح فيه كفتهـا أثناء تطاحن الأشقـاء ، وأبنـاء العمومة على الإمـارة في الداخل ، لايكون لها أي قيمة إذا كـان خصمهم من الخارج ولهذا نراه يعلق على تمكن أشقاء السيد بركات منه ، وهزيمتهم له على الرغم من صموده ومقاتلته لهم . فيقــول : "لكـن الكثرة تغلـب الشجـاعة"(٢). ووصـف الحرب التي قـامت بين الطـرفين بأنهـا عظيمة ؛ في حين لم تجد هـذه الكثرة مـع الممـاليك أثناء قبضهـم على أميرى مكـة ، على الـرغم مـن أنهـم "قـاموا بجمع كبير يفتح بمثلـه القرى والمدن" كما يقول غير انهـم لم يتقدموا للقـاء المماليك بل سلموا لهـم وأذعنوا وقالوا : "نحن ممـاليك السلطـان إن شاء أقمنا ببلاده ، وإن شاء خرجنا منها"!!(٣)

وغـض النجم طرفه عن عمليـات الغزو التي كان يقـوم بهـا أمير مكة على جيرانه من القبائل العربية والتي كانت شبه سنوية ، واكتفـىٰ في معظمها بذكر الغزو ، وتقدير حجم القتلىٰ والغنائم!! ولعل سبب ذلك إلى أن بعضها كان له مايبرره كتأديب بعض القبائل المغيرة على الحجـاج ، ولهذا لم ينتقدها لأن أمـن طـريق الحاج مطلب وواجب لابد مـن توفـره . وإن كـان النجـم

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص١٨٨ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص١٨١ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص١٨٨ .

لايعذر في عدم نقده للغزو الذي يكون قاسياً على مخاليف مكة وعلى القبائل التي تقطع أو تتأخر في دفع الرسوم التي فرضها عليهم أمراء مكة .

غير أن غزو أمير مكة محمد بن بركات لجازان عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ، ومأأظهر من طغيان لالسبب سوى أن حاكمها أكرم أخيه "على" المناهض له جعلت النجم يخرج عن صمته ، ويرسل زفرة عميقة علها تكون عبرة وعظة فقال : "وكانت نازلة شنيعة ؛ عاد وبالها على أهل مكة ، فإنها أقحطت سنين "(١).

وعرض النجم هذا الغزو في صورة حملها مايجيش في صدره من أسىٰ وحسرة ومما جاء في وصفه قوله : "ورمىٰ بعض العسكر نارًا في بيوتهم ؛ وغالبها عشش ... فأرسل الله تعالىٰ ريحاً قوية حملت الشرر إلى داخل البلد فأحرقها ، فلما رأىٰ ذلك عسكر صاحب جازان هربوا من الباب الثاني ، ثم هرب هو وعسكره وخلت البلد منهم ؛ فحينئذ دخلها عسكر الشريف محمد ابن بركات ، ونهبوها جميعا ، وأخربوا الحصن ، ونهبوا جميع مافيه ـ وكان جملة من المتاع والثياب والكتب ـ وأحرق باقي البلد وخرب سورها وجميع مافيها من الدور ، وقتلوا كثيرًا من الرجال والنساء صبرًا ، والولدان ، واستأسروا كثيرًا من النساء والشرفاء وغيرهم ، وحملوهم إلى بلدانهم "(٢).

وكأن النجم بتفصيله لهذا الغزو على تلك الصورة يقول : أما كان يكفي أمير مكة مصاب البلاد من تلك الريح ؛ ليأتي على البقية الباقية من انسانية ناسها!!

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٦١٤ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٦١٣-٦١٤ .

واحتج النجم على موقف اجتماعي إدارى ، ووجه نقده لناظر المسجد الحرام ، ولم يتحرج في اتهامه بالتوفير للسلطان على حساب بعض المكيين الذين كلفوا بالصرف على أمر هو من أخص خصوصيات صاحب السلطة وفقاً لما عهدوه ؛ جاء ذلك عند ذكره لخبر تنظيف العتبة - وهي مخرج السيل الذي يلقي بكل ماتحمله السيول من قاذورات وأتربة وخلافها في المسجد الحرام - فقال : "وأخذت أجرة ذلك من أهل البيت الملاصق للعتبة المذكورة وهذا شيء لم يعهد ، فإنه ماكان يصرف على العتبة المذكورة إلا صاحب مصر ، ففعل ذلك ناظر المسجد الحرام بردبك التاجي توفيراً للسلطان ، فلاحول ولاقوة إلا بالله"(١).

وبمثل هذه الروح التي يغلب عليها الجانب العقائدي والانساني ، وسعة الأفق يناقش النجم معظم قضايا عصره ، ولاشك أنه قد أبدع في نقل الصورة إلينا ببساطة ، وتفاعل مع المشاهدات الحية .

ولم يقتصر النجم على نقد أخبار عصره ، بل وجه كامل اهتمامه ، لبيان درجة الأحاديث التي يرويها عن شيوخه ، والمطالع لكتاب الدر الكمين يلاحظ عنايته الشديدة بعلوم الحديث ، وتضلعه فيها . وحرصه على بيان صحة السند ، استناداً على مقاييس المحدثين ، فيحكم على قوة الحديث وضعفه باستعمال المصطلحات المعروفة : "حديث صحيح متفق عليه"(٢)، "حديث صحيح"(٣)، "حديث حسن"(٤)، "حديث صحيح ، شريف الموقع ، انفرد باخراجه مسلم"(٥).

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٦٤٨-٦٤٩ .

(٢) ق٦أ .

(٣) نفس الورقة .

(٤) ق٥ب .

(٥) ق٣٨أ .

ويأتي ضمن هذا النطاق الإسناد العالي والنازل للحديث ، خاصة أقسام العلو النسبي[١]. حيث اعتنى ببيان طرق الإسناد من حديث العلو والنزول ، ولم نجده يذكر حديثاً دون أن يعلق عليه نحو قوله : "غريب عن قتيبة على الموافقة العالية"[٢]، أو "فوقع استدلاله عالياً بدرجة في الطريق الأول ، وبدرجتين في الثانية ... وهو مسلسل بالدمشقيين إلى شيخنا الأول ؛ وليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا فيما ذكره أبو مسهر راوى الحديث ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه"[٣]، أو "حديث صحيح عجيب ، متسلسل الأئمة الحفاظ ، ورواه الأقران بعضهم عن بعض ، فأحمد والأربعة فوقه كلهم أقران"[٤]، أو "وهذا الحديث ، وحديث وقع لي بعلو هذا ولكن بدون تسلسل"[٥]، أو "فوقع لنا عالياً عن هذا الطريق بخمس درجات ؛ فاعتبار العدد إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأني سمعته من مسلم ؛ وصافحته به"[٦]، أو "فوقع موافقة لمسلم في نسوخه ؛ وبدلاً للآخرين"[٧]، أو "فوقع لنا بدلاً لهما مساوياً"[٨]، أو "فوقع لنا بدلاً عالياً"[٩]، أو "فوقع لنا بدلاً عالياً من الطريقة الثانية"[١٠]، أو "فوقع لنا عالياً بدرجة"[١١]، أو

---

(١) العلو النسبي : "هو القرب بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة ؛ أو غيرها من الكتب المعتمدة . وقد كثر اعتناء المتأخرين به ؛ من الموافقة والابدال والمساواة والمصافحة" .

(انظر محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ، ص١٨١-١٨٣) .

(٢) ق٦٠أ .

(٣) ق٣١أ،ب .

(٤) ق٦٣ب .

(٥) نفس الورقة .

(٦) ق١٤٢أ .

(٧) ق٢٢ب .

(٨) ق١٦ب .

(٩) ق٥ب .

(١٠) ق٦أ .

(١١) ق١٠أ .

"فوقع له موافقة عالية"[١]، أو "فوافقناه بعلو"[٢]...الخ .

أما نقد الرجال فمن الملفت للنظر أن العصر الذي أظل مؤرخنا تميز ببروز روح النقد ، خاصة بين أبناء الصنعة الواحدة ، وليس أدل على ذلك من تلك المؤلفات النقدية التي تبودلت بين أشهر مؤرخي تلك الحقبة كالبقاعي والسخاوي والسيوطي وغيرهم . وقد كانت لهم صولات وجولات في هذا الميدان ، وبعضها على جانب كبير من الجلال والبيان ، وهي تضفي قيمة حقيقية لدراسة التاريخ ؛ وذلك عندما تمتد النظرة من معرفة الخبر إلى دراسة آثاره وماترتب عليه من نتائج .

وعلى أي حال فالمنهج النقدي لمؤرخنا امتاز بجمعه لفضيلتين تشيعان في أحكام العلماء الذين سمت أخلاقهم العليا وهما : البساطة والعمق . وله فوقهما حلاوة وقع أدائه المتواضع النزيه .

ولعل خير مايمثل ذلك تلك الأحكام الموضوعية النزيهة التي يقيم بها أعمال من عاداه من أصحابه ، فهو يحترم العمل المتميز ويثني على فاعله ؛ بغض النظر عما بينهما من عداوة ظاهرة أو مبطنة . فعلى سبيل المثال : رأيناه يثني على البقاعي ، وعلى حسن اخراجه لبعض مؤلفاته عندما ترجم له ومن ذلك قوله : "ونظم السيرة النبوية في سبعمائة بيت من البسيط على روى الراء ؛ على طريقة ماسبق إلى مثلها ، سماها : جواهر البحار في نظم سيرة المختار ، وهي على طريقة المدح لانظم العلم"[١].

ومن الملاحظ أن النجم قد أودع مؤلفاته في التراجم والمعاجم أحكاماً ناضجة على رجال عصره ، وأنها كانت بمثابة الحكم التاريخي عليهم وعلى

---

(١) ق١٢أ .
(٢) ق١٧ب .
(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٦أ ؛ وانظر ص٤٠٦ من هذه الدراسة .

أعمالهم . ومنهجه فى ذلك يقوم فى الأساس على تقرير المبدأ الخلقى الذى يرى أن يتحلى به صاحب الترجمة ؛ أيا كانت مرتبته العلمية أو السياسية أو الوظيفية أو المهنية .

ومن الملاحظ أن أحكام النجم على المترجمين كانت تختلف باختلاف تخصصاتهم وأعمالهم . وكان نقده لكل فئة نابع من مدى تأثيرها ، والمواهب اللامعة فيها ، أو قلة الضبط أو التهاون . وكان على مايبدو موضوعيا دقيقا لم يصانع أحدا على حساب الحقيقة حتى شيوخه .

ومن صور التقييم عنده بيان عدالة المترجم نحو قوله : "وعانى الشهادة وباشرها ... وكتب الوثائق والسجلات ، وكان عارفا بصناعة الشهادة ، فعرفه جيل بها ، وقد اشتهرت عدالته ، وذاعت بين الناس ، وصار عين أهل البلد فى معرفة المكاتيب مشهورا بذلك"(١)، أو "تكسب بالشهادة ، والجلوس لها ، ولم يحمد فى شهادته"(٢)، أو "تكسب بالشهادة ... ولم يكن بالماهر فيها"(٣)، أو "وهو رجل ثقة دين ، يقاتل على حسبه"(٤).

وقد راعىٰ في العلماء براعتهم وتفننهم في علومهم وعكسها نحو قوله "وتفرد في بلاده ، بل في قطره ، وهو عالم مفنن محقق ، دين متجمع ، كامل المروءة"(٥)، أو "وهو إمام علامة ، حسن التقرير ، لم يخلف بعده مثله ؛ علما وذكاء"(٦)، أو "فاق الأقران ، وبرع في عدة فنون" ... وتصدىٰ للإشغال"(٧)، أو "كان فقيهـًا نحويًا مؤرخًا أديبـًا ، أحد أدباء مصر

(١) الدر الكمين ، ق٩أ،ب .
(٢) نفس المصدر ، ق٧٢ب .
(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٧أ .
(٤) نفس المصدر ، ق٤أ .
(٥) نفس المصدر ، ق٢٣٤أ،ب .
(٦) نفس المصدر ، ق١١٠ب .
(٧) الدر الكمين ، ق٥٨أ .

المشهورين"(١)، أو "وحدث وأفاد ، ودرس وأفاد ، ثم أقبل على طلب الدنيا ولو قد استمر على الإشتغال لجاد وساد ، لما عنده من الذكاء والفطنة وسرعة الحفظ ، وجودة التصور"(٢)، أو "كان مشكور السيرة ... ولم يشتهر بعلم"(٣)، أو "اشتغل كثيرًا في عدة علوم ، ولم يكن بالماهر"(٤)، أو "وكان يحب الأمر بالمعروف ، ويشدد في ذلك ؛ مع قصور العلم ، ويتخيل الشيء أحيانًا ، فيلح على كونه لايجوز ، وكان كثير الفتاوى لمجريات يسمعها أو يراها ، واجتمع عنده من الفتاوى من هذا الجنس مالو جلد لجاء في خمس مجلدات"(٥).

وكان ينظر للقضاة من واقع مكانتهم الدينية والعلمية ، ونزاهتهم وشجاعتهم في الحق ، وقوتهم في انكار المنكر أو عكس ذلك . نحو قوله : "كان عفيفا في قضائه عن الرشا ، حافظًا لأموال اليتامي والغياب ، لكنه قليل المداراة للناس ، ويقوم في أغراضه أتم قيام ، ولايرجع إلى رأي عاقل ولامشورة ناصح"(٦)، أو "وحمدت سيرته لكثرة تواضعه ، ورفقه ولينه"(٧)، أو "كان ... فصيح العبارة ، محبًا في العلم ، ماهرًا في الفقه ، كثير المطالعة في كتب الحديث ، يكتب على الفتاوى الكبيرة كتابة مليحة بسرعة ، عفيفًا نزهًا عما يرمي به قضاة السوء ، سليم الباطن ، لايعرف الخبث ولاالمكر ، حسن البشر"(٨)، أو "وحمدت سيرته في قضائه مع غفلة ، وسذاجة ويبس ، وعدم دربه ، وتواضع إلا مع المتكبرين ، وكانت له صحبة في أهل العلم ، ورغبة في مجالستهم ، كثير المعارف في عدة علوم ، رأس في

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٨٢أ .
(٢) نفس المصدر ، ق١٥٩أ .
(٣) نفس المصدر ، ق٢٤٢أ .
(٤) نفس المصدر ، ق١٢٩أ .
(٥) نفس المصدر ، ق٢٨٦أ،ب .
(٦) الدر الكمين ، ق٥٣أ .
(٧) نفس المصدر ، ق٧١أ .
(٨) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٠٠أ،ب .

الفرائض"(١)، أو "ولي قضاء جدة ونيابة مكة .. ولم يكن بالمتصون في قضائه"(٢)، أو "ولي قضاء الحنابلة ... وسار فيه سيرة حسنة ؛ بعفة ونزاهة ، وتواضع وحسن خلق"(٣)، أو "وباشر بعفة ونزاهة ، وتواضع وأمانة ، وكان فقيهًا خيرًا ، لين الجانب متوددًا ، متثبتًا في الدماء"(٤).

وقد يكون نقده للعلماء والقضاة بسبب أمور ينبغي الترفع عنها نحو قوله : "كان عاشقاً للشهرة ، مع اظهار الزهد والورع ، والغض من الأكابر وجرت له محن في التوصل إلى الرياسة"(٥)، أو "ودخل القاهرة وسعى في وظيفة قضاء مكة ببذل ، فأجيب إلى قصده!! ... وكان ... صارمًا في الأحكام قليل العلم"(٦)، أو "أنه شر الأخلاق ، شديد البادرة ، ضيق العطن ، تياهاً كثير النقض لما يبرمه ، قل أن ينفصل عنه طالب حاجة وهو راض ، ومن لم يقل له : قاضي القضاه يغضب منه ، وله مع القضاة وغيرهم وقائع"(٧)، أو "ولم يكن يعاب إلا بما يُرمي من تناول لبن الخشخاش"!!(٨)، أو "وكان مع سعة علمه وصيانته حريصاً على المنصب ، كثير الخوف عليه ، والتخيل ممن يتوهم فيه أن يطلع إليه ، فلايزال يسعىٰ في أذيته ، ويقدم الأراذل والجهلة ويعتذر بأن من نسب إلى العلم يتعاظم بالعلم بخلاف غيره!! وكان كثير المداراة شديد الاحتمال ممن يتخيل أن له اتصالا بالدولة ، شديد الإزدراء لمن لاجاه له!! عجباً من الأمرين ، سامحه الله"(٩).

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٣ب .
(٢) نفس المصدر ، ق١٣٥أ .
(٣) نفس المصدر ، ق١٦٣أ .
(٤) نفس المصدر ، ق٢٤٢ب .
(٥) الدر الكمين ، ق٥٨أ .
(٦) نفس المصدر ، ق٤٥ب-٤٦أ .
(٧) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٠١أ .
(٨) الدر الكمين ، ق٣٦أ .
(٩) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٠٠أ-١٠١أ .

وفي تقويم النجم للأدباء كان ينظر لهم بمنظار الإبداع الأدبي ، ووقع أعمالهم الأدبية نحو قوله : "وتعانىٰ الأدب ، فبرع فيه . وقال الشعر الجيد ، والنثر البديع ، وطارح الشعراء ، وطار صيته ، وصحب الأكابر ، واغتبطوا به ، وكان ذكيًا بارعًا ، متأنقاً في جميع أموره"(١)، أو "ومن العجيب أن له نظمـًا كثيرًا في أبحر مختلفة صحيحة الوزن ، وذكر أنه لم يقرأ شيئا في العروض ، ولم يلم بشيء من النحو قط"(٢)، أو "برع ونظم الشعر الفائق ، فأجاد من غير أن يعرف العروض ، وإذا سئل أن ينظم في أحد بحور الشعر نظم ذلك"(٣)، أو "وبرع فى الأدب ، وقال الشعر الجيد ، ومدح ... ولايعلم أنه هجا أحدًا"(٤)، وقوله : "وتعانى نظم الشعر ، فبرع على عاميته"(٥)، أو "يجيد نظم الشعر ، ويغوص على معانيه ، ولايكاد يخفى عليه من دقائقه إلا اليسير .... وطارح الأدباء ، ونادم الأعيان ، وفيه دعابة ، وعنده مجون وخفة روح تستحسن ولاتستهجن"!!(٦)، أو "وله النظم الفائق ، والنثر الرائق مع كثرة التجنيس ، وحسن الترتيب ، والترصيع في أسلوب حسن"(٧)، أو "وبرع في النظم ، وأتى فيه بما يستطرف ، وخمس البرده تخميسًا غريبًا ، فإنه افتتح بصدر بيت الأصل ، وختم بعجزه ، وجعل كلامه بينهما"(٨).

وإذا كان إبداع الأديب يثير إعجابه فإن الهجاء المخل ، والكذب لايفلتان من إصدار حكمه عليهما كقوله : "وهو : ... يتعانىٰ في الهجاء ، ويتطور في الأمور ، ويتمضغ بالأعراض ، وأظهر فيها من القبائح مالايجمل ذكره ... وكان فيه تناقض : يتماجن مرة ، ويتعاظم أخرى ، وهو شديد

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٤ب-١٥أ .
(٢) نفس المصدر ، ق١٩٨أ .
(٣) نفس المصدر ، ق٢٦٣أ،ب .
(٤) الدر الكمين ، ق١٠٥أ .
(٥) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٨٥أ .
(٦) نفس المصدر ، ق١٥٩أ .
(٧) نفس المصدر ، ق٥٤ب .
(٨) نفس المصدر ، ق٥ب .

الاعجاب بنفسه ، وممن يتقىٰ لسانه ، ويخاف شره ، وقل أن سلم من هجائه أحد ، ولم يكن محمودًا في أقواله ولاأفعاله ، وكان يذاكر بأشياء مضحكة أكثرها موضوع"!!(١). وقوله : "وله وقائع ومصادمات ، وهجو كثير ، حتى أنه هجا الملك المؤيد شيخ ... وكان عجيب الشكالة مضحكاً ، يستحضر كثيرًا من الحديث والنظم والنثر والفوائد"(٢). وقوله : "وله نظم ، أنشدني بعض القصائد لنفسه فظهر أنها لغيره ، فاتهم بالكذب ، وظهر عليه ، مع أنه لم يكن عاجزًا عن النظم ، وله استعداد ، واستحضار لكثير من التاريخ والأدبيات"!!(٣)

ولم يغفل في تقييمه للشعراء الأعمال ذات المستوى المتدني لغةً ووزنًا نحو : "وشعره في الغالب غير متناسب الصدور والأعجاز"(٤)، أو "وربما وقع في شعره اللحن ، والظاهر أنه لايمعن التأمل فيه"(٥)، أو "وتعلق على نظم الشعر ، فنظم منه قليلاً"، وربما وقع فيه الجيد ، غير أنه لحان ، وتعانىٰ الزجل ، فنظم فيه أكثر من الشعر ، وهو أحسن ، وكذا المواليا"(٦).

أما التجار وأصحاب الأموال فكان النجم ينظر إليهم من زاوية الثراء والأملاك ، وأداء حق الله في أموالهم ، وطبيعة معاملاتهم المالية وأخلاقهم ومدىٰ مساهمتهم في إعمار البلاد ، وأعمال البر أو مداهنتهم ، نحو قوله : "وابتنى بمكة دورًا ، وكان عارفًا بأمور دنياه ، متقنـًا في إخراج حق اللّٰه ، ويطيب مايخرجه"(٧)، أو "وفعل بمكة أفعالاً كثيرة من الخير منها : لما دخل السيل المسجد الحرام في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة صار الطين في المسجد قدر

---

(١) الدر الكمين ، ق١١١ب-١١٢أ .
(٢) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٩٧ب .
(٣) نفس المصدر ، ق١٣٥ب .
(٤) نفس المصدر ، ق٥١أ .
(٥) نفس المصدر ، ق١٩٨أ .
(٦) نفس المصدر ، ق١٢٥ب .
(٧) الدر الكمين ، ق٣٥ب .

نصف ذراع في ارتفاعه ؛ فأمر برفع جميع ذلك وبطح جميع المسجد من ماله ـ شكر الله سعيه ـ وفي سنة احدى وأربعين "وثمانمائة" أنشأ سبيلا" بالبستان ... بالأبطح ... وعمر أماكن كثيرة في عين حنين شركة لبعض التجار ...الخ"(١)، أو "وتعانى التجارة فرزق فيها حظاً زائدًا لما انطوى عليه من الإخلاص ، وصحبة الفقراء ... والقيام بهم وبغيرهم بحيث كان بيته مأوى لهم ... ولازال فى ترق من الخيرات والصلات حتى مات"(٢)، أو "وكان ذا مروءة وثروة من نقد وعقار ومسالفة ، أنشأ سبيلا" بداره ... وأوقف الدار عليه"(٣)، أو "وله في طريق مكة ومنى وعرفات والتنعيم آثار حسنة من حياض السبل ... وآبار حسنة حفرها ، وأنشأ حدائق ، وبذل أمواله في سبيل للمعتمرين ... وحوض للبهائم ، وذلك في طريق المعتمرين في سنة ثمان وثمانمائة ، وصهاريج ... ورتب الأباريق والماء للمعتمرين ... وعمر احدى البركتين المعروفتين بالمصانع ، وملئت من عين بازان سنة ثلاث عشرة "وثمانمائة" وبذل أموالا" جزيلة في عمارة عين حنين ، وعين عرفة ، وعين ثقبة مرة بعد أخرى ، وفي إيصال البر إلى أهل الحرمين ، والصدقات عليهم ، وكان مفتاحاً للخير"!!(٤)

وعلى كل فالملاحظ أن النجم قد طبق منهجه النقدى على جميع عناصر الترجمة عندما يرى لذلك ضرورة ، فعلاوة على الجرح والتعديل الرزين ، وجدناه حريصاً على التعليق وتصحيح بعض الأخبار التي تتصل بصاحب الترجمة . ومن أمثلة ذلك : تعليقه على نسب شيخه محمد بن عطاء الرازى الهروى بقوله : "ذكر أن جده محمود ولد الإمام فخر الرازي ، ولم نقف على صحة ذلك ، ولابلغنا من كلام أحد من المؤرخين أنه كان للإمام ولد ذكر . والله أعلم"(٥). وعن نسب شيخه شمس الدين أبى المعالى

---

(١) الدر الكمين ، ق٧٦ب .
(٢) نفس المصدر ، ق٩١ب .
(٣) نفس المصدر ، ق٧٤أ .
(٤) نفس المصدر ، ق٩٩أ .
(٥) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢١٥أ .

الصالحي يقول : "كان يذكر أنه من ذرية الصديق رضي الله عنه ، وأنه من أولاد ابن جملة المقيمين بصالحية دمشق ، ولم يذكر أحد أن ابن جملة من ذرية الصديق . فالله أعلم"(١).

واعتنى بحكم اهتماماته كمحدث بتاريخ الميلاد والوفاة ، لأهمية ذلك في اثبات السماع لمن على سندهم . ولهذا نراه يحرص على تصحيح الأوهام الواقعة في مثل هذه التواريخ كقوله في ترجمة محمد بن أبي بكر الحنفي : "مات في ليلة الثالث عشر من رجب سنة ست وثمانمائة ، هكذا رأيت مكتوباً بخط شيخنا قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء ابن الضياء الحنفي في تاريخ وفاته ؛ وهو سبق قلم أو وهم في قوله ثمانمائة ، ولعل صوابه سبعمائة ؛ لأن أباه حدث في سنة ست عشرة وستمائة بتاريخ الأزرقي ، بسماعه له من المبارك بن الطباخ من لفظه كما هو مذكور في ترجمة والده في كتاب العقد الثمين فلايستقيم تاريخ وفاته فحرر ذلك"(٢).

وفي ترجمة محمد بن عبد الله الديري : نبه إلى اختلاف أقوال المترجم في تحديد تاريخ مولده فقال : "ولد في يوم السبت عاشر المحرم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، كذا أملاه لشيخنا الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي ببيت المقدس سنة خمس عشرة "وثمانمائة" ، ولما قدم مصر ذكر : أن مولده سنة أربع وأربعين "وسبعمائة" وقال مرة سنة ثلاث ، ومرة سنة خمس ، وقال : مايدل على أنه سنة اثنين وأربعين "وسبعمائة" فسأله شيخنا ابن حجر عن سبب اختلافه في ذلك ، فقال : كنت أعتمد أولاً على قول الوالد ، ثم عرفت فساده ؛ لأني أذكر أشياء وقعت في الطاعون العام سنة تسع وأربعين "وسبعمائة"(٣).

---

(١) الدر الكمين ، ق٣٧ب .

(٢) نفس المصدر ، ق١٥ب .

(٣) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٢٠٦ب .

وعن سماعات بعض شيوخه يقول : "سمع من والده غالب الكتب الستة لكن على غير شرط السماع ، لما كان يقع في مجلسه من كثرة البحث المفرط المؤدي إلى اللغط المخل بصحة السماع"(١). أو "ذكر أنه حضر على زنيب بنت الكمال ، وسمع من غيرها ، ولم نقف له على مسموع ولا إجازة"(٢).

وكان النجم شديد العناية ببيان عقيدة المترجم لأهميتها في النقد عند المحدثين نحو قوله : "كان يميل ... إلى ابن عربي"(٣)، أو "واعتنى بتحصيل تصانيف ابن عربي ، والميل إليه ... فصار من أكبر الدعاة له ... وخلف كتباً لم نر فيها شيئا مما جمعه ينتفع به"(٤)، أو "ويرمي كأهله بالتشيع"(٥)، أو "يقال : أن في اعتقاده شيئاً ، ويتهم في دينه . ويقال : أنه يترك الصلاة ، وأنه على دين الأوائل من عدم البعث"(٦).

وصفوة القول : فإن النجم كان متميزاً في نقده ، وأنه استعمل حسه التاريخي ، وملاحظاته الشخصية ، فضلاً عن الأدلة التاريخية في إصدار أحكامه التي كانت على مستوى عال من الدقة والوضوح .

---

(١) معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٠٠أ .

(٢) نفس المصدر ، ق٤٢ب .

(٣) الدر الكمين ، ق١١٣ب-١١٤أ .

ابن عربي : هو محي الدين بن على بن محمد الطائي الأندلسي من كبار أئمة الصوفية ، جاور بمكة مدة ، ألف خلالها كتابه الفلسفي : "الفتوحات المكية" وله غيره من المؤلفات . وغالب علماء أهل السنة والجماعة ينكرون مقالته ويعتقدون ضلاله، ويعدونه مبتدعاً اتحادياً كافراً . توفى بدمشق عام ٦٣٨هـ .

(انظر ترجمته فى الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص١٠٨ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص١٦٠-١٩٩ ؛ ابن طولون : القلائد الجوهرية ، ق٢ ، ص٥٣٧-٥٤١ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٣ ، ص٣٦٥-٣٨٨) .

(٤) الدر الكمين ، ق٤١أ-٤٢ب .

(٥) نفس المصدر ، ق٧٦ب .

(٦) معجم الشيوخ المخطوط ، ق٥٥ب .

أخطاء النجم والمآخذ عليه :

قبل أن نختم دراستنا التحليلية النقدية لمؤرخنا وآثاره التاريخية ؛ يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على بعض مواطن الهنات في كتابته ، والتي لاتحجب ضياء نجمنا مع أهميتها .

فقد تبين بعد تدبر مؤلفات النجم أن المادة التاريخية عن مكة حظيت باهتمام وتقص ملموس من قبله ؛ من ناحية جمع المعلومات من المصادر المختلفة ، أما نوعيتها فهي تجمع بين الغث والسمين . فالملاحظ أنه جمع معظم أو كل الأخبار المتعلقة بمكة ، ووقف من بعضها موقفا غير مألوف منه فلم يصدر أحكامه على بعض الروايات التي وإن توافقت مع ماجاء في المصادر إلا أنها لاتتوافق مع منطق العقل والحق ، ومبدأ البحث والاستقصاء والنقد منها على سبيل المثال : ذكر في أخبار عام ٥٠ - من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم - رواية مفادها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عمه أبي طالب وهو على فراش الموت أن يقول : لاإله الا الله ويموت على الشهادة ، فأجابه عمه : "أما انك لو سألتنى الكلمة ، وأنا صحيح ، لتابعتك على الذي تقول ، ولكني أكره أن أجزع عند الموت فترى قريش أني أخذتها جزعا ورددتها في صحتي!!(١)

وكان الأجدر بالنجم التوقف عند جواب أبي طالب ، وبالذات عند عبارة : أما انك لو سألتني الكلمة ، وأنا صحيح ، لتابعتك على الذي تقول إذ أن هذا القول مردود لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنذر عشيرته ، وصدع بالدعوة إلى الله ، ودعى إلى الله جهرًا أهله وأقاربه وعشيرته الصغير والكبير ، والحر والعبد ، رجالاً ونساءً خاصةً وعامةً وذلك بعد نزول قوله تعالى : {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}(٢)، وقوله عز وجل : {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}(٣)، والروايات التي جاءت في صفة

(١) اتحاف الورى ، ج١ ، ص٣٠١ .
(٢) سورة الحجر : آية ٩٤
(٣) سورة الشعراء : آية ٢١٤

اعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة كثيرة ، منها العام ، ومنها الخاص ، ومنها ماعمم وخصص في رواية واحدة . وقد ذكر النجم جميع الروايات في أخبار السنة الرابعة والأربعين من مولد النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد جاء في أحدها أنه دعى بني عبد المطلب جميعهم وخطب فيهم قائلاً : "الحمد للّه ، أحمده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد ألااله إلا اللّه وحده لاشريك له . ثم قال : إن الرائد لايكذب أهله ، لو كذبت الناس جميعًا ماكذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ماغررتكم ، واللّه الذي لاإله إلا هو اني لرسول اللّه إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، واللّه لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوء ، وإنها الجنة أبداً ، أو النار أبداً وانكم لأول من أنذر . فقال أبو طالب : ماأحب إلينا معاونتك ومرافدتك ، وأقبلنا لنصحك ، وإنما أنا أحدهم ، غير أني واللّه أسرعهم إلى ماتحب ، فامض لما أمرت به ، فواللّه لاأزال أحوطك وأمنعك ، غير أني لاأجد نفسي تطاوعني لفراق دين عبد المطلب حتى أموت على مامات عليه"(١).

وهذه الرواية وغيرها من الروايات التي أوردها النجم نفسه ترد على الجواب المزعوم على لسان أبى طالب . أما سؤال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم له أن يموت على الشهادة فهو من كمال التبليغ ، ومن محبته لعمه ورأفته به ، لعل اللّه أن يهديه ، فالمقصود ليس مجرد النطق بالشهادتين ، بل إيمان الجوارح الضابطة للأقوال والأفعال ، والمحركة لها . وحرى بالنجم وهو المؤرخ المحدث الناقد لمعظم قضايا عصره ، ألا يأخذ بهذه الرواية المختلقة أصلاً - فيما يخص جواب أبى طالب - أو أن يرد عليها بما تستحقه من توضيح وبيان ، خاصة وانها تمس أنصع الفترات التاريخية في حياة المسلم.

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص١٩٩-٢٠٠ .

ومن الروايات التي لم يعمل النجم فيها نظره وفكره : أنه بعد فتح مكة ودخول الرسول صلى الله عليه وسلم للكعبة المشرفة ، ذكر العديد من الروايات عن الصور التي في جوف الكعبة ، والتي أمر عليه الصلاة والسلام بطمسها ؛ وقد جاء في روايتين منها : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : امح جميع الصور إلا ماتحت يدي ، فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه!! وفي رواية أخرى أنه وضع يده على صورة مريم وقال : امح مافيها من الصور إلا صورة مريم!! وختم الخبر بالرواية التي تذكر أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يدخلها فيمحو مافيها من صوره(١).

والغريب أن النجم يذكر جميع ماروي في هذا الموضوع ، ولم يتعرض بالنقد للروايات التي أشارت بأنه أبقىٰ على صورة مريم وابنها عيسى عليه السلام!! وإن كان من عادته الترجيح أو التصحيح ، ولانعلم لم أغفلهما وهو المحدث الحافظ . فمثل هذه الروايات الباطلة يجب أن يتصدىٰ لها المؤرخون ، ولايترك لأصحاب الملل والنحل ثغرة ينفدون منها لتشويه الحقيقة الإسلامية الواضحة .

ومن الحوادث المضطربة التي أوردها : أخبار عبد اللّٰه بن الزبير - رضى اللّٰه عنهما - الذي بويع بالخلافة في مكة ، وفي معظم البلدان الإسلامية - فهو يذكر جميع الأخبار التي تناقلتها المصادر على اختلاف ميولها - وبدون اسناد - ماكان منها صحيحًا ، وماكان ملفقًا ؛ وبعضها يصور ابن الزبير رضي اللّٰه عنه وأرضاه ؛ بالرجل الطامع في الخلافة ، الذي يبايع سرًا ويتظاهر بأنه عائذ بالبيت . وتصوره بالهجاء الذي يقوم من الأيام فيذكر مساويء بني أمية ، ويطنب في ذلك . والذي أبعد الحسين بن على رضي اللّٰه عنهما من الحجاز ليخلو له الجو فيه . كما تصوره بالطاغية الذي حبس

---

(١) نفس المصدر والجزء ، ص٥٠٩-٥١٠ .

العلـويين في زمزم ، وتوعدهم بالقتل والحرق إذا لم يبـايعوه ، وأعد الحطب لذلك!! والذي قتل أخاه وصلبـه وطـرح بجثته في شعـب الجيـف!! ...الخ من الأخبـار التي تصـوره بالـرجل اللجـوج الـذي لايرعـوي ، ويحب سفـك الدماء[(١)]، والتي لايمكـن تصديقها عن ابن الزبير الذي تربى في أحضـان بيت النبوة ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليـل الناصع على حقيقة ابن الزبير ذلك الحوار المنسوب له مع أمه قبل خروجه للقتال وموته . ومما جاء على لسانه قوله : "ماركنت إلى الدنيا ، ولاأحببت الحياة منها ، ومادعاني إلى الخروج إلا الغضب لله تعالى ، أن تستحل حرماته ... إن ابنك لم يتعمد إيثار منكر ولاعملا بفاحشة ، ولم يجر في حكم الله تعـالى ، ولم يغدر أماناً ، ولم يتعمـد ظلم مسلم أو معـاهد ، ولم يبلغني ظلم عـن عمـالي فـرضيت به بل أنكـرته ، ولم يكن شيء آثر عنـدي من رضاء الله ربي . اللهـم لاأقول هذا تزكية لنفسي ، ولكن تعزية لأمي حتى تسلو عني"[(٢)].

وفيمـا يتصـل بأخبار الدولـة الأموية في مكة يلاحظ أنه ينقـل بعـض الأخبار التي تشكك في أخلاقيات المسلم لدى بعض الخلفاء فعلى سبيل المثال : عبـد الملـك بن مـروان يبعـث مهنـدساً نصرانياً لعمـارة المسجـد الحرام[(٣)]. وسليمـان بن عبد الملك يطلـب من عامله في مكة ؛ أن يجرى عينـاً من أحد شعـاب مكـة الى المسجـد الحرام ، ويجعلهـا في فسقيــة مـن رخام بين الصفـا والمروة يضاهي بمائها العذب الزلال ماء زمزم!![(٤)]وتصوير عمالهم في الحجاز بالمارقين الـذين لايبالون أن يبيعـوا دينهم بعرض من الـدنيا ، أو في مقـابل هوى[(٥)]...الخ من الأخبار التي تبالغ في التقليل من شأنهم إسلامياً ، وتؤدي

---

(١) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٤٣-٩٧ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص٩٢-٩٣ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص١٠٩ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص١٢٣ .
(٥) نفس المصدر والجزء ، ص١٠٦،١١٩ .

إلى نعتهم بأقبح الأوصاف ، ومن غير المعقول أن نجحف بحق الخلفاء الأمويين وهم أبناء الصحابة والتابعين ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(١). والشاهد على فضلهم أن الدولة الإسلامية بلغت في عهدهم أوج اتساعها ، ثم أن الكثير من الروايات التي قيلت في الخلفاء الأمويين إنما هي من شناعات الأعداء ، ألصقوها بهم ليمحوا سجلهم الخالد ، ويشوهونه . والله أعلم .

وقد لانكون مبالغين إذا قلنا إن النجم وإن كان في زي أهل السنة والجماعة إلا أنه لم يكن متجردًا من ميوله العلوية في الفترة التي تناولت خلافة ابن الزبير والدولة الأموية . وحتى نكون منصفين نقول : بأنه لم يكن من الشيعة فقد رأينا له نقدًا بناء أو تحليلاً جيداً لأحد المصنفات التي توضح زيغ بعض طوائف الشيعة(٢).

ومن الملاحظ تأرجح احصاءات النجم عن المدة التي بقي فيها الحجر الأسود عند القرامطة بعد أخذهم له عام (٣١٧هـ/٩٢٩م) ؛ فمرة يذكر أن الحجر أقام في الاحساء عشرين عاماً(٣)، وفي موقع آخر يذكر أن مدة كينونته عند القرامطة اثنين وعشرين عاماً إلا أربعة أيام(٤)، والقول الأخير هو الأصح .

ويورد في عام (٧٥٦هـ/١٣٥٥م) خبرين متتاليين : الأول : يفيد الافراج عن بعض الأشراف المسجونين في مصر ؛ واقامتهم بالقاهرة . والثاني يذكر أنهم قدموا مكة فارين من السجن(٥). وإيراد الخبر بهذه الصورة يوقع

---

(١) ابن حنبل : المسند ، ج٢ ، ص٢٢٨ .
(٢) انظر معجم الشيوخ المخطوط ، ق١٥٩أ .
(٣) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٣٧٩ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٣٩٥ .
(٥) اتحاف الورى ، ج٣ ، ص٢٦٧ .

في الوهم إذ قد يتساءل القارىء أي الخبرين هو الصحيح!! إلا إن كانت اقامتهم في القاهرة بعد خروجهم من السجن اقامة جبرية . عندها يكون إيراد الخبر بالصورة إياها لابأس به . وعلى كل فالمصادر المكية الأخرى تفيد بأنهم هربوا من الاعتقال(١).

ومما يلاحظ أن بعض الأخبار الحولية التي أوردها في بعض تراجم الدر الكمين قد يغفل الإشارة إليها في اتحاف الورى مع أهميتها . ومن ذلك مثلا : ذكر في الدر الكمين في ترجمة ربيع بن عبد الله الماردينى المتوفى عام (٦٠٢هـ/١٢٠٨م) أن المذكور أقام رباطاً في مكة عام (٦٠١هـ/١٢٠٧م) ، وسجل المعلومة الخاصة بانشاء هذا الرباط وناظره وشروط وقفه من واقع وثقة قضائه(٢). ومن الغريب أن يهمل النجم في أخبار السنة المذكورة الإشارة إلى الرباط في اتحاف الورى ـ وهو السجل الحولي لأخبار مكة ـ خاصة وأنه قد ألحق به العديد من الإضافات التى لم يذكرها مؤلف الأصل . ويبدو أن ذلك حدث سهوًا نظرًا لضخامة المادة التي جمعها عن تاريخ مكة .

ومن الملاحظ أحياناً عدم تثبت النجم وخلطه فعلى سبيل المثال : ذكر أن الخليفة هارون الرشيد حج في عام (١٨٨هـ/٨٠٣م) ، وإنها آخر حجاته ؛ بل "وآخر حجة حجها خليفة إلى وقتنا هذا"(٣). ثم عاد في عام (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) وقال فيه "حج المأمون بن هارون الرشيد"(٤). ولاشك أن الخبرين ينفي أحدهما الآخر ، وإيرادهما في كتاب واحد يوقع القارىء في الحيرة .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٣٩٧ ؛ العز ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ، ص١٣٤ .

(٢) انظر ق١٠٧ب .

(٣) اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص٢٨٦ .

هـذا وقد أورد محقق الأجزاء الثلاثة الأولى مـن كتـاب إتحاف الورى عددا من المواضع التي لم يتثبـت النجـم في نقـل أخبـارها . ونبـه إليهـا في هوامشه ، وهي في مجملها على جانب من الأهمية(١).

ومن الملفت للانتباه أن النجم لم يتنبه للخطأ الـذي وقع فيه غيره من المؤرخين(٢)، الـذين خلطوا بين الأسـرتين الموسوية والسليمـانية ، وأطلقـوا على عهـد الأولى التي حكمـت مكـة قـرابة القرن من الـزمان (٣٥٧-٤٥٣هـ/ ٩٦٨-١٠٦١م) اسم "الدولة السليمانية" .

فابن خلدون(٣)نسب أمراء مكة الموسويين لفرع حسني هو : محمد بن سليمـان المسمـىٰ بالناهض ، الـذي أعلـن إمامته بمكـة عـام (٣٠١هـ/٩١٣م) . وقال : إنه جد جعفر ـ مؤسس الدولة الحسنية الموسوية في مكـة ـ وإنه ولد سليمان بن داود .

غير أن النسب الذي ذكره ابن خلدون تكتنفه بعض الهنات والأوهام وقد ضعفه مؤرخ مكة الفاسي(٤)، ولم يعتمده في ترجمة جعفر المذكور ، بل اعتمد في ترجمته على ماذكـره ابن حزم(٥)؛ الـذي كان معاصراً لفترة كبيرة من تاريخ الأسرة الموسوية .

---

(١) انظـر على سبيـل المثـال : ج١ ، ص٥٨٠ ؛ ج٢ ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ ج٣ ، ص١١١ .
(٢) انظـر ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢١٢ ؛ القلقشنـدي : صبـح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٦٧ ؛ الفاسي : العقد الثمين ، ج٥ ، ص١٤ ؛ النجم ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ، ص٤٦٧ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالى ، ج٤ ، ص١٩٢ .
(٣) العبر : ج٤ ، ص٢١٢ .
(٤) العقد الثمين : ج٣ ، ص٤٢٩-٤٣٠ .
(٥) الجمهرة : ص٤٧ .

ورغم عدم تأييد الفاسي لابن خلدون في نسبتهم إلى محمد بن سليمان إلا أننا نعجب من تسميته لهم بالسليمانيين . ففي موضع آخر ، وبالتحديد في ترجمة شكر - آخر الأمراء الموسويين في مكة - يقول : "وانقرضت به دولة السليمانيين"(١).

وعندما ذكر النجم وفاة شكر علق بقوله : "وبه انقرضت دولة السليمانية"(٢). وماأظنه بتعليقه هذا إلا ناقلاً ومقلداً لشيخه الفاسي .

والحق أن هذه التسمية استرعت انتباهي ، واستوقفتني ، فمن خلال تتبعي لنسب أمراء هذه الأسرة وتاريخهم ، لم أجد رابطاً أو سبباً يدعو لهذه التسمية ، فمؤسسها كما تذكر كتب الأنساب والمصادر المكية(٣)هو : جعفر ابن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وأمراؤها عيسى ، وأبو الفتوح ابني جعفر ، ثم حفيده شكر بن أبى الفتوح ، وعيسى وشكر لم يعقبا ، وأبو الفتوح لم يكن له من الولد سوى شكر المذكور .

وعلى كل فقد وجدت ضالتي في المراجع الحديثة(٤)؛ التي بينت الخيط الرفيع الذي أدى إلى خلط أولئك المؤرخين ، وأزالت الغموض الذي اكتنف تلك التسمية ، وصححت وأصلت نسب كل من الموسويين والسليمانيين .

---

(١) العقد الثمين : ج٥ ، ص١٤ .

(٢) اتحاف الورى : ج٢ ، ص٤٦٧ .

(٣) انظر ابن حزم : الجمهرة ، ص٤٧ ؛ ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص١٠٧-١٠٨ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٤٢٩-٤٣٠ .

(٤) انظر الزيلعي : الأوضاع السياسية ، ص٢٥-٢٩،٣٧-٤١ ؛ وانظر عن نسب الموسويين الزيلعى : أضواء جديدة على تاريخ الأسرة الموسوية ، ص١٦٩-١٨٩ .

فالأمراء الذين حكموا مكة حوالي القرنين (٣٥٧-٤٥٣هـ/٩٦٨-١٠٦١م) بدءًا من جعفر وانتهاءً بشكر : هم الموسويين ، وينتسبون إلى موسى الثاني ابن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد اللّـه المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب . أما السليمانيون : فهم ينتسبون إلى سليمان بن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد اللّـه المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب . ولم يكن لهؤلاء نصيب من حكم مكة طوال الفترة التي حكمها أبناء عمومتهم الموسويون . وإن كان لهم ظهور على المسرح السياسي فيها ؛ فهو لايتعدىٰ حادثتين بسيطتين . الأولى : عندما أسند الخليفة الفاطمي أمارة مكة لأبى الطيب داود بن عبد الرحمن السليماني عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) وذلك لمواجهة أبى الفتوح الذي شق عصا الطاعة ، وأعلن الخلافة لنفسه ، ولكن أمر السليمانيين لم يلبث أن تلاشىٰ ؛ بعد اعتذار أبى الفتوح ، وعودته لحكم مكة في نفس العام . والثانية : بعد وفاة شكر عام (٤٥٣هـ/١٠٦١م) فقد انتهز السليمانيون فرصة عدم وجود وريث لشكر ، فتوجهوا إلى مكة وحكموها ، ولكن مدة حكمهم لم تطل أيضا ، إذ تم طردهم نهائيًا من مكة على يد بني فليتة الهاشميين . كما أكدت المراجع الحديثة إياها : أن هؤلاء وأولئك لاينتسبون لسليمان بن داود الذي ذكره ابن خلدون .

وصفوة القول : أن روح النقد لدىٰ النجم لم تبرز بشكل واضح عند تناوله الحوادث والأخبار المتعلقة بغير عصره ، فقد رأيناه جامعًا ناقلاً ، وقد نتجاوز فنقول : إنه كان مقلداً أكثر منه ناقدًا . أما فيما يتعلق بقضايا عصره ومجتمعه فالأمر على العكس من ذلك حيث كان ناقدًا مجتهداً لكثير من الأخبار والأمور المستجدة فيه .

ولكن تقديرنا لمكانة النجم العلمية ، وخدمته للتاريخ المكي ؛ لايعفينا عن الافصاح عما يجول بخواطرنا ونحن نتابع تراجمه ؛ حيث تستوقفنا كثيراً عبارات تتعلق بالصوفية ، ولبس الخرقة ، والاعتقاد بكرامات كبار الزهاد ،

وزيارة القبور ، وغيرها من الأمور التى تؤكد شيوع البدع والخرافات حتى بين الخاصة من العلماء ، والنجم واحد منهم(١).

بل اننا نجد النجم أحيانا يذكر بعض الأمور وكأنها مسلمات بينما هى منكر وضلال ، فنحن لانقبل منه وهو المحدث الورع أن يتزلق فى التدليس على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد مماته حتى فى الرؤيا "الأحلام" أو يساعد على انتشار الأفكار التى ينشأ عنها التهاون فى القيام بالتكاليف ، فمثلا يقول فى ترجمة المقرىء زين الدين بن عياش المكى المتوفى عام (٨٥٣هـ/١٤٤٩م) : ورأى بعض أهل الخير من أهل القدس ؛ بالقدس الشريف قريبا من وفاة الشيخ زين الدين بسنتين أو ثلاثة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له : من قرأ على عبد الرحمن بن عياش الفاتحة دخل الجنة ، فسمع الناس هذا المنام فهرعوا لقراءة الفاتحة عليه ؛ فقرأها عليه جمع كبير ، وكنت ممن قرأها عليه ، وكنت آخر من قرأها عليه ، لأنى قرأتها قريب العصر من يوم الاثنين عشرى صفر ، ومات فى صبح يوم الثلاثاء الذى يليه"(٢). ويقول فى ترجمة السلطان محمود زنكى المتوفى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) : "سمعت جماعة من أهل دمشق يقولون ان الدعاء عند قبره مستجاب ؛ ولقد جربت ذلك فصح"(٣).

وعلى أى حال فان قبول هذه الأفكار بين الخواص من أهل العلم أمر يستهجن ، وقيام النجم بتلك الأعمال وعدم انكارها يبرز وجها مظلما من ثقافته . كما ان شيوعها بين العوام يؤدى الى التواكل ، والتهاون فى القيام

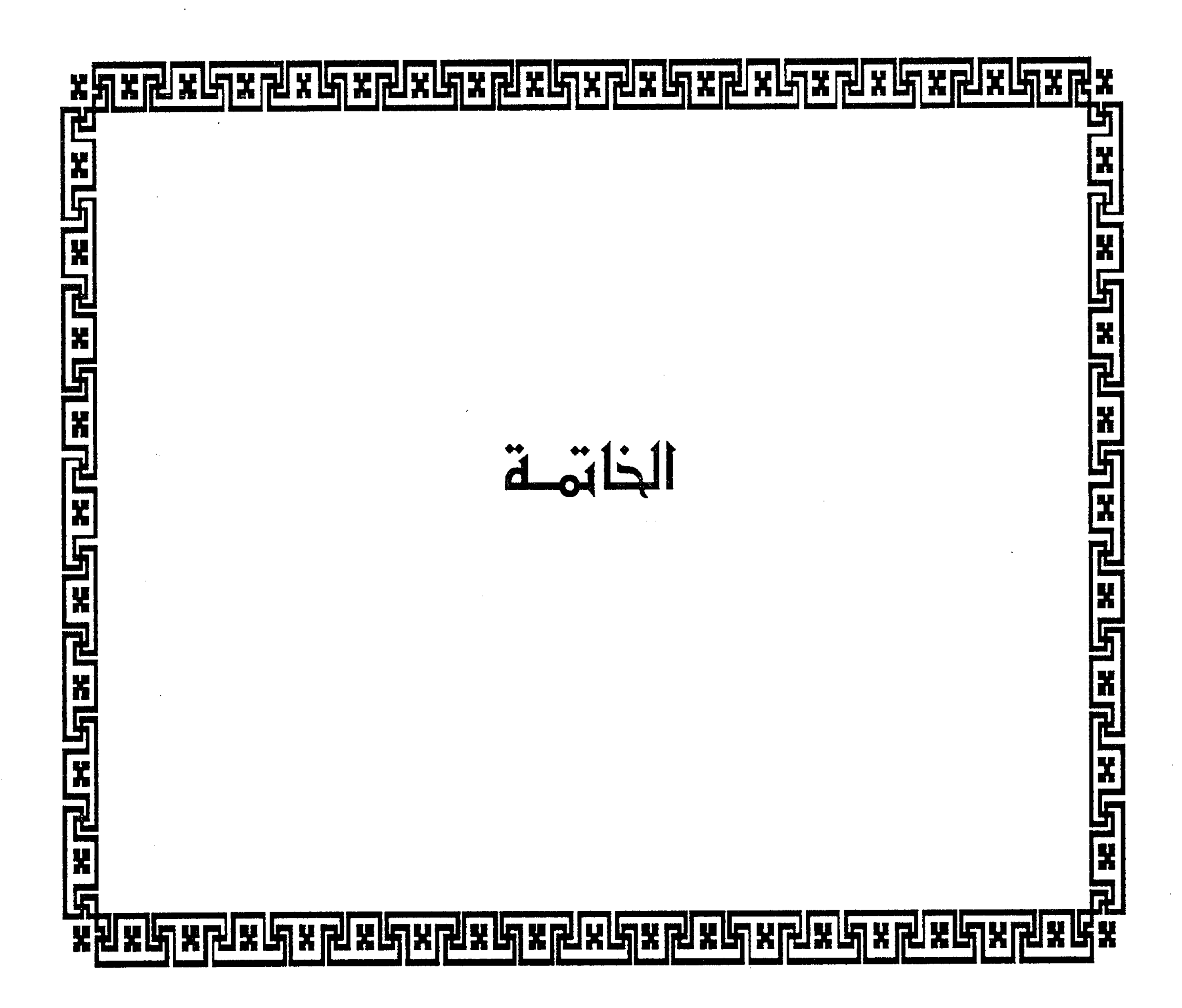
---

(١) انظر على سبيل المثال : الدر الكمين ، ق٣٥ب ، ٤٠ب ، ٤١ب ، ٦١ب ، ٦٣أ ، ٧٠أ ، ٧١ب ، ٧٢أ ، ٧٩أ ، ٩٢ب ، ٩٥ب ، ٩٦ب ، ١٠٦أ،ب ، ١٠٧ب ، ١٢١ب ، ١٣١ب ، ١٣٨أ ، ١٩٥أ،ب .

(٢) الدر الكمين : ق١١٦ب .

(٣) الدر الكمين : ق١٦٦ب .

بالتكاليف ، ويجعلهم يتحملون المشاق فى الوصول الى الشيوخ والقراءة عليهم ، أو الدعاء عند قبورهم ؛ والاكتفاء بذلك لأنه سبيل لدخول الجنة ، أو بلوغ الرغائب ، وهى أمور يجب على العالم المسلم أن يحذر منها ، وأن يسعى جاهدا فى توضيح مخاطرها التى تمس العقيدة ، وتمس عمارة الانسان للأرض واستخلافه فيها .



الخاتمة

بعد الرحلة العلمية الشائقة الشاقة مع النجم ، والتي سبرنا فيها أغوار فكره وحياته ، وغصنا في أعماق آثاره ، أود أن أشير إلى أن هذه الدراسة التي قامت على الاستقراء ، والاستنتاج ، والتحليل ، والملاحظة النقدية ، أبرزت الدور المتميز للنجم في اثراء الحركة العلمية ، والمجال التاريخي على وجه الخصوص ، وأثبتت أن المدرسة التاريخية المكية التي ينتمي إليها تميزت بالمنهجية العلمية الرصينة ، وأنها كانت صنوا لمثيلاتها من المدارس التاريخية الكبرىٰ في كبريات المدن الإسلامية .

وإذا كانت الدراسة قد سلطت الأضواء على مؤرخنا ، والدراسات التي تناولت حياته وآثاره ، وتمخض عنها الكثير من النتائج والملاحظات التي أثبتناها في مظانها ، فإننا في هذه العجالة لانهدف إلى حصر كل الاستنتاجات بل سنكتفي بصياغة أبرزها في منظومة للعقد الجامع لأطراف الدراسة في النقاط التالية :

* ان العصر الذي أظل مؤرخنا مع اضطرابه سياسياً ، حظي بفترات مستقرة نسبياً ، مزدهرة اقتصادياً ، خصبة ثقافياً . وقد لمع في سمائه كوكبة من العلماء الذين أضاءوا الحضارة الفكرية ، وأبدعوا في عدد من الفنون من أبرزها فن التاريخ الذي نضج على أيدي المؤرخين ، وأصبح علماً نقدياً منظراً ، حتى إن بعضهم دعى إلى إعادة كتابة التاريخ .

* إن الباحث في ذلك العصر لابد وأن يخرج بمعادلة صعبة في تقييمه له ففي الوقت الذي تفوق فيه العلماء علمياً ؛ وكثرت مصنفاتهم ، نجد أن الدور المؤثر لهم يكاد يكون ضائعاً ، فالبدع والضلالات منتشرة وغالبة على عقول كثير من الناس حتى بعض الخاصة من العلماء . والفساد الإداري مستشر في أجهزة الدولة المملوكية ، والإمارات التابعة لها . حتى أن التوصل للوظائف الدينية وغيرها لايتم في الغالب إلا برشوة ذوي النفوذ ومصاحبتهم .

* إن مؤرخنا مكي الأصل ، علوي الأعراق ، وقد صححت الدراسة ماوقع في سلسلة نسبه من أوهام وأخطاء ، وردت على المزاعم التي أثيرت حول ذلك النسب .

* تقديم لمحة سريعة تتصف بالشمول النسبي للمبرزين من آل فهد حتى عصر مؤرخنا ، والإشادة بدورهم في الحركة الثقافية ، وبالرعاية الضافية التي لقيها مؤرخنا من والديه لاسيما أبوه تقي الدين ابن فهد ؛ الذي أكبرت فيه فكره وعلمه وأسلوب تربيته لأبنائه.

* استقراء خصائصه الفكرية والأخلاقية ، من خلال ماكتب في آثاره وآثار غيره ، وتعزيز فكرة تفرده بكتابة أغلب فترات عصره .

* توضيح طبيعة الصلات التي تربطه بمجتمعه ، وكبار علماء عصره في مكة وخارجها ومكانته العلمية العالية التي جعلت منه صنواً لشيوخه ، وكيف كان مفيداً في زي مستفيد طوال رحلته العلمية ، حتى في مرحلة الطلب .

* تأصيل فهمنا لحياة النجم بالتعرف على عالمه الخاص زواجه والأسر التي ناسبها والأبناء الذين رزق بهم ، واعتنائه الشديد بتربية وتعليم من عاش منهم ، وأثره على تكوين شخصياتهم وأفكارهم .

* اثبات الدور الرائد للعز ابن فهد في تتبع مؤلفات والده ، واستكمال نواقصها ، والمنهجية العلمية البالغة الدقة والأمانة التي اتبعها في ذلك .

* إبراز الدور الريادي لمكتبة آل فهد في الحركة ، وذيوع صيتها ، واستفادة العلماء من كنوزها .

* استشعار الذهنية الموسوعية للنجم من خلال تقييداته الكيسة على الأسفار النفيسة للعلماء الذين ترجم لهم ، وتقديمه لخلاصة أفكارهم ، ففضلاً عن معرفتنا السابقة له كمحدث حافظ ، ومؤرخ بارع ، تأكد لنا أنه ذواق للأدب ، مساهم في تأريخ الحركة الأدبية في عصره ، علاوة على كونه مطالع جيد للمؤلفات الطبية ومجاز فيها .

* كشف النقاب عن ثبت طويل يضم أكثر من ستين مصنفاً كتبها النجم ، احدى وعشرون كتاباً منها لم يسبق أن أشار إليها أحد من الباحثين القدماء أو المحدثين . وتصنيفها بحسب موضوعاتها ، والتعريف بمنهجه في المؤلفات المطبوعة أو المخطوطة التي اطلعت عليها ، واماطة اللثام عن المؤلفات التي نسبت له .

* أن مؤلفات النجم التاريخية تميزت باتباعه طريقتين أساسيتين مفضلتين لدىٰ مؤرخي عصره ، وهما : النسيج الحولي ، والتراجم ذات التسلسل المعجمي ، وبينت الدراسة أنه كان حامل لواء علم الرجال ، وفارس الفهرسة المجدد لمؤلفات من سبقه .

* استجلاء منهج النجم في الكتابة التاريخية من خلال مباحث موسعة لكتابي إتحاف الورىٰ (المطبوع) ومعجم الشيوخ (المخطوط) ؛ عرضنا فيهما بشكل مفصل دقيق لمنهجه من حيث التنظيم ، وأساليب العرض ، والتوازن ، ونوعية المادة وعناصرها .

* الدراسة المفصلة لمؤلفات النجم أكدت اجتياز فكره لمرحلة الركود التي يوصم بها عصره ، إلى مرحلة الإنطلاق السريع والنضج في تناول قضايا العصر ، وسعة الأفق ، والقدرة على النقد ، والوعي برسالة المؤرخ ، فقد كان لقلمه وقع وصدى وتأثير في مجريات الأحداث ، غير أن فكره في بعض مواطن لم يستطع الإنفلات من روح عصره الذي غلب عليه التصوف .

* أبرزت الدراسة من خلال تناول منهج النجم أن كتابته امتازت بالشمول ، وأن السمة الظاهرة على مؤلفاته : هي تسجيل الواقع السياسي والفكري غير أن المتمعن فيها يجد كما هائلا" من المعلومات الاقتصادية والحضارية والاجتماعية . وقد تناولها جميعا بوعي ونفاذ بصيرة .

* تصويب عنوان المعجم المطبوع ، وكذلك عنوان المعجم المخطوط ؛ من واقع الدراسة المتأنية الدقيقة لهما ، وإيراد الشواهد على ذلك .

* اتساع نطاق موارد النجم وتنوعها من جهة ، واتجاهه إلى المشاهدة الحسية والأخذ المباشر من جهة أخرىٰ ، واهتمامه البالغ في اثبات مظان أخباره ونقوله ؛ بيد أن أسلوبه في عرض بعض تلك المظان ينقصه الدقة والوضوح .

* وضعت الدراسة موضوعية النجم في الميزان ، وبينت أنه جمع في تاريخ مكة الأخبار الغثة والسمينة ، وأنه لم يتعرض لنقد أو تصويب بعض الروايات المكذوبة ، أو التي فيها خلط ، فآثر نقلها كما هي دون تمحيص أو تعليق!!

* تقديم دراسة نقدية للدراسات السابقة لمناهج التحقيق في مؤلفاته المطبوعة ، للإحاطة ، ورغبةً في تتميم الفائدة المتوخاه من هذه الدراسة .

وحسبي وقد شارفت نهاية المطاف في الرحلة العلمية مع النجم أنى أودعت سلسلة فصول هذه الرسالة أفكاراً ونتائج آمل أن تكون ناضجة ، وأن أكون قد أحطت به وبآثاره ؛ احاطة السوار بالمعصم .

والحمد لله رب العالمين .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

سورة النور : آية ٣٥ .



قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة :

باخرمة : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت٩٤٧هـ)

* قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٦٧ تاريخ .

أبو البقاء القرشي : ابن الضياء محمد بن أحمد (ت٨٥٤هـ)

* تاريخ مكة المشرفة ، والمسجد الحرام والمدينة الشريفة ، والقبر الشريف ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ١٢٨ تاريخ .

ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ)

* المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠٩ تاريخ تيمور .

تقي الدين ابن فهد : أبو الفضل محمد بن محمد (ت٨٧١هـ)

* بغية الطالب الفالح في مشيخة قاضي طابه أبي الفتح بن صالح ، مكتبة الاسكندرية ، رقم ١٨٠٥د .

جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت٩٥٤هـ)

* نيل المنى بذيل بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى ، مخطوط شهيدى على تركيا ، رقم ١٩٦١ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت٥٩٧هـ)

* مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ، مخطوط مصور بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، رقم ٢٢٤٩ .

الخزرجي : أبو الحسن على بن الحسن (ت٨١٢هـ)
* العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية ، ١٢٦٥ب .

زروق : أحمد
* قواعد زروق ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ، رقم ١٣٨٠ .

السنجاري : على بن تاج الدين بن تقى الدين المكى (ت١١٢٥هـ)
* منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم (٣ أجزاء) مخطوط بجامعة أم القرى ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامي رقم ٣٠ تاريخ .

الشلي : محمد بن أبى بكر بن أحمد (ت١٠٩٣هـ)
* السنا الباهر بتكميل النور السافر ، مخطوط بدار الكتب العربية رقم ٧٢٣ تاريخ .

الشماع : زين الدين عمر بن أحمد بن على الحلبى (ت٩٣٦هـ)
* سفينة نوح ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٤٠ تاريخ .

الطبري : محمد بن على بن فضل بن عبد الله بن محمد (ت١١٧٣هـ)
* إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، مخطوط مصور على ميكروفيلم ، بمعهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٨٧٠ تاريخ .

ابن طولون : شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت٩٥٣هـ)
* الأربعون المسلسلات ، مخطوط مصور في المكتبة التيمورية رقم ٥٤٢ حديث .

عبد القادر الطبري : (ت ١٠٣٣هـ)
* انباء البرية بالأنباء الطبرية ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ١٦ دهلوي .

العز ابن فهد : عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت ٩٢٢هـ)
* بلوغ القرىٰ بذيل إتحاف الورىٰ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم ٣٢٤٢ .

العيني : بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ)
* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ . عن نسخة الاستانة .

الفاسي : تقي الدين بن الطيب محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ)
* تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمكتبة رواق الأتراك ، الأزهر رقم ١٤٧١ تاريخ .
* تحفة الكرام ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٨١٣ح ، مصور عن نسخة الدار رقم ١٦٤٦ تاريخ .

محي الدين الطبري : على بن عبد القادر (ت ١٠٧٠هـ)
* الأرج المسكي في التاريخ المكي ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ٣٤ تاريخ .

النخلي : أحمد بن محمد المكى (ت ١١٣٠هـ)
* بغية الطالبين لبيان المشائخ المعتمدين ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد إحياء المخطوطات العربية ، رقم ٤٥٤ تاريخ عن المكتبة التيمورية .

النجم ابن فهد : عمر بن محمد بن محمد (ت٨٨٥هـ)
* بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام ، مخطوط بمكتبة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة رقم ١٠٩٠ تاريخ .
* تراجم لمشايخ شيختنا سارة بنت العز بن جماعة ، مخطوط بمكتبة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مصور عن معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٢٢ عن مكتبة دار الخطيب بالقدس .
* الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوط بمكتبة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مصور عن معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٣٠٣٢ عن مكتبة رضا رامبو .
* الفتح الرباني لجميع مرويات الشيخ العثماني ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، رقم ٣٧٠ رجال .
* معجم الشيوخ بالسماع والإجازة ، مخطوط بمكتبة خدا بخش بالهند رقم ٢٤٢٩ تاريخ .

المصادر :

ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد (ت٦٣٠هـ)
* الكامل في التاريخ (٩ أجزاء) مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن أبى أصيبعة : أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ)
* عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م.

ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ)
* بدايع الزهور في وقائع الدهور (٥ أجزاء) تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٣٩٥-١٣٨٣هـ/١٩٧٥-١٩٦٣م .

باخرمة : أبو محمد عبد الله الطيب (ت ٩٤٧هـ)
* تاريخ ثغر عدن ، ليدن ١٩٣٦م .

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ)
* رحلة ابن بطوطة المسماه (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

التجيبي السبتي : القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ)
* مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور وآخرون ، تونس ١٣٩٥هـ .

الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)
* سنن الترمذي وهو (الجامع الصحيح) (٥ أجزاء) حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)
* حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (٤ أجزاء في مجلدين) كاليفورنيا ١٩٣٢م .
* الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم شلتوت ، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٩٨٣م .
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٢ جزء) ، القاهرة ١٩٢٩ ١٩٧٢م .

تقي الدين ابن فهد : أبو الفضل محمد بن محمد (ت ٨٧١هـ)
* لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي ، مطبوع مع ذيول تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، د.ت.ن .

جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت٩٥٤هـ)
* تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقحاء ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطائف ، د.ت.ن.

ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ)
* رحلة ابن جبير ، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

الجزري : شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)
* غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره ج.براجستراسر ، بيروت دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت٩٢٦هـ)
* درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت٥٩٧هـ)
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن .

ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن على (ت٨٥٢هـ)
* انباء الغمر بأبناء العمر (جزءآن) تحقيق وتعليق حسن الحبشي ، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
* تقريب التهذيب (جزءآن) حققه وعلق على حواشيه وقدم له عبدالوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

* تهذيب التهذيب (١٢ جزء) دار المعارف النظامية ، حيدر اباد الهند ١٣٢٥هـ .
* الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١٤ جزء) بيروت .
* لسان الميزان (٧ أجزاء) الطبعة الثانية من مطبوعات مؤسسة الأعلمى ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد (ت٤٥٦هـ)
* جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ)
* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال (٦ أجزاء) دار صادر ، بيروت .

الخزرجى : أبو الحسن على بن الحسن (ت٨١٢هـ)
* العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (جزءان) تحقيق محمد بسيوني عسل ، القاهرة ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

الخطيب البغدادي : أحمد بن على بن ثابت (ت٤٦٣هـ)
* الكفاية في علم الرواية ، المكتبة العلمية .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)
* تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .
* المقدمة ، القاهرة ١٣٢٢هـ .

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ)
* وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان (٨ مجلدات) ، حققه احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.ن.

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى (ت٨٠٩هـ)
* الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، مراجعة أحمد السيد دراج ، من مطبوعات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

ابن الديبع : عبد الرحمن بن على (ت٩٤٤هـ)
* قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، (قسمان) حققه وعلق عليه محمد ابن على الأكوع الحوالى ، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)
* تذكرة الحفاظ (٤ أجزاء) دار احياء التراث العربي ، بيروت .
* ميزان الاعتدال
* سير أعلام النبلاء (٣٢ جزء) تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٠هـ .

ابن رجب : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ)
* الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت.

الرشيدى : أحمد (ت١١٧٨هـ)
* حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امرة الحاج ، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن على (ت٧٧١هـ)
* معيد النعم ومبيد النقم ، القاهرة ١٩٤٨م .

السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)
* الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
* بغية العلماء والرواه أو الذيل على رفع الاصر ، تحقيق جودة هلال وآخرون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
* التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية .
* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عنى بطبعه ونشره أسعد طرابزونى الحسيني ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
* فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

ابن سعد : أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ)
* الطبقات الكبرىٰ (٩ مجلدات) دار صادر ، بيروت ، د.ت.ن .

السكسكي : عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي (ت بعد ٩٠٤هـ)
* طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهى ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدورات والبحوث اليمنى ، صنعاء . د.ت.ن .

السمهودي : على بن أحمد (ت٩١١هـ)
* خلاصة الوفاء ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ .
* وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٣ أجزاء) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٤م .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١هـ)
* بغية الوعاة فى طبقات النحويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٤هـ .
* تدريب الراوي ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٥م .
* حسن المحاضرة في أخبار مصروالقاهرة (جزءان) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٨م .
* ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ، مطبوع مع ذيول لتذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
* نظم العقيان في أعيان الأعيان ، حرره فيليب حتى ، طبعة المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك ١٩٢٧م .

ابن شاكر : محمد بن أحمد (ت٧٦٤هـ)
* فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

أبو شامة : أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ)
* تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروايتين (الطبعة الثانية) تعريف وتصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤م .

ابن شاهين : غرس الدين خليل الظاهرى (ت٨٧٣هـ)
* زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بال رافين ، باريس ١٨٩١م .

الشجاعي : شمس الدين (ت٧٤٥هـ)
* تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده ، حققه وترجمه الى الألمانية بربارة شيفز ، فيسبادن ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

الشوكاني : محمد بن على (ت١٢٥٠هـ)
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (جزءان) دار المعرفة ، بيروت .

الصفدي : صلاح الدين خليل (ت٧٦٤هـ)
* الوافي بالوفيات ، فسبادن ١٣٩٤هـ/١٩٤٧م .

ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٢هـ)
* مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)
* تاريخ الأمم والملوك (١٢ جزء) ، دار القلم ، بيروت .

ابن طولون : شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ)
* رسائل تاريخية ، مكتبة القدس ، دمشق ١٣٤٨هـ .
* قضاة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٦م .
* القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (قسمان) تحقيق أحمد دهمان ، الطبعة الثانية ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
* مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (قسمان) تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٣٨١-١٣٨٤هـ/١٩٦٢-١٩٦٤م .

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله النمرى (ت٤٦٣هـ)
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الطبعة التي بهامش كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، دار السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ .

العراقي : زين الدين عبد الرحمن بن الحسين (ت٨٠٦هـ)
* التقييد والإيضاح (شرح مقدمة ابن الصلاح) حققه عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

العز ابن فهد : عبد العزيز بن عمر بن فهد (ت٩٢٢هـ)
* غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم شلتوت ، مطبوعات معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت١١١١هـ)
* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالى (٤ أجزاء) ، المطبعة السلفية .

ابن عطية : أبو محمد عبد الحق (ت حوالى ٥٤١هـ)
* فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد أبو الأجفان وآخرون ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن العماد الحنبلي : عبد الحى أحمد (ت١٠٨٩هـ)
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨ أجزاء) الطبعة الثانية ، دار السيرة ١٣٩٩هـ .

ابن عنبه : أحمد بن علي (ت٨٢٨هـ)
* عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، مطبوع ضمن الرسائل الكمالية رقم ٨ في الأنساب ، مكتبة دار المعارف ، الطائف .

العيدروس : محي الدين عبد القادر بن عبد الله (ت١٠٣٨هـ)
* النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، بغداد ، المكتبة العربية ١٩٣٤م .

الغزي : محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ)
* الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٩م .

الفاسي : تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ)
* ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، الجزء الأول ، تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد ، من مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (جزءان) حققه لجنة من كبار العلماء والأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.ن .
* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين :
الجزء الأول : تحقيق محمد حامد الفقي وابنه محمد الطيب ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .
الجزء الثاني إلى السابع : تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٨١-١٣٨٧هـ/١٩٦٢-١٩٦٧م .
الجزء الثامن : تحقيق محمود الطناحي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم بن على (ت٨٠٧هـ)
* تاريخ الدول والملوك ، تحقيق قسطنطين زريق وآخرون ، بيروت ١٩٣٦-١٩٤٨م .

الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)
* القاموس المحيط ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

القلصادي : أبو الحسن على القلصادي (ت٨٩١هـ)
* رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٨م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ)
* صبح الأعشىٰ في صناعة الانشاء (١٤ جزء) القاهرة ١٩١٣-١٩١٩م .

ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)
* البداية والنهاية (١٤ جزء) دار الفكر العربى .

المجاري : أبو عبد الله محمد (ت٨٦٢هـ)
* برنامج المجاري ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٢م .

محب الدين الطبري : أبي العباس أحمد (ت٦٩٤هـ)
* القِرىٰ لقاصد أم القرىٰ ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٢ ، مصر ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

المحبى : محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ)
* خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ، دار صادر ، بيروت .

مسلم : أبو الحسين بن الحجاج (ت٢٦١هـ)
* الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، (٨ أجزاء) ، بيروت .

المقري : أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ)
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

المقريزي : تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ)
* السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول والثانى (٦ أقسام) تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٥٧-١٩٧٢م .
الجزء الثالث والرابع : تحقيق سعد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣م .

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)
* لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سلسلة تراثنا .

مؤلف مجهول :
* حوليات دمشقية ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٨م .

النجم ابن فهد : عمر بن محمد بن عمر (ت٨٨٥هـ)
* إتحاف الورىٰ بأخبار أم القرىٰ :

الجزء الأول إلى الثالث : تحقيق فهيم شلتوت ، من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ/١٩٨٣-١٩٨٤م .

الجزء الرابع : تحقيق عبد الكريم على باز ، من مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ ، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* معجم الشيوخ ، تحقيق محمد الزاهي ، مراجعة العلامة حمد الجاسر دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ١٩٨١م .

ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت٣٨٥هـ)

* الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت٤٣٠هـ)

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٨٧هـ .

النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ)

* الأعلام باعلام بيت الله الحرام ، مكتبة خياط ، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

الوادي آشي : شمس الدين محمد بن جابر (ت٧٤٩هـ)

* برنامج ابن جابر الوادى آشى ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيله من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، طبع بتونس ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

ابن الوردي : عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ)
* تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
* أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت .

ياقوت الحموي : شهاب الدين ابن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)
* معجم الأدباء ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
* معجم البلدان ، دار احياء التراث ، بيروت .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥هـ)
* غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (قسمان) تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

المراجع :

آدى شير :
* معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت .

ابراهيم بن حمود المشيقح :
* تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد ، مطابع المنار بالقصيم ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

ابراهيم رفعت باشا :
* مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (جزءان) .

أحمد بن عمر الزيلعي :
* الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
* مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١هـ/٤٨٧م) ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* نقوش إسلامية من حمدانه بوادي عليب ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

أحمد محمد نور سيف :
* عناية المحدثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات ، دار المأمون ، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

اسماعيل بن محمد البغدادي :
* ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .
* هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

بانيكار (ك.م) :
* آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة أحمد خاكى .

بروكلمان :
* تاريخ الأدب العربى ، ترجمة السيد يعقوب بلر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧م .
* تاريخ الأدب العربى بالألمانية .

بشار عواد معروف :
* الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٦م .
* المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة ، النجف ١٩٦٨م .

بكرى شيخ أمين :
* مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، دار الشروق ، بيروت ١٣٩٢هـ .

جورج فاضلو حورانى :
* العرب والملاحة في المحيط الهندى في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطىٰ ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة .

حكيم أمين عبد السيد :
* قيام دولة المماليك ، القاهرة ١٩٦٦م .

حمد الجاسر :
* جمهرة القبائل والأسر المتحضرة في نجد ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ق١ ، اليمامة ، الرياض ، د.ت.ن .

خير الدين الزركلي :
* الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

روزنتال (فرانز) :
* مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمى ، ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة وليد عرفات ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦١م .

سعيد عبد الفتاح عاشور :
* العصر المماليكى في مصر والشام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٦م.

سونيا هاو :
* في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رفعت ، مراجعة محمود النحاس ، القاهرة ١٩٥٧م .

شاكر مصطفى :
* التاريخ العربي والمؤرخون ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م .

عاتق بن غيث البلادى :
* معجم قبائل الحجاز ، دار مكة ، مكة .

عبد الرحمن عبد الله الشيخ :
* المدخل إلى علم التاريخ ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى :
* فهرس الفهارس والإثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات اعتناء احسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

على بن حسين السليمان :
* العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
* النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في أواخر العصور الوسطى (١٢٥٠هـ/١٥١٧م) القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

عمر رضا كحالة :
* معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .
* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ٥ أجزاء ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

فؤاد سيد :
* فهرس المخطوطات المصورة ، معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٥٩م .
* فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكى .

ماير (ل.أ) :
* الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، القاهرة ١٩٥٢م .

محمد بن جعفر الكتانى :
* الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ .

محمد الحبيب الهيله :
* التاريخ والمؤرخون ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامى ، فرع موسوعة مكة المكرمة ١٩٩٤م .

محمد ضياء الدين الريس

* الخراج والنظم المالية الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٧م .

محمد عبد العال أحمد :

* بنو رسول وبنو طاهر ، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٠م .

محمد بن عمر الفاخري :

* الأخبار النجدية ، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الله بن يوسف الشبل ، من مطبوعات لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية .

محمد فؤاد عبد الباقى :

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ١٩٣٩م .

محمد لبيب البتنوني :

* الرحلة الحجازية ، القاهرة ١٣٢٧-١٣٢٩هـ .

محمود أمين صالح :

* محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ١٩٨١م .

محمود شاكر :

* التاريخ الإسلامي ، المكتب الاسلامى .

محمود الطحان :

* تيسير مصطلح الحديث ، المركز الإسلامي ، الإسكندرية .

الدوريات والرسائل الجامعية :

ابراهيم بن حمود المشيقح :
* جار الله بن فهد المكي مؤرخا (٨٩١-٩٥٤هـ) رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ والحضارة ، كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ .

ابراهيم عبد اللطيف :
* "وثائق الوقف على الأماكن المقدسة" ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

أحمد دراج :
* "ايضاحات جديدة على التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري" ، العدد الخاص بالمحاضرات العامة للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الموسم الثقافى ١٩٦٧-١٩٦٨م .

أحمد بن عمر الزيلعي :
* "أضواء جديدة على تاريخ الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين" العصور ، مج٦ ، ج١ ، دار المريخ ، لندن ، جمادى الثانى ١٤١١هـ/يناير ١٩٩١م .
* "مسكوكات ذهبية جنابية ضرب بلاد الشام (٣٦١-٣٦٧هـ/٩٧١-٩٧٨م) ، محفوظة بمؤسسة النقد العربي السعودي بالرياض" بلاد الشام في العصر العباسى ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، عمان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

توفيق بن عامر :
* "أحكام الرق في التشريع الإسلامي" ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد السابع عشر ، بغداد ١٩٨١م .

حسنين محمد ربيع :
* "وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانىء الحجاز واليمن في العصور الوسطى" ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

حمد الجاسر :
* "حسن القرى في ذكر أودية أم القرى" ، مجلة العرب تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ح١،٢ ، س١٨ - رجب وشعبان ١٤٠٣هـ - نيسان آيار (ابريل - مايو) ١٩٨٣م .
* مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم ، مجلة العرب تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ح٧،٨ ، س١٨ محرم ، وصفر ١٤٠٤هـ - تشرين ١،٢ (أكتوبر ، نوفمبر) ١٩٨٣م .

سعاد بنت ابراهيم بن محمد الحسن :
* النشاط التجارى فى مكة المكرمة فى العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ .

شاكر محمود عبد المنعم :
* "دراسة فى روائع المعاجم" ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد (٤٠) السنة الرابعة عشرة ، بغداد ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

صالح يوسف معتوق :
* علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ/١٩٢٣م) رسالة دكتوراه ، فرع الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ .

صبحى لبيب :
* "التجارة الكارمية ، وتجارة مصر في العصور الوسطى" ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الثامن ١٩٥٢م .

صلاح حسين العبيدي :
* "أثر العمارة العراقية في العمارة المصرية فى العصر العباسى" ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد (٤٠) السنة الرابعة عشرة ، بغداد ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

عبد الجبار ناجى :
* "تتبع تاريخى لمحاولة ابن خلدون في اعادة كتابة التاريخ العربى" ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن والعشرون ، بغداد ١٩٨٢م .

عبد العزيز الأهواني :
"كتب براج العلماء في الأندلس" ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ج١ ، مايو ١٩٥٥م/رمضان ١٣٧٥هـ .

عبد الله بن ناصر بن عبد الله الشقاوي :
* السخاوي مؤرخاً (٨٣١-٩٠٢هـ) رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ والحضارة ، كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦-١٤٠٧هـ .

عبد اللطيف ناصر الحميدان :
* التـاريخ السيـاسي لامـارة الجبـور في نجد وشـرق الجزيرة العـربية (٨٢٠/١٤١٧-٩٣١/١٥٢٥) مجلـة كلية الآداب ، جامعـة البصرة ، العدد ١٦ لسنة ١٩٨٠م .

عبد الكريم على باز :
* "ناظـر الحرم في العصر المملوكي" ، مجلة جامعـة أم القرى للبحوث العلمية ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، عام ١٤١١هـ .

عبد الوهاب دهلوي :
* مجلة المنهل ، الجزء ٧ ، سنة ١٩٤٧م .

فهد بن عبد العزيز الدامغ :
* تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوين التاريخي ، رسالة دكتوراه ، قسـم التاريخ والحضارة ، كليـة العلوم الاجتماعية بجامعـة الامام محمد ابن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ناصر بن سعد الرشيد :
* "بنو فهد : مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد : اتحاف الـورىٰ بأخبـار أم القـرىٰ" ، مصـادر تاريخ الجزيرة العـربية ، جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

نجاح القابسي :
* المعـاهد والمؤسسـات التعليميـة في العـالم الإسلامــي ، مجلـة المؤرخ العربي ، العدد التاسع عشر ، بغداد ١٩٨١م .

قائمة المراجع الأجنبية :

(1) De Gaury : Rulers of Makka, London, 1951 .

(2) Dozy, R : Supplement aux dictionnaire detaille des noms de vetement chezles Arabs, Paris, 1845.

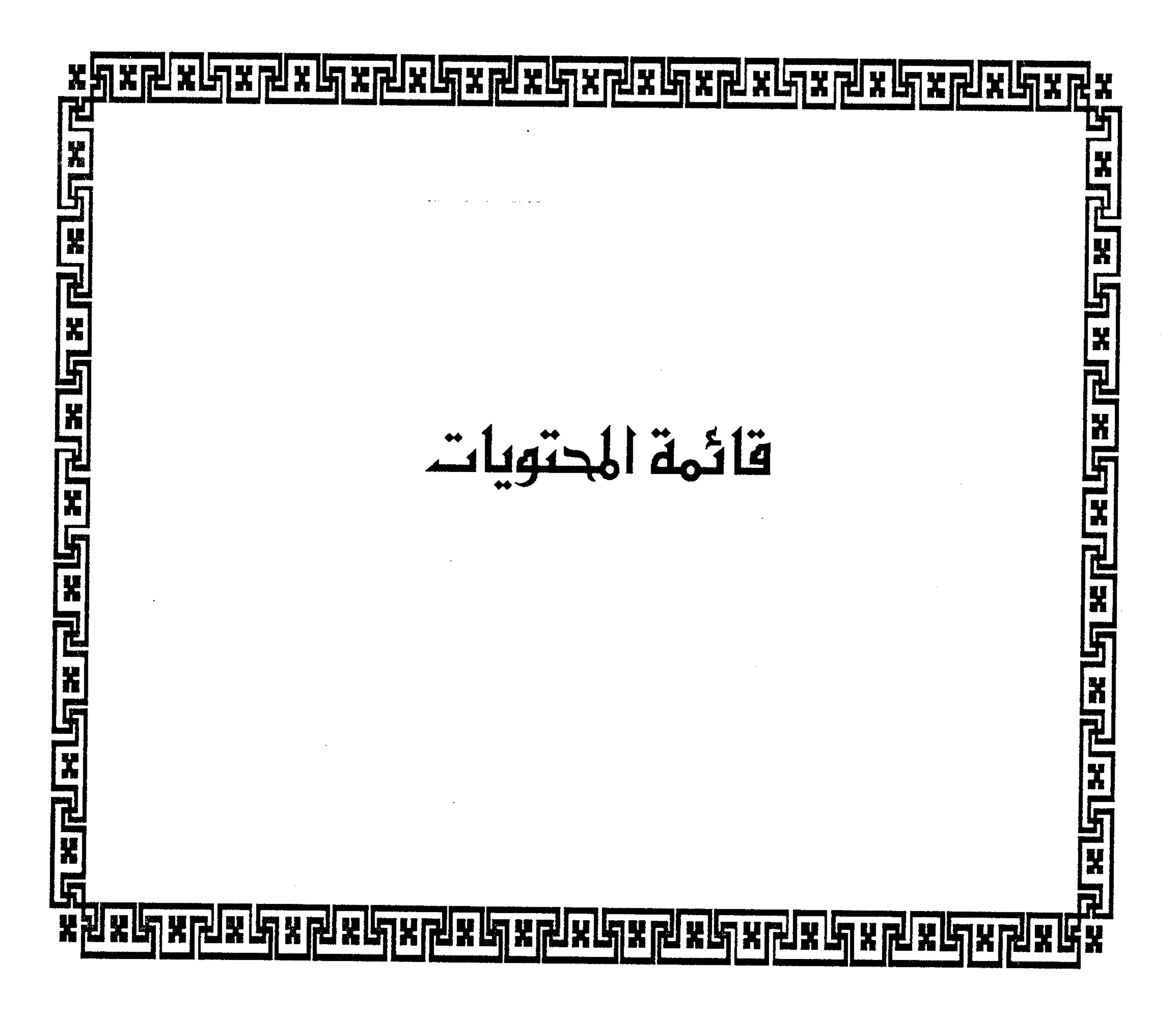
(3) Heyd : Histoire du commerce, Leipzig, 1923 .

(4) Iver, G : Art of Makka Encyclopaedia of Islam .

(5) Jomier : Le mahmal et la caravane egyptienne des pelerins de la Mecque, Le Caire, 1953 .

(6) Moreland, M : The Ships of the Arabian Sea about A.D.1500, the journal of the Royal Asiatic society of Great Britain and Ireland .

(7) Wiet : L'Egypte Arabe, Paris, 1926 .



قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الصفحة

الفصل الثالث : آثاره العلمية

الباب الثانى
منهجه فى الكتابة التاريخية

الفصل الأول : كتاب اتحاف الورى بأخبار أم القرى

الصفحة

الصفحة